



د. رافت غنيمي الشيخ
د. محمد رفعت عبد العزيز
د. ناجي هدهود

تاريخ آسيا الحديث والمعاصر



تاريخ آسيا الحديث والمعاصر

تأليف

أ. د. رأفت غنيمي الشيخ

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة الزقازيق

د. ناجي هدهود

معهد الدراسات الآسيوية

جامعة الزقازيق

د. محمد رفعت عبد العزيز

قسم التاريخ كلية التربية

جامعة عين شمس

طبعة عام

٢٠٠٤م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : بكتور قاسم عبده قاسم

حقوق النشر محفوظة ©

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

ه شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٢٨٧١٦٩٣

Publisher: EINH FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهولوى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذي :

ش.سريظ قاسم

مدير النشر:

محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : متى العيسوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تأتى الطبعة الثانية من هذا الكتاب معدلة ومنقحة ومزودة مواكبة للفكر التاريخي المتجدد، خاصة بعد أن استنفدت أعداد الطبعة الأولى أغراضها فى التعريف بالقارة الآسيوية جغرافيا وبشرىا وتاريخيا ، وبعد أن وجد الكتاب تجاوبا من الدارسين والمهتمين بالدراسات الآسيوية ، وأكاد أزعم أنه الكتاب الشامل الجامع لتاريخ كل الأقطار الآسيوية.

وتأتى الطبعة الثانية من هذا الكتاب فى خمسة أبواب ، الباب الأول يعالج تاريخ أقطار الشرق الأقصى وهى الصين واليابان وكوريا والفلبين وشبه جزيرة الهند الصينية، والباب الثانى يتناول أقطار جنوب آسيا وهى الهند والباكستان وأفغانستان واندونيسيا وماليزيا وسنغافورة.

أما الباب الثالث فيتناول أقطار شمال آسيا وهى روسيا وأقطار القوقاز ، والباب الرابع يعالج أقطار العالم التركى الإيرانى ، وهى تركيا وإيران وأقطار وسط آسيا ، ويتناول الباب الخامس والأخير الأقطار العربية فى آسيا ، وهى أقطار الهلال الخصيب (بلاد الشام، العراق ، الأردن وفلسطين) وأقطار المربع العربى (السعودية ، اليمن، أقطار الخليج) .

واننا على ثقة من أن هذه الطبعة ستجد استحسانا من الدارسين والمهتمين بالدراسات الآسيوية بما اشتملت عليه من إضافات وتعديلات، خاصة أن عرض الكتاب باخراج متميز يزيد من استحسان القراء.

والله اسأل أن يوفقنا لما فيه الخير وعلى الله قصد السبيل،

المؤلفون

الباب الأول

أقطار الشرق الأقصى

- مقدمة .
- الفصل الأول : جمهورية الصين الشعبية .
- الفصل الثاني : اليابان وكوريا .
- الفصل الثالث : الفلبين والهند الصينية .

مقدمة

يطلق تعبير الشرق الأقصى على أقطار شرق آسيا المطلة على المحيط الهادي ، ولكون تلك الأقطار أبعد الأقطار الشرقية عن أوروبا سميت بأقطار الشرق الأقصى تمييزا لها عن أقطار الشرق الأوسط ، وأقطار الشرق الأدنى .

وتشمل أقطار الشرق الأقصى كل من جمهورية الصين الشعبية ، واليابان وكوريا (كوريا الديمقراطية أو الشمالية ، والجمهورية الكورية (أو الجنوبية) إلى جانب أقطار الهند الصينية وهي فيتنام وكمبوديا ولاوس وتايلاند وبورما أو ميانمار ، كما تشمل الفلبين ..

وتوجد ملامح متشابهة بين هذه الأقطار من الناحية الجنسية (الجنس البشرى الأصفر) ، ومن الناحية الثقافية ، وخاصة انتشار عقائد البوذية والكونفوشية بين شعوبها ، إلى جانب تعرضها جميعا لأطماع الدول الاستعمارية الأوروبية والأمريكية.

وتتميز أقطار الشرق الأقصى بوجود أكبر تجمع بشري فى إحداها وهى الصين التى يقترب عدد سكانها من المليار والنصف من البشر ، كما تتميز بوجود أكثر أقطار النور الاقتصادية ، مثل اليابان ، الصين، تاوان، تايلاند وغيرها ..

ولوقوع أقطار الشرق الأقصى فى أقصى شرق آسيا، كان لابد أن نبدأ دراستنا عن تاريخ آسيا بدراسة تاريخ هذه الأقطار ، وهو ما نسجله فى الصفحات التالية، فى الباب الأول من أبواب هذه الكتاب.

الفصل الأول

جمهورية الصين الشعبية

- نظرة جغرافية - تاريخ الصين - الإسلام فى
الصين - الصين والدول الاستعمارية - الصين فى القرن
العشرين .

نظرة جغرافية

تقع الصين فى أقصى شرق آسيا تطل على البحر الأصفر وبحر الصين الجنوبي المفتوحين على المحيط الهادى (الباسفيكى) ، ومساحتها ٩.٦ مليون كيلو متر مربع ، وتعتبر ثانى أكبر دولة فى العالم من حيث المساحة (بعد كندا) ، وعدد سكانها - طبقا لاحصاء عام ١٩٩٢- نحو ١.٢ مليار نسمة يمثلون أكثر من ٢١.٥٪ من سكان الأرض ، فهى أول دول العالم سكانا .

والصين ذات المساحة الضخمة تتمتع بظبوغرافية متنوعة بين حقول خصبة وجبال مرتفعة ، وأنهار كبرى ، وهى موطن الصينيين (الشعب العيىنى) منذ عسر ما قبل التاريخ^(١) .
وحدود الصين كدولة أسبوية من الشرق والجنوب الشرقى المحيط الهادى (الباسفيكى) ، ومن الجنوب والجنوب الشرقى شبه جزيرة الهند الصينية وشبه القارة الهندية الباكستانية، ومن الغرب ومن الشمال تركستان الغربية (الروسية السابقة أو دول آسيا الإسلامية الحالية) وسببيرا الروسية^(٢) . وكانت امبراطورية الصين القديمة تضم عدا ولاياتها الحالية التبت وكوريا وفيتنام وبورما .

وتضم الصين المقاطعات التالية :

1- China Yearbook , 1966-1967 , Taibi , Taiwan , 1967 , p. 1 .

2- Op . Cit . , p. 28 .

- ١- ولاية «كانسو» : وتتألف من هضبة التبت العالية وتقع على السفوح الشرقية لجبال تيان شان ، وبها سور الصين العظيم ، وعدد سكانها من المسلمين حوالى ٧ ملايين ، ومركز المقاطعة مدينة «لان تشو» .
- ٢- مقاطعة «نينج هسيا» : وأكثر سكانها من المسلمين وهى فى الأصل جزء من كانسو ومركزها مدينة «نينج هسيا» .
- ٣- مقاطعة «يونان» : وتقع بين منطقة التبت ومقاطعة ستشوان فى الشمال وبين دولة بورما من الغرب وفيتنام ولاوس من الجنوب ومقاطعتى «كوانج سى» و «كيوتشو» من الشرق . وكان ظهور الإسلام فيها على يد رجل يدعى السيد الأجل فى القرن الثالث عشر الميلادى، ويزيد عدد سكانها عن المليون نسمة وعاصمة المقاطعة مدينة «يونان» .
- ٤- مقاطعة «شنس» : وعاصمتها مدينة «سنان» وعدد المسلمين فيها يقدر بحوالى المليون .
- ٥- مقاطعة «شانس» : وعدد المسلمين فيها حوالى ١٥ ألف مسلم .
- ٦- مقاطعة «تشيهلى» : وقد قسمت إلى عدة مقاطعات أصغر وعدد سكانها حوالى المليونين وعاصمتها مدينة بكين عاصمة الجمهورية .
- ٧- مقاطعة «شانتونج» : ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ٢٠٠ ألف نسمة وهى مقاطعة ساحلية .
- ٨- مقاطعة «منشوريا» : وعاصمتها مدينة «شن يانج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .
- ٩- مقاطعة «منغوليا الداخلية» : عدد المسلمين فيها قليل وغير معروف على وجه الدقة.
- ١٠- مقاطعة «سشوان» : ومركزها مدينة «سونج بان تينج» ويزيد عدد المسلمين فيها عن ربع المليون .
- ١١- مقاطعة «هونان» : ومركزها مدينة «هوى شينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

- ١٢- مقاطعة «هوية» : ومركزها مدينة «فوشانج» وعدد المسلمين فيها حوالى عشرة آلاف مسلم .
- ١٣- مقاطعة «آن هوى» : وعاصمتها مدينة «انكينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ٥٠ ألف مسلم .
- ١٤- مقاطعة «كيانج سو» : ومركزها مدينة «نانج كينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .
- ١٥- مقاطعة «تشيكيانج» : ومركزها مدينة «هانج تشوفو» وعدد سكانها من المسلمين يقرب من المليون مسلم .
- ١٦- مقاطعة «كوى شوى» : وبها حوالى عشرة آلاف مسلم .
- ١٧- مقاطعة «كوانج سى» ومركزها مدينة «كوى لين» وعدد المسلمين فيها حوالى ٢٠ ألف مسلم .
- ١٨- مقاطعة «كوانج تونج» : وعاصمتها مدينة «كانتون» وعدد المسلمين فيها حوالى ٢٥ ألف مسلم .
- ١٩- مقاطعة «كيانج سى» وبها حوالى ثلاثة آلاف مسلم .
- ٢٠- مقاطعة «توكين» : ومركزها مدينة «أموى» وعدد السكان فى المقاطعة آلاف قليلة .

تاريخ الصين

يرجع المؤرخون تاريخ الإمبراطورية الصينية المكتوب إلى عام ٢٥٩٣ قبل الميلاد حين استقرت قبائل التتار من الجنس المغولى فى أرض الصين ، وأصبحت لهم حضارة راقية ونظام حكم ملكى إقطاعى عاصمته مدينة «نانكين» . وعندما تعرضت لغارات قبائل الهون البدائية قادمين من منغوليا ، وأقام الصينيون فى عهد امبراطورهم المشهور «شى هوانج تاي» الذى حكم الصين فى الفترة من ٢٢٤٦-٢٢١٠ قبل الميلاد ، سور الصين العظيم الممتد فى شمال الصين بطول يزيد على ثلاثة آلاف كيلومتر ، لكن هذا السد لم يمنع المغول من غزو الصين أوائل القرن الثالث عشر الميلادى بقيادة جنكيزخان ، ثم فى عهد حفيده «قبلاى خان» ومنذ ذلك الوقت سيطر المغول على الأراضى الصينية واتخذوا من مدينة بكين عاصمة للصين .

وهكذا يمكن القول أنه كان للصين تاريخ قديم وحضارة عظيمة قامت على ضفاف نهر «هوانج هو» أو النهر الأصفر الذى ينبع من سفوح جبل «كونلون» فى الغرب ويسير باتجاه الشرق لعدة آلاف من الأميال ليصب فى المحيط الهادى. وخلال ستة أو خمسة آلاف سنة شهد هذا الوادى الخصيب بدايات الإنسان الصينى فى بناء الحضارة .

وقد شهدت الصين فى تاريخها القديم عصرا من الحكم الإمبراطورى المركزى - كما ذكرنا- حين ظهر قائد ماهر هو «هوانج تاي» الذى أشرنا إليه وسط سيطرته على الصين . وقد سجل عهده بداية تاريخ الصين المكتوب . وفى هذا الزمن استخدم أفراد الشعب الصينى شكلا مميزا للكتابة وطوروا نظم المقاييس وأعداد الحساب، وغير ذلك من أدوات الحياة اليومية كالمساكن والملابس والأسلحة وصناعة الحرير .

وكانت بلاد الصين فى تاريخها القديم ذات تركيب مزدوج سياسى واجتماعى ولكنهما منفصلان بتأثير «كونج فوتسى» - كونفوشيوس- حكيم الحكماء الذى أسس منذ القرن الخامس قبل الميلاد الديانة الصينية ، وحدد الأخلاق الفاضلة أساس لحياة الإنسان حياة مغلقة آمنة . أما النظام السياسى فهو نظام امبراطور مطلق ، فالامبراطور «ابن السماء» والد رعيته، فهو يحتكر السلطات السياسية والحرية الدينية المطلقة ، فهو سيد كل شئ ، ويعيش فى بكين منعزلا لاتراه الرعية فى قصور كأنها مدينة منعزلة .

والنظام الاجتماعى فى الصين القديمة يستند على حضارة زراعية أسرية مسالمة حيث يعيش ٨٥٪ من السكان فى المقاطعات ويعملون بالزراعة ، وتجمع الأسر على عبادة الأجداد التى توجد مع العادات الخلقية بين أبناء البلاد . وحضارة الصين لم يكن لها نظير فى البلاد المجاورة مما جعلهم يعتقدون أنهم أرقى الناس وأنهم حقا أبناء السماء والأجانب شياطين ولذلك كرهوا الأوروبيين القادمين إلى الصين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر^(١).

ولسنا بصدد الحديث طويلا عن التاريخ القديم للصين ، الذى شهد عصورا من الحكم الإمبراطورى، ومع القرون الأولى للميلاد انقسمت البلاد إلى عدة مملكات ، استقرت ثلاثة منها حوالى عام ٢٢١م فى شمال الصين وفى الغرب وفى الشرق . وقد شهدت فترة حكم «شين هان» أصل المؤسسات الصينية . كما شهدت انتفضات شعبية أفرزت عدة قيادات .

١- شاكى مصطفى وأنور الرفاعى : التاريخ الحديث ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

كما شهدت عصور «سوى وتانج Sui and Tang» التى امتدت عبر التاريخ الوسيط اضطرابات وثورات محلية حتى عرفت تلك الفترة الممتدة من عام ٩٠٧م إلى عام ٩٦٠م عند مؤرخى تاريخ الشعب الصينى بأنها فترة الخمس عهود وفترة العشرمملكات . وانتهت باعادة توحيد الصين وتأسيس عهد الـسونج على يد «شاو كوانجىن» ، وكان هذا العهد ضعيفا من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية مما أدى إلى قيام ثورات استمرت فترة التاريخ الوسيط حتى مجئ الاستعمار الأوروبى نحو الشرق فى القرن السادس عشر الميلادى .

كيف دخل الإسلام إلى الصين ؟

قبل الحديث عن تاريخ الصين فى العصر الحديث وخاصة منذ ظهور الأطماع الاستعمارية الأوروبية ، لابد لنا من وقفة نقف فيها على كيفية وصول الإسلام إلى أرض الصين .

ينتشر المسلمون فى كل مقاطعات الصين وإن كانت نسبتهم تختلف بين مقاطعة وأخرى ، ويرجع هذا الاختلاف إلى الطرق التى دخل بها الإسلام وانتشر فى الصين وإلى سياسة الحكومات الصينية المتعاقبة نحو رغبة المسلمين فى إقامة حكومة إسلامية تجمعهم تحت ظلها . وقد دخل الإسلام إلى الصين منذ أيام الإسلام الأولى خاصة فى عهد الخلفاء الراشدين . وأن أول وافد من الدولة الإسلامية إلى الدولة الصينية أوفد عام ٦٥١ م فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . ثم ذهبت الوفود الإسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس متعاقبين إلى الصين فى عهد الخلفاء الراشدين أيضا ^(١) .

وكان للتجار المسلمين دور كبير فى انتشار الإسلام بالصين ، فالتجار الذين نزلوا بالمناطق الساحلية وخاصة فى المراكز الكبرى مثل «كانتون» و«شانغهاى» ومدن «شانتونج» حملوا معهم الدعوة الإسلامية والتجار الذين دخلوا إلى الأجزاء الغربية من الصين بطريق البر عبر وسط آسيا قاموا هم أيضا بدور هام فى هذا السبيل وتنقلوا فى فىافى الصين ولم يقتصرُوا على جهة واحدة وإنما فى جميع الجهات ، فكان انتشار الإسلام يماشى سير الدعاة ويختلف حسب كثرتهم وقوة شخصيتهم ومدة إقامتهم ومدى إيمانهم وعمق فكرتهم ^(٢) ودخل الإسلام

١- لوثرروب ستودارد : ص ٢٨٨ .

٢- محمود شاکر : تركستان الصينية ، ص ٥٢ .

إلى شمال الصين بواسطة الترك في عهد جنكيزخان وخلفائه ، حيث لم يعبأ جنكيزخان بالدين وكان يجمع حوله من جميع الملل ودخل في جنده كثير من الترك والأفغان والباتان والفرس ، وكل هؤلاء مسلمون فنشروا الإسلام في الصين^(١).

وحتى اليوم نجد أن المسلمين يكثرون في مقاطعات «كانسو» و«يونان» و«هونان» و«شانتونج» و«هاى» ، إضافة إلى تركستان التى معظم سكانها من المسلمين^(٢) ، وقد انتشر الإسلام فى الصين انتشارا سريعا وسهلا نتيجة توفر عدة عوامل هى :

١- تجارة المسلمين وهى سبب دخول الإسلام فى الصين الأصلية فى عهد أسرة «تان» (٦١٨-٩٠٥م) وازدهار الإسلام فى عهد أسرة «سون» (٩٦٠-١٢٧٦م) وأسرة «مين» (١٣٦٨-١٦٤٣م) .

٢- الفتوح الإسلامية وهى سبب إسلام سكان مقاطعة سنكيانج أو التركستان الصينية فى عهد أسترى «سون» و«مين» ، فضلا عن أنها كانت سببا فى إسلام التركستان الروسية فى عهد أسرة «تان» .

٣- تناسل المسلمين ، وهو سبب ازدهار الإسلام وازدياد المسلمين فى الصين الأصلية بعد أسرة «يون» (١٢٧٧-١٣٦٧م) وأسرة «مين» التى تلتها .

٤- اختلاط الكافرين - الوثنيين - بالمسلمين وتأثرهم بأدابهم وهو سبب آخر لإسلام أبناء التتار فى التركستان الصينية، والروسية^(٣).

٥- شراء المسلمين لأولاد الصينيين الوثنيين ويربونهم على الإسلام فيصيروا متمسكين بالدين الإسلامى، وبما يدل على ذلك أنه فى ثورة البوكر التى جرت عام ١٩٠٠م والتى قتل فيها ألوف من المسيحيين ، ونهبت أموالهم ، وبيعت نساؤهم . فاشترى مسلمو نينغ هسيا عددا كبيرا منهم، وبعدها صار يسعى مطران منغوليا لاستردادهم ، ولكن رفض أغلبهم الردة بعد أن عرفوا الإسلام وذاقوا حلوة الإيمان .

١- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

٢- محمرد شاكى : المرجع السابق، ص ٥٦ .

٣- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

٦- لجوء مسلمي الصين إلى الزواج بالصينيات والوثنيات ، وهم يرغبون من ذلك نشر الإسلام فلعل الله يشرح صدور زوجاتهم للإسلام^(١).

ويبلغ نسبة عدد المسلمين في الصين إلى عدد سكان الصين حوالي ١٠٪ أو $\frac{١}{٨}$ على أكثر المصادر دقة ، فإذا كان عدد سكان الصين ١٢٠٠ مليون نسمة الآن فإننا يمكن أن نذكر دون مبالغة أن عدد المسلمين في الصين ١٢٠ مليون، يتكلمون اللغات الصينية والتركية والفارسية والعربية بالترتيب وحسب المناطق التي يعيشون فيها ، ومعظم الكتب الدينية تكتب باللغتين العربية والفارسية ، ويعمل المسلمون هناك بالتجارة والزراعة ، وهم غير مكروهين من قبل بقية الطوائف الصينية ، وذلك لعدم تقديم مبادئ الفيلسوف « كنفوشيوس » ولعدم إذاعة الدعوة الإسلامية أي عدم التبشير بها ، ومن ثم كان مسلمو الصين وطنيون بكل معنى الكلمة وهم أهل نجدة وشجاعة وهم رجال حرب وقاتل وكثير منهم جنود في الجيش وفيهم قواد ، وفيهم علماء وإن لم تكن لهم رئاسة دينية وإنما تقوم الجمعيات المحلية بالإشراف على التقاليد الإسلامية^(٢).

ورغم استمرار انتشار الإسلام وحسن العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في الصين ، إلا أنه عندما سيطرت الأسرة « المانشورية » على الحكم في الصين خلال ثلاثة قرون (١٦٤٤-١٩١١) اضطهدت هذه الأسرة المسلمين وسامتهم سوء العذاب فصادت أملاكهم ، وأخذت أموالهم ، وانتهكت حرمتهم ، مما جعل الثورات تندلع في كل مكان من قبل المسلمين والتي بدأت عام ١٨٥٦م في بلاد « يونان » بسبب عمال من المسلمين والوثنيين يعملون في أحد المعادن فأسفر القتال عن الغلب للمسلمين وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الخنق من ولاية الصين مبلغه فاستنفروا إليهم الوثنيين قاطبة وتكررت الوقائع وصد الفريقان بعضهم لبعض ، فلجأت الحكومة إلى الحيلة والدسائس وجاذبت زعماء المسلمين بحبال الرشوة بالأموال والأعمال الخطيرة حتى فصمت عرى اتحادهم ومن ثم ينتقم منهم الصينيون شر انتقام^(٣).

١- محمود شاعر : المرجع السابق ، ص ٥٦-٥٧ .

٢- محمود شاعر : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

٣- لوثروب ستوارد : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ . ويحب المسلمون أن يقال لهم لفظه « باي شان » أي أصحاب العمائم البيضاء .

وعندما قامت الثورة الشيوعية فى الصين عام ١٩٤٩م، وأعلنت جمهورية الصين الشعبية. التى أنهت حكم جمهورية الصين الذى امتد من عام ١٩١١ كبداية للحكم الجمهورى - أعلنت حكومة بكين أن تركستان الصينية «الشرقية» دولة تتمتع باستقلال ذاتى، وأصبح السيد سيف الدين هو رئيس الدولة وذلك عام ١٩٥٣م، وعرفت هذه البلاد منذ تلك الفترة باسم «سينكيانج» ووصلت مع الصين بخط حديدى عام ١٩٥٨م^(١).

وقبل أن نختتم حديثنا عن المسلمين فى الصين لنا سؤال ما هى أحوال المسلمين فى الصين وما هو واجب المسلمين فى الأقطار الإسلامية نحوهم ؟ لاشك أن الشيوعية لاتعترف بالدين بل وتحاربه ولاتدين إلا بالدنيا ، ولهذا لاتجد مجالاً للترفة بين الناس فى غيرها فتضيق بغير الشيوعية ولاتقبله فى دولتها، وتفرق بها فى الدنيا بين الناس فتشيب فى الدنيا من ينتحلها وتعاقب فيها من لايتخذها عقيدة^(٢).

وتبعاً لسياسة الشيوعية تغيرت عقيدة بعض مسلمى الصين تحت تأثير الضغط أحياناً والتوجيه أحياناً أخرى وخاصة بالنسبة إلى النشئ الجديد، وتارة من أجل الوظائف والمناصب ، وتارة بسبب ضعف الإيمان حيث يظن بعض الناس أن الأرزاق والأعمار بيد الحكام ، ورغم ذلك نجد أن بعض المسلمين تمسكوا بعقيدتهم واحتفظوا بدينهم أشد الاحتفاظ وإن كانوا قد تواروا فى عبادتهم عن الأنظار ، وابتعدوا فى صلواتهم عن العيون ، تجنبنا لما اتبعه النظام الشيوعى من سياسة اقتصادية تقوم على اغتصاب أموال الناس باسم القانون، وسياسة اجتماعية حطمت الروابط بين الأفراد والأسر وخرقت العادات والتقاليد الخلقية . وما إلى ذلك من سياسات أوجدت رد فعل عند المسلمين فيتطلعون إلى قوة إسلامية كبرى تمد لهم يد المعونة ، وينتظرون دعوات للدين حتى ينضوا تحت لوائها ويسيروا فى ركبها^(٣).

١- محمود شاكى : المرجع السابق ، ص ٥٩- ٨٨ .

٢- عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام ، ص ٥٨٤ .

٣- محمود شاكى : المرجع السابق ، ص ٨٩- ٩١ .

الصين والدول الإستعمارية :

كانت البرتغال أول قوة أوروبية وصلت إلى الشرق الأقصى وذلك خلال القرن السادس عشر الميلادي ، وكان أول اتصال بين البرتغاليين والصين في عام ١٥١٦م عن طريق المكتشفين البرتغاليين ، والذين حاولوا ومن جاء بعدهم وضع قدمهم في الأرض الصينية بإقامة مراكز أو قلاع ولكنهم فشلوا أمام حرص الصين على عدم السماح للأجانب بامتلاك أراض في بلادها خاصة بعد أن علم الصينيون بالفظائع التي ارتكبتها البرتغاليون في الملايو وغيرها ، ومن ثم لم يكن يسمح للبرتغاليين إلا بالتجارة مع الموانئ الجنوبية للصين .

وفي نفس الوقت فإن الأسبان بعد أن استقروا في جزر الفلبين وأنشأوا مدينة «مانيلا» عام ١٥٧٣م، حاولوا التجارة مع بعض الموانئ الصينية خاصة في سلج كانت ترد إلى مانيلا من أمريكا الوسطى أو اللاتينية مثل الفضة مقابل المنسوجات الآسيوية المصنوعة من القطن والحرير ، في مقابل التوابل والخزف الصيني^(١).

وحاولت هولندا بعد استقرارها في جزر الهند الشرقية في القرن السابع عشر أن تمد نفوذها إلى أراضي الصين ، وقد نجحت قواتها في احتلال جزيرة فورموزا وبنيت قلعة فيها ، حيث عرفت فيما بعد باسم «تايوان» وأصبحت لها أهمية كبيرة^(٢) . وقد دخل البريطانيون بحار الصين ابتداء من عام ١٦١٩م بناء على اتفاق مع الهولنديين ، حيث عقدت معاهدة بين شركة الهند الشرقية البريطانية وشركة الهند الشرقية الهولندية . وقد فتحت أبواب مدينة كانتون الصينية للتجارة البريطانية عام ١٦٨٥م، وحصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على حق إنشاء مصنع في «كانتون» تحت الرقابة الصينية ، وتبعته بقية الدول الغربية : بريطانيا ، فرنسا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وقد واكب وصول هذه القوى الاستعمارية إلى شرق آسيا حدوث حالة من الضعف والتفكك في الصين تحت حكم أسرة «منج» التي سعت إلى إعادة بعث روح الثقافة الصينية ، وبدأت بكين- في عهد حكام هذه الأسرة- تدعى لنفسها لأول مرة حقوق الدول العظمى على سيام «تايلاند» وجاوة وسومطرة والملايو^(٣).

١- سرداربانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٧٤ .

٢- نفس المصدر ، ص ٧٥ .

٣- بانيكار : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

ولم يكن الصينيون فى عهد أسرة «منج» يكرهون الأجانب ، رغم أن هذه الأسرة الحاكمة كانت ذات نزعة قومية ، وتمثل نهضة الثقافة الصينية ، بل كانوا على استعداد للترحيب بكل علاقة مع الأجانب لصالح الطرفين ولذلك وقد على الصين الهولنديون والإنجليز والفرنسيون والأسبان كبعثات تبشيرية وشركات تجارية ، كما ذكرنا .

وفى عام ١٦٤٥م استولت أسرة المانشو على السلطة فى الصين وطردت أسرة «منج» وظلت أسرة «مانشو» تحكم حتى عام ١٩١١م أى حوالى مائتين وخمسين سنة شهدت تطورات العلاقة بين الصين والدول الاستعمارية كما شهدت محاولة الحكم فى بكين إعادة توحيد البلاد والقضاء على المحاولات الانفصالية .

وفى عهد أسرة المانشو أيضا تدفقت البعثات التبشيرية البروتستانتية الهولندية والإنجليزية، والكاثوليكية الأسبانية والبرتغالية ، والتي كانت مقدمات للاستعمار الاحتلالى للصين .

ومن أبرز أحداث الصين فى عهد تلك الأسرة ما عرف بحرب الأفيون التي فرضتها بريطانيا على الصين . وكانت تجارة الأفيون قد راجت فى الصين المستورد من الهند فى القرن الخامس عشر، ولكن نطاق هذه التجارة لم يتسع إلا على يد التجار الأوروبيين وخصوصا شركة الهند الشرقية التي كانت تحتكر التجارة البريطانية ، ونتيجة لقرار حكومة الصين فى عام ١٨٠٠م بحظر استيراد الأفيون نشط التجار الأوروبيون فى الاتجار بالأفيون وخاصة التجار البريطانيين^(١).

ونظرا لأن الإجراءات التي اتخذتها حكومة الصين ضد تجار الأفيون من الأوروبيين ، وضد المواطنين المتعاملين مع هؤلاء التجار، فقد شنت بريطانيا الحرب ضد الصين عام ١٨٤٠م التي سلمت فى عام ١٨٤٢م ووقعت معاهدة نانكينج التي أرغمت الصين على فتح موانئ : كانتون، وشنغهاي ، وأموى ، ونغبو، وفوشوى . فى وجه التجارة الأجنبية وخاصة تجارة الأفيون واستولت بريطانيا على جزيرة هونج كونج القريبة من كانتون^(٢) .

١- نهرو : لمحات من تاريخ العالم ، ص١٢٦ .

٢- نهرو : المرجع السابق، ص١٢٨-١٣٠ .

ونتيجة لهذه المعاهدة فتحت الصين أمام سطوة وغطرسة المبشرين والتجار الأوروبيين مما أدى إلى ثورة عام ١٨٥٠م عرفت بثورة «تايبينج» تنادى بقتل «الكفار» أى الأجانب ، وقد راح ضحية هذه الثورة حوالى ٢٠ مليون نسمة، وهذا يعطينا مؤشرا عن مدى كراهية أهل الصين للمبشرين .

وإذا كانت معاهدة «نانكينج» قد فتحت أبواب الصين أمام الاستغلال البريطانى، فقد دخلت كل من فرنسا والولايات المتحدة باب المنافسة مع بريطانيا تحت ماعرف باسم سياسة الباب المفتوح فى الصين، ومن ثم عقدت كل من فرنسا والولايات المتحدة معاهدات تجارية مع حكومة بكين ، واستغلت كل من بريطانيا وفرنسا انشغال الحكومة الصينية بثورة «تايبينج» ، وزحفت قواتها على بكين عام ١٨٦٠م ، التى أحرقت القصر الإمبراطورى بالتحف النادرة التى احتواها القصر .

وكانت معاهدة نانكينج هى حجر الزاوية فى صرح العلاقات الدولية ، تلك العلاقات التى تحكمت فى الصين مدة مائة عام ، وكان الغرض الرئيسى منها هو القضاء على انعزال الصين قهرا ، واجبارها على تبادل التجارة مع الأمم الأوروبية . وكانت تحكم الصين آنذاك امرأة مستبدة تدعى «يهونالا» التى اشتهرت باسم الإمبراطورة الأرملة تزوهسى أو بالاسم الدارج «البوذا العجوز» وقد ظلت تحكم الصين من عام ١٨٦٠ يوم أصبحت أحد الأوسياء على العرش إلى موتها فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٠٨م حكما مستبدا لا ينازعه منازع^(١).

وقد استطاعت الإمبراطورة الضرب على أيدى الشوار والانفصاليين فى أقاليم الصين، على الرغم من أطماع القوى الاستعمارية ، اعتمادا على بعض الرجال الأقوياء الذين نجحوا فى القضاء على عصيان كل من اليايبينج وثورة نيافاى والقضاء كذلك على ثورة المسلمين التى استمرت أربعة عشر عاما امتدت من عام ١٨٦٤ حتى عام ١٨٧٨م بمقاطعتى «شنسى» و «كانسو» ، كما استقلت فعلا مقاطعة «سينكيانج» تحت لواء زعيم قوى يدعى «يعقوب بك» عام ١٨٦٤-١٨٧٨م وشرع فى انشاء العلاقات مع الدول الأجنبية ، وكانت ثورة المسلمين قتل تمردا على الحكم الصينى وقد لفتت أنظار بريطانيا فى الهند وروسيا فى وسط آسيا خشية إثارة مشاعر المسلمين فى تلك البلاد وقيام ثورات مماثلة وقد اقترحت بريطانيا إقامة مملكة إسلامية

فى الصين بزعامة يعقوب بك إلا أن الصينيين رفضوا ذلك ، وكل ذلك انتهى لصالح وحدة الصين^(١).

ونشطت الدول الأوروبية فى تحقيق الامتيازات لها فى موانى ومدن الصين ، حيث كان الإنجليز والفرنسيون والأمريكيون، ثم اليابانيون والروس يعملون فى مجالات التجارة والأعمال المالية تحت مظلة المعاهدات والقوة المسلحة بما كان يحد من استقلال الصين وخاصة فى المناطق النائية ، خاصة كمبوديا ، وأنام ، وتونكين ، وبورما العليا التى اقتطعت من الصين ، وذلك لصالح كل من فرنسا وبريطانيا . ومما لاشك فيه أن معاملة الأوروبيين للصينيين بشكل متعال ويدعو إلى الاشمزاز هو الذى دفع الصينيين للوقوف ضدهم ، خصوصاً عندما كانوا يسمون العمال الصينيين بالخنزير ، وكانوا يستغلونهم للعمل فى المزارع والمناجم والمستوطنات ونقلهم إلى أوروبا وبيعهم ببيع الرقيق^(٢).

الغزو اليابانى للصين :

لم يقتصر الخطر الاستعمارى على وحدة الصين على الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ، بل تعدى ذلك إلى اليابان التى تطلعت إلى غزو الصين ذلك الغزو الذى حدث بين عامى ١٨٩٤ ، ١٨٩٥م، والذى جاء بعد أن استكملت اليابان بناء قوتها العسكرية وازدهارها الصناعى .

كان سبب غزو اليابان للصين ما عرف بالمسألة الكورية . حيث كانت شبه جزيرة كوريا تعيش عصر ثورة ضد الحكم الصينى مما اضطر الصين إلى إرسال قوات عسكرية لاختاد ثورة سكان شبه جزيرة كوريا التى كانت أسواقها مجالاً للاستثمارات اليابانية ، والصناعات الوفيرة لمصانع اليابان .

أرسلت اليابان قواتها إلى كوريا حيث اشتبكت مع قوات الصين فى معارك حاسمة انتهت بهزيمة الصين هزيمة ساحقة نتجت عنها ارغام الصين على توقيع ما عرف بمعاهدة «شيمونسكى» عام ١٨٩٥ م التى نصت على ما يلى :

١- سردار بانىكار : المرجع السابق، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

٢- د. جلال يحيى : الشرق الأقصى ، ص ٣١٥ ، ٣٢٠ .

- ١- استقلال كوريا واعتراف الصين بهذا الاستقلال .
 - ٢- تنازل الصين عن جزيرة فرموزا لليابان .
 - ٣- تنازل الصين عن ميناء بورت آرثر الواقع على رأس شبه جزيرة «لياوينج» وإن كانت اليابان قد اضطرت للتنازل عن هذا الميناء بضغط من الدول الأوروبية ألمانيا ، وفرنسا ، وروسيا .
 - ٤- تدفع الصين لليابان غرامة حربية كبيرة قدرها ٢٠٠ مليون «تاييل» زادت بعد تنازل اليابان عن ميناء «بورت آرثر» .
 - ٥- حصول اليابان على امتيازات اقتصادية وتعليمية وقضائية في الصين أسوة بالدول الأوروبية .
- وكان لفرض معاهدة «شيمونسكي» على الصين نتائج خطيرة ، لم تقتصر على مجرد فقد شبه جزيرة كوريا ، بل تعدت ذلك إلى حدوث حالة من الضعف الشديد الذى حل بالصين واستمر حوالى خمسين سنة، وكان هذا الضعف لصالح اليابان وروسيا والدول الغربية التى اهتمت بالاستثمار فى الصين وتصدير رأس المال خارج الصين .
- كانت مناطق نفوذ الدول الأجنبية فى الصين متوزعة على النحو الآتى مع نهاية القرن التاسع عشر واستمرت حتى بعد الحرب العالمية الثانية :
- أ- الفرنسيون فى الجنوب فى مناطق يونان والمقاطعات الجنوبية الثلاث .
 - ب- البلجيكيون : مناطق بيكين وهانكاو .
 - ج- الأمريكيون : مناطق هانكاو أيضا وكانتون .
 - د- الروس : منطقة منشوريا .
 - هـ- البريطانيون : فى وادى اليانج تسى ، وتحت ستار شركة بريطانية إيطالية فى منطقة «شانس» .
 - و- الألمان : ميناء «تسنجتاور» وتأجير مدينة «كياتشاو» واستغلال المناجم فى مدينة «شانتونج» .

وهكذا لم تمض ثلاث سنوات بعد الحرب الصينية اليابانية وخاصة عام ١٨٩٩م، حتى تقاسمت الدول الأراضى الصينية فعلا كمناطق نفوذ لها فى الصين، وكان فى هذا الوقت أن اعترفت بريطانيا- عام ١٨٩٩م- رسميا بمناطق فى الصين بناء على سياسة الباب المفتوح .

ورغم ذلك فقد ظهرت عدة ثورات استهدفت التخلص من النفوذ الأجنبى، مثل حركة «البوكسر» التى كان مبدأها : اعتزوا بأسرتكم المالكة وأبيدوا القوى الأجنبية « وحظيت هذه الحركات الشعبية تأييدا جماهيريا بعد أن زادت وطأة النفوذ الأجنبى . وقامت الثورة الصينية عام ١٩١١م ضد الحكم الإمبراطورى بتأثير عاملين هما : الإصلاحات الحكومية بنقل الخبرات الأوروبية فى البناء الحضارى من جهة ، والعمل الشخصى للزعيم الصينى «سن يات صن» . وكان صن قد أعلن برنامجه عام ١٩٠٤ وعام ١٩٠٧م باسم الحل الحقيقى للمشكلة الصينية . ودعا لإقامة جمهورية ديموقراطية اشتراكية تقوم على الديموقراطية والمساواة والوطنية .

وانتقلت الحركات الشعبية فى الصين من الثورة إلى المقاطعة الاقتصادية للسلع الأجنبية ، ففى عام ١٩٠٥ م بدأ الصينيون فى كاتون حركة واسعة النطاق لمقاطعة كل ما هو أمريكى احتجاجا على معاملة الصينيين بالولايات المتحدة، وفى عام ١٩٠٨ م أخذ الصينيون يقاطعون كل ما هو يابانى أيضا ، ونتج عن هذه الحركات الشعبية سقوط حكم أسرة المانشو فى أكتوبر عام ١٩١١م . وإعلان الجمهورية بعد استقالة الإمبراطور فى ٢٢ فبراير ١٩١٢م، وانتخب « يوان شى كاي» رئيسا للجمهورية . وقد أبد المسلمون الحكم الجمهورى الذى سمح بقيام بعض المؤسسات الإسلامية^(١) .

الصين فى القرن العشرين :

عندما قامت الحرب العالمية الأولى بادرت اليابان بالانضمام إلى الحلفاء وإعلان الحرب ضد ألمانيا ، ومن ثم اتجهت إلى الصين للاستيلاء على مناطق نفوذ الألمان فى الأراضى الصينية ، فاحتلت « كياوشو» وبقية مقاطعة شانتونج وعندما طلبت الصين من اليابان إخلاء هذه المناطق استنكرت اليابان هذا المطلب الصينى ، وتقدمت بقائمة مطالب للصين عرفت باسم : «الواحد والعشرون مطلباً» . وكانت ترمى إلى منح اليابان جميع أنواع الامتيازات والحقوق وخاصة فى منشوريا ومنغوليا ومقاطعة شانتونج . ولو قبلت الصين هذه المطالب لأصبحت الصين مجرد مستعمرة يابانية ، ولكن الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة عارضت هذه المطالب

التي اعترضت عليها حكومة الصين الضعيفة ونشرتها على الشعب الصيني الذي ازداد استيأؤه وغضبه من اليابان ، وقد تخلت اليابان نتيجة لذلك عن بعض المطالب .

وفي عام ١٩١٧ م أعلنت الصين الحرب على ألمانيا تضامنا مع الحلفاء بقصد درء خطر اليابان ، وفي عام ١٩٢٣ م عقد في واشنطن مؤتمر ضم الدول الأربع الكبرى التي لها مصالح في الشرق الأقصى وهي بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا واليابان ، تعهدت كل منها باحترام ممتلكات الأخرى في المحيط الهادي، ثم معاهدة أخرى عرفت بمعاهدة الدول التسع التي ضمت الدول الأربع وكل من بلجيكا وإيطاليا وهولندا والبرتغال والصين ، ونتج عن هاتين المعاهدتين : تخلى اليابان عن إقليم « شانتونج » واحترام سيادة الصين واستقلالها ونشاطها الإداري الإقليمي .

وفي عام ١٩٢٤ م اتفقت كل من الصين وروسيا الشيوعية على تنازل الروس عن الامتيازات الأجنبية التي كانت حكومة روسيا القيصرية قد حصلت عليها في أراضي الصين مما أثار فرح الشعب الصيني ولكنه أثار استياء الدول الغربية التي كانت تتطلع إلى بقاء امتيازاتها في الصين .

وفي ذلك الوقت كانت تدور حرب أهلية بين الشمال والجنوب في الصين وبين العسكريين في الشمال الذين أطلقوا على أنفسهم اسم العظماء ، وكانوا ألعوبة في يد القوى الأجنبية ، بينما كان الجنوب يسيطر عليه حزب الشعب أو الكومنتانج بزعامة الدكتور « صن بات سن » الذي قضى حياته مناضلا من أجل الشعب الصيني حتى توفي عام ١٩٢٥ م^(١).

ونتيجة عن وفاة « صن بات سن » انقسام الحركة الوطنية في الصين بين يسار تقدمي، ويمين محافظ ، وفي أواسط عام ١٩٢٦ م أصبح « شان كاي شيك » وهو من الجناح الأيمن القائد الأعلى ، وبدأ في طرد الشيوعيين ، وإن كان الجناحان اليساري واليميني استمرا في التعاون معا وإن فقدت الثقة بينهما .

وفي هذه الفترة الممتدة من عام ١٩٢٦ م حتى قيام الحرب العالمية الثانية حدثت أحداث انتهت باحتلال اليابان للصين ، كان منها النزاع بين اليسار واليمين في الصين والنزاع مع المصالح البريطانية .

وكان الحزب الشيوعي بالصين قد تأسس عام ١٩٢٠ م بزعامه «تشن» الذى كان هو وأمثاله من قادة النهضة الصينية يرون أن الثورة البلشفية فى روسيا هى بداية لحركة نهضة قوية وفكر جديد^(١) .

وكانت الشيوعية تنتشر فى الصين سرا فى صفوف طلاب العلم والطبقات المثقفة ، ولذلك فإن الحزب الشيوعي كان يعمل مثل الجمعيات السرية لأن الحكومات الصينية المختلفة لم تكن تسمح له بالعمل علنا . وقد تشكلت أول حكومة شيوعية فى الصين فى نوفمبر ١٩٢٧م فى منطقة «هيفنج» بمقاطعة كوانتونج فى الجنوب ، وسميت هذه الحكومة «جمهورية هيفنج السوفيتية» وتشكلت من اتحادات نقابات الفلاحين .

وانتشرت الشيوعية فى الصين انتشارا كبيرا بحيث أن حكومة «هيفنج» امتدت سيطرتها لتشتمل على سدس أراضي الصين يسكنها حوالى ٥٠ مليون نسمة آنذاك ، وقد أنشأت الحكومة الشيوعية جيشا أحمرأ عدده ٤٠٠ ألف مقاتل ، وقام شان كاي شيك بحملات متكررة للقضاء على الشيوعيين الصينيين دون جدوى^(٢) .

ونتيجة للمد الشيوعي فى الصين توترت العلاقات بين حكومة الصين وبين روسيا الشيوعية ، فى الوقت الذى ازدادت فيه الانقسامات داخل الصين بين اليساريين (الشيوعيين) والوطنيين وعلى رأسهم السيدة «حسن» أرملة الزعيم الراحل الدكتور (حسن يات سن) ، بينما اشتدت سيطرة العسكريين اليساريين بمبادئهم : القومية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، وما لبثت بكين أن سقطت فى يد القادة العسكريين .

وكانت منشوريا والسكك الحديدية المارة بها سبب مشكلات دولية متعددة بسبب تشابك مصالح كل من الصين واليابان والروس هناك ففى أول يوم من عام ١٩٣٣م دخل جيش يابانى بصورة مفاجئة إلى الأراضى الصينية وهاجم مدينة «شانهيك وان» التى تقع على سور الصين العظيم من الجهة الصينية ثم تقدم الجيش اليابانى فى مقاطعة «جيهول» وأصبح على مقربة من بكين، ورغم إدانة عصبة الأمم للغزو اليابانى إلا أن الجيش اليابانى استمر فى تقدمه

١- بانيكار : المرجع السابق، ص ٣٧٦ .

٢- نهرى : المرجع السابق، ص ٣٧٦ .

بالأراضي الصينية حتى استولت اليابان على إقليم منشوريا ، واستمرت قواتها تهدد بقية بلاد الصين .

وكان استيلاء اليابان على إقليم منشوريا الصيني وعجز عصبة الأمم عن اجلاء اليابان من هذا الإقليم ، سببا في استمرار التهديدات اليابانية لأراضي الصين، حتى غزت القوات اليابانية الصين مع معارك الحرب العالمية الثانية .

عاشت الصين تحت السيطرة اليابانية أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية وكافح الوطنيون ضد الوجود الياباني وفي مقدمة صفوف الجهاد كان اليساريون أو الشيوعيون بزعامه « ماوتسى تونج » و« شو اين لاي » حيث استمروا في قيادة الحركة الوطنية- بعد استسلام اليابان - ضد الحكومة التي يتزعمها « شان كاي شيك » .

وفي أكتوبر عام ١٩٤٩م نجح الشيوعيون في الصين في السيطرة على مقاليد الأمور وطرد « شان كاي شيك » إلى جزيرة فورموزا أو « تايوان » ، وأعلنت جمهورية الصين الشعبية الماركسية النزعة في بكين ، بينما صارت تايوان مقرا لجمهورية الصين الوطنية .

لقد كان لمساندة جيش الاتحاد السوفيتي للحركة الوطنية الصينية أثناء الحرب العالمية الثانية ضد اليابان أثره في انتعاش الجيش الشعبي الصيني، في الوقت الذي ساندت فيه القوات الأمريكية قوات « شان كاي شيك » . وحين بدأ الصراع بين اليمين المدعوم من الولايات المتحدة واليسار المدعوم من الاتحاد السوفيتي بعد استسلام اليابان ، مالت كفة الصراع لصالح الجماهير التي اكتوت بحرب استمرت ثمانى سنوات ضد اليابانيين وسبقتها حرب أهلية استمرت ١٢ عاما .

ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية ساندت وبقوة حكومة بكين اليمينية ، فبأن قوات التحرير الشعبية التي تسلمت من القوات السوفيتية غنائم الحرب اليابانية من الأسلحة دخلت مع حكومة بكين في صراع مرير ، إلا أن الصراع انقلب إلى حرب أهلية انتهت بمعارك حاسمة عام ١٩٤٩ م ، لصالح الحزب الشيوعي الصيني ، حينما بدأت قوات جيش التحرير الشعبى في ٢١ أبريل هجوما انتهى في الخريف بالإطاحة بالحكومة اليمينية . وفي أول أكتوبر ١٩٤٩م أعلن في ميدان « تيان إن من » في بكين عن تكوين جمهورية الصين الشعبية .

لم يكن إعلان جمهورية الصين الشعبية ذات النهج الماركسى نهاية المطاف للصراع فى الصين، إذ قامت قوات الجيش الشعبى بمحاربة قطاع الطرق ومحاربة عناصر الثورة المضادة

ونجحت في ذلك أوائل عام ١٩٥١م. ولقد مكن إنهاء الحرب الأهلية وتحطيم الثورة المضادة من انتقال حكومة الصين الشعبية إلى تكوين هيئات السلطة الشعبية المحلية وإلى حل المسائل الاقتصادية ، الملحة .

وكان الاتحاد السوفيتي أول من اعترف بجمهورية الصين الشعبية وأقام معها علاقات دبلوماسية وتم في ١٤ فبراير ١٩٥٠م في موسكو توقيع معاهدة للصدقة والتحالف والمساعدة المتبادلة بين الاتحاد السوفيتي وجمهورية الصين الشعبية . تلك المعاهدة التي فتحت الطريق أمام التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي بين البلدين .

ولقد كان تنظيم الاقتصاد الجديد واحدا من أصعب المهام أمام حكومة الصين الشعبية ، بتحويل هذا النظام من نظام رأسمالي إلى نظام اشتراكي تكوّن فيه القطاع العام ، وخضوع كل الأنماط الاقتصادية الأخرى لرقابته ولنفوذه التنظيمي ، والقضاء على الملكية العقارية للأرض وتوزيع الأراضي على الفلاحين . وحتى نهاية عام ١٩٥٢م تمت إعادة بناء الاقتصاد على الأسس الاشتراكية حيث تم تحديد اتجاهين أساسيين في السياسة الاقتصادية : تعميم وسائل الإنتاج ، وخلق القاعدة المادية التكنيكية للاشتراكية ، وذلك من خلال الخطة الخمسية الأولى « ١٩٥٢-١٩٥٧ » .

وفي الخطة الخمسية الثانية « ١٩٥٧-١٩٦٢م » تم التركيز على التطور اللاحق للصناعة والتأكيد بشكل استثنائي على ضرورة التصنيع الاشتراكي وعلى مهمة إيجاد القاعدة المادية - التكنيكية للإشتراكية من خلال ثلاث خطط خمسية تقريبا . وأخذت الصين تطور صناعاتها ومصادر إنتاجها في الزراعة والتجارة ، حتى زادت نسبة التنمية في الاقتصاد الصيني عن ١٠٪ على الرغم من كثرة عدد السكان .

وكانت علاقات الصين بالقوى المختلفة متنوعة ، فمع أن الاتحاد السوفيتي كان السند الأول للقوى لحكومة الصين الشعبية منذ قيامها عام ١٩٤٩م، إلا أن تلك العلاقات اضطرت منذ دعوة الزعيم الصيني «ماوتسى تونج» للثورة الثقافية في السبعينيات من القرن العشرين ، وإن كانت بدأت في التحسن في التسعينيات بعد تفكك الاتحاد السوفيتي.

أما علاقة الصين بالولايات المتحدة الأمريكية فكانت سيئة منذ البداية لاختلاف النظم الاقتصادية والسياسة والاجتماعية بين البلدين اختلافا جذريا ، ولمساندة حكومة بكين للشيوعيين في كوريا حتى قامت جمهورية كوريا الديمقراطيةية (كوريا الشمالية) ، ولمساندة

حكومة بكين كذلك للشيوخيين فى الهند الصينية وخاصة فى فيتنام ، مما دفع حكومة واشنطن إلى عدم الاعتراف بحكومة بكين واستخدمت « الفيتو » فى مجلس الأمن لمنع حكومة بكين من تبوأ مقعد الصين فى مجلس الأمن ، ولمساندة الولايات المتحدة لحكومة جزيرة تايوان (فورموزا) ولكن هذه العلاقات تحسنت بزيارة الرئيس نكسون لبكين فى أوائل السبعينيات من هذا القرن .

وكانت مصر أول دولة عربية تعترف بحكومة جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٥٥م ، وأخذت العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية تتطور بين البلدين ، وكانت الصين من أكبر الدول الآسيوية المؤيدة للقضايا العربية كقضية الصراع العربى الإسرائيلى ، وقضية الاستقلال عن القوى الاستعمارية والرأسمالية . ومازالت العلاقات بين مصر وجمهورية الصين الشعبية تمثل نموذجا للعلاقات الطيبة بين قطرين من أقطار آسيا وأفريقيا .

الفصل الثانى

اليابان وكوريا

- نظرة جغرافية واجتماعية - نظرة تاريخية - عصر ما قبل
- النهضة - عصر النهضة (ميجى) - السياسة الخارجية -
اليابان فى القرن العشرين - الحضارة اليابانية المعاصرة -
أثر الدين فى المجتمع اليابانى - الاقتصاد وبناء اليابان
كوريا .

أولاً : اليابان

يطلق اليابانيون على بلادهم اسم نيبون Nippon ومعناها أرض الشمس المشرقة ، ولذلك
يضعون دائرة حمراء ترمز للشمس على علم بلادهم الوطنى . ذلك أن اليابان تقع فى أقصى
شرق قارة آسيا .

وتتكون اليابان من مجموعة كثيرة العدد من الجزر من أهمها وأكبرها أربع جزر هى :
جزيرة هونشو التى تبلغ مساحتها نصف مساحة كل الجزر اليابانية مجتمعة ، حيث يبلغ طولها
١٣٣٠ ميلاً ومتوسط عرضها ٧٣ ميلاً . وجزيرة شيكوكو ، وجزيرة كيوشو ، وجزيرة هوكيدو ،
بالإضافة إلى آلاف الجزر الأصغر حجماً ومعظمها صغير جداً .

ومعظم مساحة بلاد اليابان جبلية شديدة الانحدار ولا تزيد الأراضى السهلية فيها الصالحة
للزراعة عن خمس المساحة ، ومعظم مساحة المناطق الجبلية عبارة عن تلال مكسوة بالغابات
التي تحتوى على وديان ضيقة يسكنها اليابانيون ويزرعونها ، هذا إلى جانب وجود سلاسل
من الجبال المرتفعة ، مثل جبال الألب اليابانية ومنها جبال فوجى التى تقع فى الجزء الأوسط
من جزيرة هونشو ويبلغ ارتفاعها حوالى عشرة آلاف قدم .

وتعتبر اليابان من أكثر بلاد العالم تعرضاً للزلازل بسبب البراكين النشطة وهذا يفرض على
اليابانيين أنماطاً معينة فى المساكن وفى النشاط الاقتصادى، وتوجد قليل من أحواض الأنهار
وأوديتها فى المناطق الجبلية بالجزر اليابانية يفصل عن كل منها تلال وعرة وجبال يتعذر
اجتيازها بسهولة ، ولعل هذه الطبيعة الجغرافية لليابان هى التى تفسر لنا لماذا خضعت اليابان
فى العصور الوسطى للحكم الإقطاعى اللامركزى .

وتقع جزر اليابان فى المحيط الهادى بامتداده الشاسع وفى مواجهة أقطار شرق آسيا مثل روسيا وكوريا والصين ومنها هونج كونج . وهذا الموقع كان له أثره الكبير فى سياسة اليابان الخارجية خاصة فى القرنين التاسع عشر والعشرين كما كان للمناخ أثره فى نشاط السكان الاقتصادى والاجتماعى ، حيث أن المناخ معتدل فى معظم فصول السنة مع سقوط أمطار غزيرة ، وإن كان فصل الصيف يزيد فيه درجة حرارة الجو إلا أن الأمطار تطفى من درجة الحرارة المرتفعة .

وسكن جزر اليابان عنصر الجنس الأصفر شأن شعوب أقطار شرق آسيا ، وهم خليط من أجناس : المغول ، الإينو ، الملايو ، ومن الناحية الجسمية فاليابانى يتصف بأنه قصير القامة ، كما يتصف بالعيون السوداء والشعر الأسود الناعم والبشرة الصفراء . والشعب اليابانى المعاصر مزيج من الكوريين والصينيين إلى جانب المغول والإينو والملايو ، ولا يتجلى هذا المزيج العنصرى فى مظاهر الخلقة فقط بل يتعداها إلى الحضارة واللغة اليابانية^(١) .

ويتميز أهل اليابان بالطاعة والولاء لحكامهم ولرجال الدين. وتسود الديانة البوذية بين اليابانيين وهى المهتمة بعبادة الطبيعة ، وقد تعددت مذاهب الديانة البوذية فظهر مذهب «جودو شينكو» الذى انتشر بسرعة بين اليابانيين لحماية البوذية من الإنهيار وهو يبشر بالجنة ويأتى انتشاره نتيجة للأثر الذى أحدثته صورة جهنم فى تعاليم بوذا الأولى. ومذهب «زن» الذى يعتقد أن كل شئ عدم . كما ظهر مذهب «الشننتو» وهو مذهب اليابان الحالى الذى هو مزيج بين البوذية و«الكونفوشية» ديانة الصين .

ومعظم نشاط اليابان الاقتصادى قبل عصر النهضة تركز فى الزراعة وخاصة زراعة الأرز وزراعة الشاي وصيد الأسماك ، كما ظهرت بعض الصناعات الخفيفة مثل صناعة الزجاج والخزف والأقمشة الحريرية والصناعات الخشبية المعتمدة على أشجار الغابات الكثيفة . ثم تطور هذا النشاط الاقتصادى فى اليابان لتصبح الآن أكثر بلاد العالم نشاطا اقتصاديا وصارت عملتها أقوى عملة فى العالم .. كيف حدث هذا التطور .. بالإدارة والإرادة: النظام السياسى والاقتصادى من ناحية وإرادة الشعب اليابانى فى البناء من ناحية أخرى .

والأرض اليابانية حددت طبيعة تكوين الشعب الياباني ، حيث يعرف الإمبراطور يابن الشمس وممثل الآلهة الحى على الأرض ، كما أنه يمثل القانون ، وحوله طبقة نبلاء البلاط ، بينما كان فى يد الطبقة النبيلة الثانية - وهى طبقة «الدائيميو» المكونة من ٢٥٠ عشيرة السلطة والثروة المتمثلة فى الأرض الزراعية والصناعات الريفية . وقد أتى «الدائيميو» إلى السلطة «بالشوجون» منذ القرن الثانى عشر الميلادى، وهو أشبه بالحاجب فى البلاط، لكن له كل السلطات عدا الأمور الدينية ويورثها لأولاده ، ويقسم «الشوجون» فى مدينة «بيدو» - طوكيو فيما بعد ، ويحكم بمساعدة مجلس ال «باكوفو» المشكل من رؤساء العشائر (١).

ويتكون المجتمع اليابانى من عدة طبقات ، ولكل طبقة مجلسها ورؤساؤها المنتخبون ومحاكمها الخاصة ، ومجموع الطبقات يكون نوعا من النظام الإقطاعى اللامركزى ، فهناك طبقة «الساموراي» وطبقة التجار وأصحاب المصانع (البرجوازية) وطبقة الفلاحين (٢)، وقد تأثر اليابانيون بحضارة الصين فى الفنون والآداب وفن الحكم والدين والفلسفة لفترة كبيرة من تاريخهم (٣).

نظرة تاريخية

عصر ما قبل النهضة :

عاشت اليابان فترة العصور الوسطى وثلاثة قرون ونصف من العصر الحديث عصر عزلة إجبارية واختيارية . إجبارية عاشها شعب اليابان فى ظل نظام حكم إقطاعى شديد الوطأة ، واختيارية بمعنى أن اليابانيين اختاروا عدم الاتصال بغيرهم من دول العالم فى أوروبا بصفة خاصة خوفا من فرض السيطرة الأجنبية بعد أن علموا ما فعله البرتغاليون والأسبان وغيرهم بأقطار شرق آسيا .

وأطلقنا على هذه الفترة . عصر ما قبل النهضة، لأن النهضة اليابانية الحديثة ظهرت للوجود فى مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية منذ عام ١٨٦٨ م عندما

١- شاكى مصطفى وأنور الرفاعى : تاريخ العالم ، دمشق ١٩٥٩ ، ص ٤٠١ .

٢- نفس المرجع ص ٤٠٢ .

٣- تشستريين : المرجع السابق، ص ٢١ .

دخلت اليابان شكلا جديدا فى النواحي السياسية والتنمية الوطنية ، التى عرفت باسم عصر مايجى Meiji Restoration ، لقد كان الإمبراطور قبل عصر النهضة مجرد رئيس أو رمز للدولة، أما على يد ميتسوهيتو Mutsuhito فقد أصبح الإمبراطور رئيسا فعليا للبلاد حيث أخذ مكانه الصحيح . وكان عصر متسوهيتو (من عام ١٨٦٧-١٩١٢م) البداية الفعلية لإعادة ميلاد اليابان كأمة .

وبالنسبة لعصر ما قبل النهضة أو العصر الإقطاعى أو عصر العزلة ، فقد اتصف بعدة صفات جعلته يعرف بها وأهمها :

أولا : سيادة النظام الإقطاعى فى البلاد المتمثل فى تكوين المجتمع اليابانى من قبائل أو جماعات على رأسها الإمبراطور الذى كان رئيسا لأقوى قبيلة فى البلاد ، وتتوقف سلطته على قوة القبيلة التى ينتمى إليها ، بينما يتولى رؤساء القبائل الأخرى سلطات حكم لامركزية فى مقاطعتهم التى امتلكوها وطفقت سلطة الإقطاعيين على سلطة الحكومة المركزية فى العاصمة ، حتى فاقت سلطتهم سلطة الإمبراطور نفسه وارتبط بالنظام الإقطاعى فى اليابان ظهور طبقة كبار موظفى الدولة وحكام المقاطعات وصغار الموظفين ، وقد أصبحت بعض تلك الوظائف وراثية فى أسر معينة فى الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى القرن التاسع عشر الميلادى . وفى الوقت الذى سيطرت فيه طبقة الإقطاعيين على نظام الحكم فى المقاطعات عن طريق استخدام القوة واعتمادهم على رجال مسلحين ، سيطرت طبقة كبار الموظفين فى العاصمة على الإمبراطور نفسه ، وبمرور الزمن ازدادت هاتان الطبقتان قوة ونفوذًا .

ثانيا : ظهور العسكرية اليابانية التى عرفت باسم «الساموراي Samurai» وهم أداة وعدة كبار الإقطاعيين فى مقاطعاتهم يمتنون العسكرية دفاعا عن سادتهم وقد بدأ هذا النظام ينمو منذ القرن الثانى عشر الميلادى- حتى سيطر رجاله على أداة الحكم فى اليابان ، وتحولوا إلى طبقة مميزة لها طابعها وكيانها الخاص .

وفى عصر ازدهار الساموراي ظهر قادة عظام من بين هذه الطبقة ليحكموا اليابان كان أولهم «أوداتيوناجا» الذى استولى على عاصمة اليابان آنذاك مدينة «كيوتو» بدعوى مساندة آخر ملوك أسرة «أشيكاغا» الحاكمة، ثم تمكن من السيطرة على كل مناطق وسط اليابان وأخضع زعماء الديانة البوذية لسلطوته . وخلفه عام ١٥٨٢م أكفأ قادته العسكريين

ويدعى «هايدىوشى» الذى نجح فى بسط سيطرته على كل أنحاء اليابان بعد أن نجح فى القضاء على جميع منافسيه من الحكام وإرغامهم على الخضوع لسيطرته^(١).

ومع تركيز السلطة فى يد «هايدىوشى» فإنه عمل على تقوية الطبقة العسكرية التى هو منها وأعى «الساموراي» الذين امتهنوا الحياة العسكرية ، وأصبحوا يتقاضون عنها رواتب ثابتة بعد أن كانوا يمنحون إقطاعيات زراعية صغيرة ، ومن ثم انتقلوا من الإقطاعيات الزراعية التى كانوا يعيشون فيها إلى الحياة فى المدن وفى القصور والقلاع الخاصة بسادتهم من كبار ملاك الأراضى الزراعية .

وجاء بعد «هايدىوشى» عام ١٦٠٠م القائد «توكوجاوا إياسو» الذى كان على رأس أتباع «هايدىوشى» ، وكان يعيش فى إقطاعية زراعية منحها له «هايدىوشى» فى مدينة «إيدو» التى صارت بعد ذلك باسم «طوكيو» العاصمة اليابانية الحالية ، وبدلاً من أن يتقدم «توكوجاوا إياسو» للإقامة بالعاصمة آنذاك مدينة «كيوتو» ظل يحكم اليابان من مقره بمدينة «إيدو» وبذل كل جهده لتثبيت أسرته فى حكم اليابان وتكريس نفوذها وسيادتها على أسس النظام الذى وضعه سلفه «هايدىوشى»^(٢) . وقد استمر ورثته يحكمون البلاد منذ ذلك الوقت حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ولذلك يطلق على هذه الفترة الطويلة من تاريخ اليابان بعصر «توكوجاوا» الإقطاعى .

وخلال تلك الفترة الطويلة من الحكم ، حكم اليابان الموظفون الإداريون ومجموعات الساموراي العسكرية التى مارست سلطاتها كاملة داخل كل مقاطعة بتنفيذ القرارات الجماعية. ورغم ذلك فإن طول فترة الحكم وسيادة السلام أدت إلى تعرض طبقة الساموراي العسكرية لتغييرات كبيرة من خلال النظم السائدة فى اليابان آنذاك وهى نظم محافظة تقليدية. وكانت طبقة الساموراي تمثل ٦٪ من مجموع سكان اليابان ، وقد تحولت إلى الحياة المدنية بعد أن هجرت الحياة العسكرية وأصبحت طبقة متعلمة تسعى لاكتساب العلم والخبرة المدنية أكثر من كونها طبقة قتالية .

ثالثاً : يعتبر الشعب اليابانى من أكثر الشعوب تمسكا بالدين وخاصة الديانة البوذية المتزجة بفلسفات عبادة الطبيعة، ومن المعروف أن الديانة البوذية عبرت إلى الجزر اليابانية

١- أودين رايشاور ترجمة لىلى الجبالى : اليابانيون ، الكويت ١٩٨٩ ، ص ٩٤ .

٢- نفس المرجع ونفس الصفحة .

قادمة من قارة آسيا فى العصور الوسطى ، وكانت البوذية آنذاك مغرقة فى الفلسفات والقيبيات إلى حد جعلها غير مفهومة إلا بصعوبة بالنسبة للشعب اليابانى الذى كان مغرقا فى قصص الأساطير والخيال الدينى فى عصر الآلهة (١).

وكان للديانة البوذية رهبان زادت سطوتهم فى العصور الوسطى وقد اصطدم بهم القائد العسكرى حاكم اليابان فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى المسمى «أودا تويوناجا» وقضى على سلطتهم . ومع ذلك فإن سيطرة البوذية فى اليابان لم تمنع اعتناق أعداد لا بأس بها من اليابانيين الديانة المسيحية التى وفدت مع رجال الدين المسيحيين الذين صحبوا الكشف الجغرافى والاستعمار فى القرن السادس عشر وما يليه من قرون .

فقد جاء مع البرتغاليين الأوائل القادمين للجزر اليابانية من أجل التجارة رجال دين يسوعيون مارسوا نشاطا تبشيريا بمجرد استقرارهم فى اليابان ، وقد نجحوا فى تنصير حوالى نصف مليون مواطن يابانى حتى أوائل القرن السابع عشر (٢) . وحيث أن عملية التنصير إحدى مهام الدولة فى البرتغال تتولاها بمواردها المالية ، ساد فى اليابان الخوف من أن تكون الكنيسة المسيحية التى أقيمت فى الجزر اليابانية طليعة الغزو الأجنبى (٣) . وقد تعاضم بالفعل دور المبشرين داخل اليابان وخاصة بعد أن لقيت البعثات التبشيرية الترحيب فى عصر «أوداتويو ناجا» وخوفامن جلب الكوارث على البلاد استطاعت حكومة اليابان فى عهد «هايدبوشى» القضاء على سطوة المبشرين .

رابعا : تعرضت الجزر اليابانية لرياح التغيير الوافدة من أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر الميلادى مع رحلات الكشف الجغرافى، على الرغم من العزلة التى ارتضتها اليابان منهجا لسياستها الخارجية . وكان أول اتصال بين الجزر اليابانية وأوروبا مجئ رحلة كشف برتغالية عام ١٥٤٢ م إلى جزيرة تقع عند الطرف الجنوبى من «كيوشو» ، وكان أول من نزل على تلك الجزيرة هما «أنطونيو دى مونورفرا» و«فرنسيسكو زيمورو» (٤) وجاء نزول هؤلاء فى

١- تيدمان آرثر : اليابان الحديثة ، ص ٢ .

٢- أودين وياشور : المرجع السابق ص ٩٢ .

٣- تيدمان آرثر : المرجع السابق ، ص ٩ .

٤- سردار بانيكار : ترجمة : عبد العزيز جاويد : اسيا والسيطرة الغربية ص ٨٣ .

وقت اشتعلت فيه الحرب الأهلية بين الاقطاعيين وتطلع المتقاتلون إلى الأسلحة النارية التي أحضرها معهم البرتغاليون ، وبدأ التعامل بين زعماء الإقطاعيات اليابانيين وبين الوافدين البرتغاليين لشراء الأسلحة البرتغالية بواسطة المبشرين القادمين مع الرحلات البرتغالية ، والذين يرجع إليهم الفضل في إدخال المعارف الأوروبية إلى اليابان .

ورث الهولنديون اتصالات البرتغاليين بالجزر اليابانية ، حيث احتل التجار والمبشرون الهولنديون موقع البرتغاليين في السيطرة على المناطق التجارية في شرق آسيا ومنها اليابان . وجاء دور الأسبان المرتكزين في جزر الفلبين والمتطلعين إلى التجارة ونشر المسيحية بين شعوب شرق اسيا ، ولم يمانع «هايديوشي» حاكم اليابان الدخول في مفاوضات مع الأسبان لعقد صفقات تجارية ، إلا أنه توجس خيفة من تدفق الأسبان وخطرهم ، ولذلك مالبت أن أمر باعتقال جميع الأسبان على الأرض اليابانية وصلبهم في مدينة «نجازاكي» بتهمة الجاسوسية^(١) .

واستمرت علاقات اليابان بالقوى الأوروبية عن طريق التجار والمبشرين ، ففي عام ١٦١١م سمحت حكومة اليابان للهولنديين ببناء دار أو وكالة تجارية بمدينة «هيرادر» كما سمحت للبرتغاليين بالقيام بنشاط تجاري في مدينة نجازاكي ، ولكن تحت شرط عدم البقاء للإقامة في اليابان لأى أوروبى أكثر من سنة ، وعدم اصطحاب زوجته أو أية امرأة أوروبية للإقامة معه في اليابان . وما دفع اليابانيين إلى استمرار الصلات مع القوى الأوروبية المختلفة- رغم سياسة العزلة اليابانية- هو حاجة اليابانيين إلى منتجات أوروبا وأهمها الأسلحة النارية كالبنادق والمدافع بالإضافة إلى بعض الملابس والأدوات التي تستخدم في الحياة اليومية عند اليابانيين ، والتي لا تتوفر لديهم ولا ينتجونها .

وقد تجلّى حذر اليابانيين من الاتصال بالقوى الأوروبية الوافدة إلى شرق اسيا في حرمان الأوروبيين من كل فرصة للحصول على موضع قدم في الأرض اليابانية ، ومنع اليابانيين من الاتصال بالأوروبيين مالم يكن هذا الاتصال تحت رقابة الحكومة اليابانية ، وارسال جاسوس يابانى عام ١٦١٥ م إلى جنوب شرق آسيا لمتابعة نشاط الأسبان هناك والذين يملكون قوة بحرية كبيرة يمكن أن تهدد اليابان ، وصدر قرار من حكومة اليابان عام ١٦٢٣م بمنع اليابانيين الذين يعيشون في بلاد ما وراء البحار من العودة إلى بلادهم خشية أن ينشروا «جرثومة» المسيحية في اليابان .

وطوال القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر استمرت اتصالات اليابان بالدول الأوروبية محدودة رغم المحاولات المستميتة للأقطار الغربية لفتح منافذ للتجارة مع اليابان . فقد اقتصرت علاقات اليابان بالعالم الخارجى على اتصالات محدودة بكل من كوريا والصين عبر ميناء «أوكيناوا» وكذلك بعض الاتصالات البسيطة مع الهولنديين عن طريق نفس الميناء وميناء «نجازاكي»^(١).

وفى نفس الوقت اتخذت حكومة اليابان إجراءات صارمة ضد التجار والمبشرين الأوربيين فتم طرد الرعايا الأسبان من الجزر اليابانية عام ١٦٢٤ م والرعايا البرتغاليين عام ١٦٣٨ م . وفى عام ١٦٤٠ م أوفدت البرتغال بعثة تطلب استئناف العلاقات التجارية مع اليابان ، ولكن البعثة قوبلت بالرفض وأكدت حكومة اليابان عزمها على التخلص من التجار البرتغاليين باعدام ٦١ عضوا من أعضاء هذه البعثة^(٢) . ومنذ ذلك التاريخ أصبح تجار اليابانيين مع الأوربيين يكاد يكون معدوما . فتجمدت الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية على ما كانت عليه بواسطة تلك القيود والضوابط التى فرضت على البلاد ، واعتقد الحكم فى اليابان أن هذه الإجراءات بعيدة عن عيون دول أوروبا الغربية^(٣).

اطمأن الحكم فى اليابان لمدة قرن من الزمان أو يزيد قليلا على إجراءات دفع رياح التغيير الأوروبية من أن تهب على اليابان فتغير من عزلتها ومن تقاليدها المتوارثة المحافظة ، ولكن العالم الخارجى لم يترك اليابان فى عزلتها ، فبدأت محاولات قوى أخرى كثيرة منها روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. فقد حاولت روسيا خلال الفترة من عام ١٧٧١ وحتى عام ١٨٤٧م فتح منافذ للتجارة مع اليابان ولكن دون جدوى بسبب الرفض المتكرر للطلبات الروسية أعوام ١٧٧١ ، ١٧٧٨ ، ١٧٩٢ ، ١٨٠٨ ، ثم انشغلت روسيا بالحروب النابليونية فى أوروبا حتى عام ١٨٤٧م عندما تم تعيين «نيقولا مورا فييف» حاكما عاما لشرق سيبيريا وهو معروف بسياسته التوسعية .

وما يلاحظ على المحاولات الروسية للاتصال باليابان أنها كانت تهدف إلى السيطرة فى نهاية الأمر على جزر «سخالين» و«كوريل» و«إيزو» وهى الجزر الشمالية لليابان ، وقد فرض هذا على الحكم فى اليابان تقوية الدفاع عن المناطق الشمالية وإرسال بعثة عام ١٨٠٨ م

١- أودين رايشاور : المرجع السابق، ص ٩٨ .

٢- تيدمان آرثر : المرجع السابق ، ص ٩ .

٣- د. رؤف عباس : المجتمع اليابانى فى العصر الميجى ، ص ١٨ .

لاستكشاف شرق سيبيريا والتعرف على جزيرة سخالين ، ورغم تلك المعلومات التي حصلت عليها البعثة اليابانية إلا أن الحكومة اليابانية لم تتخذ أية خطوة أبعد من ذلك .

وعندما ظهرت الأطماع البريطانية في الصين وهزيمة الصين فيما عرف بحرب الأفيون على يد القوات البريطانية ، تطلع البريطانيون نحو الجزر اليابانية لفتح منافذ للتجارة ، وفي المقابل عززت حكومة اليابان قوتها العسكرية تحسبا للمطامع البريطانية المتزايدة في المنطقة ، وكانت قد اتخذت قرارا عام ١٨٢٥م بمنع السفن الأجنبية من الاقتراب من الشواطئ اليابانية^(١) .

أما الولايات المتحدة الأمريكية التي تطل سواحلها الغربية على المحيط الهادى ولها أطماعها الاقتصادية والاستراتيجية في هذا المحيط ، فقد نشطت سفن صيد الحيتان التابعة للأمريكيين في العمل في المياه الغربية من الجزر اليابانية وكثيرا ما كانت هذه السفن تلجأ للموانئ اليابانية مضطرة بسبب العواصف أو الحاجة للمؤن ، ونتيجة للموقف اليابانى من الأجانب كان البحارة الأمريكيون يتحملون الاجراءات العسكرة المفروضة ضد الأجانب ، مما دفع الحكومة الأمريكية إلى الدخول في مفاوضات لعقد اتفاقية تجارية مع حكومة اليابان ، وبالفعل نجحت الولايات المتحدة في ذلك الوقت الذي فشل فيه غيرها .

فقد تطورت الصلات بين حكومة اليابان والولايات المتحدة الأمريكية تطورا سريعا انتهى بما عرف بعصر النهضة وانتهاء العزلة في اليابان واستغرق ذلك حوالى ثلاثين سنة من عام ١٨٣٧ م حتى عام ١٨٦٨ م ، استطاعت الولايات المتحدة خلالها من جر اليابان إلى إقامة علاقات تجارية وقنصلية معها ومع غيرها من الدول الأوروبية . فيشهد عام ١٨٣٧ م وصول سفينة تجارية أمريكية إلى الجزر اليابانية ولكنها ردت على أعقابها بسبب رفض اليابان ، وفي عام ١٨٤٦ م أرسلت الحكومة الأمريكية سفينتان حربيتان إلى اليابان بقيادة «الكومودور جيمس بيدل» ولكنه فشل في تحقيق مسعاه بالطرق السلمية^(٢) .

وفي عام ١٨٥٣م وصلت إلى ميناء «إيدو» أربع بوارج حربية أمريكية ، متجاهلة تحذيرات قوارب الحراسة اليابانية ، وتقدم القائد الأمريكى للحملة الكومودور «ماثيو بيرى» برسالة من الرئيس الأمريكى «ميلارد فيلمور» إلى حكومة اليابان تتضمن عدة مطالب أهمها ضمان المعاملة الإنسانية الكريمة للتجار الأمريكان الذين تتحطم سفنهم أمام الشواطئ اليابانية ، ورفض الاتسحاب من المياه الإقليمية اليابانية قبل أن يحصل على رد حكومة اليابان^(٣) ،

١- د. رؤوف عباس : المرجع السابق، ص. ٤٠ .

٢- د. رؤوف عباس : المرجع السابق، ص. ٤١ .

٣- جاي ونت : أضواء على آسيا ، ص. ٥٠ .

ثم أقلعت حملة «ماثيوبيري» بعد أسبوع من بقائها بميناء «إيدو» بعد أن أخذ القائد الأمريكي وعدا من حكومة اليابان بالرد على رسالة الرئيس الأمريكي عند عودة «ماثيوبيري» فى الربيع القادم ، على أن يسمح للسفن الأمريكية بدخول موانئ اليابان للتزود بالطعام والوقود ، وقيام علاقات تجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان^(١).

وفى فبراير ١٨٥٤ م عاد «ماثيوبيري» القائد الأمريكى على رأس أسطول حربى مكون من ثمانى سفن لاستلام الرد على رسالة الرئيس الأمريكى ، ولكنه قدم إنذارا لحكومة اليابان إما الموافقة على عقد معاهدة يابانية أمريكية أو الحرب بين الطرفين وهو مستعد لها بأسطوله^(٢).

ورغم أن الحكومة اليابانية عاشت خلال الفترة الممتدة بين زيارة ماثيوبيري الأولى وزيارته الثانية فى استطلاع رأى القوى الاجتماعية والسياسية فى اليابان كالاقطاعيين وطبقة الساموراي وكبار الموظفين ، فإنها رضخت أخيرا للمطالب الأمريكية حيث تم عقد معاهدة يابانية أمريكية فى ٣١ مارس ١٨٥٤ م .

ونصت هذه المعاهدة المحدودة على فتح ميناءين يابانيين أمام التجار الأمريكيين وهما ميناء «هاكوداتى» وميناء «شيمودا» وقيام قنصل قنصلى للولايات المتحدة ومراعاة معاملة البحارة الأمريكيين معاملة كريمة خاصة أولئك الذين تتحطم سفنهم أمام الشواطئ اليابانية ومعاملة اليابان للولايات المتحدة معاملة الدولة الأولى بالرعاية .

ونتيجة لهذه المعاهدة المحدودة بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية نجحت كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا وروسيا فى عقد معاهدات شبيهة بها ورغم ذلك فقد ظل الأجانب يخضعون لرقابة شديدة من الحكومة اليابانية لمنع الاتصال بينه وبين عامة الشعب اليابانى^(٣). وبهذه المعاهدات بدأت علاقات تجارية غير متكافئة بين اليابان وتلك الدول، علاقات تحققت فيها مصلحة الدول الأجنبية الاستقلالية على حساب اليابان^(٤).

ولم تتوقف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى علاقاتها الاقتصادية والقنصلية مع اليابان عند هذه المعاهدة المحدودة ، بل سعت إلى توسيع المعاهدة لتشمل مجمل العلاقات

١- ناجلى متشيو : الثورة الإصلاحية فى اليابان ص ١٥ .

٢- سردار بانيكار : ترجمة عبد العزيز جاويد : المرجع السابق، ص ٢١٤ .

٣- تيدمان آرثر : المرجع السابق ، ص ١٤ .

٤- أدوين رايشاور : ترجمة لى الجبالى : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

الاقتصادية والقنصلية بين البلدين ، وبالفعل نجح المبعوث الأمريكى «تاونسند هارس» الذى وصل إلى اليابان فى أغسطس عام ١٨٥٦ فى الوصول إلى بنود جديدة للمعاهدة اليابانية الأمريكية تمثلت فى حق الإقامة للأمريكيين فى مدن «شيمودا» و«هاكوداتى» ، وحق التجارة فى «نجازاكى» ، وحق التغلغل فى البلاد ، وذلك فى يونيو عام ١٨٥٧ م ، ثم نجح فى توسيع المعاهدة أكثر فى شهر فبراير ١٨٥٨ ، سمحت بموجبها اليابان للولايات المتحدة تعيين وزير مفوض لها فى «إيدو» والموانئ المفتوحة ، كما سمحت للبحرية الأمريكية بانشاء مستودعات للتموين فى كل من «يوكوهاما» و«هاكوداتى» و«نجازاكى» ، وقد صدقت حكومة اليابان على هذه المعاهدة فى شهر يوليو من نفس العام .

وكان للمعاهدة الأمريكية اليابانية عدة نتائج أهمها :

١- حصول كل من بريطانيا وفرنسا على معاهدات مماثلة مع اليابان ، ومن ثم أصبح لكل دولة أساطيل تبحر فى المياه الإقليمية لليابان وفى موانئها دون خطر أو حظر .

٢- ظهور شعور كراهية أشد للأجانب بين اليابانيين ، وكانت طبقة الساموراي أشد الكارهن للوجود الأجنبى على أرض اليابان واتخذوا لهم شعارا هو : مجدوا الامبراطور واطردوا البرابرة (أى الأجانب) . وظلت روح الكراهية للأجانب قائمة حتى عام ١٨٦٤م حينما تعاملت الأساطيل الغربية مع الموانئ اليابانية بالضرب بالمدفعية لإرغام اليابانيين على إنهاء اضطهاد وقتل الأجانب وطردهم من البلاد واحراق ممتلكاتهم ومفوضياتهم .

٣- حدوث اضطراب فى السوق التجارى اليابانى نتيجة إغراقه بالمنتجات الأجنبية التى أثرت على مكانة المنتجات الوطنية ، مما زاد من كراهية اليابانيين للأجانب وسرت دعوة لمقاطعة البضائع الأوروبية وتشجيع الصناعات الوطنية واتجه معظم الشعب اليابانى للالتفاف حول الإمبراطور رمز الوحدة الوطنية منادين بمواجهة التهديد الخارجى وعدم فتح منافذ البلاد أمام الأجانب .

٤- أرغمت اليابان على قبول الوجود الأجنبى على أراضيها وعلى الامتيازات التى فرضوها على الحكومة اليابانية ، بعد أن تعرضت الموانئ اليابانية لضربات مدفعية الأساطيل البريطانية - حيث دخلت فى شهر أغسطس ١٨٦٣ وحدات بحرية بريطانية إلى خليج «كاجوشيما» وضربت المدينة- والأساطيل الأمريكية والمشاركة التى دمرت فى شهر سبتمبر ١٨٦٤ م قلاع «شوشو» وهدمتها عن آخرها^(١) .

٥- ظهور مصلحين مجددين فى المجتمع اليابانى يطالبون بإنهاء العزلة والأخذ بأساليب الحضارة الغربية ، فى مواجهة المحافظين الانعزاليين ، فبينما رفع المجددون الإصلاحيون شعار: دولة غنية وجيش قوى ، وأن الأفكار القديمة القاتلة بضرورة إغلاق منافذ البلاد فى وجه الأجنب لم تعد صالحة^(١) ، نجد المحافظين يرفعون شعار المجد للإمبراطور ، أى إحياء النظام الإمبراطورى القديم ومواجهة الأجنب ، وقد ظل الصراع قائما بين الطرفين حتى دخلت قوات الجيش الجديد المؤيد للإصلاح مدينة « أيدو » العاصمة فى ٥ أبريل ١٨٦٨ م وبذلك يبدأ عصر النهضة .

٦- كان الضغط الغربى على اليابان إلى جانب ما عرفه اليابانيون من معلومات جديدة عن العالم الخارجى (الأوروبى) كان المحرك الأساسى لتطور اليابان والوصول بها إلى مرحلة النهضة، ولانسى أنه فى أثناء فترة العزلة ظلت طبقة من علماء اليابان مطلعة اطلاعا كبيرا على الحياة فى الغرب، وكانت هذه الطبقة وماحصلت عليه من معارف إحدى الوسائل التى ساعدتهم لتجاوز التخلف إلى النهضة ، وقد حصلوا على كثير من المعارف من الكتب الهولندية التى حملها لهم التجار والمبشرون^(٢).

عصر النهضة أو عصر مايجى

انتقلت اليابان من العصر الاقطاعى إلى عصر النهضة نتيجة توفر عدة عوامل أهمها ما يلي :

أولا : ظهور مصلحين مجددين من أبناء اليابان ينادون بأساليب الحضارة الأوروبية الحديثة ويطالبون بإنهاء عصر العزلة الاختيارية التى فرضها اليابانيون على أنفسهم .

ثانيا : إيمان جماعات ضغط يابانية بأن إغلاق اليابان فى وجه الأوروبيين سياسة خاطئة ، كما أن الاعتداء على الأجنب المقيمين على الأرض اليابانية ليس له ما يبرره طالما أن هؤلاء الأجنب لا يسيئون إلى اليابان .

ثالثا : حدوث الضغط الأوروبى على أقطار شرق آسيا ومحاولة الامتداد لليابان كان له تأثيره فى إقناع اليابانيين بضرورة الانفتاح على أساليب الحضارة الأوروبية بارادتهم وليس كرها منهم .

١- ك . م . يانيكار : ترجمة عبد العزيز جاويد : المرجع السابق، ص ٢١٥ .

٢- جاى ونت : المرجع السابق ، ص ٥١ .

رابعاً : رغم أن بريطانيا مارست سياسة استعمارية قاسية ضد الصين فيما عرف بحرب الأفيون . فإن الولايات المتحدة أثناء اتجاهها إلى أقطار الباسفيكى سعت إلى تحقيق سياسة الباب المفتوح أمام التجارة الأمريكية فى أقطار شرق آسيا ، وقد نجحت مع اليابان حيث فشلت بريطانيا وغيرها مع اليابان .

خامساً : أن الانتقال من عصر الاقطاع إلى النهضة فى اليابان اعتمد على تحديث التعليم على النسق الأوروبى، كما امتد ليشمل الحياة النيابية كرمز للديموقراطية الغربية ، ويشمل الأخذ بالتكنولوجيا الأوروبية فى مجال الصناعة .. الخ . ولذلك جاءت قرارات الإمبراطور فى ربيع (مارس- أبريل) عام ١٨٦٨م محذرا الشعب اليابانى من الإساءة للأجانب ، وأن يطيع أوامر الإمبراطور فى كل صغيرة وكبيرة .. وبذلك تركزت السلطة فى يد الإمبراطور ورجال الاصلاح المتأثرين بالفكر الأوروبى .

وتمثلت النهضة اليابانية الحديثة فى عصر « مايجى » فى التعليم الحديث وفى النظم السياسية والاجتماعية المتأثرة بالنسق الأوروبى ، وسوف نحدد مظاهر النهضة فى هذه المجالات على النحو التالى :

أ- التعليم الحديث :

تمثلت النهضة التعليمية باليابان فى ثلاثة اتجاهات هى :

١- الاتجاه الأول : وقد تمثل فى الاستعانة بالعلماء والمعلمين الأوروبين سواء كانوا أعضاء البعثات التبشيرية أو العلماء المتخصصين فى اللغات الأوروبية وخاصة اللغتين الهولندية والإنجليزية . فعندما أمر الإمبراطور رعاياه فى مرسوم القسم عام ١٨٦٨م أن يطلبوا المعرفة فى كل مكان تدفقت أعداد من العلماء الأوروبين إلى اليابان ، ودعى إلى اليابان الخبراء الفنيون من كل الدول المتقدمة حيث وضعوا موضع الترحيب . وقد حملت السفن القادمة إلى اليابان مئات المعلمين والمستشارين والفنيين الأجانب ، وقد حصل هؤلاء الخبراء الأجانب فى مجال التعليم على ما يوازى ٣٠٪ من ميزانية وزارة التعليم اليابانية إلى جانب المبعوثين فى الخارج .

٢- الاتجاه الثانى : فى النهضة التعليمية وتمثل فى ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة اليابانية وإنشاء المدارس الحديثة ، ويرجع الفضل الأول فى هذا السبيل إلى خبير أمريكى

يسمى «ماريون سكوت» Marion Scott أنشأ مدرسة للمعلمين للعمل بالمدارس الحديثة فى اليابان واستعان بكتبه التى تحمل أفكاره وغيرها من الكتب الأمريكية بصفة خاصة والأوروبية بصفة عامة التى ترجمت إلى اللغة اليابانية ، وكانت أهم الكتب التى نقلت العلم إلى اليابانيين مؤلفات كل من جان جاك روسو ، وهربرت سبنسر ، وهيوم ، ودستوفسكى ، وتولستوى ، ورولان ومكسيم جوركى ، الذين ساعدت أفكارهم فى زيادة وعى اليابانيين بأحوال العالم المحيط بهم.

٣- إرسال البعثات اليابانية إلى الدول الأوروبية المتقدمة لينهل أفرادها من العلوم الحديثة، وكانت وزارة التعليم تدقق فى اختيار أعضاء البعثات من أفضل العناصر الوطنية ، وكانت معظم هذه البعثات يتم إرسالها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وإلى بعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا ، وعندما شعر قادة الإصلاح اليابانى أن أساليب التربية الألمانية التى تركزت على الجوانب الخلقية التى تؤمن بأن هدف التعليم خلق الإدارة المستنيرة التى تميز بين الصواب والخطأ هو ما يناسب الطبيعة اليابانية الاجتماعية ، بدأت المناهج الألمانية تحل محل المناهج الأمريكية على يد أعضاء البعثات اليابانيين^(١).

ونتيجة لتوفر العناصر الثلاثة : الاستعانة بالعلماء والخبراء الأجانب ، وترجمة الكتب الأوروبية ، وإرسال البعثات إلى الدول الأوروبية المتقدمة، نهض التعليم فى اليابان فى عصر «مايجى» فى شتى نواحيه ، حيث أنشئت المدارس الابتدائية والمدارس المتوسطة حتى التعليم الجامعى، وقسمت البلاد إلى ثمانية مناطق تعليمية بكل منها ٣٢ مدرسة متوسطة و ١١٠ مدرسة ابتدائية ، بالإضافة إلى مدرسة لإعداد المعلمين الوطنيين التى أنشئت بمعاونة خبير التعليم الأمريكى «ماريون سكوت» وتم إنشاء مدارس لتعليم البنات ، وأرسلت الحكومة اليابانية بعثة من خمس فتيات إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعند عودتهن عام ١٨٧٢م تم إنشاء العديد من مدارس البنات .

أما عن التعليم الجامعى فى اليابان ، فقد ظهرت منذ بدء النهضة فى العصر المايجى عدة معاهد وكليات عليا ، حتى كان عام ١٨٧٧م حيث تجمعت هذه المعاهد والكليات فيما عرف بجامعة طوكيو الإمبراطورية، وضمت كليات الآداب والعلوم والحقوق والطب والهندسة .

ثم افتتحت عام ١٨٩٧م جامعة «كيسوتو» ، وفى عام ١٩٠٠م تأسست أول كلية للبنات لتعليم اللغة الانجليزية ، وفى نفس العام أدارت الدكتوراة «يوشيو كايايوى» كأول طبيبة يابانية ، أول كلية طب للنساء .

واتسم التعليم فى بداية عصر النهضة بالإغراق فى التأثير الأوروبى ، ولكن مع مرور الوقت بدأ اليابانيون يشعرون بالحنين إلى ثقافة وطنهم ، ومن ثم اتجه التعليم فى النصف الثانى من عصر «مايجى» إلى الطابع اليابانى ، وأصبحت جميع المواد الدراسية تتم دراستها باللغة اليابانية^(١) ، وأخذت الجامعات اليابانية تدفع بالمعلمين اليابانيين ليحلوا محل المعلمين الأجانب.

وبذلك طورت اليابان نظامها التربوى واتجهت إلى الاهتمام بشئون العلم والتكنولوجيا التى أتاحت للدول الأوروبية أن تصير قوى عالمية حديثة وكبيرة ، وبذلك استطاعت اليابان فى زمن قصير أن تسد الفجوة التى كانت تفصل بينها وبين الدول الأوروبية فى مجال العلم^(٢).

ب- النظام السياسى :

اشتمل النظام السياسى اليابانى فى عصر النهضة على تغييرات فى جميع نواحي الحياة السياسية متأثرة بالنظم السياسية الأوروبية خاصة الألمانية والبريطانية والفرنسية ، وهذه التغييرات تمثلت فى تشكيل أول مجلس وزراء ، ووضع دستور وحياة نيابية برلمانية وتشكيل أحزاب سياسية .

جاء ظهور الوزارات على النسق الأوروبى فى بداية العصر الميجى ، فأنشئت وزارة المالية ووزارة الجيش ووزارة البحرية ، وهاتان الوزارتان العسكريتان أصبحتا فى عام ١٨٧٩ م قائمتان هيئة أركان حرب فى النموذج الألمانى ، ووزارة التعليم العالى التى وضعت تخطيطاً لبرنامج طموح للتعليم العالى^(٣).

ومالئ مجلس الوزراء أن تشكل بكامله فى إطار النظام السياسى فتحدت الاختصاصات لكل وزير فى وزارته وزيد عدد الوزارات لتصبح تسع وزارات هى الخارجية والداخلية والمالية

١- ناجاى متشير : الثورة الإصلاحية فى اليابان ص١٧٥ .

٢- سردار بانىكار : مشكلات الدول الآسيوية والأفريقية ، ص٨٤ .

٣- أدوين رايشاور : اليابانيون ، ص١١٥ .

والحربية والبحرية والعدل والتعليم والزراعة والتجارة والمواصلات بالإضافة إلى رئاسة الوزراء ، وأصبح « إينو هيرو يومي » رئيسا لأول مجلس وزراء حديث على النسق الألماني ، باعتباره صاحب هذا النظام السياسي ، وكان وزراء حكومة « إينو هيرو يومي » جميعا من أبناء مقاطعتي « ساتسوما » و« تشوشو » اللتين كانتا أول مناطق اليابان احتكاكا بالحضارة الأوروبية الحديثة ، كما كانوا من طبقة « الساموراي » الذين شاركوا في وضع النظام الميجي .

واستكمالا للنظام السياسي الذي وضعه « إينو هيرو يومي » ظهرت هيئة النبلاء على النسق الألماني حيث ضمت خمس مراتب هي : الأمير ، الماركيز ، الكونت ، الفسكونت ، البارون ، ووجد مجلس دولة على النسق الألماني أيضا ، ومن ثم حدث الفصل بين الشئون العامة للدولة وشئون البلاط الإمبراطوري .

وكان صدور الدستور الياباني في ١١ فبراير ١٨٨٩م خاتمة جهود بذلها « إينو هيرو » وبمتابعة من الإمبراطور ، حيث تشكلت لجنة بناء على قرار الإمبراطور في سبتمبر ١٨٧٦ م لدراسة النظم الدستورية الأوروبية الحديثة والعمل على وضع مشروع للدستور الياباني ، وفي عام ١٨٨١م أعلن الإمبراطور عن عزمه على إقامة برلمان على النسق الأوروبي ، وقد اكتسبت اليابان منذ هذا التاريخ وبناء على وعد الإمبراطور احترام الدول الغربية الذي كانت اليابان في حاجة إليه للتخلص من المعاهدات غير المتكافئة التي فرضت عليها ، فضلا عن حاجتها لتوسيع قاعدة الحكم^(١).

وقد سبق إصدار الدستور إقامة مجلس نيابي عرف بمجلس الشيوخ عام ١٨٧٥م تولت الحكومة اليابانية تعيين أعضائه ، وقامت لجنة شكلها « إينو هيرو » بمهمة إعداد مشروع الدستور تنفيذا لقرار الإمبراطور ، وبدأت هذه اللجنة عملها منذ تشكيلها في مارس ١٨٨٤م ، وخلال عامي ١٨٨٦م و١٨٨٧م واصلت اللجنة عملها في سرية تامة مستعينة بخبرة الدكتور « هرمان روسلر » أستاذ القانون الدستوري الألماني . حتى أعلن الدستور في حفل حضره ممثلو الدول الأجنبية .

وقد نص الدستور الياباني بالنسبة للسلطة التشريعية على وجود المجالس الآتية :

١- مجلس شيوخ أولوردات على غرار مجلس اللوردات البريطاني ، وعضويته متوارثة أو بالتعيين .

٢- مجلس الدايت على غرار الرايشتاغ الألماني .

واستكمالاً للنظام السياسي الياباني الحديث على النسق الأوروبي فقد سعت الحكومة اليابانية إلى تنشيط الحياة الحزبية فقام ما عرف باسم «حزب حرية الشعب وحقوقه» بزعامة «إيتاجاكا» مقتبساً فلسفته السياسية من الفكر الليبرالي الفرنسي . وحزب ثاني بزعامة «أوكوما» والذي حظى أيضاً بأكبر تأييد من الشعب الياباني وخاصة حكومة مييجي .

ونتيجة لهذه التغييرات السياسية التي حدثت في اليابان على النسق الأوروبي فقد حظيت اليابان باحترام العالم الغربي، وتنازلت بريطانيا عن امتيازاتها في اليابان وحذت بقية الدول الأوروبية حذو بريطانيا بالتنازل عن الامتيازات التي كانت قد فرضتها على اليابان من قبل ، وتطلعت اليابان إلى أن تصبح دولة كبرى وقوة عظمى وهو ما سوف يظهر في سياستها الخارجية .

ج- الحياة الاجتماعية :

كان من الطبيعي أن التغيير الذي أصاب الحياة السياسية والتعليمية في اليابان على النسق الأوروبي ينعكس على الحياة الاجتماعية فأخذت المطاعم الجديدة التي تقدم الأطعمة الغربية كلحوم البقر وأدوات مائدة غربية . بعد أن كان اليابانيون يحرمون أكل لحوم البقر لأنه يتناقى أكلها مع تعاليم البوذية ، كما ظهر الشباب الياباني مرتدياً الملابس الأوروبية . كما ظهرت الملابس الأوروبية في مراسم البلاط والحفلات الرسمية منذ عام ١٨٧٢ .

ومن المظاهر الغربية في الحياة الاجتماعية اليابانية ظهور الطراز الأوروبي في البناء ، وشجع الإمبراطور الناس على ذلك بدعوى أن الطراز التقليدي الياباني لم يعد صالحاً مع التطور الحادث في شتى مناحي الحياة اليابانية ، كما بدأت تدخل التعبيرات الغربية في أحاديث الناس ، والتأثيرات الغربية في عادات اليابانيين التي جعلت العادات المتأثرة بالطقوس البوذية تضعف أمامها .

ومن إيجابيات هذه التغييرات في الحياة الاجتماعية انتشار حركة التعليم ومحو الأمية بين اليابانيين وظهور فكرة تحرير المرأة على النسق الأوروبي وظهور أفكار تحررية للمثقفين

اليابانيين على صفحات الصحف ، وظهر محلات بيع الكتب وشيوع فكر التسامح الدينى ، وغير ذلك من مظاهر اجتماعية حديثة .

وقد أحدثت هذه التغييرات هزة فى عقول ونفوس اليابانيين ووجدت رفضا وإنكارا من البعض الذين ثاروا ضد هذه المبادئ والعادات المستوردة ولكن عجلة الحياة الحديثة استمرت فى طريقها لتصبح اليابان قوة عظمى فى شرق آسيا تتطلع لجيرانها .

السياسة الخارجية

استدعى النظام الحديث داخل اليابان تطلعا لخارجها ، بمعنى أن البناء الحديث على النسق الأوروبى فى المجال التعليمى وفى المجال السياسى وفى المجال العسكرى دفع الحكومة اليابانية أن تكون لها سياسة خارجية نشطة تمثلت فيما يلى:

١- المشكلة الكورية :

مارست اليابان نفس السياسة التى مارستها من قبل الدول الأوروبية مع اليابان وهى سياسة الحصول على امتيازات اقتصادية ونفوذ سياسى وفرض فتح موانئ وأسواق شبه الجزيرة الكورية أمام المنتجات والتجار من اليابان . وقد اعتمدت اليابان فى سياستها نحو كوريا ونحو غيرها (الصين وروسيا وغيرها) على قوتها الاقتصادية والعسكرية ذلك أن اليابان التى نهضت فى جميع النواحي شهدت تطورا اقتصاديا دفعها إلى البحث عن موارد وأسواق خارجية ، بالإضافة إلى الطابع الجديد للدولة فى اليابان وهو الطابع العسكرى^(١).

استغلت الحكومة اليابانية سوء معاملة كوريا لبعثة يابانية إلى مدينة «سول» عاصمة كوريا عام ١٨٦٠م وعام ١٨٦٢ ، وعزمت على إرسال حملة لتأديب الكوريين وقد حاولت السفن اليابانية فى الأعوام من ١٨٧٢ م إلى ١٨٧٥م اقتحام بعض الموانئ الكورية ولكن التهديدات اليابانية انتهت بفرض شروط اليابان على كوريا تقضى بأقامة علاقات دبلوماسية وتجارية تحت التهديد العسكرى، إلى جانب فتح ثلاث موانئ كورية أمام التجارة اليابانية ،

١- ناجاى متشيو : الثورة الإصلاحية فى اليابان ، ص ٦٤ .

وتم فتح مفوضية يابانية فى سول ، واستخدم ضباط يابانيين فى تدريب الجيش الكورى الحديث (١).

وعندما حدثت ثورة شعبية فى كوريا عام ١٨٨٢ ضد الأسرة المالكة الكورية ، وحاولت اليابان استغلال هذه الثورة بإرسال قوات عسكرية إلى شبه جزيرة كوريا ، ولكن الحكومة الكورية المحافظة طلبت حماية الصين التى سارعت بإرسال قوات عسكرية صينية إلى شبه الجزيرة الكورية والتى وصلت بالفعل قبل مجئ القوات اليابانية وبدأت السيطرة على الموقف فى شبه جزيرة كوريا (٢).

ولم تنته الأحداث عند حد تدخل القوات الصينية فى كوريا ، حيث أخذت حكومة اليابان تتابع الموقف فى شبه جزيرة كوريا وتزيد من استعداداتها العسكرية لصدام متوقع مع الصين حول كوريا ، حتى عقد بين الطرفين معاهدة بعد حرب بين الطرفين (اليابان والصين) عام ١٨٨٥ م باسم معاهدة «شيمولو» .

٢- الحرب الصينية اليابانية :

استمر التوتر بين اليابان والصين ، وازداد بعد اعتزام الصين إرسال قوات عسكرية صينية إلى شبه جزيرة كوريا تطبيقاً للمادة الثالثة من معاهدة «شيمبولو» بين اليابان والصين والمعقودة عام ١٨٨٥م، وجاء إغراق سفينة صينية فى يوليو ١٨٩٤ بواسطة السفن اليابانية ، بمن عليها من الجنود ، ونتيجة لضغوط الدول الأوروبية على اليابان عقدت معاهدة «شيمونسكى» التى أرغمت فيها الصين على الاعتراف باستقلال كوريا ، وعلى التنازل عن جزيرة فورموزا وغرامة حربية كبيرة تدفعها الصين . وكان ذلك عام ١٨٩٥ م .

٣- الحرب الروسية اليابانية :

لم تكن روسيا لتتف مكتوفة اليدين أمام تدخل اليابان فى شبه جزيرة كوريا ولذلك توترت العلاقات بين الطرفين حتى عقدت معاهدة بينهما عام ١٨٩٦م بتقسيم مناطق النفوذ بين الطرفين ، ثم عقد ميثاق بين الطرفين أيضا عام ١٨٩٨م ولكن التوتر ظل قائما بينهما ، وأصبح الصدام وشيكا بينهما .

١- تيدمان آرثر : المرجع السابق، ص ٢٨ .

٢- د. رؤوف عباس : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

استعدت اليابان للصدام المتوقع مع روسيا عسكريا وسياسيا ، وقد عقدت اتفاقية مع بريطانيا عام ١٩٠٢م مدتها عشرين عاما تعهدت فيه الدولتان بمساعدة الأخرى فى حالة دخولها فى حرب مع دولة أخرى ، وكانت مصلحة الطرفين مشتركة إذ أن روسيا فى توسعها تهدد المصالح البريطانية والمصالح اليابانية فى نفس الوقت ، ومن ثم أعلنت اليابان الحرب على روسيا عام ١٩٠٤م حيث استطاع الأسطول اليابانى هزيمة الأسطول الروسى فى معركة بحر اليابان فى مايو عام ١٩٠٥م. وقد نتج عن هذه المعركة عدة نتائج هامة مثل ظهور اليابان قوة حربية كبيرة فى الشرق الأقصى ، كما وضعت هذه الحرب حدا لمطامع روسيا فى الصين ، وكذلك للتدخل الأوروبى فى الشرق الأقصى ، حيث اعترفت روسيا بمركز اليابان المتفوق فى كوريا ، وكان ذلك خطوة أولى لضمها نهائيا إليها فى عام ١٩١٠م .

٤- اليابان فى القرن العشرين :

انتهى العصر الميجى عام ١٩١٢م بظهور اليابان قوة عظمى بدأت تمارس نفوذها الاستعمارى فى الشرق الأقصى ، وقد خدمتها انشغال الدول الأوروبية فى معارك الحرب العالمية الأولى. فغزت «شانتونج» عام ١٩١٤م والتي كانت خاضعة لألمانيا ، واستغلت توقف وصول المصنوعات الأوروبية إلى الشرق الأقصى فأصبحت المصنوعات اليابانية دون منافس هناك ، كما انتهزت اليابان فرصة الحرب وتقدمت بمطالبها إلى الصين ، تلك المطالب التي تجعل من الإمبراطورية الصينية مستعمرة يابانية ضخمة .

وتتمثل المطالب اليابانية فى اعتراف الصين بالسيادة اليابانية على شانتونج ، والاعتراف بما لليابان من حقوق خاصة فى منشوريا ومنغوليا الشرقية وبعض الامتيازات الصناعية ، وأن تكون شركات التعدين فى الصين مشتركة بينهما وألا تتنازل الصين عن أى جزيرة أو جزء من ساحلها لدولة ثالثة وقصد بذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، والمشاركة فى شئون السياسة والحرية الاقتصادية ، وأن تشرف اليابان على إدارة الشرطة مع الصين فى بعض المدن الصينية الكبرى، وإلزام الصين بشراء نصف ما يلزمها من الذخائر من اليابان ، وأن يكون لليابان حق القيام بالمشاريع الصينية الكبرى كمد الخطوط الحديدية وحفر المناجم .. الخ .

ونتيجة لتدخل الولايات المتحدة بالضغط على اليابان تحقيقا لسياسة الباب المفتوح الأمريكية فى الصين، فقد حصلت اليابان من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٧م على

اعتراف بما لليابان من مصالح خاصة فى الصين وخصوصا الأجزاء المجاورة للممتلكات اليابانية ، وفى المقابل اعترفت اليابان عام ١٩٢٢ بسياسة الباب المفتوح .

ولكن ذلك لم يكن يرضى طموح العسكرية اليابانية ، خاصة أن الصين أخذت تضع العراقيل أمام الاستثمارات الاقتصادية اليابانية وامتداد النفوذ السياسى اليابانى فى منشوريا باتجاه الجنوب ، وأن الدول الأوروبية كانت تنظر بعين الشك والقلق نحو المطامع اليابانية .

ومن ثم دخلت اليابان فى حرب مع الصين عام ١٩٣١ م انتهت بهزيمة الصين وتوقيع معاهدة فى ١٥ مارس ١٩٣٢ م نصت على إطلاق يد اليابان فى تقرير مصير منشوريا مع وجود قوات يابانية ، ولم تقبل اليابان قرار عصبة الأمم عام ١٩٣١ م الذى يقضى بانسحاب القوات اليابانية من منشوريا ، وأعلنت انسحابها من العصبة عام ١٩٣٣ م، وفى مارس ١٩٣٣ م شنت اليابان حربا ضد الصين التى طلبت عقد هدنة خسرت فيها الكثير حيث اعترفت بالوجود اليابانى على أرض الصين شمال سور الصين العظيم .

وفى عام ١٩٣٥ م اشتعلت الحرب مرة أخرى بين اليابان والصين التى خسرتها أيضا ، ثم شنت القوات اليابانية فى يوليو ١٩٣٧ م حربا خاطفة واستولت على العاصمة بكين ، وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية كانت معظم أراضى الصين قد أصبحت تحت السيطرة اليابانية.

وفى عام ١٩٤١ م شنت الطائرات والسفن اليابانية هجوما مباغتا على قاعدة «بيرل هاربور» الأمريكية بجزر هاواى بالمحيط الهادى مما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى إعلان الحرب ضد اليابان التى انتهت باستسلام اليابان بعد اللقاء قنبلتين ذريتين على مدينتى هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين فى أغسطس ١٩٤٥ .

الحضارة اليابانية المعاصرة

خرجت اليابان من معارك الحرب العالمية الثانية منهزمة ومستسلمة بعد التدمير الشامل نتيجة إلقاء القنابل الذرية الأمريكية على مدينتى هيروشيما ونجازاكي فى ٦ و ٩ أغسطس ١٩٤٥ م، ومع ذلك لم يمض وقت طويل حتى نهض اليابانيون لإعادة بناء ما دمرته الحرب بل واحداث نهضة حضارية متميزة دفعت باليابان فى مقدمة النور الاقتصادية الآسيوية، فكيف تم ذلك ؟ أى ما هى عوامل نجاح التجربة اليابانية فى البناء الحضارى ؟

يمكن تلخيص هذه العوامل فى اثنين هما :-

١- الإرادة. للمواطنين اليابانيين تغذيتها رغبتهم فى قبول التحدى بالتفوق المادى صناعى وزراعى ، ومع التمسك بالنواحي الروحية الأصيلة .

٢- الإدارة الحكومية الواعية لتسهيل انطلاق المواطنين اليابانيين لتحقيق إرادتهم دون عواتق أوييروقراطية .

وتفصيل ذلك نذكر الحقائق الية :

أولا : شخصية المواطن اليابانى ومكوناتها الثلاثية : القومية ، وتأثير الديانتين الكونفوشية والبوذية ، وصحوة الضمير عند المواطن اليابانى .

ثانيا : الإمكانيات الاقتصادية الزراعية والصناعية وكيفية استغلالها الاستغلال الأمثل للإرتقاء باليابان إلى مقدمة صفوف الدول الرائدة اقتصاديا فى العالم .

أولا : أثر الدين فى المجتمع اليابانى

إذا قلنا أن اليابانيين قد عملوا باجتهاد فالمسألة ليس مجرد أن الجسد قد تحرك من تلقاء نفسه لكن ترى ما هى طبيعة تلك المشاعر والأحاسيس والتركيب النفسى الذى كان يحرك الجسم. ما هو الشئ الذى يحيى اليابانيون وهم يعتقدونه وما هى القيمة التى يقدرونها ؟

إن نزعته حب التدين قد عُرست فى نفوس اليابانيين على مدى التاريخ الطويل لذلك أجده من غير المتوقع أن نرى غالبية اليابانيين اليوم بلاعقيدة محددة . وبالطبع لأنه شعب يمتلك مثل هذا التاريخ العقائدى العريق فإن الكثير من الأسر اليابانية تؤمن بما يسمى عقيدة الأسلاف المتوارثة لكن تأثيرها فى الحياة يقتصر على أوقات معينة فقط . وفى معظم الأحوال ما تكون مرتبطة بالجنائزات وما يقام بعدها من طقوس بوذية لاستقرار روح المتوفى فى سلام. وكما توجد أسر بوذية فتوجد أيضاً أسر «شنتوية» . فى ديانة «الشنتو» يأنفون من جثمان المتوفى باعتباره شيئا دنساً (غير طاهر) لهذا لاتوجد مقابر فى المعابد الشنتوية وتوجد بعض الحالات الاستثنائية لكن بصفة عامة تقام المقابر فى المعابد البوذية . ويمكننا إدراك السبب فى تبقئ الطقوس من البوذية المتعلقة بالموت فقط فى هذا العصر الحديث الذى ابتعد فيه الجميع عن الدين كما يلى :-

فنحن جميعاً مازلنا أحياء فالموت وعالم ما بعد الموت شئ لم نجربه بعد ولاتفهمه لذلك فحتى لانخطئ بشأن طقوسه فنسلم الأمر للكاهن ليتولاه . كذلك فمهما تغيرت العصور

وابتعدت الناس عن الدين فإن الصلاة على أرواح الأسلاف يجب أن تستمر لفترة طويلة تمتد إلى خمسين عاما بعد وفاة الشخص . وهكذا فإن الطقوس البوذية المتعلقة بالموت لا تكاد تتأثر بتغيرات العصور . كما أن الكاهن المختص بأداء تلك الطقوس لا يخذل أحداً طالما يدفع له النقود . أما مؤخراً فإن الأسر الشابة وصغار السن كثيراً ما يتجاهلون حتى تلك الطقوس البسيطة التي ذكرنا من قبل باعتبار أن تلك هي طريقة تفكيرهم ، فالناس لديهم العديد من طرق التفكير المتعلقة بالموت وما بعد الموت ويعتقونها بحرية . كما أنهم في ظل ظروف معينة يؤدون بحرية مطلقة الطقوس المتعلقة بالموت وما بعد الموت بشكل يختلف تمام الاختلاف عن أى شكل كان يمارس من قبل .

منذ ميلاد الأطفال والدعاء لهم بطول العمر فأنهم تبعاً للعادات اليابانية يذهبون للمعابد الشنتوية ويصلون للإله حيث يحمدون الإله على منحهم الطفل ويدعون له بالسلامة وطول العمر .

كذلك حفلات الزواج تقام بصفة عامة في معابد الشنتو كما يوجد الكثير من يقيسون مراسم الزواج في الكنائس المسيحية ذات الطابع المحب لديهم . وفي اليابان تبعاً للعادات فإن الطقوس المتعلقة بالموت تقام في معابد بوذية أما المتعلقة بالأحداث السعيدة فتقام في معابد الشنتو (أو الكنائس المسيحية وغيرها) . ويرجع ذلك لعدم وجود مقابر في معابد الشنتو . ولا يوجد أحد على الإطلاق يحتفل بالأحداث السعيدة في المعابد البوذية . بالطبع ليس كل اليابانيين هكذا بلا عقيدة ثابتة ولا يلجئون للدين إلا في حالات معينة من الحزن أو الفرح . فما زال هناك أشخاص يحيون حياة التدين ولهم عقيدة واضحة وإن كانوا قليلي العدد جداً حيث لا يكاد يصل عددهم إلى واحد بالمائة .

ما يدركه اليابانيون اليوم وما يعتنقونه هو العلم والمنطق والحقائق العلمية فلا يؤمنون بما هو غامض علمياً . ثم بدأوا يولون الاقتصاد أكبر اهتمامهم باتباع الرأسمالية الأوروبية التي نقلوها بطريقة إيجابية منذ عصر مييجي (اليابان الحديثة) لقد كانوا يهدفون لإحياء الاقتصاد الياباني وتطويره تبعاً لنظريات الرأسمالية وتبجيل العلم ونبذ كل ما هو غير متفق مع المنطق .

إن العلم والرأسمالية الأوروبية ليست عقيدة دينية فهي أيديولوجيات تنحى جانباً وجود الإله، وكما جعلت اليابان منذ تاريخها السحيق العقائد الأجنبية تزدهر كذلك فقد سمحت لتلك الأيديولوجيات أن تزدهر بشكل مذهل .

ترى ما هي تلك القدرة التي تجعل كلا من العقائد والأيدولوجيات الأجنبية تزدهر بهذا الشكل المدهش داخل اليابان . لا يرجع هذا لما ذكرنا من أن الطبيعة الروحية والفكرية التي غرست في نفوس اليابانيين عبر التاريخ الطويل ليس هذا فقط ولكن أيضاً لارتفاع المستوى الثقافي بدرجة عالية .

بالإضافة إلى ذلك فمن الأسباب الرئيسية أنه من الطريف أن تتحول الأشياء التي من المفترض أن تكون كوارث إلى عوامل تجلب السعادة وتساعد في إحياء الاقتصاد الياباني .

أن اليابان بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية لم يكن أمامها بد من الخضوع للسياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الدولة المحتلة ، وقد أطلقت حرية الدين والفكر والجدال وقد تم منع تدريس تاريخ اليابان أو المساهمة في تدريس العلوم الأخلاقية . لذلك فقد تحررت العقيدة والفكر من كافة القيود واتجهت مباشرة نحو الرأسمالية ونظرية القدرة الكلية للعلم .

واليابانيون من سلالة تتميز بوجود الطابع الروحي والديني منذ نشأتها ليس بسبب أن اليابانيون قد ابتعدوا عن الدين فهذا يعني أنهم قد أصبحوا يلهثون وراء المال بغض النظر عن طريقة الحصول عليه . فما كان يكبح جماحهم هو ذلك القانون الخفي «وروح ياماتو» للذين تحدثنا عنهما فأى شخص ياباني يمتلك هاتان الميزتان . فاليابان لديها منذ القدم هذا الميراث الروحي . فذلك الميراث الروحي ينصهر داخل الجسد حتى يصبح أحد مكوناته . إن هذا الميراث الروحي شيء مشترك بين اليابانيين فكافة الأفراد ملتزمين به عن القانون الظاهري .

هذا الميراث يُعبر عنه بالخلق الحسن . الصراحة والإخلاص . الشفقة والاجتهاد وغير ذلك وبفضل هذا الميراث الروحي فما زالت بلدًا تتميز بأنه يمكن الاعتماد على أفرادها بعضهم البعض وذلك بفارق كبير عن بعض الدول الأخرى التي لديها دين محدد .

في اليابان لا يوجد من الأصل ما يسمى «بالعقد» فلا توجد نية أو فهم سئ وهذا يرجع لوجود ذلك الميراث الروحي والقانون الخفي . فتكفي عبارة أرجو منك ذلك فلا توجد ضرورة للتأكد من الوعد عن طريق الرجوع للعقد وما إليه لا يوجد طريقة مالمعرفة أشياء عن العصور القديمة غير المدونة في التاريخ لكن يعتقد بوجود تاريخ روحي وديني طويل في هذه الأرض من الماضي البعيد ونعتقد أن السبب في تقبل جميع اليابانيين للديانات الأجنبية «الشتتو» و«البوذية» وكذلك الكونفوشية والسماح لها بالإزدهار . وكما تقبل اليابانيون حديثًا الأيدولوجيات الأجنبية يرجع ذلك لأنهم كان لديهم من قبل ميراثًا حضاريًا راقياً . وميراثًا

روحياً. ألم يكن هذا القانون الخفى موجوداً قبل ذلك الحين ؟ (منذ حوالي ١٤٠٠ عام) . ألم تكن أرواح الأسلاف موجودة على أرض اليابان وهي التي علمت اليابانيين هذا القانون الخفى. حتى فى العصر الحالى الذى ابتعد فيه الكثير من الناس عن الدين فما زالوا يشعرون فى مكان ما فى قلوبهم بوجود الآلهة. فكثير ما نرى ظاهرة اجتماعية ملموسة حيث نرى على أسطح المباني الشاهقة الارتفاع يضع الناس إله الشتو (أو ينارى) ويصلون له . وعند شراء أرض لبناء مسكن فمن الضروري أن يطلب من الكاهن الشتوى أن يبارك الأرض أولاً. وفى بداية العام الجديد يوجد فى أى منزل قطعتين من عجينة الأرز إحداها صغيرة والأخرى كبيرة وتقدم قرباناً ويصلون له لجلب السعادة فى العام الجديد.

كما يوجد فى جزء من المنازل القديمة حيث يوجد المذبح الشتوى (مكان عبادة الإله) حيث يقدمون المياه كل صباح للإله ويصلون له . كما أنه فى كثير من المطابخ اليابانية يوجد فرن لطهى الطعام يسمى باسم الإله (كوجين ساما) ويصلون له للحماية من أخطار الحرائق ومن التقاليد الأكثر قدمًا فى بعض البيوت حيث يقومون كل صباح بدعك حجرتين صغيرين حيث يرون فى الشرارة الناجمة قوة الإله ولتطهير الحجرات ، كذلك فإن الناس دون أن يدركوا يلجئون للإله فى أوقات الشدة طالبين منه المساعدة وفى أوقات السعادة يشكرون الإله. إذن فاليابانيون لايعتقدون كل ما هو علمى ومنطقى فقط ويلقون بكل العادات والتفكير التقليدى المخالف لكل ما هو علمى أو تابع للنظريات .

إن السبب فى ابتعاد الكثير من اليابانيين عن الدين هو التحديث منذ (١٢٠-١٣٠ عاما) ونبذ كل ما هو غير منطقى والإيمان بالعلم كما يوجد سبب هام آخر ومباشر هو أن اليابان كانت فيما قبل دولة ذات دين وكنت حرية الدين مكفولة فى عهد حكومة «طوكوجاوا» ويوجد استثناء حيث اضطهدت المسيحية ومنعت من البلاد ، فى هذا العهد لكن الحرية التى ظهرت من حوالى ٥٠ عاماً من الفكر والنقاش وذلك بعد الهزيمة كانت تختلف عن حرية المعتنقات قبل هذا الوقت حيث أنه بعد الهزيمة تم تشجيع حرية إقامة أحزاب دينية جديدة حرية كاملة . إن أمريكا هى بلد الديموقراطية والحرية لذلك فحرية الأديان والفكر والنقاش هى أساس الدولة المشالية . وكتريسيخ هذا المفهوم فى اليابان فقد انتهجت سياسة معينة وتشجيع المواطنين بطريقة إيجابية وذلك بتقديم تراخيص وأساليب حماية تصل لحد الإعفاء من الضرائب لكل من يريد إنشاء جماعة دينية وأطلقت حرية اختيار هذا الإله للجماعة الجديدة وهكذا ظهر عدد هائل من الأحزاب

الدينية بموافقة رسمية من الدولة ووزارة التعليم وفي إحصائية قديمة كان عددهم ٧٠٠ حزباً دينياً وهذا بخلاف الأحزاب الأخرى حيث يقال إن العدد كله يصل إلى ٨٠ ألف حزباً دينياً ومن ضمنها جماعة الحقيقة المطلقة المتورطة في حوادث إطلاق غاز السارين السام .

إن حرية الفكر والعقيدة شئ يجلب السعادة لكن إذا لم يكن هناك الكثير من التعقل سوف يصبح عالمًا متصارعًا فعندما يمتلك الأشخاص الحكمة والعقل الذي يمكنهم من الاختيار السليم حينئذ سنصبح دولة مثالية . لكن ما كان يجب أن تتلقاه اليابان بعد الهزيمة في الحرب من السياسة الاستعمارية لأمريكا هو منع تدريس تلك القدرة على التعقل والذكاء وكذلك منع تدريس التعليم الأخلاقي وتاريخ البلاد .

وبالرغم من استخدام أقصى حد للحرية فقد سلب منهم الحرية في الحكم على الأشياء وسلب منهم المعيار الصحيح لقياس ما هو الصواب والخطأ وسمح لهم فقط بحرية الفكر والنقاش . وقد استمرت اليابان لمدة خمسين عاماً بدون تعليم روجي وأخلاقي لذلك يبدو أن الميراث الروحي هو الآخر قد بدأ يخبر تدريجياً . لتحل محله الإرادة العملية للمواطن الياباني التي اعتمدت النهضة الصناعية خاصة والاقتصادية عامة أسلوب حياة .

ثانياً : الاقتصاد وبناء اليابان

اتصف اليابانيون بأنهم شعب يعمل بجهد وإخلاص لبناء بلدهم مادياً ففي عام ١٩٤٥ انهزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية وقد انتابت المواطنين مشاعر متباينة لكن الشعور السائد بينهم كان إحساسهم بأنهم مازالوا أحياء ولم يموتوا . وبهذا الإدراك الواهن بداخلهم كانوا يقفون بلاحراك مذهولين في وطن الأسلاف الذي تحول لأراضى محترقة .

وقد كانت الأرض ممتلئة بالعديد ممن فقدوا الطعام وموارد الحياة وحتى المأوى لقد كان الوضع بعد الحرب كما لو أن زلزال « كويي » الذي حدث هذا العام قد حدث على نطاق الدولة كلها . وبعد تلك الحالة المتردية وفي سنوات قليلة وكطائر العنقاء المصرى استطاعت اليابان إحياء اقتصادها واستجماع قواها لدرجة أنها فاقت الجميع . وبعد مرور خمسين عاماً من ذلك اليوم أصبحت اليابان أولى دول العالم من حيث إجمالي الإنتاج القومي .

وكثيراً ما نتساءل ما السر في هذا ؟ وسوف يكون حديثنا هو الإجابة على هذا السؤال ... يرجع هذا في المقام الأول لجدية الشعب الياباني وكثرة العمل، فالعمل باجتهد يشكل من

الأساس الشخصية القومية والطبيعة القومية لليابان وبصفة خاصة فقد كان اليابانيون يعملون بأفضل جهد بسبب الحاقالمتردية التي سادت بعد الحرب العالمية الثانية .

وتعد اليابان دولة ذات طبيعة جبلية وأراضى ضيقة فقيرة فى مواردها لهذا ومن منطلق إدراك الشعب اليابانى لحتمية أن يصبح البشر أنفسهم هم موارد الدولة فقد عملوا بجد هادفين إلى تحسين مستوى المعيشة عن طريق تنمية معارفهم الذاتية .

كما أن تفكير الشعب اليابانى فى إعادة بناء الوطن كان من أجل تحسين نوعية الحياة فإنه كذلك كان من أجل العهد الذى قطعوه على أنفسهم لمواساة أرواح العديد ممن قتلوا فى الحرب .

لقد حدث انسجام هائل بين ميزة حب التعلم لدى اليابانيين وبين السياسة التعليمية مما نتج عنه مستوى تعليمى شديد الرقى . فقد كان الجميع يتمتع بمستوى معرفى عالى لدرجة أن المائة مليون مواطن كانوا جميعاً ناقدين للوضع العام . وبهذه المعرفة العالية أنتجوا قمة التكنولوجيا فى العديد من المجالات الصناعية .

أما السبب الرئيسى الآخر فهو أنهم كانوا محظوظين فاليابان منذ القدم بلد زراعى وذات موارد مائية لكن هذا لم يكن كافياً لإطعام الشعب . فالعديدمن اليابانيين الذين خرجوا من المستعمرات أجبروا على العودة من قبل الدول المنتصرة فى الحرب بالإضافة لذلك فقد هلكت الحقول التى فقد مزارعها فى الحرب. لذلك فقد نهجت اليابان طريق تأسيس الدولة عن طريق الصناعات المعالجة . وعن طريق استيراد المواد الخام من الدول الخارجية وتصنيعها ثم إعادة بيعها للدول الخارجية . وقد تقدموا فى تلك الصناعات المعالجة التى عمت البلد كلها وذلك باحساسهم بأن تصنيع أشياء جيدة غير متوافرة فى أى بلد آخر يرجع لمقدرة اليابانيين وحدهم على ذلك. ولأنه عمل يعتمد بالدرجة الأولى على العلاقات مع الدول الخارجية فإن الشروط المالية الدولية وقت القيام بالاستيراد والتصدير تكون ذات تأثير كبير على الربح . وقد جعل المجتمع المالى الدولى هذه الشروط مريحة بدرجة كبيرة لليابان وذلك بقرار منه بناء على عرض أمريكى - فيما بعد بالرغم من تحمل أمريكا لبعض المبادئ بسبب موقفها هذا فإنها صممت على الاستمرار فى تقديم تلك الشروط التى تحمى اليابان لفترة طويلة . وكان هذا حظاً وافرأ لليابان لم يتسنى للدول الآسيوية المجاورة أن تناله .

كما أنه بناء على أوامر الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية بألا يُسمح لدولة اليابان التي لحقت بها الهزيمة أن تكون طرفاً في أى حروب أخرى فتم حظر تكوين جيش يابانى. وبدلاً من ذلك ولحماية اليابان من الغزاة فقد حل الجيش الأمريكى محل الجيش اليابانى وذلك بناء على ميثاق حفظ الأمن بين أمريكا واليابان ويفضل هذا لم تستهلك اليابان أموالها على النفقات الحربية . وكان هذا أيضاً بمثابة حظ وافر لليابان .

بالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك أيضاً نشاط الذخائر الحربية الذى نجم عن حرب الشمال والجنوب فى شبه الجزيرة الكورية . كانت حرباً تحركها فى الخفاء الدولتان العظيمنتان فى ذلك الوقت الولايات المتحدة فى الجزء الجنوبى والاتحاد السوفيتى فى الجزء الشمالى ، لنقل أيضاً أن الحصول على النفط بسعر رخيص وبوفرة من دول الشرق الأوسط كان أحد الأسباب الرئيسية لإحياء الاقتصاد اليابانى وإن لم يكن قد تسنى لليابان الحصول على هذا النفط فربما لم يكن هناك إحياء للاقتصاد على الإطلاق .

ويبدو أن هناك المزيد من الهبات والحظ . وإحداها وجود مشاعر الود الدافئة من جانب القادة ذوى الفلسفات من أمثال نهرو رئيس وزراء الهند وشوان لاي من الصين ويفضل هذه المقدرة والحظ استمرت اليابان بمفردها فى النمو الاقتصادى المطرد وفى طريقها أخلت بالتوازن فى المجتمع الاقتصادى الدولى مما جعلها تتلقى تدخلات مستمرة من المجتمع الدولى فقد تلقت مطالب من قبيل (لاتفرطوا فى العمل) إجعلوا نظام الإجازة الأسبوعية يومين أو ثلاثة) ، افتحوا أسواق اليابان للسلع الأجنبية وضعوا القيود على التصدير وغيرها من المطالب . وكما وجهت لليابان الإدعاءات الباطلة ومن قبيل ذلك الإدعاء بأن مهارة اليابان تنحصر فقط فى تطبيقها لما شيدته أوروبا وأمريكا بجهدهما من قدرة علمية مبنية على أسس وذلك تطبيقاً فى صورة سلع تجارية فقط وما إلى ذلك من المقولات . أما اليابان فقد تقبلت تلك المطالب السابقة وبالرغم من ذلك فما زالت قوة الين اليابانى فى ارتفاع مطرد .

٢- اليابان بلد الاتساق العام

بالإضافة للأسباب التى ذكرناها سابقا فما زال هناك سبب متعلق بالناحية الروحية ذلك أن اليابانيين منذ القدم كانوا يطلقون على اليابان (بلاد الشمس المشرقة) أو «منبع الشمس» وبالإضافة لذلك توجد تسمية أخرى هى (بلد ياماتو) إن كلمة «ياماتو» تعنى الاتساق العام وحرف «وا» المكونة منه كلمة ياماتو يعنى أن يتحد الجميع فى نظام متسق ويحيون تحت مظلة

الفكر الواحد . قبل «ماركوبولو» بزم من طويل وفى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد كان العرب يطلقون على اليابان (بلاد واق الواق) ويقال أن هذه التسمية هي تحريف لكلمة (واكوكو) باللغة اليابانية .

فاليابانيون أصبحوا قلباً واحداً يقومون بعمل جماعى موحد . وبشبه ذلك ما نراه فى عالم الطبيعة من عادات الكائنات الحية . وأعتقد أن مثل ذلك المجتمع الإنسانى الذى أصبح بطريقة تدريجية يشبه الطبيعة إلى حد بعيد هو النموذج الصحيح لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإنسانى من الأساس . أعتقد أنه مما جعل اليابان تشكل مجتمعا إنسانياً يشبه الطبيعة الأم بهذه الكيفية هو حياة اليابانيين واستقرارهم فى دولة جزرية أراضيتها ذات طبيعة استقلالية مما جعلهم يائلون الطبيعة الأم .

وأرى أن المجتمع اليابانى يتشابه بشكل أساسى مع المجتمع الإسلامى الذى يوجهه الله سبحانه وتعالى إن الأخلاقيات اليابانية التى تقدر قيمة الاتساق العام تُطلق على النفس الأنانية التى تمنع سعادة الآخرين وتعوق أمن وتطور الجماعة يطلقون عليها (النفس الوضيعة - النفس المظلمة) ومن يعمل لصالح الآخرين ويقوم بالأعمال الخيرة يكون ذا تقدير بالغ من المجتمع ويطلق عليه (القلب النقى الصافى) وكان أهل «إيدو» قديما أى «طوكيو» يتصفون بالكرم وإنفاق كل ما يأتىهم من نفود لصالح الآخرين وهذه النفس الصافية هي واحدة من النفوس التى تعبر بطريقة ملموسة عن روح الاتساق اليابانية .

إن الميكانيزم والآلية التى يصنعها الاتحاد للجماعة لها قواعد صامتة مشتركة بصفة عامة. فيما بين اليابانيين ككل. وتلك القواعد تتحرك ويشكلها هذا الاتساق العام بطريقة آلية ولاشعورية . فهو قانون غير ظاهرى وليس له قواعد محددة وهو قانون أخلاقى ودينى . وهذا القانون الخفى يعمل باستمرار كنظام تحكم أتوماتيكى يحكمون به على أنفسهم ويلاحظون تصرفات الآخرين ونرى أن هذا القانون الخفى يطلق عليه (روح ياماتو) . وهذا القانون لا يعلمه أحد فهو متأصل بداخل اليابانيين بالطبيعة لدرجة أنه يمكننا القول أنهم يولدون به والخارجون عن هذا القانون لا يلقون معاملة من أحد . لذلك فاليابانيون يحافظون على الطبيعة وعلى هذا القانون الخفى . من يحافظون على هذا القانون يقال عنهم ذوى أخلاق كريمة وينالون احترام الآخرين ويشبهون فى هذا المجتمع الإسلامى حيث يكون الشخص الملتزم بتعاليم القرآن الكريم مسلماً صحيحاً محبوباً من الله سبحانه وتعالى وينال احترام الآخرين .

ولأن اليابان دولة ذات اقتصاد متطور للغاية فيقال عنها من الدول الخارجية أن اليابان تلك تشبه الشركة المساهمة حيث يسمونها (شركة اليابان المساهمة) أو أنها دولة ديكتاتورية . وقد تختلق لها الأخطاء أو الشكاوى على أنها ذات طابع مقصور على نفسها أو أنها مضادة للمجتمع الدولي . ولكن تلك الخاصية هي العادة الجميلة التي نمت وترت على مدى التاريخ الطويل ألا وهي روح الاتساق العام والتناغم . وهو نظام اجتماعي نشأ وتشكل بطريقة طبيعية . إن روح ياماتو أى هذا القانون الخفى قد خلق نظاماً اجتماعياً يجعل كافة أفراد الدولة يعيشون فى إطمئنان .

فمثلاً الشركات المساهمة فى اليابان تختلف عن الشركات الأوروبية والأمريكية الأصل ومنفردة عنها . فهى تتبع أسلوب الأقدمية فى العمل والتعيين مدى الحياة هذا النظام ما هو إلا أفضل ما أنتجته «روح ياماتو» . وهو نظام يكفل لكافة الأفراد الذين تضمهم الأسرة المتحدة المسماة بالشركة المساهمة يكفل لهم الاطمئنان والتقدم والسعادة . فالعاملون بالشركات يعملون بأقصى جهدهم وبإخلاص كامل لتحقيق الربح للشركة وفى مقابل ذلك تتكفل الشركة بالرعاية المادية لهم مدى الحياة كما أنهم لا يقدرّون مرتبات العاملين تبعاً للمقدرة على العمل فى سن معينة ولكن يقدرّونها بحساب الجهد الذى سيبذله الشخص على مدار حياته كلها . كما تزيد مرتبات العاملين مع تقدم العمر وزيادة النفقات الأسرية والاجتماعية . لذلك فكل العاملين أقل من مدير العمل يصبحون قلباً واحداً ويعملون بإخلاص لتحقيق مصلحة العمل . يقال دائماً ، عن العاملين فى الشركات أنهم لا يعرفون غير العمل لكن ما دام هذا يحقق الربح للفرد والدولة ويحقق السعادة فيجب أن نشجعه . فحتى لو تغير مدير الشركة يظل الهدف واحداً مستمراً . فالعمل بإخلاص لا يكون فقط لتحسين مستوى معيشة الفرد لكنه يقوم به كشعور بالامتنان لتلك الشركة التى ستتكفل به مدى الحياة حتى بعد أن تضعف قوته الجسدية .

ولأبالغ حين نقول أن السبب الحقيقى لقدرة اليابان على إحياء اقتصادها يكمن فى هذا القانون الخفى (روح ياماتو) .

ثانيا : كوريا

تقع شبه جزيرة كوريا فى الطرف الشمالى الشرقى لقارة آسيا ، وتجاور فى الشمال مناطق فى الصين وروسيا، بينما تقع أرض الصين الرئيسية مباشرة إلى القرب من شبه الجزيرة الكورية. وتواجه شبه الجزيرة الكورية من ناحية الشرق جزر اليابان ، وتبعد أقصر مسافة بين غرب شبه الجزيرة الكورية وشبه جزيرة شانتونج الصينية حوالى ١٩٠ كيلو متر . بينما تعتبر أقصر مسافة بين الميناء الجنوبى «بوسان» بشبه الجزيرة الكورية وجزيرة اليابان «هونشو» حوالى ١٨٠ كيلو متر^(١).

وتبلغ مساحة شبه جزيرة كوريا ٢٢١٦٠٧٤ كيلو متر مربع، وهى مقسمة إلى دولتين : كوريا الجنوبية (الجمهورية الكورية) ، وكوريا الشمالية (جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية) ، ومساحة الجمهورية الكورية ٩٩٢٣٧ كيلو متر مربع أى ٤٥٪ من مساحة شبه الجزيرة الكورية ، ويفصل بين الكوريتين خط عرض ٣٨ درجة شمالا .

ويتمثل تاريخ شبه جزيرة كوريا فى وجود ممالك متعددة- حوالى ثلاث ممالك- فيما قبل عام ٦٦٨م، وهو العام الذى شهد وحدة شعوب مملكة «كورية Koryo» عام ١٣٩٢م، حتى بدأت المطامع الأوروبية والآسيوية تتجه نحو شبه الجزيرة الكورية فى التاريخ الحديث.

وقد امتد عهد شوسون Choson فى شبه الجزيرة الكورية من عام ١٣٩٢ حتى عام ١٩١٠م، حيث تميز ذلك العهد بحكم الصفوة المتأثر بالفلسفة الكونفوشية المنتشرة فى الصين، إلا أن هذا العهد تعرض للضغط من جانب اليابان فى صراعها مع الصين وروسيا فى شرق آسيا، ونتج عن هذا الضغط من خلال حروب اليابان مع تلك القوى أعوام ١٨٩٥م، ١٩٠٥م أن سيطرت اليابان على شبه جزيرة كوريا سيطرة كاملة، ولم تجد اليابان أى تحد لاحتلال كوريا إلا من قبل الكوريين أنفسهم^(٢).

وقد حاول الاحتلال اليابانى لشبه جزيرة كوريا فى الفترة من ١٩١٠ حتى عام ١٩٤٥م بربط شبه الجزيرة الكورية وشعبها بالنظام السياسى والثقافى والاقتصادى اليابانى من خلال ثلاث مراحل هى :

١- A Handbook of Korea, Korean Dverseans Ifbormation Service, Seol , 1993, p. 12 .

٢- فزاد الحازندار : السياسة الكورية وقضية الوحدة بين الكوريتين، مركز الدراسات السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، بحوث السياسة الخارجية الكورية ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص٤٣٤ .

١- المرحلة الأولى عرفت بمرحلة الدكتاتورية العسكرية من عام ١٩١٠ حتى عام ١٩٢٠م ، وهي الفترة التي شهدت اندلاع الحرب العالمية الأولى حتى مؤتمر الصلح بفرساي عام ١٩١٩م.

٢- المرحلة الثانية عرفت بمرحلة الإصلاحات المحلية، وتمتد من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٩م، أي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

٣- المرحلة الثالثة عرفت بمرحلة التكامل وتمتد من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥م، أي الفترة التي شهدت معارك الحرب العالمية الثانية واشتراك اليابان فيها حتى استسلامها عام ١٩٤٥م، وخلال تلك المراحل الثلاث التي حاولت اليابان إحكام قبضتها على شبه جزيرة كوريا قاوم الكوريون المخططات اليابانية دفاعاً عن استقلال بلادهم ورفضاً لضمها، إلى اليابان، وقاد الكوريون في مقاومتهم لليابانيين حركة أول مارس الاستقلالية، منذ عام ١٩١٩م، وقد تضمنت المقاومة الكورية أنشطة اجتماعية وسياسية، مما اضطر الحكم الياباني إلى الاعتراف بأحقية اشتراك الكوريين في مجالس تنفيذية في أقاليم كوريا الثلاثة عشر^(١).

وقد خضعت شبه جزيرة كوريا لحاكم عام ياباني تساعده سبعة إدارات (وزارات) للشئون المحلية (الداخلية) وللشئون المالية، وللصناعة، وللزراعة والغابات، وللتعليم، وللعدل، وللشرطة. وبجانب هذه الإدارات السبعة وجدت أعداد من الأقسام والمكاتب والمعاهد تحت السيطرة المباشرة للحاكم العام، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وبسبب دخول اليابان الحرب بمهاجمة طائراتها وسفنها قاعدة بيرل هاربر الأمريكية بجزر هاواي في المحيط الهادي عام ١٩٤١م، بدأ التفكير في مستقبل أقطار الشرق الأقصى ومنها شبه جزيرة كوريا، حيث جاء في «إعلان القاهرة» بحضور الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، والرئيس الصيني شان كاي تشيك في عام ١٩٤٣م، جاء التأكيد على حق الشعب الكوري في الحرية والاستقلال في كل شبه الجزيرة.

وجاء في مؤتمر طهران الذي عقد عام ١٩٤٣م أيضاً بحضور زعماء كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وبريطانيا، اقتراح من الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت بإعلان الوصاية الدولية على كوريا بمجرد انتهاء الحكم الياباني لشبه الجزيرة، وفي يوليو عام ١٩٤٥م قررت دول الحلفاء وجوب أن تتخلى اليابان عن كل الأراضي التي احتلتها وضمها بالقوة منذ عام ١٨٩٥م بما في ذلك كوريا^(٢).

وفي مؤتمر «يالتا» عام ١٩٤٥م، توصل زعماء الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وبريطانيا العظمى إلى اتفاق سرى تضمن تقسيم شبه جزيرة كوريا عند خط عرض ٣٩ درجة شمالا بهدف حرمان اليابان من قواتها المسلحة ، وبالفعل سارع الاتحاد السوفيتي إلى احتلال الجزء الشمالي لشبه الجزيرة الكورية شمال خط عرض ٣٨ درجة شمالا، بينما سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى احتلال الجزء الجنوبي لشبه جزيرة كوريا جنوب خط عرض ٣٨ درجة شمالا، ومن ثم تم تكريس انفصال شبه الجزيرة الكورية .

وباحتلال القوات السوفيتية الجزء الشمالي من كوريا بقوات عسكرية ، تشكلت حكومة الحزب الشيوعي لكوريا الشمالية ، بينما سيطرت القوات الأمريكية على الجزء الجنوبي من كوريا، وكان يمثل وضعاً مؤقتاً توصلت إليه كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، إذ أن مؤتمر وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى ، والاتحاد السوفيتي الذي عقد في موسكو في ديسمبر ١٩٤٥م اتخذ قرار الوصاية الدولية على كوريا لفترة خمس سنوات يتم بعدها تشكيل إدارة انتقالية كورية تكون مهمتها التشاور مع كافة طوائف الشعب الكوري لتقرير مصيره^(١).

ولكن الأمور لم تسير كما كان الشعب الكوري يرغب ، حيث أن الاتحاد السوفيتي كان يرفض تحقيق أمل الكوريين في الاستقلال والوحدة ، ومن ثم لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى هيئة الأمم المتحدة لبحث المسألة الكورية ، حيث قررت الهيئة الدولية في ١٤ نوفمبر ١٩٤٧م إجراء استفتاء لتقرير المصير في كل شبه الجزيرة الكورية ، إلا أن الاتحاد السوفيتي رفض التعاون مع اللجنة الدولية المكلفة بإجراء الاستفتاء في الجزء الشمالي لشبه الجزيرة ، بل واستخدم حق النقض (الفيتو) ضد الاقتراح الأمريكي بإجراء استفتاء للشعب الكوري في كل شبه الجزيرة^(٢).

كانت تلك مقدمات ما عرف بالحرب الكورية ، حيث سعى الشيوعيون في كوريا الشمالية إلى التوغل جنوباً لضم كوريا الجنوبية، في الوقت الذي أبدى الكوريون الجنوبيون تخوفهم من الحكم الشيوعي، ومن ثم نظمت هيئة الأمم المتحدة تحالفاً دولياً بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية لإيقاف محاولات الكوريين الشماليين المدعومين من الصين والاتحاد السوفيتي.

١- فؤاد الحازندار : المرجع السابق، ص ٤٣٥ .

وقد بدأت الحرب الكورية بين الطرفين الشيوعى بدعم من الصين والاتحاد السوفيتى والرأسمالى بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية فى ٢٥ يونيو عام ١٩٥٠م، حيث انتهى عام ١٩٥٣م بايقاف إطلاق النار بالاعتراف بدولتين كوريتين : كوريا الشمالية (الديموقراطية الشعبية) ذات النظام الماركسى، وكوريا الجنوبية (الجمهورية الكورية) .

ويمكن التأريخ للعلاقات بين الكوريتين منذ عام ١٩٤٥م فى ثلاث مراحل هى:

١- المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٥٣ ، وتتميز تلك المرحلة بأنها مرحلة نمو وازدياد العداء بين الكوريتين، وقد وصلت إلى ذروتها فى الحرب الكورية.

٢- المرحلة الثانية من عام ١٩٥٣ إلى عام ١٩٧٢، وهى مرحلة تميزت بالمواجهة والتحدى مع غياب الحوار بين الكوريين الشماليين والجنوبيين ، وهى فترة الحرب الباردة بين المعسكرين المتنافسين : الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى، والغربى بزعامة الولايات المتحدة الامريكية.

٣- المرحلة الثالثة من عام ١٩٧٢م حتى عام ١٩٩٧ ، وقد تميزت تلك المرحلة بالحوار بين المسئولين فى كل من كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية، مع عدم التحلى عن أسلوب التحدى^(١).

وكان واضحا - وما زال- التأثير الاشتراكى فى كوريا الشمالية ، كما هو واضح بالنسبة للتأثير الرأسمالى الأمريكى فى كوريا الجنوبية ، فنظام الحكم فى كوريا الشمالية هو نظام الحزب الواحد والنظام الاقتصادى الاجتماعى الماركسى، كما أن كوريا الجنوبية تأثرت نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل والثقافية بالنظام الرأسمالى وفلسفة الحكم الأمريكى.

لقد أخذ دستور كوريا الجنوبي قواعده من بنود الدستور الأمريكى، كما أن الحكم العسكرى الأمريكى فى كوريا الجنوبية فى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨م، قد ترك آثارا واضحة فى الحياة العسكرية والسياسية بكوريا الجنوبية ، بالإضافة إلى وجود قواعد عسكرية أمريكية فى كوريا الجنوبية، وتأثرت علاقات كوريا الجنوبية بالقوى العالمية وبالتوجهات الأمريكية^(٢).

١- فزاد الحازندار ، المرجع السابق ص ٤٣٥ .

الفصل الثالث

الفلبين والهند الصينية

الفلبين - مقدمة - حركة الجهاد الإسلامية - ضد
البرتغاليين - ضد الأسبان والاحتلال الأمريكي - ضد
الحكومات الفلبينية - الهند الصينية - الاستعمار الفرنسي
- الاستعمار البريطاني .

أولا : الفلبين :

تقع الفلبين في الجزء الجنوبي الشرقي من قارة آسيا ، على شكل أرخبيل يضم نحو من سبعة آلاف جزيرة ، تختلف في تفاوت مساحاتها وأبعاد كل واحدة منها عن الأخرى ، ويبلغ تعداد الفلبين قرابة أربعين مليون نسمة ينتشرون في مجموع هذه الجزر ، التي تصل مساحتها إلى مائة وأربعة عشر كيلو متر مربع ، وهم موزعون كما يلي : واحد وثلاثون مليوناً من الكاثوليك المسيحيين ، وثلاثة ملايين من اليسوعيين والجزويت وخمسة ملايين من المسلمين ، معظمهم يتبعون مذهب الإمام الشافعي رضی الله عنه ، وقرابة مليون من الوثنيين والهندوس والبوذيين .

ولقد مر وصول العرب والمسلمين ، وتواجدهم في الفلبين بثلاث مراحل ، بدأت المرحلة الأولى قبل الإسلام ، وكان يغلب على طابعها التجول من أجل التجارة غير المستقر ، حين كان العرب يجوبون بمراكبهم شرقاً في المحيط الهندي ، نحو الهند والجزر المتناثرة في جنوب شرق آسيا ، لمجرد تبادل التجارة ، ثم العودة إلى بلادهم ومعظم هؤلاء العرب من سكان الخليج وشرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ، وأهم السلع التي كان يتبادلها الجانبان القرفة والفلفل والزنجبيل وخشب البخور وعود الند وخشب الصندل والتمر هندي والزعفران والشمع والسكر والأرز وجوز الهند والأحجار الكريمة ، وكان لا يقل عدد تجار كل موسم عن أربع مائة تاجر يتعاملون وقتذاك عن طريق المبادلة وبعض العملات الذهبية والفضية واللآلئ الصغيرة والكبيرة^(١) .

Wilson : The Persian Gulf. p. 102 .

وبعد ظهور الإسلام واتساع حركة الفتوحات الإسلامية خاصة الفتوحات الشرقية فى عهد الدولة الأموية تحولت مرحلة التجوال التجارية إلى نوع من الاستقرار الإسلامى فى جزر المحيط الأكثر قربا من المراكز الإسلامية القديمة شرقى العالم الإسلامى حتى يكونوا دائما فى حماية وأمن الدولة الإسلامية وولاياتها القريبة واستوطن كثير من المسلمين شبه جزيرة الملايو وسومطرة وجاوة وبرنيو وأرخيبيل الفلبين فى جزر سولو وجولو ومندانا وغيرها وأصبح هؤلاء التجار المسلمون المستقرون واسطة عقد التجارة بين هذه المناطق وبين عواصم ومراكز التجارة الإسلامية فى هرمز وسيراف وقيس والبصرة والأبلة^(١).

وليس من شك فى أن هذا الاستقرار ، قد أدى إلى وجود نوع من النظام الحياتى بدأ أولا فى شكل قبلى ، ثم تحول إلى شكل تنظيمى حكى إلى أن وصل فى النهاية إلى تكوين إمارات وسلطنات ذات نفوذ سياسى واقتصادى واجتماعى ودينى ، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به الدعاة وعلماء الدين وكبار المشايخ من نفوذ وسلطان ، حتى أنك لتجد إلى الآن قبور كبار هؤلاء المشايخ مزارا لكثير من مسلمى الفلبين يطلق عليها «طوان مشايخ» أى سيد المشايخ واللفظة الأولى ملاوية اللغة واللهجة وتعنى «سيد» .

ولما سقطت بغداد عاصمة العباسيين فى سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨م بدأ تحول كبير فى تاريخ الوجود الإسلامى فى جنوب شرقى آسيا بوجه عام وجزر الفلبين بوجه خاص حين نزع على إثر هذا الحادث الكبير عدد كبير من المسلمين يتقدمهم الفقهاء والمشايخ والمتصوفون والأولياء^(٢) ولم يقتصر نشاط الوافدين الجدد على مجرد النشاط التجارى ، أو الاستيطان المستقر وإنما تعدى ذلك إلى مرحلة دعوة دينية كبرى لنشر الديانة الإسلامية بين أهالى هذه الجزر واستطاع الإسلام بما يحمل من مقومات الإنسانية والوحدانية والحرية والمساواة أن يملأ قلوب الناس لدرجة أنه ما كاد يجى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى تضاعف أعداد المعتنقين للإسلام وأسسوا فى جزيرة جولو الفلبينية سلطنة مستقلة على رأسها السلطان شريف الهاشم الذى لا يزال قبره موجودا عند جبل تومانتانتش بالقرب من مدينة بوانسا واتسع نفوذ هذه السلطنة حتى شمل جزر جولو وسولو ومندانا وبدأ المسلمون يبنون المساجد والمدارس الإسلامية كعهدهم فى كل بلد يستوطنوه ثم تعددت السلطنات والإمارات الإسلامية فى جزر الفلبين

١- ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ٤٠ .

٢- السيرطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٩ .

وغيرها مثل سومطرة وجاوة وأصبحت مدينة ملقا التي أسسها المسلمون في أوائل القرن الخامس عشر في الملايو مركزا هاما من مراكز الدراسات الإسلامية المتخصصة .

حركة الجهاد الإسلامية في الفلبين :

جهاد المسلمين في جنوب شرقي آسيا ، في كل من الملايو ضد الإنجليز ، وإندونيسيا ضد الهولنديين بوجه عام ، والفلبين ضد البرتغاليين والأسبانيين ونظام الحكم الحالي بوجه خاص تحتاج إلى دراسات واهتمامات متخصصة لأهمية الدور الذي خاضه المسلمون ، وما زالوا يخوضونه في بعض المواقع بالنسبة للتاريخ الإسلامى العام ، الذى أغفل فى كثير من صفحاته قسما كبيرا من كفاح هذه البلاد .

منذ القرن السادس عشر والمسلمون فى جزر الفلبين يخوضون حركة جهاد مستمرة مرت بثلاث مراحل ضد البرتغاليين والأسبانيين فى «ملحمة المورو» وما زالوا يخوضون مرحلتهم الثالثة ضد نظام الحكم الحالي فى الفلبين .

أولا : الجهاد ضد البرتغاليين :

كان لنجاح البرتغاليين فى الدوران حول أفريقيا ، ووصولهم إلى جنوب شرقي آسيا ، أول مواجهة بين مسلمي الفلبين وبين مسيحيي البرتغال ، وذلك لأن البرتغاليين كانوا يستهدفون من وصولهم إلى هذه الجزر أمرين ، أحدهما ديني ، وهو القضاء على الإسلام ونشر المسيحية ، والآخر اقتصادي ، وهو السيطرة على تجارة المشرق ، وحرمان الماليك ، والمدن التجارية الإيطالية من مصادر هذا الثراء العظيم .

وعلى الرغم من الصراعات الدينية بين الماليك والمدن التجارية الإيطالية إلا أن وصول البرتغاليين إلى مصادر التجارة الشرقية أزعج الطرفين إلى درجة أن مجلس العشرة (السناتور) فى البندقية بعث بكتاب سرى إلى سفيره فى مصر^(١) بنديتو سانودو للتفاوض مع السلطان الغورى سلطان الماليك فى مصر فيما يمكن اتباعه من وسائل لمنع البرتغاليين من التوسع التجارى والاستعماري فى جنوب شرق آسيا ونظرا لأهمية هذه الوثيقة نورد منها الفقرات التالية :

بند أولا - الحديث مع السلطان الغورى عن الملاحه فى المحيط الهندى وكيف أصبحت فى يد البرتغاليين وما يترتب على ذلك من خسائر للممالك والبنادقة معا وضرورة معالجة هذا الموضوع الهام الذى يتعلق بالمصالح المشتركة للطرفين .

بند «سادسا» يهمننا أن نذكر لسيادة السلطان أنه قد وصل إلى البرتغال ١٤ مركبا من جزر الهند الشرقية محملة بالتوابل ومن بين ما تحمله ٥٠,٠٠٠ حمل من الفلفل صدرت إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا بسعر أقل مما تصدر به الإسكندرية مما جعل تجارنا يلجأون إلى أسواق البرتغال .

بند «سابعا» أن يرسل السلطان الغورى من طرفه سفراء إلى السلطنات الإسلامية فى جزر الهند الشرقية ويطلب منهم باسم الدين الإسلامى والعلاقات التجارية القديمة مد يد العون لمجابهة البرتغاليين وأن يضعوا جميع العقبات فى طريقهم وأن يبين لهم السلطان الأضرار التى تترتب على استمرارهم فى التعامل مع البرتغاليين ويوضح لهم أن الهدف الأساسى للبرتغاليين هو الاستيلاء على بلادهم ليكونوا أسيادا عليهم .

وليس من شك فى أن هذه الوثيقة السرية الهامة توضح لنا الجوانب التالية :

أولا : أن هدف البرتغاليين الأول من الوصول إلى هذه المناطق القضاء على مسلمى هذه الجزر لأسباب دينية واقتصادية كما سبق أن أوضحنا .

ثانيا: تنبيه البنادقة للسلطان الغورى لخطورة التواجد البرتغالى فى جزر الهند الشرقية ومحاولة استثارته لإنقاذ المسلمين هناك حماية للمصالح المشتركة بين البنادقة والممالك .

ثالثا : إرسال الوثيقة بصفة سرية إلى سفير البندقية فى القاهرة كي لا تتسرب أخبارها إلى الكنيسة الكاثوليكية فى روما .

والحقيقة أن المسلمين فى الفلبين أدركوا لأول وهلة خطورة البرتغاليين على أوضاعهم هناك وكان أكبر سلاطين المنطقة آنذاك السلطان محمود حاكم ملقا فى شبه جزيرة الملايو الذى رأى بعد نظره أن يترك عاصمة حكمه ويستدرج البرتغاليين إلى حيث التجمعات السكانية الكثيفة فى جزر سومطرة وبدأ فى تأسيس سلطنة جديدة تزعمت لواء المجابهة ضد العدوان البرتغالى وذهب أحد أبناء بيت السلطان محمود واسمه «محمد كابونسوان» وأسس سلطنة أخرى فى «ملابانك» وتجمع أمراء السلطنات الإسلامية فى جزر الفلبين وتحولت الحروب إلى معارك دينية طاحنة أكثر من أى شئ آخر ، وعلى الرغم من الإمكانيات القتالية المتطورة فى يد

البرتغاليين فإنهم لم يتمكنوا من زحزحة المسلمين عن مناطق نفوذهم وظلوا يجابهون مواجهة شرسة من مسلمي الفلبين إلى أن ظهر في الأفق عدو طارئ جديد للمسلمين هم الأسبانيون .
ثانيا : الجهاد ضد الأسبانيين « وملحمة حروب المورو » :

كان الأسبانيون قد فرغوا من إنهاء الوجود الإسلامي في بلادهم في أخريات القرن الخامس عشر الميلادي بعد وجود حضارى وسياسى استمر قرابة ثمانية قرون وقصة الفصول الأخيرة الحزينة من نهاية هذا العهد المشرق وما لقيه المتأخرون من مسلمى الأندلس . ولم يستطع أى مؤرخ مهما بلغ عداؤه للإسلام والمسلمين أن ينكره ولذلك فإن أخطر مواجهة بين مسلمي الفلبين وبين أعدائهم كانت تلك المواجهة التى حدثت مع الأسبانيين واستمرت قرابة ثلاثة قرون سجل فيها المسلمون ملحمة كفاح تاريخية مرت بست مراحل لاتكاد تنتهى الحروب من واحدة حتى تبدأ بالثانية (من ١٥٦٥ إلى ١٥٧٨) ، (١٥٨٧-١٥٩٩) ، (١٦٠٦-١٦٣٥) ، (١٦٣٧-١٦٤٥) ، (١٨١٨-١٨٥٠) ، (١٨٥١-١٨٩٨) استخدم فيها الأسبانيون كل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية والدينية وتعاون معهم فى بعض مراحلها الهولنديون والإنجليز حارب فيها المسلمون من بيت إلى بيت فلما أحرقوا منازلهم انتقلوا إلى داخل الغابات فلما أحرقوا الغابات عادوا بينون بيوتا جديدة من الأغصان ولكى ندرك شراسة هذا الكفاح المرير يكفى أن نورد أمثلة للسياسة الأسبانية فى هذه المعركة التى انتهت بفشل أسبانيا عام ١٨٩٨م وانتقلت السيادة من الأسبانيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

أولا : فرض حصار اقتصادى على السلطنات الإسلامية فى جزر الفلبين لحرمان المسلمين من أهم مصادر حياتهم المعيشية وهى التجارة واستخدموا فى سبيل ذلك أساليب القرصنة التى كان يجيدها الأسطول الأسبانى واتفقوا فى ذلك مع الهولنديين الذى كانوا يفعلون نفس الشئ مع مسلمى الجزر الأندونيسية ومع الإنجليز الذين كانوا يخدمون أنفاس المسلمين فى الملايو فى وقت كانت فيه الدولة العثمانية محاصرة بمشاكلها الخارجية والداخلية ولم يكن قلب العالم الإسلامى يحس بنبض هذا الكفاح الذى كان يقوده مسلمو الفلبين من قرية إلى قرية ومن غابة إلى أخرى وكأنما كان الأسبانيون يريدون أن يكرروا مأساة المسلمين الأواخر فى أسبانيا .

ثانيا : العمل على تفرقة المسلمين فى كل جزيرة على حدة ومواجهة كل مجموعة فى حرب إبادة شاملة مع قطع كل صلة بينهم وبين مسلمى الجزر الإندونيسية ومسلمى الملايو وظهرت فى ذلك الوقت أسطورة السلطان نصر الدين سلطان المسلمين فى جزيرة سولو الفلبينية الذى قاد الكفاح الإسلامى من داخل الغابات .

ثالثا : إيفاد الإرساليات التبشيرية الأسبانية إلى جزر الفلبين للقيام بسياسة تبشيرية بين الفلبينيين الأصليين مع ما كانوا يحملونه من إمكانيات مادية وخدمات فى مختلف المرافق وخاصة الإرساليات الجزويتية واليسوعية وقد أطلق الأسبانيون على الفلبينيين المبشرين (كما كان يسميهم المسلمون) الأنديو كما أطلقوا على المسلمين «المورو» وهى لفظة أسبانية ومعناها صاحب الوجه العابس أو الكالغ وهى نفس الصفة التى كانوا يصفون بها المسلمين فى أسبانيا وقد نجح الأسبانيون فى إشعال نيران العداة بين «الأنديو» السكان الأصليين و «المورو» المسلمين الفلبينيين حتى تحولت الحرب ابتداء من مرحلتها الثالثة إلى حرب بين الأسبان والأنديو من ناحية والمسلمين الفلبينيين من ناحية ثانية .

رابعا : إشعال نيران الخصومات بين السلطنات والإمارات الإسلامية وبعضها بهدف التفريق بينها لإعلاء السيادة الأسبانية .

خامسا : التخريب المنظم لكل مصادر الحياة عند المسلمين الفلبينيين من إحراق للبيوت وإتلاف للمزارع والمحاصيل وتدمير للمراكب والسفن لنشر المجاعة بينهم وإجبارهم على الهجرة أو الاستسلام فلما فشلت كل هذه الوسائل واستمرت ملحمة الكفاح الدفاعية بدأوا يتبعون نفس الوسائل التى اتبعوها فى أسبانيا من اختطاف أطفال المسلمين وتسليمهم إلى الأسر الفلبينية المسيحية لتنصيرهم وقطع كل صلة بينهم وبين جذورهم العربية الأصلية وعقيدتهم الإسلامية بالإضافة إلى إلقاء الكثيرين من الأسرى والمستسلمين لهم فى المحيط كقطعام للأسماك والحيوانات البحرية .

وعلى الرغم من هذه السياسة اللإنسانية استمر المسلمون الفلبينيون فى كفاحهم حتى اضطر الأسبانيون فى سنة ١٨٩٨م للجلاء عن الفلبين وانتقل الحكم منهم إلى سيادة الولايات المتحدة الأمريكية .

ثالثا : الجهاد الإسلامى ضد الحكومات الفلبينية :

انتقلت الفلبين فى نهاية القرن التاسع عشر إلى حكم الولايات المتحدة الأمريكية بعد استعمار أسباني دام قرابة ثلاثة قرون وتوقع الفلبينيون المسلمون الخير على يد الأمريكين ولكن السياسة الأمريكية الجديدة استمرت فى العطاء والتشجيع لمختلف البعثات التبشيرية المناهضة للإسلام والمسلمين واستهدفت فى إصلاحاتها استئصال الروابط الإسلامية من السياسة التعليمية والثقافية والحضارية هناك والحقيقة أن فترة السيادة الأمريكية التى

استمرت من سنة ١٨٩٨م إلى سنة ١٩٤٦م تركت بصماتها السيئة بالنسبة لمسلمي الفلبين في الجوانب التالية :

أولا : فقدان السيادة الإسلامية على معظم الإمارات والسلطنات :

عجز الأسبانيون على مدى ثلاثة قرون عن إضعاف السلطنات الإسلامية في جزر الفلبين لدرجة أنه عند قيام الحكم الأمريكي كانت توجد عدة سلطنات إسلامية قوية في مقدمتها سلطنة ديپتروان قدرات البطل المسلم الذي قهر الاستعمار الأسباني في الفلبين وسلطنة سولو وسلطنة ماجيندنا وسلطنة بويان وغيرها من الإمارات الإسلامية ولكن السياسة الأمريكية تمكنت من ابتلاعها جميعا في مدى نصف قرن من حكمها .

ثانيا: فقدان المسلمين لحيازة كثير من أراضيهم :

وضعت الولايات المتحدة قانونا لنظام حيازة الأراضي في جزر الفلبين كان من نتيجته فقدان المسلمين لمعظم أراضيهم التي ورثوها عن أجدادهم وسقطت كلها في يد الفلبين الكاثوليك .

ثالثا : ضياع التماسك الإسلامي :

استطاعت الولايات المتحدة عن طريق اتباع السياسة الاستعمارية التقليدية «فرق تسد» بين الأمراء والسلاطين المسلمين أن تقنعى على ذلك التماسك الذي ظل طيلة القرون الماضية السد المنيع ضد المحاولات الاستعمارية البرتغالية والأسبانية وسرت بينهم موجات التفرق والانقسام

رابعا : تسلل الصهيونية إلى الفلبين :

أفسحت الولايات المتحدة المجال أمام الصهيونية للتسلل إلى المسرح السياسي في الفلبين مما نتج عنه موقفا متعاطفا للحكومة الفلبينية مع إسرائيل بعد حصولها على الاستقلال وكانت أول بادرة قامت بها حكومة الفلبين محاولة إنشاء سفارة إسرائيلية في الفلبين مما أدى إلى قيام المسلمين هناك بمظاهرة عدائية أوقفت هذا الاتجاه وقتذاك وتعاطف المسلمون مع العالم العربي والإسلامي ضد حوادث الاعتداءات الإسرائيلية وحريق المسجد الأقصى مما أدى إلى محاولات صهيونية للتأثير على حكومة الفلبين المعادية للمسلمين لاتخاذ مواقف عدائية ضد الوجود الإسلامي هناك .

ولما حصلت الفلبين على استقلالها من الولايات المتحدة بدأت حكومتها تمارس سياسة البطش والإرهاب ضد المسلمين في الجزر الجنوبية منتهجة السياسة التالية :

١- تشجيع المسيحيين على الاستيطان فى المناطق الإسلامية وتأييدهم فى الاستيلاء على أراضى المسلمين وأملاكهم بالإضافة إلى تحريم اشتراك المسلمين فى المشاريع الاقتصادية الهامة وإغراق المناطق الإسلامية بقوات الأمن الفلبينية بهدف التجسس على المسلمين ومساندة الفلبينيين المسيحيين .

٢- تبنى الحكومة الفلبينية عمليات التبشير المنظمة بين المسلمين وخاصة بين الكثافات السكانية الفقيرة وإثارة شكوكهم فى العقيدة الإسلامية اعتقادا من المسئولين الفلبينيين أن مسلمى الفلبين لا يمكن أن يكونوا مواطنين صالحين إلا إذا أصبحوا مسيحيين .

٣- العمل على دفع المسلمين لترك أراضيهم الزراعية ومصادر حياتهم الموجودة على السواحل وإرغامهم على اللجوء إلى مجاهل الغابات وشعب الجبال ليتحولوا إلى عمال كادحين وحطابين للأشجار ونقله للماء .

٤- معارضة كل اتجاه نحو فتح مدارس إسلامية أو إقامة الشعائر فى المناطق الإسلامية وإثارة الرعب بين المسلمين عن طريق تسريع القتل والمجرمين الفلبينيين بين صفوفهم لدرجة أن الأخيرين كونوا منظمة «إيلاجا» المعادية للتواجد الإسلامى فى الفلبين بدعى أن المسلمين الفلبينيين لا يمكن أن يكونوا صالحين إلا إذا أصبحوا مسيحيين .

٣- العمل على دفع المسلمين لترك أراضيهم الزراعية ومصادر حياتهم الموجودة على السواحل وإرغامهم على اللجوء إلى مجاهل الغابات وشعب الجبال ليتحولوا إلى عمال كادحين وحطابين للأشجار ونقله للماء .

٤- معارضة كل اتجاه نحو فتح مدارس إسلامية أو إقامة الشعائر فى المناطق الإسلامية وإثارة الرعب بين المسلمين عن طريق تسريع القتل والمجرمين الفلبينيين بين صفوفهم لدرجة أن الأخيرين كونوا منظمة «إيلاجا» المعادية للتواجد الإسلامى فى الفلبين وكان من أعمال هذه المنظمة إشعال النيران فى جامعة الفلبين الإسلامية فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٧٢مما دعا رجال هذه الجامعة إلى توجيه نداء استغاثة إلى ملوك ورؤساء العالم الإسلامى .

غير أن كل هذه الأعمال من جانب الحكومة الفلبينية لم تزد مسلمى الفلبين- الذين مارسوا الجهاد قرون طويلة- إلا استمساكا بدينهم وإصرارا على حقوقهم الموروثة فى الفلبين وتكونت فى بداية الأمر منظمة إسلامية لقيادة الكفاح الإسلامى هناك تدعى «جبهة اتحاد الهيئات

الإسلامية» (بانسا) بزعامة الدكتور أحمد ألونتو الذي تعرض أكثر من مرة للسجن والاعتقال خاصة عندما قاد حركة المسلمين في الفلبين تأييدا لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ التي خاضتها كل من مصر وسوريا ضد إسرائيل وأعلن رفض موقف حكومة الفلبين التي نادى بسياسة الحياد بين العرب وإسرائيل وأبرق لرئيس جمهورية مصر بيان ثورى فلبينى يدعم هذه الحرب المقدسة واضطر الرئيس ماركوس رئيس جمهورية الفلبين إلى التراجع عن موقفه أمام حركة الجهاد الثورية التي خاضها مسلمو الفلبين وأعلن وقوفه إلى جانب العرب من أجل استرداد أراضيهم والحقوق الفلسطينية المشروعة .

وقد أدى النشاط الثورى الذى دب فى صفوف ثوار المسلمين هناك إلى إنشاء منظمة جديدة لقيادة الكفاح أطلق عليها «الجبهة الوطنية لتحرير مورو» بزعامة «نور ميسورى» واستمر مسلمو الفلبين فى جهادهم من أجل الحفاظ على حقوقهم حتى لفتوا أنظار العالم الإسلامى إلى حقيقة أوضاعهم وأخذ زعماءهم بجورون الأقطار الإسلامية طلبا للمساعدات المادية والسياسية والعسكرية لتأييد حركتهم ولما كان ميثاق الجامعة العربية يتعارض مع مشروعية مساندة هذه الحركة المشروعة بحكم اعتبارها تدخلا فى السياسة الداخلية لحكومة الفلبين فقد تصدى المؤتمر الإسلامى فى مؤتمراته لمشكلة المسلمين فى الفلبين حتى أصبحت هذه القضية أحد القضايا الأساسية التى استمر طرحها على مؤتمرات القمة ووزراء الخارجية منذ المؤتمر الثالث لوزراء الخارجية الإسلامى الذى عقد فى جدة فى محرم سنة ١٣٩٢ هـ (فبراير - مارس سنة ١٩٧٢م) وكان اضطرهاد المسلمين هناك قد وصل مداه وأصدر المؤتمر أول قرار له بشأن هذه القضية على النحو التالى :

«استعرض المؤتمر أحوال المسلمين فى الفلبين والمعلومات التى تلقاها من الأمين العام وأعرب عن قلقه الشديد لمحنة المسلمين الذين يعيشون فى الفلبين ويرى أنه من الضرورى القيام بمساع حميدة لدى حكومة الفلبين لضمان سلامة أرواح وممتلكات المسلمين فى الفلبين إذ من حقهم كرعايا أن يتلقوا الرعاية الواجبة من الدولة .. إن المشكلات التى يواجهونها الآن ينبغى أن تبحث كما ينبغى توفير ظروف مرضية بأسرع وقت ويطلب المؤتمر من الأمين العام أن يجرى الاتصالات فى هذا الشأن وأن يقدم للدول الأعضاء تقريرا عن هذه الاتصالات .

وفى مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى الرابع الذى عقد فى بنغازى صفر ١٣٩٣ هـ (مارس ١٩٧٣) اطلع الأعضاء على تقرير الأمين العام وكانت أنباء حريق الجامعة الإسلامية فى الفلبين (١٠ سبتمبر ١٩٧٢م) قد أزعجت العالم الإسلامى وأصدر المؤتمر القرارات التالية :

١- يشعر المؤتمر بالقلق العميق لما تردد من أعمال القمع والإبادة التي يتعرض لها المسلمون في جنوب الفلبين ويطالب الحكومة الفلبينية بوقف تلك العمليات فوراً .

٢- إنشاء صندوق لمساعدة المسلمين في جنوب الفلبين تساهم فيه الحكومات الإسلامية على حسب تقديرها مع القيام بحملة تبرعات على المستوى الشعبى فى البلاد الإسلامية لصالح المسلمين فى الفلبين .

٣- إرسال بعثة تقصى حقائق من وزراء خارجية ليبيا والسعودية والسنغال والصومال .

وفى مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى الذى عقد فى كوالالمبور فى جمادى الثانية ١٣٩٤هـ (يونية ١٩٧٤م) بحث المؤتمر التقرير المقدم من اللجنة الرباعية وأصدر قراره باستمرار الإعراب عن الأسى العميق إزاء استمرار الوضع السائد بين المسلمين الفلبينيين ودعا حكومة الفلبين للكف عن الإجراءات القمعية وتدمير الممتلكات الإسلامية وأماكن العبادة وفى نفس الوقت سجل المؤتمر الخطوات التى اتخذتها حكومة الفلبين لتحسين أحوال المسلمين . مع إعرابه عن اقتناعه بأن الخطوات الاجتماعية والاقتصادية المقدمة منها لا تكفى وحدها لحل المشكلة وحث حكومة الفلبين على التفاوض مع ممثلى الجبهة الوطنية لتحرير مورو بهدف التوصل إلى حل عادل يعالج محنة المسلمين فى إطار السيادة الوطنية للفلبين ووحدة أراضيها وإيقاف العمليات العسكرية فوراً ومراعاة عودة اللاجئين إلى ديارهم ووقف الهجرة المسيحية من الشمال .

كما تقرر إنشاء جهاز يسمى «وكالة الغوث والإنعاش الإسلامية» على أن تمول من الصندوق الإسلامى وتخضع لرقابة مجلس صندوق التضامن والإبقاء على البعثة الخاصة لوزراء الخارجية لمتابعة هذا الموضوع واستمرار مناقشته فى المؤتمر التالى وإبلاغ ذلك كله لحكومة الفلبين .

غير أن حكومة الفلبين - التى لم تكن جادة فى نواياها- لم تلبث أن تنكرت لوعودها بشأن منح الحكم الذاتى لمسلمى الفلبين وتدهور الموقف هناك بشكل خطير واستأنف الشوار كفاحهم كما استأنفت الحكومة الفلبينية فى اتباع وسائل القمع الرهيبة بينهم مما جعل مؤتمر وزراء الخارجية الذى عقد فى استامبول (جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ) مايو سنة ١٩٧٦ م يعلن شجبه لهذه السياسة العدوانية من جانب الحكومة الفلبينية وطالبها بوقف عملياتها العسكرية ضد المسلمين وسحب جنودها فوراً من مناطق المسلمين جنوبى الفلبين وطالبها بالوفاء

بتعهداتها فى منح الحكم الذاتى لهم فى المناطق المتفق عليها مع استمرار اللجنة الرباعية فى مهامها وتكليف الأمين العام بالتشاور من أجل تقديم معونات عاجلة للاجئين .

وقد لعبت ليبيا دورا واضحا فى إطار اللجنة الرباعية بسبب تركيزها على مشكلة المسلمين فى الفلبين وتم عقد عدة اجتماعات فى طرابلس بين ممثلى حكومة الفلبين برئاسة حرم الرئيس الفلبينى وممثلى جبهة تحرير مورو برئاسة نور ميسوارى وأعلن فى هذا اللقاء موافقة حكومة الفلبين على منح الحكم الذاتى لثلاث عشرة ولاية إسلامية جنوبى الفلبين .

غير أنه بعد عودة الوفد الفلبينى إلى بلاده أعلنت الحكومة الفلبينية عزمها على استفتاء الولايات الإسلامية فى مبدأ قبولها للحكم الذاتى واعتقدت جبهة مورو أن الهدف من هذا الاقتراح تزييف إرادة الجماهير الإسلامية فى جنوب الفلبين وطالبت الحكومة بتنفيذ وعودها فى منح الحكم الذاتى للمسلمين دون استفتاء إذ لا يعقل أن المسلمين الذين خاضوا كفاحهم المرير طيلة القرون الماضية بحاجة إلى استفتاء فى إقامة حكم ذاتى لهم يحميهم من أخطار السياسة العدوانية التى درجت عليها حكومة الفلبين فى تعاملها معهم .

واشتعلت الثورة فى الفلبين واضطر نور ميسوارى للإلتجاء إلى ليبيا التى أعلنت حكومة الفلبين رفض التفاوض معها بشأن هذه المشكلة الداخلية التى تخصها وحدها وأعلنت عودتها لاستمرار الحوار مع كريم جابى أمين منظمة المؤتمر الإسلامى كما أرسلت ثلاثة سفراء يمثلونها فى مؤتمر وزراء الخارجية الذى عقد فى دكار عاصمة السنغال عام ١٩٧٧م وأعلن رئيس جمهورية الفلبين اتجاه حكومته إلى تقسيم جمهورية الفلبين إلى عشرة أقاليم فى إطار نظام لامركزى يتمتع فيه المسلمون فى مناطقهم بأغلبية المناصب العليا .

غير أن الظروف السياسية التى طرأت بعد ذلك أدت إلى تجميد هذه المشكلة التى تمثل بندا أساسيا من بنود المؤتمر الإسلامى بالإضافة إلى بعض الأحداث الداخلية فى الفلبين مما يمكن أن نجمله فيما يلى :

أولا : نجاح الحكومات الفلبينية فى إثارة النزاع بين صفوف قيادة الثوار المسلمين هناك وخاصة ذلك الحلاف الذى احتدم بين الزعيمين الكبيرين نور ميسوارى وهاشم سلامه وإثارة الأقاويل حول اتهام نور ميسوارى بيقول يسارية مما أدى إلى فقدان ثقة الزعامات القيادية فى المؤتمر الإسلامى .

ثانيا : ضعف الدور الذي كانت تقوم به اللجنة الرباعية وهي اللجنة المكلفة من المؤتمر بمواصلة جهودها مع الحكومة الفلبينية لحل مشكلة المسلمين هناك بسبب انفراد ليبيا والقيادة الفلبينية خاصة بعد أن لجأ نور ميسوارى إلى ليبيا وأخذ يقود حركة الثورة الإسلامية فى القلبين من منفاه .

ثالثا : ظهور مشكلات جديدة على الساحة الإسلامية فى مقدمتها الهجوم الأثيوبي على الصومال الإسلامية وموقف بعض دول المؤتمر الإسلامى منه وتصاعد حركة القضاء على الثورة الأريتريه من جانب الحبشة والخلافات التى قامت بين مصر والدول العربية حول مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى .

ثانيا : الهند الصينية

الاستعمار الفرنسي :

حاولت فرنسا السيطرة على الهند الصينية (فيتنام ، تايلاند ، كمبوديا) بثلاث وسائل هي التبشير (التنصير) والخداع والقوة ، وذلك للتعرض عما فقدوه في الهند بعد أن طردتهم بريطانيا منها .

وكانت فرنسا تخطط لقيام إمبراطورية في آسيا بالقوة بحجة حماية الكنيسة بسبب الاضطهادات التي تتعرض لها البعثات التبشيرية (التنصيرية) ، فقررت فرنسا القيام بحملة حربية تعاونها أسبانيا في الفلبين لرفع الإهانة التي وقعت على ديانتهم وثقافتهم التنصيرية . فأستولى الفرنسيون على سايجون في فيتنام ، ولكن الأهالي حاصروا المدينة وجعلوا مركز الحماية الفرنسية قلعا وحرجا جدا . غير أن الحصار رفع عنها بعد وصول نجدات أخرى فرنسية، وتقرّب القائد الفرنسي إلى ملك كمبوديا الذي أظهر موقفا وديبا ، وعقد معاهدة مع كمبوديا سنة ١٨٦٣ م تحولت بها تلك الدولة إلى محمية ، بحيث توضع كل شئونها الخارجية تحت تصرف فرنسا التام ، كما نصت الشروط على تعيين مقيم فرنسي ، وعلى حق بعثات التنصير الفرنسية في القيام بنشاطها الديني، وحرية السفر ، وحق فرنسا في استغلال الغابات . كما عقدت فرنسا معاهدات مماثلة مع تايلاند (سيام) ١٨٦٧م. واستمرت اعتداءات فرنسا على فيتنام (مملكة أنام) ، وفي الوقت نفسه قاوم الأهالي بضراوة العدوان الفرنسي الذي استمر خمسة عشر عاما أخرى . وقد هزم الفرنسيون في هانوى (عاصمة فيتنام) ، وأدت تلك الهزيمة إلى تسوية نهائية اعترفت فيها فرنسا بسيادة إمبراطور فيتنام ، ووعدته بالمساعدة ضد أى عدوان أجنبي مقابل أن تتولى فرنسا السياسة الخارجية ، ونجحت فرنسا في السيطرة على الهند الصينية^(١).

واستمر الصراع بين الأهالي والفرنسيين في الهند الصينية ، أدى إلى قيام عمليات حربية، وتواصلت الأعمال العدوانية ، وفشل الفرنسيون في إيقاف تلك الأعمال العدوانية ، فنشبت حرب نظامية بين الطرفين ، تنازلت الصين عن سلطانها في تونكين وأنام عام ١٨٨٦ م . وكلفت فرنسا أمراء البحر مقاومة السكان آخذين بالحزم والقوة في القضاء على الأعمال

١- تشسترين ، الشرق الأقصى ، ص ١١٠-١١٢ .

العدوانية ، وفي الوقت نفسه عمل الأهالي على عدم التعاون مع الفرنسيين منذ البداية ، وكانت فرنسا تريد تطبيق النظم القائمة فى فرنسا^(١) .

عمد الفرنسيون إلى سياسة التفوق العنصرى فتعلقوا بها لاهتمامهم بالمحافظة على هيبتهم مثل الإنجليز واحتقروا الأهالي وأذلوهم . وهذه السياسة كانت تزيد من كراهية الشعب لهم فى كل مكان ، وتحفزه بل تدفعه لمقاومتهم وطردهم من البلاد حتى حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية .

وكانت فرنسا قد عملت على إنشاء الطرق والسدود والتلغراف والتليفونات والسكك الحديدية ، ولكن الشعب كان غاضبا على السلطات الفرنسية ، وكان معتزا بقوميته ووطنيته ، لذا فقد قامت فتن وتمردات محلية فى فيتنام وكمبوديا وتونكين ، فقاموا بذبح الأهالي التصارى المواليين لفرنسا ، فلم يخضعوا لهيمنة فرنسا ، وأخذت سياسة المشاركة والترابط بدلا من سياسة الإدماج . واستمرت المقاومة حتى حصولهم على الاستقلال . وكانت فرنسا قد تحكمت فى هذه الدول بشكل يثير الأهالي ضدها ، وخاصة نظام الامتيازات التى كانت تعطى فرنسا صلاحيات كبيرة من أجل فرض هيمنتها على تلك الدول الشرق آسيوية^(٢) .

ونتيجة لتحدى بريطانيا لمشروعات فرنسا التوسعية بضم سيام (تايلاند) إليها ، فقد عقدت معاهدة بين بريطانيا وفرنسا لتسوية مشكلات الحدود ، وجرى تقسيم المناطق الحدودية بينهما ، ومنحت بريطانيا امتيازات تجارية مهمة ، ومع ذلك استطاعت سيام المحافظة على استقلالها الذاتى فى أواخر القرن التاسع عشر^(٣) .

وفى مارس ١٩٤٥م قضت القيادة اليابانية على الإدارة الفرنسية الاستعمارية وأخذت السلطة فى يدها ، ولكن قبيل صيف عام ١٩٤٥م بدأت تظهر فى فيتنام الشمالية مناطق واسعة من الأراضى أصبحت أجهزة السلطة الثورية صاحبة الموقف فيها ، هذه الأجهزة هى اللجان الشعبية ولجان التحرير التى يقودها الحزب الشيوعى للهند الصينية وجبهة التحرير الوطنى الموحد «فيت مين» - رابطة النضال من أجل الاستقلال- وقبيل بداية أغسطس كانت قد تكونت بالفعل فى هذه المناطق أولى الأجهزة المؤقتة للسلطة الثورية المستعدة لتولى المهام الرئيسية للدولة الديمقراطية الشعبية عقب النصر مباشرة .

١- بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية : ٢٢٦-٢٢٨ .

٢- تشستريين : المرجع السابق : ص ١١٢-١١٣ .

٣- نفس المرجع ، ص ١١٢-١١٣ .

واتخذت الأحزاب والتنظيمات الوطنية الفيتنامية ، بعد دخول الاتحاد السوفيتي الحرب ضد اليابان قرارا بالثورة ضد المحتلين وذلك بمبادرة من الشيوعيين . وبدأت الثورة في ١٧ أغسطس عام ١٩٤٥م بمظاهرة مسلحة قوية في «هانوى» سرعان ما شملت البلاد كلها ، واستسلمت القوات اليابانية ، وكان ذلك ضربة للرجعية المحلية وفي نفس الوقت لنظام الحكم العميل الذي كان قد قام في مارس ، كما كان يعنى انهيار أهم جزء من البناء السياسى المعارض للثورة . وفي ٢٥ أغسطس تنازل الإمبراطور «باوداي» عن العرش ، وفي ٣ سبتمبر أعلن «هوشى منه» زعيم الشعب الفيتنامى انتصار الثورة الشعبية فى اجتماع حافل بمدينة «هانوى» العاصمة .

وفى سبتمبر ١٩٤٥م - أيضا- دخلت قوات الاحتلال البريطانية مدينة «سايجون» ووصلت معها أولى وحدات فيلق العمليات الفرنسى ، ومن ثم بدأت فى الجنوب حرب مقاومة للشعب الفيتنامى ضد الغزو الأوروبى ، تلك الحرب التى انتهت عام ١٩٥٤م بهزيمة القوات الفرنسية وخروجها من فيتنام ، لتبدأ حرب أخرى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ضد حكومة هانوى الشيوعية التى دعمت ثورة الجنوب للتخلص من القوى الاستعمارية هذه الحرب الأخيرة انتهت بخروج القوات الأمريكية من فيتنام لتتوحد جمهورية فيتنام .

بورما والاستعمار البريطانى :

لم يستطع حكام بورما تكوين مملكة إلا فى القرن الحادى عشر، وقد تم تدميرها على أيدى ملوك الصين المغول فى القرن الثالث عشر، وظلت بعد ذلك مقسمة إلى أقاليم يحارب بعضها بعضا . وقد بدأ الأوروبيون يتاجرون مع بورما فى القرن السادس عشر ، فعقد البرتغاليون معاهدة مع بورما بعد استيلائهم على الملايو (ملقا) سنة ١٥١١م، ثم بدأ التدخل الفرنسى والبريطانى ، ولكن البورميين قاوموا النفوذ البريطانى، وقامت عدة حروب بينهم وبين الانجليز وتحقق النصر للإنجليز ، وضموا بورما لهم لمجاورتها للهند حتى لاتقع فريسة لدولة أوروية أخرى كفرنسا ، وتم ذلك عام ١٨٨٥م^(١).

عين الإنجليز حاكماً لبورما وألحقوها بحكومة الهند، وبعاونه مجلس تشريعى يتألف من تسعة أعضاء . واحتفظ الإنجليز بالزعماء المحليين لجمع الضرائب وأدى السلام بين الجانبين إلى ارتفاع مستوى المعيشة ، ونجم عن ذلك زيادة عدد السكان .

وشهدت بورما قبيل عام ١٩٤٥م ظروفًا مواتية لقيام ثورة التحرر الوطنى، فكانت رابطة الحرية الشعبية المعادية للفاشية قد أنشئت فى صيف عام ١٩٤٤م ، بجهود الشيوعيين والاشتراكيين فى بورما وجهود الجيش الوطنى لبورما بقيادة «أون سان» وفى مارس ١٩٤٥ قامت الرابطة بتزعم الثورة الوطنية ضد المحتلين اليابانيين ، وفى أوائل مايو حررت قوات الرابطة مدينة «رانجون» حيث دخلتها القوات البريطانية فى ٣ مايو .

ومن هنا حدث ازدواج فى السلطة ، فإلى جانب سلطة الإدارة العسكرية البريطانية ظهرت سلطة الرابطة التى تستند إلى تأييد الشعب ، وحاول البريطانيون سلب الشعب فى بورما دوره السياسى بالضغط من أجل الإنفراد بالسلطة والإيقاع بين الأطراف المشكلة للرابطة ، ولكن الرابطة تمسكت بالنعزال من أجل الاستقلال ، مما اضطر بريطانيا للموافقة على التفاوض مع زعماء الرابطة البورمية وعلى رأسهم «أون سان» ، وبعد مفاوضات شاقة طوال أعوام ١٩٤٦ و ١٩٤٧م تم إعلان استقلال بورما رسمياً فى ٤ يناير عام ١٩٤٨م . ورغم أن بريطانيا قد احتفظت لنفسها ببعض الامتيازات إلا أن الثورة التحررية الوطنية لشعب بورما قد انتصرت .

الباب الثاني

أقطار جنوب آسيا

الفصل الأول : الهند

الفصل الثاني : باكستان

الفصل الثالث : أفغانستان

الفصل الرابع : إندونيسيا

الفصل الخامس : ماليزيا وسنغافورة

الفصل الأول

الهند

الهند والهندود - الدول الإسلامية - الاستعمار البريطاني - الإسلام

والمسلمون في الهند المعاصرة

الهند والهندود :

شبه القارة الهندية عالم قائم بذاته يعزله عن بقية قارة آسيا في الشمال جبال الهملايا الشامخة التي تعرف بسقف الدنيا ، وتتفرع منها في الشرق جبال آسام أما في الغرب فيتفرع منها جبال الهندكوش حتى الشاطئ جنوبا ، وفيما عدا ذلك فالبحر من ورائها محيط . وفي الهند تجرى أعظم الأنهار : الكنج والسند . والأول مقدس عند الهنادكة والثاني أطول بروافده ، وتضم وديان هذين النهرين أغلب أراضي الهند الزراعية وأخصبها ، والتي تعد أكثر مناطق الهند ازدحاما بالسكان ، وهذا إلى جانب عدة أنهار تجرى في هضبتها الوسطى - هضبة الدكن - وإلى الجنوب منها (١) .

أقدم من سكن الهند في الغالب أقوام لهم سمات الزنوج ، ثم وفد في عصر ما قبل التاريخ موجات بشرية من أواسط آسيا ، إلى جانب موجات آرية قادمة من الشمال الغربي . كان منهم الآريون والهياطلة والترك والمغول . ويمكن القول أن شبه قارة الهند إجمال لجميع أدوار تاريخ البشرية في شتى صوره ، ففيها تمثيل كامل لفروق الأدميين وما عرفوه من معتقدات منذ ظهور الوثنية حتى اهتداء الناس بالتوحيد (٢) .

ويمكن تحديد القوميات التي تسكن شبه القارة الهندية فيما يأتي :

١- البلوخ Baluch ، ويعيش معظمهم في السهول والجبال الجافة فيما يعرف الآن بولاية بلوخرستان الباكستانية والأقاليم المجاورة في السند والبنجاب إلى جانب أقلية منهم في بلوخرستان الإيرانية، وفي مناطق سيستان وريجستان الأفغانية .

١- د . أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٨ .

٢- نفس المرجع ، ص ٧ - ٨ .

٢- البنجابيون Punjabis ويرجع الاسم لسكانهم لأرض البنجاب ، وهم مجموعة سائدة فيما يعرف الآن بالباكستان والبنجاب الهندية .

٣- البوهتون Puhtun ويسكنون فيما يعرف الآن بالباكستان وأفغانستان ويطلق عليهم في الهند اسم الباتان .

٤- البنغاليون Bangalis ، ويسكنون إقليم البنغال في الهند القديمة.

٥- الأيماق Aimaq ويعنى الشعب القبلى ويسكنون فى غرب أفغانستان وما جاورها من خراسان الإيرانية .

٦- النورستان Nuristani ويعيشون فى شرق أفغانستان ، ويختلفون عن الأفغان من النواحي اللغوية والطبيعية والحضارية ^(١).

وكانت الهند مقر الديانة البراهمية التى تنتسب إلى «براهما» كما تسمى الهندوكية نسبة إلى الهند وينقسم الشعب الهندى إلى طبقات متباينة على شكل هرم فتصنف الكهنة فى أعلاه، يليهم المحاربون فالزراع فالخدم ، وهناك المنبوذون الذين ترفضهم كل طبقة وتحترقهم كل جماعة فلا يلتقون بهم كما أن الطبقات الأخرى ينفصل بعضها عن بعض بفواصل كبير ^(٢).

وفى شبه القارة الهندية ٢٤٠ لغة و ٣٠٠ لهجة ، وترجع لغات الشمال إلى الأصل الأرى فى حين تنتسب لغات الجنوب والوسط إلى الأصل الدراويدى . وللغة السنسكريتية من بين لغات الهند الأرية أهمية خاصة فهى لغة الكتب المقدسة الهندية القديمة. وهى من لغات إقليم البنغال، وقد ظهرت فى شكلها الحديث منذ حوالى ألف عام بعد الميلاد ^(٣).

أما اللغة الرسمية الأوردية فهى على رغم حداثة عهدها (قبل القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى) تعد أوسع لغات شبه القارة الهندية انتشارا وهناك اللغات البنغالية والبنجابية . والأوردو إحدى لغات المجموعة الإيرانية- الهندية ، وتعنى لغة المعسكر وقد دخلت مع المغول ، واكتسبت مكانتها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فأصبحت لغة المجتمع والإدارة المحلية فى شمال الهند .

١- د. السيد خالد المطرى : دراسات فى سكان العالم الإسلامى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، ص ٣٢٢-٣٢٩ .

٢- د. اسماعيل ياغى : تاريخ شرق آسيا الحديث ، ص ٣٥ .

٣- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق، ص ١٣ .

وهناك أيضا لغات البشتو الأكثر أهمية في أفغانستان باعتبارها اللغة الرسمية هناك إلى جانب انتشارها في إقليم الحدود الشمالية الغربية وإقليم بيشاور في باكستان الحالية. والبلوخية وتحدث بها جماعات البلوخ في أفغانستان وفي إيران والكشميرية وهي لغة سكان إقليم كشمير وهي من أصل سنسكريتي وتأثرت باللغة الفارسية^(١).

وتعددت ديانات أهل شبه القارة الهندية حيث هناك تمثيل كامل لمراحل العقائد من الوثنية حتى التوحيد ، والواقع أن نظم الهند الاجتماعية تقوم على معتقداتها ، ولقد عرفت الهند قبل عصر البراهمة جملة من الآلهة تمثل قوى الطبيعة مثل : أغنى إله النار موجب الكون ، وأندرا إله السماء الذي ينسب إليه البعض تسمية الهند ، وشورية إله الشمس ، وكان القوم يعتقدون كذلك بخلود الروح ويقدمون الموتى من أسلافهم ، كما يقدمون الأفاعى والقردة والنمور والثيران والأشجار . هذا إلى جانب البوذية وصاحبها «كوتامابد» والجينية وصاحبها «مهابير» بالإضافة إلى الديانة المسيحية والديانة الإسلامية^(٢) .

ومعظم مسلمو الهند سنيون فيما عدا أقلية شيعية في باكستان الحالية، الذين يتركزون في ولاية السند حيث تعتبر مدينة جندهور مركزا لهم ، كما أن لهم أحياء خاصة في مدينة كراتشى وبخاصة من الطائفة الإسماعيلية إلى جانب منطقة بلتستان في مقاطعة الحدود الشمالية الغربية وبخاصة في العاصمة بشاور إلى جانب وجودهم في بعض قرى البنجاب مثل مدينة «جنك»^(٣).

أما القاديانية التي تنسب إلى ميرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطا محمد القاديانى المولود عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م في بلدة قاديان إحدى قرى البنجاب ، والذي ادعى أنه المسيح المنتظر ، ثم ادعى النبوة ، فانتشر أساسا في باكستان الحالية ومركزهم الرئيسى بلدة «ربوة» ويشغلون الآن مراكز رئيسية في الجيش والبحرية والوظائف الحكومية، وقد أعلنت حكومة باكستان عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، أن القاديانيين غير مسلمين^(٤).

١- د. السيد خالد المطرى : المرجع السابق، ص ٤٦٠-٤٦٢ .

٢- د. أحمد محمود الساراتى : المرجع السابق، ص ١٠ .

٣- د. السيد خالد المطرى : المرجع السابق ، ص ٥١٤-٥١٥ .

٤- نفس المرجع، ص ٥٢١-٥٢٢ .

وتتواجد الديانات الوضعية فى بلاد شبه القارة الهندية بنسب متفاوتة فالبوذية توجد بنسبة قليلة جدا فى بنجلاديش الحالية وبخاصة بين السكان القبليين فى مناطق تلال شيتا جونج ، إلى جانب أقلية بوذية فى القسم الشرقى من ولاية كشمير وجامو. ويعيش فى بنجلاديش أيضا أقلية من أتباع البراهمة ، وأقلية مماثلة فى باكستان .

أما أتباع الديانة الهندوسية فيشكلون أقلية كبيرة من الهندوس وخاصة فى ولايات الحدود الغربية. ونسبة ضئيلة من الهندوس فى باكستان يقيمون فى البنجاب ، ويتركزون فى المدن الكبرى وفى إقليم الحدود الجنوبية الشرقية ، وتوجد أقلية ضئيلة من الهندوس فى أفغانستان ولكن النسبة ترتفع إلى ٢٠٪ فى ولاية كشمير وجامو من السكان من الهندوس (١).

كما يوجد أتباع لبعض الديانات قليلة الأهمية فى شبه القارة الهندية، مثل السيخ الذين يمثلون أقلية ضئيلة فى كشمير وجامو، ويوجد بعضهم فى باكستان الحالية ، وزعيمهم جورو الذى تأثر بالإسلام والهندوسية معا، ويحرمون حلق الشعر وبخاصة الشارب واللحية .

كما توجد قلة تتبع «الراجبوت» الذين يعتقدون أنهم ينحدرون من النار ، فى باكستان الحالية ، وهم إما من الهندوس أو المسلمين ، والجينيون الذين ينظرون إلى كل ما فى الطبيعة على أنه كائن حى، ويمنعون الأذى عن أحقر الكائنات ، ويوجد بعض أفرادهم فى باكستان الحالية ، وهذه الديانات من الديانات الوضعية (٢).

وقد دخل المسلمون إلى شبه القارة الهندية حينما بدافع دينى مجرد من كل مصلحة. ودخلوها حينما آخر كغزاة فاتحين وملوك طامحين كالسلطان محمود الغزنوى ، وشهاب الدين محمد الغورى ، وظهير الدين بابر التيمورى. وقد دخل المسلمون فى الهند وهى تعجز بحضارة أصيلة عريقة فى القدم وفلسفة عميقة وخيرات عظيمة ، ومع ذلك كانت تعيش منذ قرون فى عزلة عن العالم .

دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمة فى الشرق ، بل فى العالم المتمدن المعمور فى ذلك العهد يحملون دينا جديدا سمحا وعلوما اخترمت وتوسعت وحضارة تهبذت وورقت حواشيتها . ونتاج حضارات متنوعة متعددة ، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ولطافة حسن الفرس وفروسية الترك (٣).

١- د. السيد خالد المطرى : المرجع السابق، ٥٢٢-٥٢٦ .

٢- د. السيد خالد المطرى : المرجع السابق ، ص٥٣٩-٥٤١ .

٣- أبر الحسن على الحسنى الندوى : المسلمون فى الهند، الهند لكهنتر ١٩٨٧ ص١٢-١٤ .

الدول الإسلامية

دخل الإسلام إلى شبه القارة الهندية على أيدي التجار العرب إذ كان للعرب علاقات تجارية مع الهنود ترجع إلى سنوات طويلة قبل ظهور الإسلام ، ولكنهم حين وفدوا إلى شبه القارة الهندية مسلمين فى مطلع القرن العاشر الميلادى أقاموا على طول الساحل الغربى وتزاجوا مع أهل البلاد حتى إذا جاءت الفتوح الإسلامية فى عهد الأمويين وجدت الطريق مهيأ لنشر العقيدة الإسلامية ، حتى إذا أخذ نفوذ العباسيين يتقلص عن الهند بضعف دولة الخلافة استقل بحكمها بعض الأمراء ، وكان هذا النفوذ غالباً فى غرب الهند ، أو إن شئنا التحديد ، قلنا فى أرض السند وهى المنطقة التى تكون باكستان اليوم^(١) .

ومما تجب ملاحظته أن المسلمين منذ أن دخلوا السند وانحدروا منها إلى بقية شبه القارة الهندية لم يتخلوا عن هذه البلاد قط، كما أن الفاتحين الذين جاؤا قاصدين الهند وفدوا بطريق السند- باكستان الحالية- من الشرق أو من الغرب ثم انحدروا إلى الهند^(٢) وكان أول فتح إسلامى كبير للهند هو ذلك الفتح الذى قاده محمود الغزنوى أمير الأفغان عام ١٠٠١م حيث اتخذ من البنجاب مركزاً انطلق منه الفاتحون الإسلاميون بعده لفتح بقية أجزاء شبه القارة الهندية بل ولنشر الإسلام الذى وجد قبولا كبيرا لدى أهل الطبقات الدنيا والفقيرة من الهنود الذين دخلوا الإسلام أفواجا وتمتعوا بما ينادى به الإسلام من أخوة حتى كانوا بعد ذلك يرتقون إلى مستوى الفاتحين^(٣) .

ومنذ أن وفد الإسلام إلى الهند والمسلمون لهم القوة والجاه والسيادة فى شبه القارة الهندية، فكانت الدولة الإسلامية التى أسسها قطب الدين محمد الغورى عام ٥٨٩هـ الموافق ١١٩٣م ، على أنقاض الدولة الغزنوية ، أقوى دولها ، فقد وسعت كل شمال الهند من مرتفعات «فنديا» جنوباً إلى جبال «الهملايا» شمالاً ، ثم تلتها أسرات إسلامية قوية حكمتها خلال القرون الخمسة التالية متخذة من دهلى مركزاً وعاصمة للدولة الإسلامية ، وإن لم تحاول التوسع جنوباً أو تجعل من الهند كلها دولة إسلامية موحدة .

١- عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين فى تحرير الهند ، ص ١٩ .

٢- د. إحسان حقى : باكستان ماضيها وحاضرها ، ص ٤١ .

٣- لوثرروب ستوارد : حاضر العالم الإسلامى، ج٤ ، ص ١٨٠ .

حتى إذا كان عام ٩٣٢ هـ الموافق ١٥٢٦م حكمت الهند الدولة «التيمورية» أو الدولة المغولية التي كان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامي في شبه القارة الهندية ، وبلغت من القوة والاتساع حدا لم تشهده دولة إسلامية سابقة في الهند وشهدت البلاد في عهدها حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية .

وكان دخول الإسلام إلى البنغال الشرقية- جمهورية بنجلاديش الإسلامية حاليا- أعظم دليل على قوة الإسلام ومبادئه التي جذبت إليها كثيرا من الهندوس فأقبلوا على اعتناق الدين الإسلامي أفواجا ، ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي غزت هذه البلاد أسرة هندوكية متعصبة نزلت عليها من الجنوب وفرضت نظام الطبقات الهندوكي في صرامة وشدة وتعصب ، فلما جاء المسلمون وغلبوا هذه الأسرة الحاكمة ودعوا للدين الإسلامي استهوت دعوتهم المغلوبين على أمرهم ورأوا في الدين الجديد مساواة لم يروها في الديانة الهندوكية فأقبلوا على اعتناقه وتحولوا من الهندوكية إلى الإسلام ، وكان للدعاة والتجار المسلمين الذين انحدروا إلى تلك المناطق الموسمية الغنية الففضل الأول في نشر الدين الإسلامي في أرجائها الواسعة ، وكان انتشار الإسلام في هذه المناطق وفي اندونيسيا والملايو والصين على أيديهم .

ولكن منذ القرن السادس عشر أخذت الدولة الإسلامية في الهند تضعف وتتفكك رقعتهما الواسعة بإعلان بعض الأمراء استقلال المناطق التي يحكمونها ، وشعر البراهمة بأنهم مهددون بالخراب والاندثار فشرعوا يبشرون بدعوة لليقظة الهندية فآل الأمر إلى تضعف سلطان السلالة المغولية^(١) . وجمع بعض أمراء الهندوس والسيخ الجيوش وشنوا حروبا على الدولة الإسلامية واقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها ، والملوك المسلمون في دهلي يضعفون شيئا فشيئا ، وينحسر نفوذهم وينكمش ، حتى لم يعد لهم سلطان ولا نفوذ^(٢) حتى إذا كان أوائل القرن الثامن عشر انقرضت المملكة المغولية^(٣) .

جاءت فتت الدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية مهينا للأطماع الاستعمارية الأوروبية لكي تحقق أهدافها ، فإلى جانب البرتغال ظهرت شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند

١- لوثرروب ستوارد : المرجع السابق، ص ١٨٠ .

٢- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٢١ .

٣- لوثرروب ستوارد : المرجع السابق، ص ١٨٠ .

الشرقية الفرنسية وشركة الهند الشرقية البريطانية متصارعة جميعا لبسط نفوذها على ممتلكات الدولة الإسلامية في الهند. وانتهى الصراع بفوز شركة الهند الشرقية البريطانية بالغنيمة^(١).

ولقد تركت الدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية آثارا آية في الروعة والعظمة منها على سبيل المثال لا الحصر مقبرة السلطان «جهان كير» وهي تقع في بستان كبير يقع على بعد بضعة كيلومترات من مدينة لاهور ، وكتب على المقبرة : نور الدين محمد جهان كير بادشاه ١٠٣٧هـ ، وقبر زوجته «نورجهان» المشابه لمقبرته والتي تبعد عنها بحوالى كيلو متر واحد^(٢). كما كان من الآثار الإسلامية كذلك قبر «تاج محل» الذى بناه السلطان «جهان شاده» سنة ١٦٣٠م لزوجته المحظية التى كان قد ملك هواها قلبه وتدعى «الأميرة ممتاز محل» فى «أجرا» التى تقع الآن فى جمهورية الهند ، وكانت الأميرة «ممتاز محل» قد ماتت وهى نساء فى مقتبل العمر فناشدت السلطان أن يخلد اسمها فى بناء عظيم الشأن فبنى لها ذلك المدفن النادر المسمى بالتاج^(٣).

الاستعمار البريطانى

أخذت شركة الهند الشرقية البريطانية تخطط للإنفرد بالنفوذ الأعلى فى شبه القارة الهندية منذ عام ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م دون معارضة الدولة الإسلامية بالهند، فعمدت إلى الإيقاع بين الأمراء المسلمين بإعانة البعض بالمال والرجال ضد البعض الآخر، وما كاد ينتصف القرن الثامن عشر حتى أمسكت الشركة بدخل الولايات الإسلامية وغير الإسلامية فى شبه القارة الهندية، وقد أساء هذا الوضع أمراء الدولة الإسلامية فتعددت مواقفهم الحازمة ضد

١- وكان البرتغاليون أول قوة أوروبية تصل إلى الهند عندما وصلها «فاسكودا جاما» عام ١٤٩٨م ومنذ ذلك الوقت بدأ تكريم المستعمرات البرتغالية فى ساحل الهند الغربى وفى جزر الهند الشرقية . وظلت البرتغال تحتكر التجارة الهندية والنفوذ فى المياه الهندية حتى زاحمتها هولندا وفرنسا ثم بريطانيا التى انفردت بالسيطرة بعد ذلك .

٢- د. إحسان حقى : باكستان ، ص ٩٠-٩١ .

٣- لوثرروب ستوارد : المرجع السابق، ص ٣٢١ . ويمكن الاستزادة من معلومات حول تاج محل من كتاب دكتور إحسان حقى ، إلى جانب ستور دارد .

مؤامرات الشركة البريطانية ، كان من بين هذه المواقف موقف الأمير «سراج الدولة» فى البنغال عام ١١٧٠هـ الموافق ١٧٥٧م وموقف الأمير «حيدر» فى الجنوب فى عام ١١٩٥هـ الموافق ١٧٨١م وموقف ابنه «السلطان تيبو» ، إلا أن هذه المواقف لقيت الفشل بسبب خيانة بعض القواد وضعف نفوس بعض أمراء الولايات الذين استمالهم الإنجليز^(١).

وكان المسلمون أصحاب السيادة فى الهند حتى بدأت جولة الإستعمار الأوروبى ودخلت الهند تحت النفوذ البريطانى فعملوا على إضعاف المسلمين وكسر شوكتهم حتى يلين لهم الأمر فى المستعمرة الغنية الواسعة ، ورغم أن شركة الهند الشرقية البريطانية بدأت نشاطها فى الهند بالسعى إلى جنى الأرباح وكسب الأموال ، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى حكومة ذات سياسة طموحة ترمى إلى الفتح والامتلاك فكان من شأن هذا التحول أن أيقظ الكثير من أهل الهند إلى حقيقة السياسة البريطانية الاستغلالية مما كان السبب فى انفجار بركان الثورة عام ١٨٥٧م^(٢).

ترغم الثورة ضد الإنجليز المسلمون وبعض الهندوس الذين نكبهم الإنجليز ، وبسبب تأخر الثورة وسياسة الإنجليز فرق تسد فقد فشلت الثورة ، وتحمل المسلمون وحدهم نتائج فشلها ، ونتج عن هذه الثورة إصدار قرار من الحكومة البريطانية بألغاء حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية فى الهند عام ١٨٥٩م وجعلت الهند تابعة مباشرة للتاج البريطانى ، ونودى بعد ذلك بالملكة فكتوريا ملكة بريطانيا إمبراطورة على الهند كذلك ، ونجم عن كل ذلك تقوية السلطة السياسية البريطانية فى الهند وزيادة تغلغل النفوذ الأوروبى الذى اندس فى كل نواحي الحياة كالتعليم والمواصلات وغيرها من الجوانب التى كانت وسائل لانتشار نظم الحياة والآراء الأوروبية .

وبعد إخماد الثورة أصبح الهدوء يعم كل أرجاء الهند وانزوى المسلمون بعيدا عن التعاون مع الحكم الجديد ، وآثروا أن يتعدوا عن المدارس المدنية التى أنشأها الإنجليز بالهند ، وكانوا يريدون منها تخريج طائفة من الموظفين تعرف الإنجليزية وتلم ببعض العلوم الحديثة لتساعدهم فى مقاصدهم الاستعمارية بالهند ، وكان المسلمون حكام البلاد قبل الإنجليز قد أبوا أن

١- د. عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٢٣ .

٢- لوثرروب ستوارد : المرجع السابق، ص ١٨١ .

يستخدمهم الإنجليز فى هذه المقاصد ، وآثروا أن يقتصروا على التعليم فى مدارسهم الدينية وأن يبتعدوا عن هذه الوظائف ، وقد زاد هذا فى تأخرهم وفقهم ، وفى ظهور طائفة الهندوس عليهم لأنهم لم يأبوا الإلتحاق بالمدارس التى أنشأها الإنجليز ، ولم يأبوا الإلتحاق بتلك الوظائف (١) . وهكذا بقى المسلمون فى عزلتهم بينما أقبل الهندوس على المدارس التى افتتحتها الإنجليز فى الهند ، وأصبحوا وقد آل إليهم كثير من أمور البلاد مما لايليه الإنجليز ، وتسلم المسئولون البريطانيون البلاد التى كانت تسرى فيها الثقافة والحضارة الإسلامية ليطبعها بطابعه ، ويقضى على كل أثر فيها للحكم الإسلامى السابق ليفتح الطريق لثقافته ونفوذه (٢) .

وفى هذه الحال من التأخر والانحطاط اللذين نزلا بالمسلمين فى الهند كما نزل بغيرهم من المسلمين فى بلاد الإسلام الأخرى، قام السيد «أحمد خان» يدعو المسلمين إلى حياة جديدة وتفكير جديد ورسم لهم السبيل وخط النهج الذى يسلكون ، وكان طريق العلم والمعرفة ، ووضع أساس جامعة «عليكرة» وأصدر عددا من الصحف تدعو لفكرته فيها، وعمل طوال حياته على جمع شتات المسلمين وتوحيد صفوفهم وبعث الإيمان العميق بحضارتهم وقوتهم كما كان أجدادهم الأوائل . ووضع رسالة باللغة الأوردية الهندية أشاد فيها بشورة عام ١٨٥٧م وأثبت أنها ثورة شعبية قامت بسبب المظالم التى تقع من الإنجليز فى الهند إلى ما يروونه من سعيهم فى تغيير عقائدهم، ومساعدتهم المبشرين المسيحيين فيما يأتونه من الطعن فى هذه العقائد (٣) .

وفى ظل الضعف الذى ألم بالمسلمين بدأ الهندوس يشنون حملاتهم على المسلمين ، ودفع الإنجليز المرابين الهندوس إلى انتزاع أملاك المسلمين ، وتولى الوظائف الكبيرة فى الدولة ووضع العراقيل المادية فى سبيل الذين يحترفون التجارة من المسلمين ، ونفخ الاستعمار فى لهيب الخلاف بين الطائفتين وازدادت شدة الخلافات بينهما حتى آمن السيد «أحمد خان» بأن الهندوس والمسلمين لن يجمع بينهما وثام ، ولن تكون ألفة بين الفريقين ، وأن الأقلية الإسلامية ستضيع فى ذلك المحيط الهندوسى الزاخر .

١- عبد المتعال الصعدي : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٨٣ .

٢- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٢٣ .

٣- عبد المتعال الصعدي : المرجع السابق، ص ٤٨٤ .

وجاء توجيه الإنجليز للهندوس عام ١٨٨٥ بتأسيس حزب هو حزب المؤتمر الذي لم ينشأ نتيجة قوة وطنية كتلك التي رأيناها في مصر عند انتهاء الحرب العالمية الأولى وتأسيس حزب الوفد المصرى وغيره، ولم يدفع إلى تأليفه رغبة في استقلال ولو ذاتيا ، ولكنه كان من تأليف وإخراج الحكام الإنجليز أنفسهم ، ومن ثم صار الحزب فى سنواته الأولى يعلن الولاء التام للحكوم البريطانية^(١).

وتأليف حزب المؤتمر أدرك السيد « أحمد خان » المؤامرة الإنجليزية الهندوسية على المسلمين فحذر المسلمين من عواقبها وطلب إليهم عدم التعاون مع حزب المؤتمر ، وانصاع المسلمون إلى أقوال السيد أحمد خان وابتعدوا عن حزب المؤتمر ، ولكن الحكومة البريطانية استمرت فى تدعيم الحزب وطلبت إلى القائمين عليه أن يستمروا فى أعمالهم^(٢).

وحرص الإنجليز على أن يضموا إلى حزب المؤتمر ممثلين للمسلمين حتى يأخذ الصبغة العامة للبلاد وسكانها ، وإن كان هذا قد لقي معارضة شديدة من جانب المسلمين فى الوقت الذى لقي فيه تأييدا من جانب آخر منهم ، وكان رئيس الجلسة الأولى التى عقدت فى « بومباى » السيد رحمة الله « أحد التجار المسلمين المعروفين فى بومباى مع السيد «بونارجى» «الهندوسى»^(٣) وبتدعيم من السلطات الإنجليزية اتخذ الهندوس موقفا عدائيا من المسلمين مما جعل السيد / أحمد خان يدرك أن الحضارة الإسلامية والحضارة الهندوسية حضارتان متنافرتان ، هذا فضلا عن اختلاف اللغة والتقاليد ، فرفض أن يشترك المسلمون فى أى تمثيل نيابى للهند ، وقال فى ذلك : فى بلد كالهند تنقسمه الطبقات وتنوشه النزعات الدينية المتفرقة الحادة وليس فيه من أسباب التربية والإدراك الصحيح ما يدفع الناس إلى الإيمان بالمساواة والعدالة فى الحقوق والواجبات ، أرى بل أومن أن الانتخاب والتمثيل النيابى ضار أكثر من نافع^(٤).

وانطلاقا من هذه الدعوة فقد دعا المسلمين إلى عقد مؤتمر يضم ممثلى المسلمين فى كافة الأقاليم الهندية المختلفة ، فوضع بذلك الأساس الذى قامت عليه الرابطة الإسلامية التى قادت

١- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٥٣ .

٢- إحسان حقى : مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٠ .

٣- عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص ٥٣-٥٤ .

٤- عباس محمود العقاد : محمد على جناح ، ص ٤٥ ، دار الهلال .

الحركة الإستقلالية لدولة باكستان ، كما دعا المسلمين إلى نبذ جمود العلماء والعمل على تكوين جيل جديد فى الهند يجمع بين الثقافتين الإسلامية والأوروبية ، والنهوض بكل نواحي حياة المسلمين فى الهند فى دينهم وديناهم . وتوفى عام ١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م بعد أن وضع فى الهند أول بذرة فى الإصلاح الحديث ^(١) ، ولا يقلل من جهوده اتهامه بمسألة الإنجليز ، أو قيامه بتفسير القرآن الكريم تفسيراً غير مألوف عند علماء المسلمين فى عصره .

وفى عام ١٩٠٥ أعلن نائب الملك فى حكم الهند اللورد «كيرزن» أن بلاد البنغال كبيرة جدا على حاكم واحد فقسمها إلى ولايتين ، وقد استنكر الهندوس هذا التقسيم الذى أعطى المسلمين الولاية التى أكثرتها مسلمة ، وأن هذا العمل يضعف روح الوطنية الهندية لاسيما وأن البنغال هى أقوى مركز لحزب المؤتمر ، كما أن هذا العمل يجعل المسلمين والطبقات الدنيا تشارك الهندوس فى وظائف الدولة ^(٢) .

وفى مقابل ثورة الهندوس فرح المسلمون بقرار التقسيم للبنغال وأسسوا عام ١٩٠٦م حزب الرابطة الإسلامية الذى نادى بكفالة حقوق المسلمين وحماية حقوقهم السياسية والإدارية ومن ثم كان قيامه البداية الحقيقية للحركة القومية التى سار فيها مسلمو الهند وجاء تأسيس هذا الحزب فى اجتماع عقده ممثلو المسلمين فى مدينة «داكا» فى ذلك العام ١٩٠٦م- وانتخب «أغاخان» أول رئيس له ، وظل كذلك حتى عام ١٩١٢م ^(٣) انطلاقاً من أن «أغاخان» ترأس وفد المسلمين الذى قابل نائب الملك وقدم له عرائض بمطالب الهند الداعية إلى إجراء انتخابات على الطريقة الطائفية بحيث يكون للمسلمين حق انتخاب ممثليهم المسلمين ولا يشتركون فى الانتخاب العام .

وكانت حكومة الهند قد لجأت إلى تقسيم البنغال إرضاء للمسلمين ومنعاً للاحتكاك بينهم وبين الهندوس إلا أن غضب الهندوس لهذا القرار لم يجاوزه حد ففارت ثائرتهم ، هذا مع العلم بأن حكومة الهند استندت فى إصدار هذا القرار إلى أن المسلمين مازالوا حتى ذلك الوقت يملكون من الأرض فى شبه القارة الهندية أكثر مما يملك الهندوس وأن عددهم فى الجيش أوفر

١- عبد المتعال الصعيد : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٨٥ .

٢- إحسان حقى : المرجع السابق، ص ١٦٥ .

٣- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٧٣ .

من عدد الهندوس^(١) ومع ذلك بدأت المعارك الطائفية على أشدها بين الفريقين حتى دفعت المعتدلين من المسلمين إلى التخلي عن عزلتهم والنزول إلى ميدان المعركة ، فأخذوا يطالبون بتمثيل المسلمين في إدارة البلاد كطائفة لها كيائها وذاتيتها الخاصة .

وقد ساعد على حدوث المعارك الطائفية في الهند روح الحقد والكراهية للمسلمين التي نفخها في الهندوس زعيم منهم يدعى «بال كندادهار تيلاك» الذي دعى بأبى الاضطراب الهندى وكان تيلاك هذا وهو برهمى روح الحركة وعرقها النابض ولسانها الناطق نال حظا وافرا من التهذيب والعلوم الغربية ، وكان عدوا شديدا للحكم البريطانى والحضارة الأوروبية ، وداعيا عظيما يتسلط على القلوب فتقناد إليه ، وكانت صحيفته المسماة «ياكتار» فى كلكتا تحمل الشعب على الهياج والاعتتيال والثورة^(٢).

ونتيجة لضغط الهندوس تراجعت الحكومة الإنجليزية عن قرار تقسيم البنغال وأعلنت فى يناير ١٩١١م توحيد البنغال تحت إدارة موظف كبير برتبة حاكم ، وإيجاد ولاية باسم «بهارواريسة» يديرها موظف برتبة نائب حاكم ، وإعادة فصل أسام عن البنغال تحت إمرة موظف برتبة محافظ ، ونقل العاصمة من «كلكتا» إلى «دهلى»^(٣) فاهتزت أفئدة المسلمين هلعا لهذا القرار ، ورأى حزب الرابطة الإسلامية أن يطالب بحكومة ذاتية للهند .

وشهدت السنوات التالية من سنى الحرب العالمية الأولى تعاوننا بين حزب المؤتمر وحزب الرابطة الإسلامية فى الهند لوضع قواعد الحكم الذاتى ، وكانت العلامة الكبرى من علامات سمو النهضة الهندية هو جنوح جانب من الرأى الإسلامى العام إلى الأخذ بنصرة الحركة الوطنية، ولكن دون الاشتراك فى إيقاد الفتن والعبث بالأمن ، وكان ذلك الإنضمام منهم من بعد ما قطع لهم معتدلة الهندوس الوعود والعهود وأكدوا لهم وقوفهم إلى جانبهم موقف الصديق الصفى^(٤).

١- د. إحسان حقى : المرجع السابق، ص ١٦٦ .

٢- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق، ص ١٨٧ .

٣- د. إحسان حقى : المرجع السابق، ص ١٦٩ .

٤- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق ، ص ١٩١ .

ونتيجة للتعاون بين المسلمين والهندوس فى إطار حركة وطنية هندية واحدة أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى ظهور ما عرف باسم «ميشاق لنكاو» عام ١٩١٦م الذى حدد أهداف الحركة الاستقلالية فى الهند واعترف للمسلمين بحق التمثيل الطائفى فى الانتخابات النيابية، فحلت بذلك مشكلة من أعقد المشكلات التى واجهت تعاون الهندوس والمسلمين ، غير أن الاشتباكات الطائفية تجددت فى العام التالى فعكرت الصفاء الذى ساد علاقات الفريقين فى مؤتمر «لنكاو» وبدا أن قيام اتحاد بين المسلمين والهندوس ضرب من المستحيل .

وفى الوقت الذى كان فيه المسلمون يخلصون لتحالفهم مع الهندوس ويعادون بذلك الحكومة الإنجليزية ، كان الهندوس يتقربون من الإنجليز سرا .وبالوئهم وبحرضونهم على المسلمين فصار المسلمون بعد أن كانوا أمام عدو واحد هو الهندوس أمام عدوين هم الهندوس والإنجليز (٢).

ونتج عن ذلك اضطهاد لزعماء المسلمين من جانب الحكومة البريطانية ونفى لأهم الزعامات الإسلامية أمثال «مولانا محمود الحسن» الذى لقبه «بشيخ الهند» والذى خرجت البلاد كلها لاستقباله حين عودته من منفاه عام ١٩٢٠م - وكان غاندى الزعيم الهندوسى ممن خرج لاستقباله - وهو فى مستهل حياته السياسية ، والذى عاد من منفاه ليعلم حركة المقاطعة ضد الإنجليز ويدعو لترك مدارسهم وترك جامعة «عليكرة» التى أصبحت وكرا لهم، وإنشاء جامعة إسلامية جديدة ، كانت هى «الجامعة المليية الإسلامية» العظيمة الشأن الآن فى نيودلهى ، ويدعو كذلك لرد الألقاب إليهم وترك التعامل معهم عملا بالمبدأ الإسلامى الذى أعلنته هذه الآية الكريمة : يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء (٣).

وبنهاية الحرب العالمية الأولى حاولت إنجلترا إعطاء الهند حكما ذاتيا يقوم على تقسيم السلطة فى الهند بين مستشارين تعينهم السلطة التنفيذية البريطانية ، وبين وزراء تنتخبهم الهيئات الانتخابية التشريعية وعلى هذا الشكل والنظام تتكون الحكومة المركزية فى العاصمة وحكومات الأقاليم ، أما الهيئة التشريعية فينتخب أعضاؤها انتخابات على نطاق أوسع مما كان سابقا ، وتصبح لها سلطات أكثر من صفتها الاستشارية، وإن ظلت الشئون المالية

١- لنكاو اسم بلدة تقع فى البنجاب عقد فيها المؤتمر .

٢- د. إحسان حقى : المرجع السابق، ص ١٧٠ .

٣- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٠ .

غير خاضعة لهذه الهيئة التشريعية ، وأن هذا النظام وسيلة يتم بها انتقال السلطة من الحكومة البريطانية إلى الحكومة الوطنية (١).

ومنذ أن أعلن عن هذا المشروع البريطاني للحكم الذاتي في يوليو ١٩١٨م أخذت الاعتراضات والمظاهرات بل والثورات تتوالى على الهند استنكارا وخاصة الأحزاب الإسلامية والطوائف الهندوسية الدنيا التي خشيت من أن تضيع حقوقهم في ظل السيطرة الهندوسية المتطرفة ، ورغبة منها في حمل الحكومة البريطانية على توسيع نطاق الحكم الذاتي، ومع ذلك أقر البرلمان البريطاني المشروع في ربيع عام ١٩١٩- مما نتج عنه مصادمات دامية بين الجنود الإنجليز والثوار الهنود ، وعندما غلبت القوة البريطانية لجأ الهنود إلى ما عرف بسياسة «اللاتعاون» أو «العصيان المدني» أو «المقاومة السلبية» ، والتي نسبت إلى الزعيم الهندي غاندى لتحرير البلاد من سيطرة الاستعمار منذ عام ١٩٢١ حتى استقلت الهند سنة ١٩٤٧م. والذي يعتبر بحق باعث حركة «اللاعنف» أو ضبط النفس وعدم استعمال القوة في الحصول على الحق (٢).

الإسلام في الهند

وكان تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية عميقا في عهود الدول الإسلامية لشبه القارة الهندية . إن فكرة عبادة الله في «الهنادك» مدينة للإسلام . إن قادة الفكر والدين في هذا العصر وإن سمو آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله، وصرحوا بأن الإله واحد وهو يستحق العبادة ، ومنه تطلب النجاة والسعادة. وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في العهد الإسلامي كديانة «باجتى» ودعوة «كبير داس» وهو شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندي ويدعو إلى الإصلاح ، اختلف الناس في ديانته (٣).

ويقول «نهرو» معلقا عن أثر دخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية: إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، إنه فضح الفساد الذى كان قد انتشر في المجتمع الهندوكى. إنه قد أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ وحب

١- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق، ص ١٩٣ .

٢- د. عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦ .

الإعتزال عن العالم الذى كانت تعيش فيه الهند. إن نظرية الإخوة الإسلامية والمساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها أثرت فى أذهان الهندوس تأثيرا عميقا ، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندى المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية (١).

كذلك أثر الإسلام فى حياة الهنود الاجتماعية مثل إصلاح تقليد ما يسمى «ستى» وهو إحراق الأرملة نفسها أثناء عملية إحراق جثمان زوجها الميت حيث لايرين ولايرى المجتمع لهن حقا فى الحياة بعد الأزواج . وجاء هذا الإصلاح عن طريق موافقة الحاكم الذى لم يكن يأذن بهذه العملية لأن الإسلام يحترم المرأة ويسمح لها بالحياة والزواج بعد وفاة زوجها .

وقد نقل المسلمون إلى الهند علوما جديدة مثل العلوم الإسلامية ، وعلم التاريخ ، حيث كانت الهند فقيرة فى التاريخ ، حيث كون المسلمون مكتبة تاريخية هائلة من أوسع المكتبات التاريخية فى العالم ، وفيما عدا بضعة كتب دينية دفنت فيها بعض حوادث تاريخية كأساطير وقصص ، يعسر جدا معرفة أحوال الهند القديمة ، كما يعسر معرفة أحوال جزيرة «أطلانتس» الخيالية التى ذكرها أفلاطون أنها دمرت فى انقلاب أرضى . والحق أن دور الهند التاريخى لم يبدأ إلا بعد الفتوحات الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى بفضل المؤرخين المسلمين (٢).

وقد اكتسب الهنود من دخول الإسلام بلادهم توسعا فى الخيال وجدة فى التفكير نتيجة احتكاك الحضارة الإسلامية المزدهرة بالواقع الهندى المتلقى للمؤثرات الحضارية الإسلامية . وكان مما منح المسلمون للهنود هذه اللغة الجميلة الواسعة التى أصبحت لغة التفاهم ولغة العلم فى الهند التى عرفت بكثرة اللغات واللهجات . ونعنى بها لغة «أردو» . كما كان تأثير المسلمين فى المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه فى نواح أخرى ، فقد أدخلوا فى هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة فى هذا القطر ، كما تختلف الحياة فى أوروبا اليوم عن الحياة فى العصور الوسطى (٣).

G . Nihrou : Discovery of India pp. 335-526 .

-١

٢- أبو الحسن الندوى : المرجع السابق ، ص ١٩ .

٣- نفس المرجع ، ص ٢٠ ولغة أردو مزيج من اللغات الأربعة: العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية .

ومن مظاهر تأثير المسلمين فى ثقافة الهند وحضارتها تأثير اللغة العربية التى حملوها إلى هذه البلاد فى لغات الهند ولهجاتها وأدبها وحضارتها . وذلك أن المسلمين فى الهند أوفياء لوطنهم لا يتشاغلون عن خدمته والتقدم به فى ميادين العلم والصناعة والمدنية أوفياء لدينهم وثقافتهم الإسلامية العربية لا يتخلفون عن ركبتها ولا ينقطعون عنها . ومن ثم نجد أن حضارة الهند المعاصرة وليدة عاملين ومؤلفة من تأثيرهما وانعكاساتها ، أولهما المعتقدات الدينية - المبادئ الإسلامية للحياة والأخلاق- وثانيهما تأثير الحضارة المحلية فى البلاد والاتصال بعناصر السكان الأخرى والاختلاط بهم^(١) .

وقد كان للمؤسسات الإسلامية دورها الكبير فى الهند مثل معهد «ديوبند الكبير» أو دار العلوم فى قرية «ديوبند» التابعة لمدينة «سهارنور» عام ١٢٨٣هـ . وقد أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية فى قارة آسيا ، إلى جانب مدارس أخرى مثل المدرسة السلفية فى «بنارس» التى تأسست عام ١٣٨٣هـ ومدرسة جامعة الرشاد وجامعة «على كره الإسلامية» التى أسسها الزعيم المسلم الشهير «سرسيد أحمد خان» باسم مدرسة العلوم ، والجامعة المليية الإسلامية عام ١٩٢٠م وكان على رأسها ذاكر حسين الذى صار رئيسا لجمهورية الهند فيما بعد وتوفى عام ١٩٦٩م ، والجامعة العثمانية فى حيدر آباد ، وندوة العلماء التى أسست بمدينة لكهنؤ مدرسة دار العلوم عام ١٣١٢هـ وغير ذلك كثير من المؤسسات التعليمية الإسلامية^(٢) .

كما لقيت الطرق الصوفية الإسلامية دورا بارزا فى الهند ، وعلى الرغم من أن طرق التصوف المعروفة ظهرت خارج الهند ، ولكنها نالت أكبر قسط من القبول والانتشار والازدهار فى الهند بسبب أوضاعها الخاصة وطبيعتها ، ثم نبعت من هذه الطرق والسلاسل فروع هندية الأصل ، واتخذت شكل طرق مستقلة بذاتها ، وبرز فيها أئمة مجتهدون أنشأوا طرقا مختلفة .

وبجانب تلك الطرق الصوفية المشهورة مثل القادرية والجشتيمية والنقشبندية والسهورودية التى ترعرعت فى الهند وازدهرت ، طرق وسلاسل أخرى وليدة هذه البلاد فحسب ، وهى تنتمى إلى شخصيات نبغت فى الهند ودفنت فى أرضها مثل الطريقة الفردوسية والمدارية

١- نفس المرجع ، ص ٧١ .

٢- نفس المرجع ص ١١٤-١٣٢ .

والقلمندرية والشطارية والمجددية . وقد أصبحت الهند حاملة لواء التصوف وإصلاح الباطن منذ بداية القرن الحادى عشر وزعيمها إذ ذاك الشيخ أحمد السرهندى ونجله وخليفته محمد معصوم اللذان أفاد منهما العالم مدة طويلة من الزمن^(١).

وما زال المسلمون فى الهند حتى الآن والذين يزيد عددهم عن ١٥٠ مليون مواطن يمثلون الإنسانية الممتازة فى الأخلاق والعادات ومنهج الحياة عند كل مسلم يسكن فى شمال الهند أو فى جنوبها أو فى شرقها أو فى غربها . كما أن من سمات المسلمين فى الهند حبهم الشديد للنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذى ظهر فى نشاطهم الثقافى سواء فى شعرهم أو فى عباداتهم . إلى جانب حرصهم على التعلم واكتساب العلم وتحصيله ، ورفض العنصرية والوطنية المحدودة ، ومن ثم نجدهم يتعاطفون مع مشكلات المسلمين فى أنحاء العالم .

وانطلاقاً من تمسك المسلمين فى الهند بآسلامهم فقد تزعم كثير منهم حركة معاداة الاستعمار البريطانى لبلادهم ، أمثال الملك الهمام الشهم الغيور «فتح على خان» المشهور بالسلطان تيبو عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٩م، وقد وصفه غاندى فى صحيفة «الهند الفتاة» بالعظمة والوطنية الخالصة وتسامحه الكبير ، وقال : لا يعرف أعظم منه فى شهداء الوطن والأمة . والملك المغولى الأخير «سراج الدين بهادرشاه» الذى كان يتخذ من مدينة دهلى عاصمة لحكمه والإنجليز يحكمون البلاد باسمه ونيابة عنه ، حتى قامت ثورة مايو عام ١٨٥٧ فقادها بالإضافة إلى مولانا أحمد الله ومولانا لياقت على وغيرهما من العلماء والمشايخ الذين أسهموا فى الحركة الوطنية ضد الحكم البريطانى إلى جانب الزعماء الهندوس مثل غاندى ونهرو وغيرهما ، حتى استقلت شبه القارة الهندية فى عام ١٩٤٧م لتقوم فيه دولتان مستقلتان هما جمهورية الهند وجمهورية باكستان .

وقد واجه المسلمون فى الهند عدة مشكلات هى على النحو الآتى :

١- مشكلة الدعوة الإسلامية ونشرها بين غير المسلمين ، باعتبار أن الدين الإسلامى دين دعوة وهداية عامة ، وكان عدد كبير من غير المسلمين يدخل فى الإسلام طوعاً كل سنة ، وكان من الممكن المتوقع أن يصبح الإسلام - لوجرت الأمور مجراها الطبيعى - أعظم قوة فى القارة الهندية ثم أعظم قوة فى آسيا لولا الوقيعة التى خطط لها الحكم البريطانى والتى انتهت بانفصال الهند إلى دولتين : الهند، وباكستان الإسلامية .

١- المرجع السابق ، ص١٣٤ .

٢- نفس المرجع السابق ، ص١٦٤-١٦٦ .

٢- مشكلة الأحوال الشخصية للمسلمين فى الهند الذين يخضعون لتعاليم الشريعة الإسلامية خاصة فى مسائل الإرث والزواج والطلاق فى مواجهة القانون المدنى الهندى الذى ينص على فرض قانون مدنى موحد ينطبق على جميع طبقات الشعب، لولا وقفة المخلصين من المسلمين .

٣- مشكلة التعليم الإسلامى فى مواجهة دستور الجمهورية الهندية العلمانى وفى مواجهة تطرف بعض الهنادكة ضد المساجد والمدارس بمناهجها الإسلامية ، مما يوجد حساسية خاصة أن الحكومة لاتقم بواجبها فى التصدى للمتطرفين الهنادكة ، كما تلجأ إلى التدخل فى نظام التعليم ومناهجه فى المدارس الإسلامية .

٤- مشكلة اللغة ، حيث كانت لغة «أردو» هى اللغة الرسمية - الثانية بعد اللغة الإنجليزية- التى تستعمل فى المحاكم والمصالح الحكومية والمدارس ، ولكن الحكم الإنجليزى فرض اللغة الهندية فى إطار سياسة التفرقة ، وحتى بعد الاستقلال منعت دراسة لغة أردو فى المدارس الابتدائية كمادة دراسية وكأداة تعليم .. وهذا يؤثر ليس فقط فى الثقافة بل فى العقيدة والمستقبل الدينى .

٥- مشكلة أمن وأمان المسلمين من اعتداءات الهنادكة فى المناسبات والأعياد والاجتماعات العامة أو عند حدوث أى نزاع أو خلاف بين فريقين أحدهما مسلم والآخر غير مسلم .

٦- مشكلة الفقر وما ينتج عنها من سوء التغذية والحرمان من الفرص واليأس من المستقبل.

٧- ومع كل ذلك فإن دستور الهند العلمانى يسمح للمسلمين بمباشرة حياتهم الدينية دون عوائق ، ولعل النظام الديمقراطى الهندى قد حقق الاستقرار للحكم وللناس مسلمين وغير مسلمين ، فمنذ الاستقلال عام ١٩٤٧م لم نسمع عن حدوث انقلاب عسكرى أو ثورة ضد الحكومات التى تأتى إلى الحكم نتيجة انتخابات .

الفصل الثانى

الباكستان

- المسلمون والهندوس - التقسيم - دور العلماء المسلمين
فى قيام دولة الباكستان- أولا : سيد أحمد خان . ثانيا :
محمد إقبال . ثالثا : مولانا أبو الكلام آزاد . رابعا :
تشودرى رحمة على . خامسا : محمد على جناح

المسلمون والهندوس :

فى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد بلندن فى نوفمبر ١٩٣٠م وحضره ممثلون من الهندوس
والمسلمين طالب المسلمون بوجود النص فى الدستور على كفالة حقوقهم ، إلا أن غاندى
ورفاقه من أعضاء حزب المؤتمر تمسكوا بمبدأ استقلال الهند على أساس الوحدة ورفضوا منح
المسلمين أبة ضمانات من نوع معين ، وبينما كانت اجتماعات المائدة المستديرة تعقد بلندن
ورجال حزب المؤتمر يطالبون بوحدة الهند المستقلة دون ما اعتبار للفوارق الطائفية وقف الدكتور
محمد إقبال^(١) فى اجتماع حزب الرابطة الإسلامية السنوى فى « الله أباد » وطالب بقيام دولة
إسلامية فى الهند ، ومما جاء فى خطابه ذلك قوله : ليست المجتمعات الهندية كالمجتمعات
الأوروبية ، فالهند قارة عظيمة تضم أشتاتا من العناصر والطوائف تباينت أديانها وتعددت
لغاتها واختلفت تقاليدها ، فلا يمكن للديموقراطية الأوروبية أن تطبق فى الهند من غير أن
يسبقها اعتراف بكيان هذه المجتمعات الطائفية ، فبأذا طالب المسلمون فى الهند

١- ولد محمد إقبال فى ٩ نوفمبر ١٨٧٧م بمدينة « سيالكوت » فى البنجاب الشمالى ، وكان أجداده قد
هاجروا من بلاد كشمير ، ويرجع تاريخ إسلامهم إلى ما قبل ٣٠٠ سنة ، وهو ينتمى ثقافيا إلى ثلاث دوائر
هى : دائرة القارة الهندية ، دائرة العالم الإسلامى ، دائرة الفكر الغربى ، حيث درس فى إنجلترا وفى ألمانيا
وحصل على درجة الدكتوراة فى الفلسفة فى موضوع « تطور الفلسفة الميتافيزيقية فى بلاد الفرس » ثم عاد
إلى وطنه عام ١٩١٠ حيث أقام فى لاهور حتى وفاته فى ٢١ أبريل ١٩٣٨م . ويعتبر إقبال مجددا إسلاميا
معاصرا ، على درب المجددين المسلمين فى الهند ابتداء من القرن السابع عشر الميلادى وعلى رأسهم الشيخ
أحمد سرهندي ، وشاه ولي الله من دلهى .

(مجلة فكر وفن - سويسرا العدد ٣٢ عام ١٩٧٩م العام ١٦)

بتأسيس دولة فإن لمطلبهم ما يبرره ، ويودى أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخرستان وقد ضمتها دولة واحدة . وفى آخر خطبته قال : إنه فى اللحظات الخطيرة فى تاريخ المسلمين كان الإسلام هو الذى يحافظ على المسلمين وليس العكس .

ومع أن إقبال نادى بهذه الدعوة لقيادته دولة إسلامية فى الهند وهو رئيس حزب الرابطة الإسلامية فى عام ١٩٣٠ م ، إلا أن هذه الفكرة لم يوافق عليها الحزب ولم يتخذها مبدأ له إلا عام ١٩٤٠م أثناء انعقاد دورته التاريخية فى «لاهور» ذلك العام بعد أن توفى إقبال بعامين ، وصار «محمد على جناح» قائداً لحزب الرابطة الإسلامية ومدافعاً عن قيام «الباكستان» ، وذلك على الرغم من أنه كان فى بداية حياته السياسية من أنصار الوحدة والتعاون بين المسلمين والهندوس ، وقد غيرت التجارب القاسية من تفكيره واتجاهه فأمن بالتقسيم وسار فى إيمانه الجديد لا يتراجع ولا يلين حتى كان قيام دولة الباكستان على يديه .

صارت عقيدة مائة مليون مسلم فى الهند إقامة دولة الباكستان ومن ثم وجدنا إصرار القائد محمد على جناح والحزب فى مؤتمر «سلا» الذى دعا إليه نائب الملك اللورد ويفل عام ١٩٤٥ على ضرورة قيام الباكستان ، فعمدت الحكومة البريطانية إلى إجراء الانتخابات فى الهند التى انتهت بفوز ساحق لحزب رابطة العالم الإسلامى ووجهة نظرها فى التقسيم إذ أحرز كل المقاعد المخصصة للمسلمين فى المجلس المركزى ٤٤٦ مقعداً من ٤٩٥ مقعداً فى المجالس المخصصة لهم ، وكذلك أسفرت عن فوز حزب المؤتمر فى دوائر الهندوس . وكانت الحكومة البريطانية عازمة على منح الهند استقلالها ، وأصبح حزب الرابطة الإسلامية وحزب المؤتمر وارثى السلطة فى الهند^(١) . ومن ثم يبدأ الصراع .

وقد بذلت محاولات عديدة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية للتوفيق بين حزبي الرابطة الإسلامية والمؤتمر بامت كلها بالفشل حتى استنفذت بريطانيا كل محاولاتها ولم تجد بدا من قبول الأمر الواقع ، فأعلنت فى ٣ يونيو ١٩٤٧ قبول فكرة تأسيس الباكستان ، وفى منتصف أغسطس من نفس العام أعلن قيام دولة الباكستان بعد التقسيم فظهرت إلى الوجود مرة أخرى أكبر دولة إسلامية فى العالم هى دولة الباكستان الإسلامية .

ومما تجب ملاحظته أن فكرة دولة إسلامية في الهند لم تتبلور عند المسلمين فقط، بل وعند الهندوس كذلك بعد أن رأوا استحالة الوصول إلى حل إذا لم يرضوا المسلمين ، ولذلك فقد وضع « كريشنامينون » وهو الهندي الوحيد الذي كان في حاشية نائب الملك ، برنامجا يقضى بإيجاد باكستان قبله نهرو زعيم حزب المؤتمر^(١) . كما أن قيام باكستان له وجوده التاريخي الذي يؤيده والذي امتد قرونا من الزمان تأصل فيها بناء الدولة الإسلامية الكبرى في الهند وانتشار الإسلام في شبه القارة الواسعة ، وقبل أن تقوم باكستان على أساس ديني فإنها تستمد كيائها القومي من هذا الوجود التاريخي القديم . وقد تركزت العناصر الإسلامية في المناطق الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من الهند ، وهم في هذه المناطق يكونون الكثرة التي تؤكد وحدتهم وتؤيد قيام دولتهم ، بينما ينتشر الهندوس في هضبة الدكن وفي المناطق الشمالية والوسطى .

والتعصب الهندوسي لا يقوم على العقيدة والإيمان قدر ما يقوم على اختلاف الطبائع والعقائد فهو لذلك متجدد دائم باق ما دام تباين العقيدة وبقي تباين الطقوس والمقدسات الدينية ، فذبح المسلمين للبقرة كفيل بوقوع المذابح بين الطائفتين ما بقى الهندوس يقدسون البقرة ، فقيام باكستان ضرورة واقع التاريخ وواقع المصلحة والعدالة لمائة مليون مسلم .

التقسيم

ونتساءل كيف تم تنفيذ قرار التقسيم وأعنى قيام دولة باكستان الإسلامية ؟

عندما أذاع زعماء الطوائف الثلاثة الكبرى في الهند : « جواهر لال نهرو » ممثل الهندوس وزعيم حزب المؤتمر و « محمد علي جناح » ممثل المسلمين ورئيس حزب الرابطة الإسلامية ، « والسردار بالديف سنج » ممثل السيخ ، على سكان شبه القارة الهندية مشروع التقسيم في ٣ يونيو ١٩٤٧ وأوصوا أتباعهم بقبوله لم يخف كل من « البانديت جواهر لال نهرو » « والسردار بالديف سنج ، خيبة أملهما في المشروع^(٢) . واشترط حزب المؤتمر أن تقسم كل من البنغال والبنجاب حسب كثرة سكانها من المسلمين والهندوس ، واستجاب محمد علي جناح لهذا الشرط حسما لامتناد النزاع مع أن فيه بعض الغبن على المسلمين لأن المنطق كان يقضى بضم الولاية كلها باعتبارهم أغلب سكانها^(٣) .

١- د. إحسان حقى : المرجع السابق، ص ١٧٣ .

٢- عبد القادر خان ترجمة إبراهيم نوار : مأساة كشمير ، ص ٦ .

٣- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٢١١-٢١٢ .

وعلى هذا فقد أخذ الهندوس بلاداً أكثرية سكانها من المسلمين وأخذوا رؤس أنهار تجعل رى باكستان تحت رحمتهم وأخذوا معايير طرققات داخل الأرض الباكستانية تجعل باكستان فى متناول أيديهم وتحول دون الهند، كما أنهم استولوا على ولاية «كورداسبورا» شرق البنجاب لكى يسهل عليهم الاتصال مباشرة بأمانة «جمو وكشمير» ، وهذا يعنى أن المسلمين أعطوا بلادا مبتورة مفككة الأوصال محرومة من وسائل العيش وصارت باكستان باكستانيين : شرقية فى البنغال وغربية فى شمال غرب شبه القارة الهندية (١).

وكلمة باكستان من وحى الشاعر العظيم محمد إقبال ومعناها «أرض الطهر» وترمز الكلمة إلى الولايات الإسلامية فى الهند ، فالباء من بنجاب والألف من الباتان والكاف من كشمير والسين من السند وأما كلمة «ستان» فمعناها دولة. وتكونت باكستان من قسمين شرقى هو البنغال وعدد سكانه نحو اثنين وأربعين مليوناً ، وغربى هو ولايات الحدود الشمالية الغربية ، «بلوخستان» و «السند» و «البنجاب الغربية» وعدد سكانها كلها نحو ٣٣ مليوناً (٢) ، وهذه الأعداد عند قيام باكستان ويفصل بين القسمين محيط من الأرض الهندية يبلغ فى أقصى مدى له ١٢٠٠ ميل .

وتتكون باكستان الشرقية - بنجلاديش حالياً- من إقليم شرقى البنغال وتبلغ مساحتها حوالى ٥٥ ألف ميل مربع وعدد سكانها آنذاك كما أشرنا ٤٢ مليوناً ، فهى بهذا من أشد بقاع العالم ازدحاماً بالسكان إذ يبلغ متوسط كثافة السكان فى الميبل المربع ٧٧٧ نسمة ويرويهها نهر الكنج وروافده. وأما باكستان الغربية فتتكون كما ذكرنا من السند والبنجاب الغربية إلى جانب إقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان وإقليم العاصمة الإدارى حول كراتشى وعدد من الإمارات أكبرها إمارة «بهاولپور» ، وتبلغ مساحة باكستان الغربية حوالى ٣١٠ ألف ميل مربع يعيش عليها حوالى ٣٣ مليوناً من السكان ، فهى بذلك أقل سكاناً وأقل كثافة فى نسبة السكان للميبل المربع من باكستان الشرقية وتجرى فيها خمسة أنهار هى السند وروافده الأربعة وتنبع جميعاً من كشمير (٣).

١- إحسان حقى : المرجع السابق، ص ١٨٥ .

٢- عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

٣- إحسان حقى : المرجع السابق، ص ١٨٧ .

وعندما أعلن التقسيم بادر الهندوس إلى الاعتداء على المسلمين فى الولايات التى صارت جزءا من دولة الهند، واتخذ الاعتداء صورا وحشية حتى اضطر المسلمون إلى الفرار من الهند والهجرة إلى الأراضى الباكستانية مخلفين وراءهم أموالهم وديارهم ، فكانت هجرة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، إذ انتقل فى بضعة شهور نحو عشرة ملايين مسلم من الهند إلى باكستان، فكان وجود هذه الملايين من اللاجئين إلى باكستان نكبة على نكبتها ، ولكن الباكستانيين استقبلوا إخوانهم بكل ترحاب وفتحوا لهم صدورهم وأووهم واندمجوا بهم وأصبحوا شعبا واحدا^(١).

وقد نتج عن التقسيم عدة مشكلات ، ذلك أنه كان أثناء الحكم البريطانى للهند ما يعرف بالهند البريطانية بمقاطعاتها الثمانية ، وما يعرف بهند الأمراء . وفى هند الأمراء كانت هناك أكثر من ٦٠٠ إمارة كبيرة وصغيرة ، يحكمها أمراء كبار وصغار حسب أهمية إماراتهم ، وكانوا يحكمونها حكما مطلقا يستمد بعضهم سلطته من نائب الملك رأسا وهم الأمراء الكبار وعدددهم ٣٣ أميراً منهم مسلمون وهندوس ، والباقي من الأمراء يستمدون سلطتهم من الحاكم للولاية التى بجوارهم . وكان الأمير الهندوسى يعطى لقب «مهراجا» والأمير المسلم لقب «نواب»^(٢).

وكان من الإمارات الكبرى إمارة «حيدر آباد» التى تبلغ مساحتها ٨٢ ألف ميل مربع وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة وتقع فى جنوب الهند وسط ولايات «بومباى» و «مدراس» و «أوريسا الهندية» ومعظم سكانها من غير المسلمين ، بينما كان عدد المسلمين حوالى المليونين بينما كان حاكمها مسلما وأراد أن يبقى مستقلا على أن ينظم علاقته مع حكومة الهند حسب القرار المتفق عليه حين إعلان استقلال الهند، ولكن الجيش الهندى زحف على الولاية وضمته الهند إلى ولاياتها نهائيا فى سبتمبر ١٩٤٨م^(٣).

وكانت الإمارة الكبرى الأخرى هى إمارة كشمير التى كانت على العكس من إمارة حيدر آباد إذ كان يحكمها أمير هندوسى هو «المهراجا دوجرا» بينما أغلبية سكانها مسلمون ، وقد اختارت الاستقلال عن كل من الهند والباكستان وأعطى لحاكمها - وليس لشعبها- الحق فى

١- عبد المنعم النمر : المرجع السابق، ص ٢١٤ .

٢- عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

٣- نفس المرجع ، ص ٢٠٨ .

الإنضمام إلى أى من الدولتين ، ولكن الهند ضمتها بالقوة أيضا كما ضمت من قبل إمارة حيدر آباد ، ولكن هذا العمل من جانب الهند قد أثار استياء باكستان وصارت مشكلة دولية تهدد بالحرب بين الدولتين .

وعند التقسيم بين الهند والباكستان انضم عدد قليل من الإمارات الهندية إلى باكستان وهى : أمب ، بها ولبور ، شترال ، دير ، قلات خيربور ، خارات، لاسبيللا ، مانا فادر ، مكران ، صوات ، جوناكاد . أما بقية الستمائة إمارة فقد انضمت إلى الهند .

ولم تنته مشكلات باكستان بقيامها إذ أن اختلاف عنصرى الباكستانيين بين البنغاليين فى باكستان الشرقية، والبنجابيين فى الغرب قد أدى إلى مشكلات بين الأنشقاء المسلمين فى الدولة الواحدة، ومن هنا لعبت الهند دورا فى انقسام باكستان إلى دولتين ، ذلك أن الحلاف بين الهند والباكستان كان عنيفا ، فالباكستان دخلت فى أحلاف عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية وبقية الدول الغربية (مثل حلف جنوب شرق آسيا والحلف المركزى بغداد سابقا) ، بينما اتبعت الهند سياسة الحياد الإيجابى وعدم الإنحياز ، وانتهزت الهند فرصة الصراع بين إقليم شرق باكستان (وهم من البنغاليين الذين لهم أخوة فى الجنس مع الهندوس فى الهند) ، وإقليم غرب باكستان الذى تركزت فيه العاصمة والرئاسة ومعظم الوظائف الكبرى رغم قلة عدد سكانه بالنسبة للإقليم الشرقى .

وانتهزت الهند فرصة هجرة الكثير من باكستان الشرقية إلى أراضيها ودخلت إلى جانب هذا الإقليم الشرقى فى حرب عام ١٩٧١ ضد باكستان انتهت بانفصال باكستان الشرقية التى أصبحت تعرف باسم جمهورية بنجلاديش الإسلامية كدولة مستقلة ، وحدث تعديل فى الحكومة الباكستانية بما يجعلها أكثر إدراكا للواقع ، وظهر السيد ذو الفقار على بوتو زعيم حزب الشعب كرئيس للحكومة الباكستانية الجديدة التى أقرت بالأمر الواقع واعترفت بانفصال الإقليم الشرقى بل واعترفت بقيام بنجلاديش بزعامة الشيخ مجيب الرحمن رئيس حزب رابطة عوامى .

ولنا سؤال أخير ؟ هل انقسام شبه القارة الهندية إلى دولتين بقيام دولة باكستان الإسلامية - التى انقسمت بدورها فيما بعد إلى دولتين إسلاميتين - كان له ما يبرره ؟ من سياق التاريخ الذى رأيناه منذ نزول الإنجليز على أرض شبه القارة الهندية ظهر بوضوح أن السياسة البريطانية عملت على التفريق بين أبناء الوطن الواحد ورغم تسامح المسلمين إلا أن

تعصب البعض منهم وجمود أفكارهم جعلهم أعداء طبيعيين للهندوس ، كما أن عدم تقبل الهندوس لبعض التعاليم الإسلامية التي يقوم بها المسلمون إلى جانب تعصبهم الأعمى لأفكارهم ومعتقداتهم جعلهم أعداء طبيعيين كذلك للمسلمين ، ومن ثم كان من الضروري ظهور الباكستان ، وإن كان ما زال يوجد داخل الهند ذاتها حوالي ١٥٠ مليون مسلم فضلوا البقاء على الأرض الهندية ولم يهاجروا إلى الباكستان ، وهؤلاء يتحملون إلى اليوم اعتداءات متكررة من جانب الهندوس .

دور العلماء المسلمين في قيام دولة الباكستان

في تاريخ شبه القارة الهندية قيادات سجل لها التاريخ جهودها في حركة الاستقلال سواء كانوا من السياسيين أو العلماء ، فعلى سبيل المثال سجل التاريخ لكل من الزعيمين السياسيين الكبيرين المهاتما غاندي وجواهر لال نهرو دورهما الرائد في الحصول على استقلال الهند عن بريطانيا بعد كفاح طويل ومرير انتهى باعلان استقلال الهند وقيام دولة الباكستان في شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧م .

وفي الجانب الباكستاني ارتبط العمل السياسي للمسلمين في شبه القارة الهندية بجهود العلماء الذين سعوا إلى تبصير المسلمين بحقوقهم وقادوا الدعوة إلى قيام دولة باكستان المستقلة ، من أمثلة هؤلاء العلماء سيد أحمد خان ومحمد إقبال ومحمد علي جناح وغيرهم كثيرين ، يقتضى الانصاف لهم ذكر بعض جهودهم في قيام دولة الباكستان المستقلة .

أولا : سيد أحمد خان :

عاش «السير» سيد أحمد خان (١٨١٧-١٨٩٨م) في بلاط دلهي- كحفيد لوزير من وزراء الإمبراطور المغولي- وقد خبر في صباه معالم التداعي والإنهيار في باطن الإمبراطورية، وفي مرحلة تالية- وهو في خدمة شركة الهند الشرقية البريطانية - عرف مزايا الإدارة البريطانية والقانون البريطاني لاقتناعه بأن تفوق الانجليز يكمن في نظامهم السياسي، أخذ عنهم تعاليم الليبرالية بحماس شديد وأخذ يث في مواطنيه مبادئ الحرية السياسية والاجتماعية والدينية، ويدعوهم إلى احترام الغير وحقوقه، وإلى حب الحقيقة والإيمان بالتقدم. على أنه لم ير في هذه المبادئ والتعاليم شيئا من صنع الحضارة الغربية، أو حتى إنجازا من إنجازات القرن التاسع عشر، وإنما كان مقتنعا بأنها تمثل المبادئ الحقيقية للقرآن كما يجب أن يفهم .

ورغم ما صادفته هذه الفلسفة الجديدة بوجهتها العقلانية من مقاومة شديدة من الفئات السنية التقليدية فقد استطاع سيد أحمد خان أن يحقق أغراضه ، فأسس عام ١٨٧٥م فى «على كره» (عليكرة) الكلية المحمدية الأنجلو شرقية Mohammedan Anglo - Oriental College التى تقدم لتلاميذها تربية حديثة على النسق البريطانى، وقد أثرت حركة «عليكرة» على الذوق الأدبى والفنى بين المسلمين الهنود من خلال المجلات الأدبية ، وساهم سيد أحمد خان فى التأثير على الرأى العام الإسلامى فى الهند من خلال مجلة أسبوعية كانت تعالج الموضوعات المباشرة وتعبر عن وجهة نظرها فى ميدان السياسة والاصلاح الاجتماعى والتربية^(١).

وكان سيد أحمد خان يدين بالولاء للسيادة البريطانية فى الهند ومع ذلك ، فحين تمخضت الاجتماعات السنوية لحزب المؤتمر الوطنى الهندى الذى تأسس عام ١٨٨٥م بمشاركة بعض الليبراليين الانجليز عن تأسيس قاعدة للمشتفين الهنود (وأغلبهم من الهندوس) تمكنهم من المطالبة بحقوقهم السياسية بفاعلية متزايدة ، حذر سيد أحمد خان المسلمين الهنود تحذيرا شديدا وطالبهم بالابتعاد عن حزب المؤتمر ، وليس ذلك إلا لمعرفة أن انتصار حزب المؤتمر سيضع المسلمين فى قبضة الهندوس الذين يفوقونهم فى العدد.

ويذكر السيد أبو الحسن الندوى أن «مؤتمر التعليم الإسلامى العام» الذى أسسه «سيد أحمد خان» عام ١٨٨٦م فى «عليكرة» يعتبر من أقدم الجمعيات التعليمية التى كان لها فضل فى نشر الوعى السياسى والثقافى وفى معالجة قضية تعليم الشباب المسلم فى مدارس الحكومة ، ومنه نبعت «الرابطة الإسلامية Muslim League عام ١٩٠٦م، وقد ضعف نشاط هذا المؤتمر بعد التقسيم - أى تقسيم شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧م إلى الهند والباكستان - لتغير الوضع السياسى والثقافى فى الهند^(٢).

وكان سيد أحمد خان يمثل زعامة الحركة التعليمية الإسلامية بتأسيس الجامعة الإسلامية فى عليكرة ، وكان من دعاء الاتحاد الوطنى - الهندوسى الإسلامى - إلا أنه بعد فترة قصيرة أتبع سياسة الانفصال عن حزب المؤتمر بدافع الاشفاق على المسلمين الذين كانوا لا يزالون ضعفاء فى

١- مجلة فكر وفن : المرجع السابق .

٢- أبو الحسن على الحسنى الندوى : المسلمون فى الهند ، ص ١٢٦ .

الثقافة والوعى السياسى ومختلفين فى الحياة والاقتصاد والتعليم ، وحذر المسلمين من الوقوع فى نفوذ الهنادكة المتحمسين والبنغاليين المتطرفين ، الذين بدأوا ينتقدون السياسة البريطانية ويطالبون بحقوقهم .

وقد أشار سيد أحمد خان على المسلمين فى الهند بتكوين جبهة إسلامية والابتعاد عن السياسة التى قد تشير عليهم الأحقاد القديمة وتخلق المشكلات الجديدة. ولاشك أن هذه السياسة وهذا الأسلوب فى التفكير - كما يذكر أهر الحسن الندوى - كان خاطئا ، وكان نتيجة تأثير الداهية الإنجليزية المستر بيك Peak وخليفته المستر موريس Morris اللذين ظلا يقودان عقلية المسلمين وسياستهم مدة طويلة ، وقد جنى هذا الاعتزال عن السياسة على كيان المسلمين وحياتهم القومية^(١) .

ومع اهتمام «سيد أحمد خان» بشكل أساسى بمسلى الهند دون غيرهم ، إلا أنه اتخذ مبدأ التكيف مع البريطانيين والهندوس ، وهذا يعنى بناء الجسور بين هذين الطرفين من جانب ومسلى الهند من جانب آخر . أما بالنسبة للمسلمين على وجه الخصوص فقد كان مبدأ التكيف يعنى الاعتراف بحقائق الواقع والاستفادة منها من أجل النهوض والتقدم وحفظ الذات. وقد قال تفسيرا لهذا : إذا أراد الله لنا . أى مسلى الهند- أن نخضع لسلطة أخرى تمنحنا حريتنا الدينية ، وتحكمنا بالعدل وتحفظ علينا النظام وتحمى حياتنا وكل ما يتصل بنا ، مثلما يفعل البريطانيون فى الهند ، فمن الواجب أن نبغى لتلك السلطة التوفيق والسداد وأن نعلن لها طاعتنا وولائنا^(٢) .

وقد أصدر «سيد أحمد خان» عدة مؤلفات كان منها كتابه المشهور بعنوان : أسباب الثورة الهندية» عام ١٨٥٨ حاول فيه التدليل على أن مسلى الهند لم يكونوا وحدهم مسئولين عن ثورة عام ١٨٥٧م، وأنهم لذلك لا يستحقون كل اللوم الذى وجه إليهم ، وكل العنت الذى حل بهم على أيدي السلطات البريطانية . كما نشر فى عام ١٨٦١م كتابا آخر بعنوان : مسلمو الهند الموالون « حاول فيه أيضا إزالة الإنطباع الذى أوجده الهندوس وغيرهم بأن المسلمين هم الذين قاموا وحدهم بثورة ١٨٥٧م .

١- أهر الحسن الندوى : نفس المرجع ، ص ١٧٧ .

٢- د . خليل عبد الحميد عبد العال : الأصول التاريخية لدولة باكستان ، اسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٥٨ .

وكان سيد أحمد خان حريصا على إبقاء علاقات الود والتفاهم بين الهندوس والمسلمين ، فالتعاون بين العنصرين - كما كان يرى سيد أحمد خان - أمر لا يمكن الاستغناء عنه ولا بدليل له من أجل السلام والتقدم فى شبه القارة . وقد آمن «سيد أحمد خان» طويلا أن : الهند عروس ذات عينين جميلتين ، واحدة هى الهندوس والأخرى المسلمون . كما نصح المسلمين بعدم المساس بمشاعر الهندوس بذبح الأبقار لأنه : إذا ما أريد للصدقة بيننا وبينهم أن تستمر فإن هذه الصدقة يجب أن تفضل على التضحية بالبقر (١).

وقد تنبه سيد أحمد خان إلى حقيقة كان لها أكبر الأثر فى الوجود الإسلامى بالهند ، إذ تحقق بشكل نهائى وحاسم إلى وجود أمتين فى الهند كل منهما تختلف جذريا عن الأخرى عقيدا وحضاريا ومن زاوية المصلحة . وكان سيد أحمد خان بذلك أول مسلم هندى يرى فى الهندوس والمسلمين فى الهند أمتين منفصلتين . وكان واحدا من مهندسى باكستان الأوائل رغم أنه لم يشر أبدا إلى الدولة المستقلة فى كتاباته أو خطبه . وكانت أفكاره هى الأساس الذى قامت عليه بنية حزب العصبة - الرابطة الإسلامية ، وهو الحزب الذى قاد مسلمى الهند إلى تحقيق باكستان (٢).

ثانيا : محمد إقبال :

ولد محمد إقبال بمدينة سيالكوت بولاية بنجاب بالقرب من حدود كشمير فى ٩ نوفمبر عام ١٨٧٧م ، وعاش حتى توفى بتاريخ ٢١ أبريل عام ١٩٣٨ م ، وتعلم بمدارس «سيالكوت» وجامعة لاهور ، واستكمل تعليمه فى مدن لندن وميونخ وعاد بعد الحصول على درجة الدكتوراه من ألمانيا فى موضوع : تطور فلسفة ما وراء الطبيعة فى فارس « إلى لاهور عام ١٩٠٨ حيث عين أستاذا للأدب الفارسى بجامعة لاهور ومنحته الحكومة البريطانية لقب «سير» عام ١٩٢٠م .

وقد شغل محمد إقبال عضوية الجمعية التشريعية فى بنجاب فى الفترة من عام ١٩٢٤ لمدة عامين ، وشارك فى مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٣١ و عام ١٩٣٢ فى لندن ، وكان قد اقترح

١- د. خليل عبدالعال : نفس المرجع : ص ٦٠ .

فى مدينة «الله أباد» عام ١٩٣٠م بصفته رئيس عصبة المسلمين الهنود All India Muslim League أن تؤسس دولة مسلمة مستقلة فى شمال الهند لحل النزاع بين الهندوس والمسلمين . وقد أثبت الزمن جدوى هذا الاقتراح رغم معارضة الهندوس له، فبعد عامين من ذلك أسس «رحمة الله» حركة الباكستان . وصدقت عام ١٩٤٠م عصبة المسلمين الهنود ، على مشروع هذه الدولة، وخرج فى ١٤ أغسطس عام ١٩٤٧م إلى حيز الوجود على يد محمد على جناح^(١).

وكان لأفكار محمد إقبال أهداف هامة لتجديد التفكير الإسلامى، منها : تجديد الفكر الدينى فى الإسلام، الذى تم نشره بمدينة لاهور عام ١٩٣٠م، ومدينة لندن عام ١٩٣٤م ، وقد تبنى الكثير من نتائج بحوث العلوم النفسىة والطبيعية فى الغرب ، ولكنه يرفض النتائج النهائية لهذه البحوث طالما تعارضت مع قناعاته الأساسية التى تعود إلى خبرات شبابه الأول بحقيقة الإسلام، وكان محمد إقبال لم يشارك معاصريه أتباع المذهب السنى الذين شجبوا إلغاء نظام الخلافة الإسلامىة بواسطة الجمعية العمومية التركىة عام ١٩٢٤م ، وإنما كان يعتقد أن نظام الدولة الديموقراطى يتفق مع المبادئ الأساسية للإسلام اتفاقا تاما. وكان ينظر بعطف إلى تركيا الجديدة^(٢).

وكان إقبال يعرف باسم شاعر الإسلام، وكل كتاباته - نشرا أو شعرا- تدور حول الإسلام، وأفكاره المتصلة بالفرد والمجتمع والدولة والإنسان والتاريخ والتطور والنفس هى أفكار إسلامىة، وفلسفته السياسىة تقوم على أساس عنصرى الإسلام الجوهريين : الوحدة الإلهىة والنبوة المحمدىة . إن الدولة الإسلامىة لا يمكن فى ظروف العالم الحالىة أن تكون إقليمىة أو عالمىة ، لكنها دولة متعددة الجنسىات يربطها تنظيم حر كما هو الحال فى أية منظمة دولية^(٣).

ومن هذا المنطلق نادى إقبال بضرورة تأسيس دولة إسلامىة فى الهند فإذا كانت الكعبة هى رمز التجمع الإسلامى العالمى والأخوة الإسلامىة أو هى «المركز المحسوس» - كما يسميه إقبال- فإن الدولة التى ينادى بتأسيسها فى الهند هى «المركز المحسوس» لكل مسلمى الهند، وهى دولة إقليمىة ، ولكنها فى إطار الكيان السياسى الإسلامى المتعدد الجنسىات تفقد تلك

١- مجلة فكر وفن : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

٢- نفس المرجع ، ص ٤٠ .

٣- د. خليل عبد العال : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

الصفة^(١). وهكذا يرى محمد إقبال استحالة أن يعيش المسلمون في الهند بنظامهم الاجتماعي وقيمهم ومثلهم الإسلامية في ظل نظام سياسي لا يكون إسلاميا ، ومن ثم فلا بد أن يؤسسوا دولة وذلك لأنهم أمة .

ويؤكد محمد إقبال بأن الهندوس والمسلمين لم يكونوا أمة واحدة ، ففي الماضي كانت الطائفتان منقسمتين إلى معسكرين متعاديين ، وليس هناك ما يشير إلى أن لديهما أية إرادة للإندماج في المستقبل ومن ناحية أخرى فإن الهند الإسلامية تكون أمة بذاتها . وأن الهند لا تمثل وحدة اجتماعية ، ويجب الاعتراف بحقيقة «الكثرة» والتنوع في الهند. وكان يؤمن بالاشتراكية التي تنبع من الإسلام ولا ينبع الإسلام منها^(٢).

وقد ساهم محمد إقبال في مساعدة «محمد علي جناح» مؤسس باكستان وقائدها الأعظم في إعادة تنظيم حزب العصبة في البنجاب ، ويعتبر تأثير إقبال على محمد علي جناح من أهم منجزاته، وفي هذا الإطار يذكر محمد علي جناح : كان لي صديقا وهاديا وفيلسوفًا. وفي خلال أحلك اللحظات التي مرت على حزب الرابطة وقف إقبال كالصخرة الصامدة ، وكان إقبال هو نافخ بوق الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية ، كما كان مغنيا لأجمل شعر في الوجود .

واقبال في النهاية هو الذي كتب إلى محمد علي جناح الرسائل العديدة التي شكلت تفكيره وزودته بحماس بالغ لتحقيق آمال مسلمي الهند في تأسيس وطن قومي لهم، لأن شريعة الإسلام- كما جاء في أحد تلك الرسائل - لا يمكن أن تطبق أو تتطور في الهند مالم تقم بها دولة إسلامية . كذلك كان إقبال هو الذي حدد واختار لمسلمي الهند قائدهم محمد علي جناح ليقودهم في طريق الكفاح وتحقيق الوطن القومي^(٣).

ثالثا : مولانا أبو الكلام آزاد (١٨٨٨-١٩٥٨م)

يعتبر مولانا أبو الكلام آزاد من كبار زعماء الخلافة وحركة التحرير وأحد قادة الفكر في الهند. وقد أسس صحيفة «الهلال» الأسبوعية . والتي كانت تنشر مقالات شديدة اللهجة

١- د. خليل عبد العال : نفس المرجع ، ص ٩٠ .

٢- نفس المرجع ، ص ٩٧ .

٣- نفس المرجع ، ص ٩٩ .

تنتقد السياسة الأوروبية المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين . وقد كان التعاون قائما بين مولانا أبو الكلام آزاد والزعيم الهندوسى المهاتما غاندى فى مهاجمة الاستعمار الإنجليزى، وقد اقترحا عام ١٩٢٠م مقاطعة البضائع الأجنبية ومقاطعة الحكومة الإنجليزية ، والاضراب عن التعاون معها فى دوائرها وجيوشها ، فكان أمضى سلاح استعمل فى حرب التحرير والكفاح الوطنى ، فى أى بلد حسبت له الحكومة الإنجليزية كل حساب ، وكاد يشل الجهاز الإدارى وينشر الثورة العامة. إلا أن السياسة الإنجليزية لجأت إلى سياسة التفرقة بين المسلمين والهندوس ، مما أدى إلى حدوث اضطرابات طائفية فى شبه القارة الهندية . رغم محاولات مولانا أبو الكلام آزاد وغيره من أعضاء المؤتمر الوطنى (١).

ومن ثم قويت حركة الانفصال التى كان يتزعمها محمد على جناح رئيس العصبة-الرابطة-الإسلامية حتى نادت فى الأخير بتقسيم الهند، ونجحت بفضل العقلية الأكثرية الضيقة وشذوذ معاملتها وتفكيرها مع المسلمين . وجاء فى خطبة مولانا أبى الكلام آزاد التاريخية التى ألقاها فى البرلمان الهندى، فقد أشار إلى بعض أعضاء البرلمان الذين اعترضوا على مساعدة وزارة المعارف للمؤسسة العلمية المشهورة «دار المصنفين» فى أعظم كراهية لأنها تنسب إلى المسلمين قائلا : إن هذه العقول الصغيرة هى التى كانت سببا فى تقسيم الهند (٢).

وقد بقى مولانا أبو الكلام آزاد، وكثير من العلماء الذين كانوا ينتسبون إلى «جمعية العلماء» أوفياء للمؤتمر ثابتين على موقفهم القديم ووجهة نظرهم فى العداء الشديد للإنجليز والحماس للقضية الوطنية والإخلاص لها. وقد استمر رئيسا للمؤتمر الوطنى لأطول مدة تمتع بها رئيس ، وفى أخرج فترة مرت بها البلاد . وفى عهد رئاسته زارت البعثتان الحكومتيتان لحل القضية الهندية والمفاوضة فى شروط الاستقلال وتفصيله . فكان ممثلا للمؤتمر الوطنى ولسان حاله . وفى عهد رئاسته وتحت إشرافه وتوجيهه نالت الهند الاستقلال . ولما أعلن رئيس جمهورية الهند فى عام ١٩٥٢ إكرامه بوسام «بدم ويهوشن» الفخرى، رفضه قائلا إنه يتنافى مع طريق السلف (٣).

١- أبو الحسن الندوى : المرجع السابق، ص ١٨١-١٨٢ .

٢- نفس المرجع : ص ١٨٣-١٨٤ .

٣- نفس المرجع ص ١٨٥ ..

وقد أصبح وزيرا للمعارف فى أول وزارة لجمهورية الهند المستقلة ، كما كان صديقا حميما للزعيم الهندوسى غاندى - ورغم ذلك انتقد موقف غاندى ونهرو من حق المسلمين فى أراضيهم بشبه القارة الهندية^(١).

رابعاً : تشودرى رحمت على :

طالب علم فى بريطانيا فى الثلاثينيات من القرن العشرين دعا إلى القومية الإسلامية بتحويل ولاء مسلمى شبه القارة الهندية من نزعة الهندية- أى الولاء للوحدة الوطنية الهندية- إلى النزعة الإسلامية، ومن مسار الأقلية والطائفية إلى دعوة القومية الإسلامية. وقد تضمنت دعوته تكوين ثلاث دول إسلامية فى الهند : باكستان «بانج إسلام» و «عثمانستان»، وهى كلها مناطق ذات أغلبية سكانية مسلمة فى شبه القارة الهندية . وقد أطلق اسم «بانج إسلام» على البنغال وآسام ، واسم «عثمانستان» على حيدر آباد أو الدكن ، أما اسم باكستان فيتكون من الحروف الأولى لأسماء المناطق التى ضمتها باكستان ، فالباء الثقيلة من البنجاب، والألف الممدودة من «أفغانيا» أو منطقة الحدود الشمالية الغربية ، والكاف من كشمير ، والسين من السند ، أما تان فهى آخر حروف كلمة بلوچستان. ويمكن ترجمة اسم باكستان أيضا بمعنى أرض الطهر ، فكلمة باك تعنى طهر، وكلمة ستان تعنى أرض بالفارسية والأوردية^(٢).

خامساً : محمد على جناح :

ولد محمد جناح بمدينة كراتشى عام ١٨٧٥م وقد تأثر كشباب جيله من مسلمى الهند بأفكار «سيد أحمد خان» وبالمدارس الإنجليزية ، وتعلم فى إنجلترا وعاد إلى الهند عام ١٨٩٦م، وانضم إلى حزب المؤتمر عام ١٩٠٩م حيث كان يعتقد فى أن مصير مسلمى الهند مرتبط ببقية سكان الهند، وأنه من الواجب على المسلمين أن يتحركوا مع التقدم السياسى للبلاد، ورغم انضمامه لحزب العصبة (الرابطة) الإسلامية عام ١٩١٣م إلا أنه ظل يعمل من أجل التفاهم الإسلامى الهندوسى ولكنه لم يقبل بسياسة «العصيان المدنى»

١- د. خليل عبد العال : المرجع السابق، ص ١٣٤.

٢- نفس المرجع ، ص ١٠٢-١٠٨.

«الساتياجراها»^(١) التي دعا إليها الزعيم الهندوسي غاندى الذى آلت إليه زعامة حزب المؤتمر .

وقد كافح محمد على جناح من أجل صبغ الجيش الهندى والوظائف الإدارية بالصبغة الهندية ، وتمرد على برنامج غاندى وطريقة تفكيره التى ستقود فى اعتقاده إلى الفوضى وعدم الاستقرار، وقد شارك فى مؤتمرات المائدة المستديرة فى لندن فيما بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٢م، وهناك التقى محمد على جناح بالشاعر الفيلسوف محمد إقبال عضو الوفد الإسلامى فى المؤتمر وصار الاثنان منذ ذلك الوقت صديقين حميمين .

وعندما عاد محمد على جناح إلى الهند من لندن فى أكتوبر ١٩٣٥م انشغل بقضية المسلمين وتحول من «مسلم قومى» إلى «قومى مسلم» أى من الإيمان بإمكانية قيام دولة هندوسية إسلامية فى الهند الموحدة إلى الإيمان بالقومية الإسلامية الباكستانية ، وأن قيام دولة هندوسية إسلامية واحدة فى الهند وهما وخرافة . وقد أصبح حزب «الرابطة» الإسلامية مع بداية عام ١٩٤٠م مستعدا لتبنى مطلب باكستان المستقلة ، حيث ألقى محمد على جناح فى لاهور خطبته الرئاسية التى كانت شهادة واضحة للقومية الإسلامية فى الهند، أو كما تسمى : القومية الباكستانية . وقد تبنى حزب العصبة أو الرابطة قيام دولة باكستان . وقد اعترف حزب المؤتمر بمطالب حزب العصبة فى الانفصال ، وقد حذر نائب الملك لورد مونتباتن زعماء المؤتمر بأن استمرار الموقف بهذا الشكل المتأزم سيؤدى إلى التقسيم حتما، وعلى الفور أعلن الزعماء الهندوس البارزون قبولهم لمطلب المسلمين مقرين أنه سواء رضى المؤتمر أو لم يرض فإن ثمة أمتين فى الهند ، وليس هناك من بديل سوى الاعتراف بالحقيقة . وبهذا الاعتراف أزيحت

١- يقول غاندى إن الساتياجراها تعنى التمسك بالحق أو هى قوة الحق ، ويسمىها غاندى أيضا قوة الحب أو قوة الروح، وعند تطبيق ساتياجراها اكتشف غاندى فى المراحل الأولى أن متابعة الحق أو اقتفاء أثره لايعنى استخدام العنف ضد الخصم ، فالخصم يجب أن يمنع عن الخطأ وذلك عن طريق الصبر عليه والتعاطف معه، وبالتالي فإن الساتياجراها تعنى إثبات الحق والدفاع عنه ليس عن طريق إلحاق المعاناة بخصمك بل بنفسك ، وقد ذكر غاندى أن الساتياجراها تعنى وفروعها : عدم التعاون ، العصيان المدنى، إن هى إلا أسماء جديدة لقانون المعاناة والحكما . الهندوس القدامى الذين اكتشفوا قانون اللاعنف فى وسط العنف كانوا أعظم عبقرية من «نيوتن» خاصة أنهم كانوا فى نفس الوقت محاربين أعظم من ولينجتون ، وذلك أنهم حينما عرفوا استخدام السلاح تحقروا من عدم جدواه فشرعوا يعلمون العالم أن خلاصته ليس فى استعمال العنف بل فى استخدام اللاعنف .

آخر عقبة كانت تحول دون قيام باكستان . وفى فجر ١٤ أغسطس عام ١٩٤٧ ولدت دولة جديدة هي باكستان^(١).

ويعتبر «محمد على جناح» مسئولاً عن السياسات التى اتخذها حزب الرابطة الإسلامية إذ شجع القيادات المحلية للرابطة فى البنجاب على تبني التنمية الاقتصادية والاجتماعية للباكستان كما جاء فى فكرته عن تكوين أمتين فى شبه القارة الهندية : الهند للهندوس والباكستان للمسلمين^(٢).

إن قوة محمد على جناح الكبرى تكمن فى توجيه السياسة الإسلامية نحو أهداف عملية من خلال تأكيد بناء وتأييد الاتجاه السياسى للتنمية بالتعاون مع أولئك السياسيين المعتقدين بضرورة تمدين الريف فى البنجاب . وقد نجح فى ذلك خلال انتخابات عام ١٩٤٦ م ، حيث أحرز انتصارا كبيرا للرابطة الإسلامية مما كان له أثره فى قيام باكستان كدولة إسلامية فى شبه القارة الهندية^(٣).

١- د. خليل عبد العال ، ص ١١٢ - ٢٢٥ .

٢- David Gilmartin : Empire and Islam , 1988 , p. 205 .

٣- Ibid , p. 222 .

الفصل الثالث

أفغانستان

- الإسلام في أفغانستان - الصراع البريطاني الروسى - بعد الحرب العالمية

الأولى - السوفيت وأفغانستان

الإسلام فى أفغانستان

تقع بلاد الأفغان عند الركن الشمالى الشرقى من الهضبة الإيرانية الآسيوية تحيط بها كل من فارس - إيران- والباكستان ، وتركستان الغربية التى هى الآن جمهوريات وسط آسيا الإسلامية ، ومعظم أراضيها جبلية شديدة الوعورة : وسكان أفغانستان يرتبطون بأصول عربية، خاصة من قريش ، وأصول تركية وفارسية وهندية ومغولية .

يسمى الفرس سكان هذه البلاد أفغان ، ويعلمون ذلك بأنهم حين أسرههم «بخت نصر» كان لهم أنبن وحنين ، والأنبن يسمى بالفارسية «أفغان» فأطلق عليهم هذا الاسم من ذلك الوقت . وقيل إن أفغانستان اسم لحفيد «شامول» وهو جد الأفغان فسموا باسم جدهم ، وعوام الفرس يطلقون عليهم اسم «أوغان» وهو قريب من الأول. ويسميهم الهنود «بتان» كما يسمون بأسماء «بشتو» و«بشتان» و«بغتو» أو «بفتان» وتتألف أمة الأفغان من قبائل متعددة مثل: غلجاني ، عبدل ، كاكرا ، دزبرى ، يوسف زانى، مهند، فريدى ، بنكس ، خوستى ، كرمى ، باجورى^(١).

والجنس الأفغانى هو أعظم الشعوب المستوطنة لتلك الأقطار وأكثرها عددا ومقره جنوب البلاد والشرق الجنوبى منها ، والخلق الغالب فى هذا الجنس هو الحقد والضعينة والتشوق للانتقام واقتحام المحاربات والتهور فى المخاصمات والمنازعات لأدنى الأسباب وأن صورهم الظاهرة تحكى خليقتهم هذه وتنبئ عنها فان وجوههم على الدوام عابسة وقلما يوجد بينهم البشوش، وإن كان يظهر فى بعض معاملاتهم الحلم وكذلك خشونة لغتهم وغلظ صوتهم يدلان على هذه الخليقة وعلى الفظاظة وغلظ الطباع ، ولهم ميل عظيم للنهب والسلب وشن الغارات وإثارة الفتن^(٢).

١- السيد جمال الدين الأفغانى : تمة البيان فى تاريخ الأفغان ، القاهرة ١٩٠١ م ، ص ١٣-٢١ .

٢- نفس المرجع ، ص ١٣٨ .

وقد دخل الإسلام إلى بلاد الأفغان في القرن الأول الهجرى . وخاصة في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان حيث تم فتح سيستان وكابل ونيسابور وهراة ومرور وبنهى الحكم البوذى هناك ، وفى عهد الأمويين هاجرت أفواج من القبائل العربية واستقرت فى بلاد الأفغان وفى بلاد ما وراء النهر وفى إقليم السند وفى إقليم خراسان . وإلى هذه الهجرات العربية يرجع الفضل فى سرعة انتشار الإسلام فى تلك الجهات وكذلك ازدهار الثقافة العربية الإسلامية .

وجميع الأفغانيين سنيون متمذهبون بمذهب أبى حنيفة لايتساهلون رجالا ونساء وحضر وبدو فى الصلاة والصوم سوى طائفة «نورى» فإنهم متوغلون فى التشيع ولهم محاربات شديدة مع جيرانهم السنيين وهم الأفغان مع شدة تعصبهم للدين والمذهب والجنس لايعارضون غيرهم فى حقوقهم ولايتحاشون عن أن يروا شيعيا أو غير مسلم يقيم مراسم دينه ولايمنعون المستحقين منها من نيل المراتب العالية فى حكومتهم^(١).

وفى العصر العباسى الثانى حين انقسمت الأقاليم الشرقية من الدولة إلى دويلات هى الطاهرية والصفارية اللاتى بسطت سلطانها على كابل وهراة وطبرستان وخلفهم الدولة السامانية التى ضمت أراض كثيرة من بلاد ما وراء النهر ، وكان من عمال الدولة السامانية أمير يدعى «سبكتكين» كان يحكم غزنة الأفغانية فى القرن الرابع الهجرى^(٢).

وعلى يد سبكتكين هذا قامت أول دولة أفغانية إسلامية هى الدولة الغزنوية التى اتسعت فى عهده وعهد ابنه «يمين الدولة محمود الغزنوى» ، لتشمل إلى جانب بلاد الأفغان كلا من خراسان وأجزاء من بلاد ما وراء النهر ، وقد امتدت الدولة الغزنوية فى عهد محمود من شرق الهند حتى فارس، بعد أن غزا الهند ١٧ غزوة ونجح أثناءها فى تحويل الهند إلى بلاد إسلامية، كما أنه اهتم بنشر الثقافة العربية الإسلامية حيث نبغ علماء مسلمون فى ظل الدولة الغزنوية أمثال أبو الريحان البيرونى الفيلسوف ، والفارابى ، والمؤرخ العتبي والفردوسى أعظم شعراء الفارسية .

ويذكر السيد جمال الدين الأفغانى عن الشعب الأفغانى بأنه نشأ على الجلادة والإقدام فكانت الأفغان أمة حربية لاتدين لسلطة الأجنبي عليها، حتى أنه فى زمن محمود الغزنوى

١- المرجع السابق . ص ١٥٠-١٥٣ .

٢- د . أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

وجنكيز خان التترى وتيمور الكوركان الذين تمت لهم السلطة عليها لم تكن تبعيتها لهم خالية من الخطر . وكذلك فى عهد انقسام ممالكها بين سلاطين الهند وفارس إذ كانت تتريص بملوكها الشر دائما وتترقب الفرص لإيقاد نار الفتنة (١).

وتتكون الأمة الأفغانية من عدة شعوب منها شعب «التاجيك» ومنه غالب سكان مدينة هرات وضواحيها ومدينة «كابل» والقرى الواقعة بينها وبين بلخ ، وكذلك أهل مدينة غزنة وبعض القرى المجاورة لها ولقمان وقصبة لقمان وبعض قرى قندهار ومنه أيضا غالب سكان المدن البلخية .

ومن الشعوب أيضا شعب «هزارة» الذى يسكن فى الجبال الواقعة فى شمال غزنة الممتدة إلى شمال هرات ، وأصله من الجنس المغولى، وهذه القبيلة على مذهب الشيعة إلا فصيلة «شيخ على» و«الجمشىدى» .

ومن الشعوب قبيلتا أزيك وتركمان ، وهما من أصل تترى يتكلمون الآن باللغة التركية ، والقبيلة الأولى تسكن فى أقطار بلخ والثانية فى الأراضى الواقعة بين مدينتى ميسنة وهرات وكلهم سنيون على مذهب أبى حنيفة ومن الطوائف الموجودة فى بلاد الأفغان طائفة الشرفا - أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه ويلقبون فى تلك البلاد بالسيد. وبعض من هذه الطائفة يسكن فى «بشنك» من نواحي قندهار وبعض منها يسكن فى ولاية «كنز» الواقعة قرب جلال آباد . ومن سكان بلاد الأفغان أيضا طائفة «قرزل باش» فى كابل وفى غزنة وقندهار، وأصلهم من إيران أتى بهم نادرشاه (٢).

وعندما ضعفت الدولة الغزنوية فى عهد خلفاء السلطان محمود الغزنوى انتقل الحكم إلى الغوريين الذين كانوا خير جند الغزنويين وإذا كان بمحمود الغزنوى يبدأ دور الحكم الإسلامى بالهند فبجهود الغوريين انتشر الإسلام هناك على نطاق واسع واستقرت الحكومة الإسلامية التى ظلت بأيدى سلاطين من الأفغان حتى أوائل القرن العاشر الهجرى ، حتى انتقلت مقاليد الأمور إلى أيدى الدولة المغولية التى أقامها هناك الأمير التيمورى ظهير الدين محمد بابر (٣).

١- السيد جمال الدين الأفغانى : المرجع السابق، ص ٢٢ .

٢- نفس المرجع ، ص ١٦٢-١٧٢ .

٣- المرجع السابق ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

وازدهرت فى عهد الأسرة التيمورية مدن أفغانية مثل هراة التى صارت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية فى المشرق الإسلامى ، إلى جانب أنها كانت أعظم مراكز التجارة والسياسة آنذاك ، وكان حسين بسقرا آخر الأمراء التيموريين بخراسان يحكم فى هراة ، بينما ابن عمه ظهير الدين بابر يحكم فى كابل وغزنة .

ومن كابل امتدت سلطة بابر إلى شمال شبه القارة الهندية كله حيث أقام دولته التى عرفت فى التاريخ باسم الدولة المغولية التى ظلت تحكم الهند أكثر من ثلاثة قرون حتى دخلها المستعمرون البريطانيون وطوال عهد الدولة المغولية بالهند ظلت بلاد الأفغان جزء منها ، حتى إذا ضعفت الدولة المغولية استولى نادر شاه الفارسى على بلاد الأفغان وعلى شمال الهند (١) .

وعندما قتل نادر شاه على يد الأسرة القاجارية فى إيران التى استولت على الحكم قاد الفرقة الأفغانية فى جيش نادر ضابط أفغانى شجاع هو أحمد الذى أعلن فى قندهار نفسه أميراً على بلاده باسم أحمد شاه الأبهالى الدرانى ، فكانت دولته هذه هى أول دولة فى التاريخ تعرف باسم الدولة الأفغانية (٢) .

وقد نجح أحمد شاه فى إرساء قواعد حكم قوية فى بلاده ، ثم انطلق فى حملات متكررة لإحياء الدولة الإسلامية فى الهند لولا تحالف الهندوس مع البريطانيين لإفشال مخططات أحمد شاه وأبنائه من بعده حتى إذا تولى الحكم الأمير الأفغانى دوست محمد أوائل القرن التاسع عشر ظهرت أطماع بريطانيا وروسيا فى أفغانستان ذاتها ، ومن هنا بدأ الصراع بين الأفغان من جهة وكل من بريطانيا وروسيا من جهة أخرى .

الصراع البريطانى الروسى

ذلك أن البريطانيين اعتقدوا أن استيلائهم على أفغانستان سوف يبعد الروس عن امتداد نفوذهم بحيث يهددون الهند درة التاج البريطانى، كما أن الروس سعوا إلى الاستيلاء على أفغانستان بهدف توجيه ضربة شديدة ضد الوجود البريطانى فى الهند وللسياسة البريطانية بصفة عامة خاصة وأن بريطانيا تعمل على المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية إزاء الأطماع الروسية (٣) .

١- المرجع السابق، ص ٢٣١ .

٢- نفس المرجع ، ص ٢٣٤ .

٣- د. محمد حسن العيلة : أواسط آسيا الإسلامية بين الاتقاض الروسى والحذر البريطانى، الدوحة،

وإزاء سعى بريطانيا للسيطرة على أفغانستان وجعلها دولة حاجزة Buffer State لوجودها في الهند منذ أوائل القرن التاسع عشر، فقد دارت الحرب بين الأفغان والبريطانيين مرت بثلاث مراحل امتدت حوالى قرن من الزمان من أوائل القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين .

كانت المرحلة الأولى فى الحرب الأفغانية البريطانية لمدة أربع سنوات من عام ١٨٣٨ وحتى ١٨٤٢ م عرفت بالحرب الأفغانية الأولى، التى تمكن فيها الأفغان رغم قلة عددهم من إبادة - فى بعض المواقع- جيوش بريطانيا بأكملها كما حدث عند «خورد كابل» حيث أبعد جيش بريطانى بأكمله قوامه عشرون ألفا من الجند المجهز بأحدث الأسلحة^(١).

ونتج عن الحرب الأفغانية الأولى تجسيد الاتصالات بين الأفغان البريطانيين، الاعتراف بالأمير دوست محمد حاكما لأفغانستان ، واتبع حكام الهند والبريطانيين- سياسة عدم التدخل فى الشئون الأفغانية ثم عقدت بريطانيا معاهدة مع أفغانستان عام ١٨٥٥ وعام ١٨٥٧م لمواجهة نوايا كل من روسيا وإيران التوسعية باتجاه أفغانستان^(٢).

وعندما مات الأمير دوست محمد عام ١٨٦٢م خلفه ابنه «شير على» الذى واجه محاولات البريطانيين للتدخل فى شئون أفغانستان ، رغم محاولاته التحالف مع حكام الهند البريطانية للوقوف ضد محاولات الروس التوغل فى وسط آسيا باتجاه أفغانستان ، ولكن حكومة دزرائيلى البريطانية التى حكمت فى الفترة من ١٨٧٤ إلى ١٨٨٠م كان من سياستها الوقوف ضد التوسع الروسى فى آسيا الوسطى بالسيطرة على أفغانستان ، ومن هنا دارت ما عرفت باسم الحرب الأفغانية الثانية التى استمرت ثلاث سنوات من عام ١٨٧٨م إلى عام ١٨٨١ م .

وقد بدأت الحرب الأفغانية الثانية بدخول الجيش البريطانى عام ١٨٧٨م، بأعداد كبيرة مدينة كابل، حيث فر أمير الأفغان شير على الذى توفى خارج بلاده فى ٢١ فبراير ١٨٧٩م ولم يقبل شعب أفغانستان أن يولى لحكمه يعقوب خان بن شير على، على أن تقوم إلى جانبه فى كابل بعثة بريطانية ، فانطلق يقاوم القوات البريطانية حتى قتل كل أعضاء البعثة البريطانية^(٣).

١- د . أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق، ص ٢٣٦ .

٢- د . محمد حسنى المييلة : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

٣- د . أحمد محمود الساداتى: المرجع السابق، ص ٢٣٧ .

وقد اضطر البريطانيون إلى الانسحاب من كابل . حتى كانت المعركة الحاسمة فى ٢٧ يوليو ١٨٨٠م والتي انتهت بهزيمة كاملة للجيش البريطانى بل وخسر البريطانيون جيشا قوامه سبعة عشر ألفا من الجنود المجهزين بأحدث الأسلحة أمام صلابة الكفاح الأفغانى^(١) مما دفع الحكومة البريطانية إلى إصدار قرار فى صيف عام ١٨٨١ بانسحاب القوات البريطانية من أفغانستان والعودة إلى الهند .

وكانت أسباب الحرب الأفغانية الثانية تتمثل فيما يلى :

- أ- التنافس البريطانى الروسى حول أفغانستان باعتبارها دولة حاجزة بين الطرفين . ذلك التنافس الذى أظهر محاولة الروس للدخول إلى العوامل الإنسانية فى التعامل مع الأفغان . لجأت بريطانيا من الهند إلى شن الحرب ضد الأفغان ، خاصة أن نائب الملكة فى الهند كان يكن العداء لأمير الأفغان شير على .
 - ب- عدم استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية فى أفغانستان أوحى للحكام البريطانيين فى الهند بسهولة غزو أفغانستان والسيطرة عليها .
- أما نتائج هذه الحرب والتي استمرت ثلاث سنوات- كما ذكرنا بين عامى ١٨٧٨م وعام ١٨٨١م ، فهى :
- ١- تكبدت حكومة الهند البريطانية خسائر بشرية واقتصادية وسياسية ضخمة أثارت سخط البريطانيين، وارتفعت الأصوات فى لندن بالانسحاب من أفغانستان .
 - ٢- ازدياد الشعور القومى والإسلامى للأفغان ، الذى ظهر جليا خلال الحرب ، فقد شعر الأفغان من جراء الوجود البريطانى فى أراضيهم بالمهانة القومية والروحية .
 - ٣- شعور روسيا بالخطر البريطانى فى آسيا الوسطى ، وقد وجدت فى سياسة بريطانيا تهديدا سياسيا واقتصاديا ، ولذلك شرعت فى المزيد من العمليات العسكرية فى مرو عام ١٨٨٣م ، وفى الأراضى الأفغانية الواقعة إلى الجوار من أراضى بخارى .
 - ٤- تحديد الحدود الأفغانية الروسية بتدخل بريطانيا لإيقاف أطماع روسيا فى الأراضى الأفغانية فى «بادقشان» و«واخان» و«ويلخ» ، وفى تحديد تلك الحدود تعيين المجال السياسى لنفوذ كل من بريطانيا وروسيا فى وسط آسيا الإسلامية .

١- أنور الجندى : العالم الإسلامى والاستعمار السياسى والاجتماعى والثقافى ، القاهرة ، ص ١٤٨ .

لم تكن الحرب الأفغانية الثانية نهاية العداء أو الأطماع البريطانية فى الأراضى الأفغانية، إذ أن البريطانيين أرسلوا عبر الحدود الهندية الأفغانية قوات بريطانية ضخمة بدعوى تأمين تلك الحدود من ناحية أفغانستان ، ولكن هذه المحاولة انتهت بالفشل عام ١٩١٩م على يد الأمير حبيب الله خان ، الذى حاول استرضاء البريطانيين بعدم الاستجابة لدعوة السلطان العثمانى خليفة المسلمين للجهاد ضد أعداء الإسلام من البريطانيين وحلفائهم ، ولكن مالبت أن اغتالته يد أئيمة مجهولة ، وهو يقاوم البريطانيين (١).

وعلى يد الأمير أمان الله خان بن حبيب الله خان تم استرداد بقية الأراضى الأفغانية من يد القوات البريطانية المنهزمة ، وقد اضطرت بريطانيا لأول مرة إلى الاعتراف باستقلال أفغانستان عام ١٩١٩م ، ولكن أمان الله خان لم يحسن إدارة البلاد بسبب محاولته تقليد مصطفى كمال أتاتورك فى حركة التغريب والتخلى عن التوجه الإسلامى فثار الشعب الأفغانى المسلم ضده عام ١٩٢٨ .

وخلفه ابن عمه محمد نادر شاه الذى كان قائد جيوش تحرير واستقلال أفغانستان ضد البريطانيين عام ١٩١٩م، والذى سعى إلى إعادة الوجه الإسلامى للحكم فى أفغانستان ، كما سعى إلى إقامة التوازن فى العلاقات الدولية بين بريطانيا فى الهند وبين الاتحاد السوفيتى. ولكن مالبت أن لقي مصرعه على يد أئيمة عام ١٩٣٣ بعد حكم لم يدم سوى خمس سنوات .

تولى الحكم فى أفغانستان الملك محمد ظاهر شاه خلفا لوالده محمد نادر شاه ، فسار سيرته الإسلاميه والحضارية وتدعيم علاقات أفغانستان بالدول الإسلاميه بصفة خاصة ، ولكن فى ١٧ يوليو عام ١٩٧٣م شجع الاتحاد السوفيتى على حث العناصر الشيوعية الأفغانية للقيام بانقلاب ضد الملك محمد ظاهر شاه ، حيث ألقى النظام الملكى وأعلن النظام الجمهورى برئاسة محمد داود ابن عم الملك السابق محمد ظاهر شاه .

السوفييت وأفغانستان

ظل محمد داود يحكم ويقيم علاقات قوية مع الاتحاد السوفيتى حتى انقلب عليه عميل سوفيتى آخر هو «نور الدين تره كى» الذى قتل محمد داود وأسرتة فى ١٨ أبريل عام ١٩٧٨

١- أنور الجندى : المرجع السابق، ص ١٤٩ .

ولكن الأمر لم يستتب «لنور الدين تره كى» إذ حدث انقلاب ضده بقيادة حفيظ الله أمين فى منتصف سبتمبر ١٩٧٩م، ولكن حفيظ الله أمين لم يهنأ بالحكم سوى ثلاثة شهور خلفه عميل سوفيتى آخر هو بابر كاركاميل الذى قضى على حفيظ الله أمين فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٧٩م.

ولقد تسلل السوفييت إلى أفغانستان كخبراء منذ عهد محمد داود، ولكنهم ما لبثوا أن دخلوا بجيوشهم التى وصلت أعدادها إلى حوالى ٨٠ ألف جندى فى عهد حفيظ الله أمين وكارمىل بدعوى مساندة حكومة كابل الشيوعية فى مواجهة قوات الجهاد الأفغانى المسلمة . وكان هدف السوفييت هو الوصول إلى منابع البترول فى منطقة الخليج العربى .

ونتيجة لكفاح الأفغان فقد أضطر السوفييت إلى الإنسحاب من أفغانستان ومن ثم سقوط النظام العميل فى كابل وارتقاء المجاهدين الأفغان السلطة فى كابل ولكنهم ما لبثوا أن دخلوا فى صراع مع بعضهم البعض .

ولنا أن نتساءل هل حقق السوفييت أهدافهم من التدخل العسكرى فى أفغانستان ؟ للإجابة على هذا التساؤل نقول إن السوفييت أخطأوا التقدير بالنسبة للمقاومة الوطنية ، وقد حاول السوفيت استخدام قوات من دول وسط آسيا الإسلامية لمحاربة الأفغان فى إطار محاولة الاتحاد السوفيتى سحب الجنود الروس وقد سعوا إلى ذلك استنادا إلى أن :

١- هذا الاستبدال سيوفر تكاليف باهظة ، فمن الناحية الاقتصادية إن دخول دول وسط آسيا الإسلامية أقل تكلفة من نقل القوات السوفيتية من موسكو .

٢- أن الاتحاد السوفيتى اعتقد أنه سيحصل على امتيازات سياسية بارسال قوات متفقة مع الافغان دينيا وخلقيا .

ولكن سرعان ما اكتشفت السلطات السوفيتية بأن كثيرا من قوات دول وسط آسيا الإسلامية أظهروا تعاطفا مع الأفغان^(١).

الفصل الرابع

إندونيسيا

-لمحة جغرافية - تاريخ إندونيسيا - فترة ما قبل الاستعمار الأوربي - الاستعمار البرتغالي - الاستعمار الهولندي - إندونيسيا عند قيام الحرب العالمية الأولى - إندونيسيا بين الحربين العالميتين - إندونيسيا في ظل الاحتلال الياباني - هولندا واستقلال إندونيسيا

لمحة جغرافية

تتكون إندونيسيا من مجموعة من الجزر والأرخبيلات أكبرها جاوة وتقتد من سومطرة إلى غينية الجديدة ، ومن الغرب إلى الشرق على امتداد خمسة آلاف من الكيلومترات ، وكانت مركز الإمبراطورية الهولندية الإستعمارية الكبرى فيما وراء البحار^(١) وهذه الجزر عرفت الإسلام في أواسط القرن الثامن للهجرة أو القرن الرابع عشر للميلاد ، وقد بلغ عدد سكانها من المسلمين في إحصاء عام ١٩٣٠ الذي أجرته هولندا ٦٤ مليون نسمة^(٢) .

وجاء دخول الإسلام إلى هذه الجزر عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا إليها قادمين من الهند وعن طريق التعامل والاختلاط مال سكان تلك الجزر إلى اعتناق الدين الإسلامي بأسلوب سلمي وبدون أدنى ضغط أو قهر ، وجاء انتشار الإسلام في «جاوة» أسبق من بقية الجزر ، ومن ثم اتخذ الإسلام من جاوة مركزا للانتشار إلى بقية الجزر الأخرى حيث امتد ليشمل «سومطرة» وإلى قسم من «بورنيو» و«سيليب» والجزر التي في الشرق منها ، والمتصفح لرحلات ابن بطوطة الرحالة العربي المشهور يقرأ له مدحا وثنا على ملك سومطرة المسلم في القرن الرابع عشر الميلادي لأن هذا الملك جاهد الكفار الوثنيين ونشر الإسلام بينهم^(٣) .

١- بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ، ص ٧٧٧ .

٢- لوثرروب ستودار : المرجع السابق ، ص ٣٣٨-٣٣٩ .

٣- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين ، ص ٢٨٥ .

وصار للعرب المسلمين في جزر إندونيسيا سلاطين وأمراء ، وصار للعرب معرفة تامة بخيراتها ، وحيث كانوا أكثر حضارة من سكانها فقد صاروا في مراكز مرموقة بين الناس استندت كذلك على خبراتهم بأمور التجارة والملاحة في البحار والإدارة ، ومن الجدير بالذكر أن علاقات العرب التجارية بسكان تلك الجزر لم تكن مهما كشرت واتسعت لتكفي في نيل العرب هذه السيادة الاجتماعية والأدبية على جزائر عظيمة كهذه فياضة الخيرات زاخرة العمران، بل كانت معهم قوة أعظم من هذه وهي قوة العقيدة المحمدية التي هي من الجلاء والبساطة بحيث يفهما الخاص والعام^(١).

ويقدر المؤرخون تاريخ دخول الإسلام إلى جزر إندونيسيا بخمسة قرون تبتدئ من القرن الثاني عشر الميلادي إلى أن تنتهي باحتلال الهولنديين لها في القرن السابع عشر، ولم يؤسس العرب في تلك الجزر دولة أو سلطنة موحدة وإن كانوا قد نجحوا في إقامة أسس وحدة إسلامية تبقى ما بقى الإنسان على تلك الأرض ولا تسقط أمام عدوان أوروبي أو غيره ، ولعل وجود الجزر متباعدة كان من العوامل التي لم تمكن العرب من إقامة دولة موحدة فيها . ومما تجب ملاحظته أن معظم العرب الوافدين إلى تلك الجزر كانوا من حضرموت بجنوب الجزيرة العربية ، وهؤلاء مشهود لهم بالمشاهرة والخبرة الملاحية والتجارية والإدارية إلى جانب تمسكهم بالإسلام وحسن معاملتهم لشعوب تلك الجزر .

وأكبر تلك الجزر هي جاوة التي تبلغ مساحتها ١٣١.٥٠٠ كم^٢ ، وإن كانت بورنيو أكبر منها بل أكبر جزيرة في الكرة الأرضية بعد جزيرة غينية الجديدة ، إذ أن مساحتها ٧٤٦.٠٠٠ كم^٢ ولكنها قسمت بين هولندا والمجتراتا وقد دخل الإسلام إلى بورنيو في القرن السادس عشر الميلادي وصار لها سلطان مسلم أواخر ذلك القرن ، وظلت تحافظ على استقلالها أمام البرتغال والأسبان والإنجليز والهولنديين حتى أواسط القرن الثامن عشر .

وثالث الجزر من حيث العظمة والاتساع هي جزيرة سيلاب cêlébes المعروفة أحيانا باسم «سيلبيس» - ومساحتها حوالي ٣٢٢٢٨ كم^٢ وقد انتشر الإسلام إليها أواخر القرن السادس عشر، ومع بداية القرن السابع عشر تنافس الهولنديون والإنجليز والدفركيون مع البرتغاليين في الفوز بمحاصيل هذه الجزيرة من البهارات والفلفل والقرنفل وغيرها مما تشتهر هذه الجزيرة بانتاجه ، حتى انتهى الأمر بنزول الهولنديين إلى الجزيرة وسط سيطرتهم عليها اعتبارا من عام ١٦٦٧ م .

وتعتبر جزيرة سومطرة من أعظم الجزر فى العالم ، ويفصلها عن بلاد الهند الصينية «بوغاز ملقا» وعن جاوة بوغاز «الصوند» ، ومساحتها ٣٠٠.٠٠٠ كم٢ ومعظم سكانها مسلمون ، وخيراتها كثيرة سواء كانت زراعية أو معدنية ، وسكانها خليط من العرب والهنود والملاويين والصينيين. وقد خضعت هذه الجزيرة أيضا للسيطرة الهولندية .

ويطلق اسم إندونيسيا على مجموعة الجزر الواقعة فى جنوب شرق آسيا والتي تضم سومطرة وجاوه وبورنيو وسيليبس ولومبون وتيمور وجزائر الملوك الجديدة وشبه جزيرة الملايو وبعض الجزر الأخرى المبعثرة وقد أطلق على مجموعة الجزر هذه أسماء متعددة فسميت قديما باسم نيوسنتارا Nuesantars وانسوليند Insulande وسميت أيضا باسم جزائر الملايو، وباسم جزائر الهند الشرقية الهولندية Dutch East Indies كذلك أطلق العرب الأقدمون عليها اسم جاوه وهو من قبيل إطلاق الجزء على الكل. وما زالوا حتى يومنا هذا يحتفظون بتلك التسمية.

ومنذ عام ١٨٥٠ أخذ اسم اندونيسيا يغلب على ماعدها من الأسماء، ويتكون هذا الاسم من جزئين هما : (إندو) وهى مشتقة من كلمة الهند، والثانى (نيسيا) ومعناها الجزر . أى أن إندونيسيا هى جزائر الهند . وقد أصبحت هذه التسمية رمزا لوحدهم وأمانيتهم القومية . ولهذا السبب لم تكن الحكومة الهولندية التى حكمت تلك الجزر تعترف بتلك التسمية .

ويطلق هذا الاسم حاليا على مجموعة الجزر التى كانت خاضعة لحكم هولندا ولكن اسم إندونيسيا يشمل أيضا جزر الفلبين التابعة للولايات المتحدة الأمريكية ، بل لقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن جزيرة مدغشقر وجزيرة سيلان تدخلان أيضا ضمن مجموعة الجزر الإندونيسية ، لأن سكان هذه الجزر جميعها من أصل جنس الملايو .

تاريخ إندونيسيا

فترة ما قبل الاستعمار

عرفت إندونيسيا الوحدة السياسية منذ القرن الخامس الميلادى حتى القرن الثالث عشر تحت حكم امبراطورية (سرى وبجاها) وبعد سقوط تلك الإمبراطورية فى أواخر القرن الثالث عشر، قامت على أنقاضها امبراطورية أخرى هى امبراطورية (ماجافاهيت) (١٢٩٣-١٤٧٨). واستطاعت تلك الإمبراطورية أن توحد جزيرة جاوه وجزائر سوندا الصغرى وجزيرة سيليبس وجزائر البهارات وبورنيو وشبه جزيرة الملايو وجزيرة سنغافورة وسومطرة تحت حكمها ، وأن

تسيطر على تجارة تلك المنطقة سواء بينها وبين الصين أو بينها وبين التجار الهنود الذين يقومون بتسليمها للتجار العرب في الخليج العربي حيث تتركز في مدينة بغداد ومنها تسيير في طريقين : أحدهما يمر بتركيا إلى أوروبا- وقد توقفت التجارة عن هذا الطريق بعد سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين عام ١٤٥٣م والطريق الآخر المار بمصر ومنها إلى أوروبا .

وبانتشار الإسلام في الجزر الاندونيسية قامت ممالك إسلامية متعددة فيها مثل مملكة بنتام التي أسسها الملك حسن الدين في جاوه الغربية سنة ١٥٦٨ ومملكة متارام التي أقامها رجل عسكري يدعى سنافاني في شرقي جاوة سنة ١٥٨٣ .. وبذلك أصبحت جزيرة جاوة مركز الاشعاع للدين الإسلامي فانتقل منها إلى غيرها من الجزر ثم قام نزاع بين هؤلاء الملوك والحكام كان من أثره اشتعال نار الفتنة وحدث الاضطرابات مما أضعف البلاد أمام الغزو الأوروي المرتقب .

الاستعمار البرتغالي :

ونظراً لحاجة الغرب الشديدة إلى البهارات ، ونظراً لارتفاع ثمنها ارتفاعاً باهظاً في أوروبا ، حاول الأوروبيون أن يصلوا إلى مناطق إنتاجها لشرائها بأثمان منخفضة وقد شجع هذا ماركوبولو (١٢٥٤-١٣٢٣م) الرحالة الإيطالي على مغادرة البندقية في سنة ١٢٩٣ متجهاً إلى الصين ونزل بسومطرة بعض الوقت ثم تبعه في نفس المنضمار بارثولوميو دياز Bar-tholmous Diaz البرتغالي الذي استطاع الوصول إلى جنوب أفريقيا وأطلق على رأس القارة الجنوبي رأس الزوابع وذلك في عام ١٤٨٦ واتم عمله هذا بحار برتغالي آخر يدعى فاسكودا جاما Vasco da Gama حيث وصل إلى ميناء قليقوت بالهند في عام ١٤٩٨ واستطاع البرتغاليون وخصوصاً في أيام الحاكم البرتغالي للمستعمرات البرتغالية في الهند المسمى ألفونسو البوكيرك (١٤٥٣-١٥١٥) أن يسيطروا على التجارة في الجزء الغربي من المحيط الهندي وأن يتطلعوا إلى الجزء الشرقي حيث توجد جزر الهند الشرقية . وقد نشبت معارك شديدة بين الإندونيسيين المسلمين من ناحية وبين البرتغاليين من ناحية أخرى وقد اتخذت تلك الحرب شكل الحروب الصليبية ، نظراً لقرب عهد البرتغاليين بمقاومة النفوذ العربي والقضاء عليه في الأندلس . وتمكن البرتغاليون بعد جهود كبيرة من الاستيلاء على معظم سفن المسلمين واحتلال شبه جزيرة الملايو ومضيق ملقا الذي يعتبر من أهم الممرات التجارية المسيطرة على طرق التجارة الآسيوية .

ثم أخذوا فى إرسال الحملات المتعددة إلى الصين وسيام والى جزر الملوك أو جزائر البهارات بقصد الاستيلاء على البهارات واحتكارها فى أيديهم فقط . كما أرسلوا البعثات التبشيرية إلى تلك الجزر لنشر المسيحية فيها ، وقد استطاعوا بالفعل أن يدخلوا عددا قليلا من سكان إندونيسيا فى الديانة المسيحية واتخذوهم أتباعا لهم ومؤيدين لسياستهم الاستعمارية .

ومنذ ذلك الوقت كثر سفر التجار الأوروبيين إلى إندونيسيا والتعامل مع التجار الإندونيسيين مباشرة دون وساطة ليجنوا أكبر قسط من الأرباح .

الاستعمار الهولندى :

كان البرتغاليون - كما سبق أن ذكرنا - أول من استطاع من الأوروبيين الوصول إلى إندونيسيا وذلك فى عام ١٤٩٨ وظلوا يحتكرون نقل تجارة التوابل إلى أوروبا ، حتى سنة ١٥٨٠ حيث استولت أسبانيا على البرتغال ، فألت إليها البرتغال بما لها من ممتلكات . ولما كان بين الأسبان والهولنديين عداة فى ذلك الوقت طمعت هولندا فى ضم الممتلكات البرتغالية فى إندونيسيا وفى منافستهم فى تلك الجزر . وبالفعل استطاعوا الوصول إليها فى أواخر القرن السادس عشر . ثم تبعهم الإنجليز والفرنسيون فى أوائل القرن السابع عشر وحدث تسابق بين تلك الدول فى استنزاف موارد الثروة فى البلاد على نطاق واسع بقدر ما كانت تتسع مراكبهم فى ذلك الوقت .

وقد جاء الهولنديون إلى إندونيسيا كمستعمرين ، ولكن استعمارهم كان ذا صبغة تجارية صرفة ، فما بهم الهولنديون فى ذلك الوقت هو السيطرة على موارد الثروة واستغلالها لصالحهم الخاص . ومن ثم نشأت الشركات الهولندية وعلى غرارها نشأت شركات أخرى انجليزية وفرنسية تعتمد على أسطول تجارى ضخم وعلى قوة مسلحة لحمايته . وقد تنافست تلك الشركات منافسة عنيفة أدت إلى الاشتباكات المسلحة بعض الأوقات .

ويمكننا القول بأن هذه الشركات الأجنبية قد مكنت للنفوذ السياسى من أن يستقر وأن يتوطد . فنجد مثلا أن شركة الهند الشرقية الهولندية التى تكونت فى ٢٠ مارس سنة ١٦٠٢ قد لعبت دورا خطيرا فى توطيد أقدام الاستعمار الهولندى فى إندونيسيا ، ومن أكبر دعائم تكوين الإمبراطورية الهولندية التى كانت تعتبر ثالثة الإمبراطوريات بعد الإمبراطوريتين الإنجليزية والفرنسية وعانها فى هذا الشأن أيضا شركة الملاحة الهولندية التى تأسست عام ١٨٧٠ .

وقد بذل الهولنديون نشاطا تجاريا ملحوظا منذ أن وطأت أقدامهم أرض إندونيسيا إذ قاموا برحلات استشفافية حول الجزر الإندونيسية بقصد توطيد علاقاتهم بالأهالى والدخول فى

علاقات تجارية معهم ووصلوا في طوافهم إلى جزر الفلبين وشواطئ سيام والهند الصينية والصين. وكذلك وصلوا إلى اليابان في سنة ١٦٠٠م وإلى شواطئ استراليا الشمالية في سنة ١٦٠٥م .

وساد التنافس بين البرتغاليين والهولنديين في إندونيسيا ، وكانت الأمور في ذلك الوقت تسير في مصلحة الهولنديين ، وخصوصا أن هذا التنافس قد أتى بعد هزيمة أسطول أسبانيا الأرمادا أمام الأسطول الإنجليزي في عام ١٥٨٨ ، ولذا لم تستطع أسبانيا أن تشد أزر البرتغاليين في صراعهم مع الهولنديين، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى تفوق الهولنديين في النهاية.

وفي سنة ١٦٠٠ استطاع الهولنديون عقد معاهدة تحالف مع الإندونيسيين في جزيرة (إمبوننا) وتنص هذه المعاهدة على منح الهولنديين حق إقامة الحصون للدفاع عن الجزيرة ، في مقابل احتكارهم لتجارة البهارات وقد سارت هولندا على سياسة عقد المعاهدات بين الملوك والسلاطين من حين لآخر توطيدا لنفوذها وسيطرتها على هذه الجزر .

ويعقد مثل تلك المعاهدات قامت شركات هولندية متعددة لاستغلال موارد الثروة في البلاد وساد التنافس بين ممثليها بشكل أضر بمصلحة الهولنديين إلى أن رأت الحكومة الهولندية توحيد كل تلك الشركات في شركة واحدة تسمى شركة الهند الشرقية الهولندية V . O . C التي أشرنا إليها .

وفي سنة ١٦١٣ عينت هولندا المستر كون Coon رئيسا وحاكما عاما لجميع وكلاء الشركة في إندونيسيا ، وكان ذا أطماع واسعة في احتكار تجارة إندونيسيا كلها بل وتوجيهها إلى العالم الآسيوي، واتخذ من مدينة (بتافيا) جاكرتا حاليا عاصمة جاوه مقرا له .

ثم نشأ نزاع بينه وبين الإنجليزي في سنة ١٦١٨ في ميناء جاكرتا وانتصر الإنجليزي في أول الأمر بمساعدة الأهالي، وفر كون إلى جزائر الملوك، ولكن حصون بتافيا صمدت أمام الإنجليزي فلم يستطيعوا الاستيلاء عليها. ثم أخذ الهولنديون يدخلون في حروب مع حكام الجزر الإندونيسية الواحد بعد الآخر إلى أن تمكنوا من توطيد سلطتهم في إندونيسيا .

ومنذ أوائل القرن الثامن عشر بدأت الشركة تتحول من التجارة فقط إلى الزراعة أيضا. فأدخلت زراعات جديدة مثل زراعة البن التي أصبحت من أهم مصادر دخل الشركة في الربع الأخير من هذا القرن .

وقد ساعدت الشركة في ذلك الوقت انهيار التجارة الآسيوية لانشغال اليابان بانقلابها الصناعي وتنفيذ سياستها في الاكتفاء الذاتي. ولكن نظرا لانهيار تجارة الشركة مع الهند بدافع من فرنسا والمجلترا ، بدأت الشركة تفقد ما لها من سلطان تجارى وتتحول إلى السياسة وإلى الحكم . وترتب على هذا الاتجاه الجديد زيادة خسارة الشركة وكثرة ديونها إلى أن انتهت بصفة نهائية في عام ١٧٩٩ وحلت الحكومة الهولندية محل الشركة في تسيير أمورها ومنذ ذلك الوقت بدأت الحكومة الهولندية تستعمر إندونيسيا وتسير على نفس سياسة الشركة التعسفية مع عامة الشعب . فأدخلت بعض المحاصيل الجديدة إلى أندونيسيا وأجبرت الأهالي على زراعتها وتسليم محصولها إلى الحكومة بالثمن الذى تحدده .

وفى عام ١٨١١ نظرا لاحتلال نابليون هولندا ، هاجمت المجلترا الممتلكات الهولندية للاستيلاء عليها حتى لاتقع فى يد نابليون ، فدخلت فى حوزتها جزيرة جاوة ، وجزيرة تيمور ، ومكاسر فى سيليبس وجنوب سومطرة. وقد تم هذا الاحتلال عن طريق شركة الهند الشرقية الإنجليزية . وفى ظل الحكم الإنجليزي تمتعت إندونيسيا بشئ من الحرية فى إدارة شئونها الداخلية وفى استغلال مواردها .

وبانهزام نابليون واستقلال هولندا تعود الممتلكات الهولندية فى إندونيسيا إليها مرة ثانية، وذلك بمقتضى الاتفاقية التى عقدت بين المجلترا وهولندا فى عام ١٨١٤ باستثناء جزيرة سيلان فى الهند ومدينة الكاب فى جنوب أفريقيا وبعض جزائر الهند الشرقية وأمريكا الوسطى التى احتفظت بها المجلترا .

وقد رأت المجلترا بعد أن سلمت إندونيسيا لهولندا أن تعمل على السيطرة على الطرق التجارية بين الهند والصين . ولذا وجدت أن من الضرورى الاستيلاء على مضيق ملقا وأن أفضل مكان تسيطر فيه المجلترا على حركة التجارة هو جزيرة سنغافورة ، فلم تتردد فى شراء تلك الجزيرة من أحد الحكام المحليين فى ٢٩ يناير سنة ١٨١٩ وإعلان حرية هذا الميناء . وبأنه يستخدم لتموين السفن الأوروبية والإندونيسية . ومنذ ذلك الوقت أصبح لسنغافورة مركزها الاستراتيجى الممتاز فى منطقة الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا .

ثارت هولندا لاحتلال الإنجليز لميناء سنغافورة واعتبرته من ممتلكاتها الواردة ضمن الاتفاقية التى عقدت بينها وبين المجلترا فى سنة ١٨١٤ ، ولكن الإنجليز لم يأبهوا لهذه الثورة ولكنهم فى نفس الوقت لم يكونوا على استعداد للدخول فى منازعات مع هولندا

ووجدوا أن خير طريق للمحافظة على الاستعمارين الإنجليزي والهولندي لتلك الجزر هو الاتفاق بالطرق الودية . وبالفعل أسفرت المفاوضات بين الجانبين عن عقد اتفاق في مدينة لندن في عام ١٨٢٤ . وينص هذا الاتفاق على احتفاظ الإنجليزي بشبه جزيرة الملايو وجزيرة سنغافورة مقابل تنازل الإنجليزي للهولنديين عن منطقة من الأرض غربي جزيرة سومطرة ، كما استولى الإنجليزي على شمال بورنيو . وتعهد الطرفان باحترام حدود مستعمراتها وتجنب كل ما من شأنه إثارة المتاعب للآخر . وبهذا ينتهي التنافس التجاري السياسي بين الدولتين في الشرق الأقصى .

وإذا كانت هولندا قد وضعت حدا لنزاعها مع إنجلترا لتهدأ بالا باستعمارها لإندونيسيا ، فإن هذا الهدؤ لم يتحقق ، فالقوانين التعسفية التي فرضتها السلطات الهولندية الحاكمة على السكان ، بالإضافة إلى امتهانهم لعادات وتقاليد البلاد الإسلامية ، قد أثارت الأهلين وعلى رأسهم الأمير «ديبو نيجورو» أحد علماء جاوة فقام نزاع بينه وبين تلك السلطات الهولندية الحاكمة تطورت إلى حرب طويلة بدأت في منتصف عام ١٨٢٤م واستمرت حوالي خمس سنوات تكبدت هولندا خلالها خسائر فادحة في الأموال والأنفس ، ويقدر عدد القتلى في تلك الحرب من الهولنديين بخمسة عشر ألفا .

ولما يشست هولندا من التغلب على الأمير لجأت إلى سلاح الخديعة ، فطالبت الدخول في مفاوضات معه لوضع حد لهذا النزاع وذلك في ١٦ فبراير سنة ١٩٣٠م . ولكنهم غرروا به وقبضوا عليه أثناء المفاوضات ونقل إلى جزيرة سيليبس حيث مكث فيها إلى وفاته في ٨ فبراير سنة ١٨٥٥ ويعتبر الأمير «ديبو نيجورو» من المجاهدين الإندونيسيين الذين ضربوا أروع الأمثال في محاربة الاستعمار .

ونتيجة للحروب الكثيرة التي خاضتها هولندا ضد نابليون وبلجيكا ، وكذلك لإخضاع ثورة الأمير ، فإن الميزانية الهولندية قد ثقلت بالديون ووجدت هولندا أن أفضل سبيل للتخلص من هذا الارتباط المالى هو فرض الضرائب الباهظة على الإندونيسيين ، وتنفيذ سياسة التوجيه الاقتصادي ، وإجبار الأهالي على زراعة محاصيل بعينها تتولى الحكومة تصريفها في الأسواق العالمية . وكان تنفيذ تلك السياسية بناء على توصيات رجال الحكومة الهولندية من المحافظين .

وكانت إندونيسيا خاضعة مباشرة لسلطة الملك فى هولندا دون تدخل من البرلمان وذلك بمقتضى دستور سنة ١٨١٥ ولكن منذ سنة ١٨٤٨ صار الملك يحكم تلك المستعمرات عن طريق وزير المستعمرات الهولندى . وكان كل من حزب الأحرار والمحافظين فى هولندا يعتبر أن مهمة إندونيسيا هى العمل على رفاهية الشعب الهولندى ، أى أن جزءا كبيرا من ميزانيتها يجب أن يوجه لهولندا لرفع مستوى حياة الشعب فيها .

ويمكننا أن نقسم تقدم النفوذ الهولندى فى إندونيسيا وتوسعه إلى ثلاث فترات :

الفترة الأولى :

وتتد من عام ١٨١٦ إلى عام ١٨٥٠ وهى فترة البناء والتشييد وفى خلالها خاضت هولندا حروبا ضد المجترا وبلجيكا ، وضد الأمير «دبيو نيجورو» فارتبكت مالىتها واشتدت حاجتها إلى المال وإلى فرض الضرائب ولهذا اقتصر نشاطها على توطيد نفوذها السياسى والاقتصادى فى جزيرة جاوة ولم تهتم كثيرا بالجزر الأخرى إلا إذا سنحت الظروف بذلك .

الفترة الثانية :

وتتد من عام ١٨٥٠ إلى عام ١٩٠٤ . وفى خلال تلك الفترة بدأت الأوضاع تستقر بالنسبة للهولنديين فى جاوة فبدأوا يتطلعون إلى توسيع ملكهم ، فحدثت بينهم وبين مملكة «آتشي» فى شمالى سومطرة حرب مقدسة استمرت واحدا وثلاثين عاما من (١٨٧٣-١٩٠٤) وقد تكبدت خلالها هولندا خسائر فادحة فى الأموال والأنفس . وتعتبر تلك الحرب مثالا رائعا للجهاد الوطنى ضد المستعمر وأ نموذجا حيا لقوة الشعب الإندونيسى وصبره وشجاعته .

الفترة الثالثة :

وتشمل الفترة من عام ١٩٠٤ إلى قبيل الحرب العالمية الأولى . وفى تلك الفترة بلغ النفوذ الهولندى أوج قوته ، فاستطاعت هولندا أن تخضع معظم ملوك إندونيسيا لسلطتها إما بطريق الحروب أو بطريق الخدعة . ولكنها لم تحاول أن تظهر للشعب الإندونيسى بوجهها الاستعمارى البغيض . فحكمت تلك البلاد عن طريق حكامها وسلطينها القدامى مع الاحتفاظ لهم بما كانوا يتمتعون به من أبهة وجاه .

حالة إندونيسيا عند قيام الحرب العالمية الأولى :

تعتبر الأوضاع الاقتصادية فى إندونيسيا ، بل فى معظم بقاع العالم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى تحول جديد وكانت معظم الحكومات الأوروبية فى ذلك الوقت قد

أخذت بالنظرية الاقتصادية الجديدة التى تقضى بعدم تدخل الحكومة فى الشئون الاقتصادية والتجارية ، وتركها حرة تتحكم فيها عوامل المنافسة ونظرية العرض والطلب . هذه النظرية الاقتصادية التى أطلق عليها اسم (اتركه يمر واتركه يعمل) . Laisser Passer Laisser Faire . وقد أخذت الحكومة الهولندية بهذه النظرية منذ عام ١٨٧٠ خضوعا لرأى حزب الأحرار الهولندى الذى كان يعتقد تلك النظرية فتخلت هولندا عن التدخل المباشر فى الشئون الزراعية والتجارية ، ولكنها فى نفس الوقت احتفظت لنفسها بإدارة بعض المزارع الكبيرة وكذلك الإشراف على استغلال المناجم ، وشئون المواصلات .

ولم يشمل هذا التغيير سياسة الحكومة الهولندية فحسب بل جدت عوامل أخرى سياسية واقتصادية عالمية كان لها أثرها البالغ فى الاقتصاد الإندونيسى . من هذه العوامل الانقلاب الصناعى الكبير الذى عرفته دول أوروبا خلال القرن التاسع عشر وكذلك أمريكا . هذا الانقلاب الصناعى الكبير القائم على الإنتاج الضخم السريع والذى يتطلب من تلك الدول الصناعية الحرص على استجلاب المواد الخام الأولية اللازمة لتلك الصناعة من مصادرها الأصلية . ومن هنا زاد الاهتمام بالمنتجات الإندونيسية الزراعية والمعدنية ، واشتد الطلب عليها بل إن هذا الاهتمام لم يقتصر على منتجات إندونيسيا من المواد الخام فحسب بل تعداه إلى إندونيسيا نفسها كسوق تجارية هامة لتصريف المصنوعات الأوروبية الأمريكية .

ومما له أكثر الأثر فى تنشيط الحركة التجارية وفى تخفيض نفقات النقل وأسعار المواد الخام والمصنوعات شق قناة السويس التى قربت بين أسواق الشرق المنتجة للمواد الخام وبين أسواق الغرب المستوردة لتلك الخامات والمصدرة للمصنوعات المختلفة . وفى مستهل القرن العشرين أخذت الحكومة الهولندية تتفرغ لاستغلال البلاد استغلالا منظما بعد أن قضت على الثورات الداخلية ، وبعد أن أخلد الشعب الإندونيسى إلى الهدؤ إلى حد ما بعد هذا الصراع الدامى الطويل مع الهولنديين . وقد رأت هولندا أن من مصلحتها مصانعة الدول الأوروبية والأمريكية لمساندتها فى استعمار إندونيسيا وللإعتماد على تأييدها وضمانا لعدم إثارة المتاعب ضد احتلالها لتلك البلاد ولهذا فقد شجعت الشركات ورؤس الأموال الأجنبية على استثمار أموالها فى إندونيسيا ، وبذلت لها كل معونة مستطاعة فضمنت بذلك تأييد الدول للوضع القائم فى إندونيسيا ومؤازرة هولندا فى موقفها إزاء الإندونيسيين للمحافظة على مصالحها ورؤس أموالها .

ويفضل تلك السياسة الاقتصادية الجديدة ازدادت هجرة الأوروبيين والآسيويين إلى إندونيسيا ، وتضاعف نشاطهم لاستغلال موارد البلاد وفي وسط هذا النشاط الأجنبي وتكالب الأوروبيين على استثمار موارد البلاد أخذ الإندونيسيون يشقون طريقهم نحو حياة اجتماعية ودينية وسياسية . وبدأت نهضة إندونيسيا الجديدة في مستهل هذا القرن تحت زعامة شخصية نسائية كبيرة هي الزعيمة الإندونيسية (رادن اجينج كاريتيني) ١٨٧٩-١٩٠٤ التي أخذت على عاتقها قيادة الحركة الوطنية لتخليص البلاد من ربة الاستعمار وقد وصل الإندونيسيون في مستهل القرن العشرين في الفترة التي بدأت قبل الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد انتهائها بعدة سنوات إلى درجة من الفقر والحاجة لم تشهدا البلاد من قبل ولم يكن هذا ناجما بطبيعة الحال عن قلة موارد البلاد ، بل كان يرجع إلى الأوضاع الداخلية والاقتصادية القائمة . فالمراكز الرئيسية في الدولة في أيدي كبار الموظفين الهولنديين الذين يتقاضون مرتبات ضخمة كذلك الأراضي والضبايع والمؤسسات كانت إما ملكا للشركات الأجنبية والهولندية أو ملكا للحكومة . ولم يكن أمام سكان إندونيسيا إلا الاشتغال كأجراء في شركات الأجانب أو الحكومة وكانت تلك الشركات تتحكم في تحديد الأجر وتتعسف مع العمال الإندونيسيين لتضمن بذلك أكبر قدر من الربح .

وفي خلال الحرب العالمية الأولى قدمت إندونيسيا أكبر قسط من التضحيات فنظرا لوقوف هولندا على الحياد بين الكتلتين المتنازعتين المجتلترا وحلفائها من ناحية وألمانيا وحلفائها من ناحية أخرى ، كانت بمثابة مركز لتموين الجانبين المتحاربين بالمواد الغذائية والمواد الخام اللازمة للأعمال الحربية . ففي أوروبا كانت هولندا تقوم بتموين ألمانيا بما تحتاج إليه ، وفي إندونيسيا أخذت تمد الحلفاء بما يلزمهم من مواد خام ومواد غذائية . ولم يكن يهم هولندا في ذلك الوقت انتصار أى من الجانبين بقدر اهتمامها باستمرار الحرب ، وإمداد كلا الفريقين بما يحتاج إليه . أى أن موقفها في تلك الحرب كان لا يخرج عن موقف التاجر الذى لا يهتم سوى الربح بأى شكل من الأشكال وكذلك كان الشأن بالنسبة لسائر الشركات الهولندية والأجنبية التي رأت قيام تلك الحرب فرصة نادرة للكسب والإثراء ، سواء بالطرق المشروعة أو غير المشروعة .

ولهذا كانت إندونيسيا أهم مصدر لتموين تلك الحرب ، وأصبحت ميدانا للتنافس والتصارع الاقتصادي بين الجانبين . وقد ركزت هولندا اهتمامها بانتاج المواد الأولية والغذائية اللازمة للطرفين المتحاربين بصرف النظر عما إذا كانت تلك السياسة تتفق مع مصلحة

الإندونيسيين أم لا . وترتب على تلك النظرة ، أن تعرض الأهالي للمجاعات المتكررة خلال فترة الحرب العالمية الأولى وما تلاها لعدة سنوات ، رغم أن إندونيسيا من أكبر الدول في إنتاج المواد الغذائية . ولكن هذا الإنتاج لم يكن مخصصا للاستهلاك المحلي بل كان مخصصا للتصدير فلا غرابة إذن إذا ما اشتد الغلاء وارتفعت أسعار المواد الغذائية وندر وجودها في الأسواق ولجأ الناس إلى أوراق الأشجار وجذورها يستعيبون بها عن الطعام . وقد صبر الإندونيسيون على هذا الضيم على أمل تنفيذ ما وعدت به هولندا من منح إندونيسيا استقلالاً داخلياً في إدارة شئونها . وما درى هؤلاء أن تلك الوعود التي تبذل أثناء الحروب ما هي إلا نوع من المخدر للشعوب كي تهدأ وتستكين ريثما ينجلي الموقف وتصبح الدولة المستعمرة في مركز يسمح لها بأن تبطش بتلك الحركات القومية وقد أعطانا التاريخ أمثلة عديدة لأمثال تلك المواقف .

حالة إندونيسيا بين الحربين العالميتين الأولى والثانية :

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨ تطلع الإندونيسيون إلى هولندا لتنفيذ ما وعدت به ، ولكنها لم تعر مطالب الإندونيسيين أذناً صاغية شأنها في ذلك شأن الدول المجتمعة في مؤتمر الصلح بباريس . وسنجد أن هذا المؤتمر لم يقرر شيئاً بخصوص الأوضاع في الشرق الأقصى ، بل إن مبدأ حق تقرير المصير الوارد بمبادئ الرئيس الأمريكي ولسون الأربعة عشر لم يطبق إلا في أضيق الحدود بالنسبة لبعض الشعوب الأوروبية فقط .

كان لا بد إذن على إندونيسيا أن تسلك طريق الجهاد إذا أرادت لنفسها الحرية والاستقلال ، فازدادت الحركة الوطنية تأججا ، وظهرت الأحزاب السياسية التي تبنت قضية الاستقلال مثل حزب (بودي اوتومو) وحزب (شركت إسلام) والجمعية المحمدية التي تعد من أكبر الجمعيات الإسلامية في العالم . وكذلك الجمعية العائشية الخاصة بالسيدات ، وجمعية «باسواندان» وحزب جاوة الفتاة ، وحزب الأمراء ، وجمعية نهضة العلماء ، والجمعية الوصلية وجمعية اتحاد علماء الإسلام . وغيرها من الجمعيات والأحزاب التي بلغ عددها ٥٧ جمعية .

وقد تبلورت تلك الأحزاب وخصوصا الأحزاب السياسية منها إلى حزبين رئيسيين وهما : حزب القمصان الخضراء وحزب القمصان الحمراء .

أما الحزب الأول وهو حزب القمصان الخضراء فكان من سياسته التعاون مع الحكومة الهولندية للوصول إلى الاستقلال التدريجي وقد طالب هذا الحزب الحكومة الهولندية بضرورة الوفاء بتعهداتها بشأن تكوين برلمان من الأندونيسيين للاشتراك معها في إدارة شئون البلاد . قرأت

أن تستجيب لطلبه فى إنشاء برلمان صورى يرضى الشعب الإندونيسى من الناحية الشكلية فقط . ولهذا قامت بإنشاء مجلس يسمى مجلس الرعية ويتكون من ستين نائبا ، نصفه من الإندونيسيين والنصف الآخر يشترك فيه الهولنديون بخمسة وعشرين عضوا والخمسة أعضاء الباقين يمثلون مصالح الأجانب المقيمين باندونيسيا وللحكومة الهولندية الحق فى تعيين رئيس للمجلس من الهولنديين وكذلك تعيين اثنين وعشرين عضوا من أعضاء المجلس . أما باقى الأعضاء فينتخبهم الشعب بطريق غير مباشر . ولم يكن لهذا البرلمان المعين فى حقيقة الأمر سلطة تذكر ، كما لم تكن الحكومة الإندونيسية مسئولة أمامه .

والحزب الآخر وهو حزب القمصان الحمراء فكان لا يؤمن بسياسة التعاون مع الحكومة ويرى أن هذا الطريق لن يؤد إلى استقلال إندونيسيا . وأن هذا الاستقلال لن يتحقق بطريق التعاون والمفاوضات . ولما قامت الثورة البلشفية فى روسيا فى عام ١٩١٧ وبدأت المبادئ الفكرية الجديدة تخرج إلى العالم حاملة الثورة على الأوضاع والنظم الاقتصادية والسياسية القديمة ، تسربت تلك المبادئ إلى إندونيسيا ، فكون أعضاء هذا الحزب حزبا جديدا أطلق عليه اسم (شركت رعيت) أى حزب الأمة الذى سمي فيما بعد باسم الحزب الشيوعى الإندونيسى الذى أصبح من أقوى الأحزاب السياسية فى إندونيسيا .

وقد وجد أعضاء حزب (شركت إسلام) الذين رأوا سياسة التعاون مع الحكومة أن هذا التعاون لم يؤد إلى تحسين حال الإندونيسيين ، بل على العكس من ذلك فقد ازدادت الحالة سؤا ، ولهذا قرر سحب أعضائه من مجلس الرعية والانضواء تحت قيادة الحزب الشيوعى لتوحيد جهودهم فى مقاومة الاستعمار الهولندى .

وبإتمام هذا الاندماج بين الحزبين قويت حركة المقاومة للنهوض الهولندى واشتعلت نار الثورة فى غربى جاوة وفى سومطرة الغربية فى عامى ١٩٢٦ - ١٩٢٧ وكادت تلك الثورة تعصف بما لهولندا من نفوذ فى إندونيسيا لولا تكاتف الشركات الأجنبية ومعانقتها للحكومة فى إخماد الثورة خشية ضياع مصالحها فى إندونيسيا . وبفضل تلك المعاونة استطاعت هولندا أن تقضى على الثورة وأن تحكم بالنفى على زعماء الحركة البالغ عددهم ٤٠٠٠ نائر من صفوة المثقفين الإندونيسيين إلى غينية الجديدة التى كان يطلق عليها الإندونيسيون اسم الأرض الحمراء نظرا لكثرة ما بها من مستنقعات وأوبئة فتاكة وأن تحكم البلاد حكما مطلقا وتقييد جميع الحريات .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت حالة هولندا الاقتصادية تسوء نظرا لانشغالها في إخضاع ثورة الإندونيسيين وفي تتبع نشاط الشيوعيين، فأهملت الاشتغال بالتجارة، وتركت هذا العمل للشركات الأجنبية الهولندية وتفرغت هي للحكم والسيطرة إلا أنها قد سارت على سياسة الباب المفتوح .
مبدأ حرية التجارة :

سيطر هذا المبدأ على معظم دول العالم في العصر الحديث. ولكن سياسة الباب المفتوح هذه قد أصبحت في صالح اليابان بعد الحرب مباشرة فدول أوروبا قد خرجت من تلك الحرب منهوكة القوى ومعظم مصانعها محطمة فانفردت اليابان بالسوق التجارية في الشرق الأقصى فزادت صادرات اليابان إلى إندونيسيا زيادة كبيرة وأصبح الميزان التجارى فى غير صالح إندونيسيا ولم تستطع التجارة الأوروبية أن تنافس التجارة والمصنوعات اليابانية لرخصتها ووفرتها وحاولت هولندا أن تقف أمام تيار التنافس التجارى اليابانى وتكافت مع الشركات الأجنبية للوقوف ضد اليابان فى التفوق التجارى وسيطرته على أسواق إندونيسيا .

ومهما يكن من شئ فإن الشركات الأجنبية فى إندونيسيا قد تمتعت بحماية الحكومة الهولندية وباشرت نشاطها التجارى على أوسع نطاق ، فاستطاعت أن تنتج المواد الخام الأولية بمقادير عظيمة وأن تصدرها إلى الدول الأوروبية وإلى أمريكا، وفى مقابل ذلك تستورد مقادير هائلة من مصنوعات تلك الدول. وبذلك نشطت حركة التبادل التجارى فى إندونيسيا إلى حد كبير ولم يعرقل نشاط حركة التبادل التجارى سوى الأزمة العالمية التى شملت العالم عام ١٩٣٠. فقد أضرت تلك الأزمة بالاقتصاد الإندونيسى ضررا بليغا فانخفضت أثمان المنتجات الزراعية فى إندونيسيا إنخفاضا كبيرا وذلك لقلّة الإقبال على شرائها من دول أوروبا وأمريكا لاستحكام الأزمة ، وترتب على ذلك أيضا أن إندونيسيا لم تستطع أن تستورد من تلك الدول ما تحتاج إليه من المصنوعات فوقفت حركة التبادل التجارى إلا مما كانت الشركات الأجنبية تستطيع تصديره فى مثل تلك الظروف .

انحط مستوى المعيشة تبعا لهذا الكساد التجارى فزادت البطالة وتحكمت الشركات الأجنبية فى تقدير الأجور مستغلة هذه الظروف الاقتصادية السيئة بل لقد عملت الحكومة من جانبها بمعاونة الشركات الأجنبية على تحديد أسعار المحاصيل الزراعية وكذلك تحديد مقادير ما يزرع منها . ثم نجد أن الحكومة الهولندية تلجأ فى عام ١٩٣٣ إلى تحديد محصول المطاط الذى يزرع سنويا وذلك لتحفظ بأسعاره العالمية المرتفعة متأثرة فى ذلك بمشروع الحكومة

الإنجليزية والمسمى مشروع ستيفنسون الذي نفذته في عام ١٩٢٢ بشأن تحديد محصول المطاط في شبه جزيرة الملايو الخاضعة لحكمها .

وقد أضرت سياسة الحكومة الهولندية بشأن تحديد زراعة المطاط على الأهالي الإندونيسيين إلى حد بعيد ففرضت عليهم ضرائب باهظة أعجزتهم عن تصريف المطاط . بل لقد تعرضت صناعة السكر باندونيسيا للكساد بعد أن انتعشت خلال فترة الحرب العالمية نظرا لحاجة أوروبا إليها ، بعد أن انقطعت زراعته أثناء الحرب لتحويل مزارع البنجر فيها إلى ميادين قتال ولكن بانتهاء تلك الحرب تعود صناعة السكر في أوروبا إلى سابق عهدها فيقبل الإقبال على السكر الإندونيسي . هذا بالإضافة إلى منافسة السكر المنوع في جزيرة كوبا للسكر الإندونيسي في الأسواق العالمية .

وأمام تدهور الحالة الاقتصادية في إندونيسيا وانحطاط مستوى المعيشة بين السواد الأعظم من الشعب الإندونيسي أخذ أعضاء مجلس الرعية بضغطون على الحكومة الهولندية للتدخل السريع لمعالجة تلك الأزمة قبل أن يستفحل شرها ويصبح من الصعب إصلاحها . ونظرا لأن سوء حالة الإندونيسيين تشجع على انتشار المبادئ الشيوعية مما قد يؤدي إلى زعزعة النفوذ الهولندي أو انهياره في إندونيسيا . وهذا السبب الأخير هو الذي دفع الحكومة الهولندية أكثر من غيره من الأسباب الأخرى إلى التدخل الحاسم . ولهذا بدأت الحكومة الهولندية تتدخل في الشؤون الاقتصادية لصالح الإندونيسيين أي أنها أخذت بسياسة التوجيه الاقتصادي مستهدفة في ذلك القضاء على آثار الأزمة الاقتصادية وإفساح المجال أمام النشاط الأهلي وكذلك محاولة توزيع الدخل القومي توزيعا عادلا دفعا للمبادئ الشيوعية من الانتشار .

كما كان لسياسة الحكومة الهولندية أيضا إدخال بعض الصناعات في إندونيسيا حتى لايعتمد اقتصاد البلاد اعتمادا كليا على الزراعة والمنتجات الزراعية ، وسنجد أن من أثر تلك السياسة نهوض الصناعة في إندونيسيا في عام ١٩٣٤ وذلك بفضل وفرة الأيدي العاملة الرخيصة ولحماية الحكومة للمنتجات المحلية ، ولقيام تلك الصناعات في جزيرة جاوة المزدهمة بالسكان .

ولكن هذه الصناعات الناشئة وجدت من الأوروبيين والصينيين منافسة الإندونيسيين لاستغلال موارد بلادهم لصالح تلك الشركات العالمية مقابل دراهم معدودة لاتسد أودهم . فرغم الانتعاش الاقتصادي الكبير الذي شهدته إندونيسيا ، ورغم الأموال الطائلة التي تدفقت على تلك الشركات لم ينل سكان البلاد منها شيئا بل زادت حالتهم سوءا بينما يتمتع بتلك الثروة الكبيرة أفراد قلائل من هولنديين وإنجليز وغيرهم .

وإن نظرة واحدة إلى الإحصائيات الرسمية التي سجلت الدخل القومي لإندونيسيا لكافية لمعرفة مقدار الغبن الذي وقع على كاهل السكان الأصليين . فالاندونيسيون البالغ عددهم ٩٧,٥ ٪ من عدد السكان لا يتجاوز ما يحصلون عليه من هذا الدخل ١٢,٥ ٪ بينما نجد أن الهولنديين الذين لا يتجاوز عددهم ٥,٥ ٪ من عدد السكان يتجاوز ٦٥ ٪ من الدخل القومي ، وكذلك نجد أن الأجانب والآسيويين الذين لا يزيد عددهم عن ٢ ٪ من السكان يتمتعون بنصيب مرتفع من هذا الدخل يقدر بنحو ٢٢,٥ ٪ .

وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تظهر في الأفق أخذ الهولنديون يقللون من غلوائهم وينادون بمبدأ التعاون بين الهولنديين والإندونيسيين لما فيه المصلحة العامة للطرفين . وقد اشتدت المطالبة بهذا التعاون بعد أن وقعت هولندا في قبضة الاحتلال الألماني ، وفرت الملكة « ويلهلمينا » وحكومتها إلى المهجرتا في ١٠ يونية سنة ١٩٤٠ . واستغل الإندونيسيون حاجة هولندا إلى معاونتهم في المطالبة بمنح إندونيسيا دستورا حقيقيا بحقق رغبتها في اشتراك الشعب الإندونيسي اشتراكا فعليا وليس اشتراكا سوريا كما كان في إدارة شئون البلاد . كذلك السماح للحكومة الإندونيسية الجديدة بتجنيد قوات جديدة للدفاع عن البلاد ضد الأخطار المحدقة بها . ولكن الحكومة الهولندية رفضت الاستجابة إلى تلك المطالب خشية أن تتمكن إندونيسيا في فترة الحرب من تقوية نفسها والخروج على سلطتها .

وبينما كانت المفاوضات الإندونيسية الهولندية تتعثر إزاء تمسك كلا الفريقين بوجهة نظره، داهم إندونيسيا الخطر الياباني - وكانت اليابان إحدى دول المحور المكون منها ومن ألمانيا وإيطاليا- - واستولى عليها في ٩ مارس سنة ١٩٤٢ فخرجت إندونيسيا عن قبضة هولندا الدولة الغربية لتقع في يد اليابان وهي الدولة الشرقية الناشئة .

إندونيسيا في ظل الاحتلال الياباني

لم يكن احتلال اليابان لإندونيسيا من قبيل الصدفة ، بل كان يرتبط هذا العمل ارتباطا وثيقا بتاريخ اليابان الحديث وتطورها الاقتصادي السريع في القرن التاسع عشر، فاليابان كدولة بدأت تسير في ركب الحضارة الأوروبية، وتأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية في نظمها الاقتصادية والسياسية وتمارس سياسة التصنيع على نطاق واسع ، وجدت أن من الضروري إيجاد مجال حيوي لها في الدول المجاورة لها ، وخصوصا بعد أن زاد عدد سكانها زيادة كبيرة لاتحمله تلك الجزر المتناثرة ، وزاد انتاجها الصناعي زيادة ضخمة .

ولهذا بدأت اليابان تتطلع إلى الشرق الأقصى كـمجال حيوي لنشاطها التجاري وترى في تدخل الدول الأوروبية في أسواق تلك المنطقة تدخلا غير مرغوب فيه من قبل دول غربية عن الشرق. فيجب أن تبقى أسواق آسيا للآسيويين ، وأن تحاول اليابان جاهدة غلق تلك الأسواق في وجه المصنوعات الأوروبية عن طريق المنافسة وإغراق الأسواق بالمنتجات اليابانية الجيدة الصنع الرخيصة الثمن .

وكانت اليابان تنظر إلى الصين كسوق عظمى للمنتجات اليابانية ، وهي لهذا غير متاحة لتدخل النفوذ الأوربي في منطقة الشرق الأقصى وخصوصا الصين. وتنتظر بعين الحسد إلى ما تتمتع به تلك الدول من امتيازات ومن نفوذ فيها .

وفي عام ١٨٩٤ قامت الحرب اليابانية الصينية بشأن كوريا ، ونجحت اليابان في ضمها إلى ممتلكاتها . ثم تلى تلك الحرب، الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤-١٩٠٥) بشأن الاستيلاء على منشوريا وإبعاد النفوذ الروسي عن سواحل المحيط الهادى المواجه لليابان .

كما انتهزت اليابان فرصة قيام الحرب العالمية الأولى واستولت على جزر كارولين في شمال المحيط الهادى وكانت في أيدى الألمان .

كانت هذه خطوات متتابعة قامت بها اليابان لتحقيق أطماعها في تلك المنطقة ولتوطيد نفوذها إلى جانب النفوذ الأوربي. وفي عام ١٩٣٦ دخلت في حرب مع الصين، اعتبرها المؤرخون بداية للحرب العالمية الثانية ثم بدأت تتطلع إلى جزر إندونيسيا وخصوصا بعد أن ارتبطت معها بصلات تجارية واسعة. فاليابان كدولة صناعية كبيرة تحرص كل الحرص على امتلاك المناطق المنتجة للمواد الخام الأولية اللازمة للصناعة . ولما كانت إندونيسيا تتوافر فيها تلك الصفة ، لذا أخذت اليابان تفكر في إدخالها مع المناطق المجاورة لها في جنوب شرقى اسيا في اتحاد اقتصادى يشمل دول تلك المنطقة أطلقت عليه اسم (منطقة الرخاء الآسيوية المشتركة) أى أن اليابان باتباعها تلك السياسة الاقتصادية الجديدة إنما ترمى إلى إبعاد النفوذ الأجنبى عن تلك المنطقة الآسيوية من العالم والمناداة بمبدأ آسيا للآسيويين. وكان هذا المبدأ بطبيعة الحال يخدم مصالح اليابانيين ويمكنهم من السيطرة على أسواق الشرق ويضمن لليابان التفوق الاقتصادى ويتبعه التفوق السياسى أيضا.

ولما كانت هولندا أو إنجلترا وهما الدولتان اللتان لهما مصالح حيوية في تلك المنطقة لاترضيا عن هذه السياسة الجديدة . ولهذا رفضت الموافقة على اشتراك مستعمراتها الواقعة

بمنطقة الشرق الأقصى في هذا الاتحاد الاقتصادي المقترح . ولكن اليابان كانت تتحايل على بسط نفوذها الاقتصادي على هذه المنطقة ولو أدى هذا إلى استخدام القوة .

وقد حاولت اليابان الدخول في مفاوضات مع السلطات الهولندية الحاكمة في إندونيسيا لعقد اتفاق تجارى معها يضمن لها الحصول على كميات وافرة من المواد الخام التى تنتجها إندونيسيا وذلك فى منتصف عام ١٩٤٠ .

وتمكنت اليابان نتيجة لضغطها المتواصل على هولندا من إبرام اتفاقية تجارية معها تخول لها الحصول على كميات ضخمة عن البترول الإندونيسى فى خلال عام واحد وكان هدف اليابان من الاستحواز على هذه الكمية الهائلة من البترول الاستعداد لخوض المعركة ضد دول الغرب .

وقد ترددت هولندا فى تنفيذ الاتفاقية ، وأخيراً امتنعت عن تنفيذها بسبب تطورات الحرب فى أوروبا ، واتفقت رغبتها مع رغبة الإندونيسيين فى ضرورة التكاتف لمواجهة الخطر اليابانى . ولم يقبل الشعب الإندونيسى أن يستبدل مستعمرا بمستمر آخر . ووجدت اليابان أنها لن تستطيع تحقيق أطماعها فى إندونيسيا إلا إذا انضمت إلى دولتى المحور (ألمانيا وإيطاليا) وهاجمت المستعمرات الغربية بمنطقة الشرق الأقصى واستولت عليها عنوة ونفذت سياستها الاقتصادية كما تشتهى .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤١ قامت بمهاجمة أسطول الولايات المتحدة إحدى دول الحلفاء فى ميناء بيرل هاربر والقضاء عليه، وتعتبر هذه المعركة من المعارك الهامة فى التاريخ ومن أقوى الضربات التى وجهت إلى الدول الغربية من دولة شرقية . ثم استمرت موجة الزحف اليابانى تتقدم نحو الجنوب بقوة شديدة ، واكتسحت إندونيسيا وقضت على مقاومة هولندا فى ٩ مارس سنة ١٩٤٢ . ولم تلق القوات اليابانية مقاومة كبيرة من قبل الهولنديين، وكذلك لم تجد صعوبة تذكر نظرا لتعاون اليابانيين المقيمين بإندونيسيا مع حكومتهم فى عمليات الغزو، ولمعرفتهم الدقيقة بأحوال البلاد وبطرقها ومسالكها هذا بالإضافة إلى عدم استعداد هولندا لخوض معركة مثل تلك الحرب ولقلة عدد جنودها وافتقارهم إلى السلاح . ويقابلهم من الجانب الآخر قوات منظمة أحسن تنظيم ومدربة أحسن تدريب ومزودة بأحدث أنواع الأسلحة .

وبهذا الغزو اليابانى تنطوى صفحة بغيضة من صفحات الاستعمار الهولندى لإندونيسيا ، وتبدأ صفحة أخرى جديدة لاتقل بغضا عن سابقتها استمرت حوالى ثلاث سنوات ونصف حاولت خلالها اليابان أن توهم الشعب الإندونيسى بنواياها الطيبة نحو إندونيسيا ونحو

الآسيويين . واستغلت الآراء التي تنادى بآسيا للآسيويين . وتحقيق منطقة الرخاء الآسيوية المشتركة، لتستر نواياها الاستعمارية الحقيقية . أى أن اليابان استغلت مساوى الاستعمار الهولندى لإثارة موجة من البغض نحو الهولنديين بصفة خاصة ونحو الأوروبيين أى الجنس الأبيض بصفة عامة .

وكان لابد لهذه الدعاية المسمومة من نهاية ، فتصرفات اليابان فى إندونيسيا قد أقنعت المتفانلين من الأندونيسيين بأن الاحتلال اليابانى لا يختلف فى شئ عن زميله الاستعمار الهولندى . وأن أملهم فى التخلص من السيطرة الأجنبية لن يتحقق إلا بطرد الأجنبى كلية من بلادهم ، سواء أكان هذا الأجنبى من آسيا أو من أوروبا .

بل لقد اعتبر الإندونيسيون الاحتلال اليابانى نكسة أصابت حركتهم القومية وجهادهم فى سبيل الاستقلال . وقد عرفنا من قبل كيف كانت المفاوضات تدور بين الإندونيسيين والهولنديين حول منح إندونيسيا استقلالاً ذاتياً . وكانت هولندا على وشك منح الإندونيسيين قسطاً كبيراً من الحرية . فهذا الغزو اليابانى قد وضع حداً لتلك المفاوضات ، وأصبحت اليابان تسيطر سيطرة تامة على إندونيسيا كدولة قد استولت على تلك البلاد بحد السيف . فهى ليست ملزمة أمام الإندونيسيين بأى شئ .

فالعزو اليابانى لم يكن ينظر إليه على أنه فى صالح الإندونيسيين - ولو أنه قد أدى فى نهاية الأمر إلى تخليص إندونيسيا من سيطرة هولندا كما سنوضح ذلك .

وقد حاولت اليابان خلال احتلالها لأندونيسيا تلك الفترة القصيرة أن توجه نشاطها الاقتصادى نحو الشرق . بعد أن بذلت هولندا على مدى ثلاثة قرون فى توجيه الاقتصاد الإندونيسى نحو الغرب .

وإذا كانت هولندا أثناء احتلالها لإندونيسيا قد شجعت الشركات الهولندية والأجنبية على استغلال موارد البلاد لمصلحتها أولاً ، فإن اليابان قد عملت خلال استعمارها لإندونيسيا على استنزاف موارد البلاد بشكل ملحوظ .

ويبدو من تصرفها هذا أنها لم تكن واثقة من استمرار بقائها فى البلاد ، لهذا عمدت إلى استغلال مواردها استغلالاً تاماً .

وقد اتبع اليابانيون أثناء احتلالهم لإندونيسيا سياسة الاكتفاء الاقتصادى فى كل جزء من أجزاء الوطن الإندونيسى . فعلى كل جزء منها أن يزرع ما يحتاج إليه من مواد غذائية دون

الاعتماد على استيرادها من الجزء الآخر . وبهذا الإجراء استطاعت اليابان أن تنقل كميات ضخمة من تلك المنتجات إلى بلادها الأصلية ، واستخدام الأيدي العاملة الزائدة من الإندونيسيين فى الأعمال الحربية اليابانية .

كان من جراء السياسة التى اتبعتها اليابان فى استغلال موارد إندونيسيا أن كفر الإندونيسيون بمبدأ « آسيا للأسويين » ونظرية « منطقة الرخاء الأسيوى المشتركة » وتساوى فى نظرهم الاستعمار الغربى والاستعمار الشرقى .

وقد أرادت اليابان أن تحذو حذو الولايات المتحدة الأمريكية فى إصدارها مبدأ منرو - Monroe Doctrine فى عام ١٨٢٣ وهو المبدأ الذى نادى بأمريكا للأمريكيين . فإن كانت الولايات المتحدة قد أعلنت هذا المبدأ لإبعاد النفوذ الأوروبى عن التدخل فى الشئون الأمريكية ، وليكون لها الدور الرئيسى فى توجيه الشئون الأمريكية وحماية الجمهوريات الأمريكية من تدخل الدول الرجعية . وإذا كانت تلك السياسة قد طبقت فى شرق المحيط الهادى، فقد أرادت اليابان أن يكون لها النفوذ المتفوق فى منطقة غرب المحيط الهادى لمقابلة النفوذ الأمريكى فى شرقه . كما أن المناذاة بمبدأ آسيا للأسويين سيمكن اليابان من بسط نفوذها السياسى والاقتصادى على دول الشرق الأقصى وأن يكون لها الزعامة فى توجيه سياسة تلك المنطقة لما فيه مصلحتها وللقضاء على النفوذ الغربى فيها .

قام مبدأ آسيا للأسويين على إثارة البغضاء فى نفوس الجنس الأسيوى الأصفر ضد الأجناس البيضاء ، صاحبة المصالح الاستعمارية فى جنوب وجنوب شرق آسيا وأن إثارة الحقد ضد العناصر البيضاء لن يخدم بطبيعة الحال سوى مصالح اليابان . فالإبان لن تترك الشعوب الأسيوية التى خضعت لحكم العناصر البيضاء تدير شئونها بنفسها لما فيه مصلحتها هى ، بل كل ما ستفعله اليابان هو أن تحل محل تلك الدولة المستعمرة وتؤدى نفس الدور تحت ستار المناذاة بمبدأ آسيا للأسويين . وهو ما حدث بالنسبة للإستعمار اليابانى لإندونيسيا .

وإذا نظرنا إلى اليابان من ناحية نظام الحكم نجد أنها قد خضعت لنظم حكم دكتاتورية يتمتع فى ظلها الإمبراطور اليابانى الذى يطلق عليه اسم « الميكادو » والذى رفعه اليابانيون إلى مرتبة التقديس ، بحكم مطلق . فالإبان وحالتها هذه لا يمكن أن تعامل الشعوب الأسيوية الأخرى التى تدخل معها فى منطقة الرخاء الأسيوى المشتركة على أساس ديموقراطى سليم، يقوم على مبدأ المساواة بين الجميع .

فشلت سياسة اليابان فى إقناع الإندونيسيين بفائدة الرخاء الآسيوى المشترك ، الذى لم يكن - فى حقيقة الأمر- سوى الرخاء لليابان وحدها. أما بالنسبة للأندونيسيين فهو عنوان الاستغلال فى أبشع صوره . فلاغرابة إذا ما هب الإندونيسيون للدفاع عن استقلالهم المسلوب، ومقاومة الاستعمار اليابانى فى مختلف صوره وأشكاله . فليكن جهادهم متصلا أيا كان المستعمر، سواء أكان من الشرق أو الغرب. ولذا أخذ زعماء الشعب الإندونيسى يقودون حركة المقاومة السرية ، ويكثرون التشكيلات السرية ضد الحكم اليابانى ، فلجأت سلطات الاحتلال اليابانية إلى القبض على هؤلاء الزعماء ومحاكمتهم وإعدام البعض منهم ونفى البعض الآخر خارج البلاد. ثم شددت قبضتها على الشعب الإندونيسى، فساد الحكم الاستبدادى العسكرى أنحاء البلاد. وظل هذا الوضع قائما إلى هزيمة اليابان واستسلامها دون قيد أو شرط فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ بعد ضرب مدينتى هيروشيما ومجازاكي بالقنابل الذرية .

وقد انتهز الإندونيسيون هذه الفرصة وأعلنوا استقلالهم بعد يومين من استسلام اليابان وذلك فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ مستندين إلى الميثاق والأتفاقيات التى تمت بين رؤساء حكومات الغرب وأمريكا خلال الحرب، مثل ميثاق الأطلنطى واجتماعات طهران وسان فرانسكو والقاهرة ، هذا بالإضافة إلى الوعد الذى قطعه «ولهلينا» ملكة هولندا على نفسها فى إذاعة لها بالراديو خلال فترة الحرب، من أنها ستكون من هولندا وإندونيسيا وسورنام وكركاو، حكومة كمنولث على غرار ما فعلته إنجلترا ، وعلى أساس المساواة التامة بين حكومات تلك الشعوب فى الحقوق والمصالح المشتركة ونودى بالجمهورية الإندونيسية تحت رئاسة الزعيم الدكتور أحمد سوكارنو ، ووكيله الدكتور محمد حتا .

ثم تشكلت الجبهة الوطنية لإصدار دستور الجمهورية الإندونيسية الجديدة . وفى نفس الوقت قامت ثورة عامة ضد قوات الاحتلال اليابانى . وفى خلال ستة أسابيع من قيام الجمهورية الإندونيسية تمكنت الحكومة الجديدة من بسط سيطرتها على معظم أجزاء جاوة ومادورا وسومطرة ومناطق أخرى عديدة .

هولندا واستقلال إندونيسيا

وبينما كان رعاء إندونيسيا يعملون على توطيد سيطرتهم على معظم أجزاء إندونيسيا إذ بالقوات الإنجليزية والهولندية تصل إلى الشواطئ الإندونيسية لنزع سلاح القوات المستسلمة . ولكن الحكومة الوطنية الإندونيسية رفضت السماح للقوات الهولندية من أن تتطأ أقدامها أرض البلاد وأبدت استعدادها فى أن تقوم بتسليم قوات الاحتلال اليابانى إلى الحلفاء . وقد حاول

قائد قوات الحلفاء « سيرفيليب كريستسون Sir Philip Christison » أن يقرب بين وجهتى نظر الإندونيسيين والهولنديين ، رفض الهولنديون الدخول فى مفاوضات مع حكومة إندونيسيا بحجة أنها حكومة نشأت بأندونيسيا كنتيجة للاحتلال اليابانى . ويجب أن يزول الاحتلال اليابانى والنتائج التى ترتبت عليه وأن ترجع الحالة فى أندونيسيا إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال اليابانى ، وأخيرا اجتمع ممثلو الفريقين الإندونيسى والهولندى بمدينة بتافيا Batavia (جاكرتا حاليا) فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٥ تحت إشراف قائد القوات المتحالفة . ولم تستمر المفاوضات أكثر من خمسة أيام وفشلت لتمسك كلا الفريقين بأن له وحده السيادة والسلطة .

وفى نفس الوقت بدأت القوات الهولندية تنزل إلى الشواطئ الأندونيسية لإرغام الحكومة الإندونيسية الجديدة على التسليم والخضوع من جديد للاحتلال الهولندى . وقد اتهم الإندونيسيون الإنجليز بأنهم قد تواطأوا مع الهولنديين وسروا لهم النزول ليسيظوا نفوذهم على إندونيسيا من جديد . ودارت بين قوات الجمهورية الإندونيسية والقوات الإنجليزية والهولندية معارك فى مناطق متعددة بعد أن احتلت بعض المدن الهامة فى جزيرتى جاوة وسومطرة .

وقد بدأت المشكلة الإندونيسية تستلفت أنظار العالم وتأخذ مكانها بين المشكلات الهامة التى يجب أن يوضع حد لها عن طريق هيئة الأمم المتحدة وفى بداية عام ١٩٤٦ تقدمت حكومة جمهورية أوكرانيا السوفيتية إلى مجلس الأمن بطلب النظر فى تلك المشكلة على وجه السرعة لأنها تهدد الأمن والسلام العالمى طبقا لما نصت عليه المادة ٣٤ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

وبينما كانت المسألة الإندونيسية معروضة أمام مجلس الأمن كانت هناك مفاوضات تجرى بين الطرفين الهولندى والإندونيسى للوصول إلى حل للمشكلة بالطرق الودية ، ولكن المفاوضات تعثرت بين الطرفين وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٦ وصلت بعثة هولندية لبدء مفاوضات جديدة ودعت اللورد كيلرن Lord Killern المبعوث الإنجليزى الخاص بجنوب شرق اسيا للتدخل والعمل على إنجاح المفاوضات . وفى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٦ توصل الطرفان إلى اتفاق فيما بينهما وقع بالحروف الأولى فى لنجاجاتى (وهى بالقرب من شيريبون على الساحل الشمالى لجزيرة جاوة) وسميت باسم اتفاقية لنجاجاتى وتنص هذه الاتفاقية على اعتراف هولندا بالجمهورية الإندونيسية على أنها حقيقة واقعة ولها السيطرة الفعلية على جزر جاوة ومادورا وسومطرة ، وأن على القوات الإنجليزية والهولندية التى تحتل أى جزء من هذه الجمهورية يجب أن تجلو عنه بالتدرج .

كذلك نصت الاتفاقية على إيجاد تعاون بين هولندا والجمهورية الجديدة فى إدارة شئون البلاد وذلك بإنشاء حكومة فدرالية من أول يناير سنة ١٩٤٩ تشمل كل إندونيسيا يطلق عليها اسم الولايات المتحدة الإندونيسية United States of Indonesia وتشمل الأقسام الثلاثة : الجمهورية الإندونيسية وبورنيو وشرق إندونيسيا على أن يتكون من الولايات المتحدة الإندونيسية وهولندا اتحاد يسمى الاتحاد الهولندى الإندونيسى Netherlands - Indonesian Union . يشترك فيها الطرفان على قدم المساواة تحت التاج الهولندى . ومهمته العمل على تنمية المصالح المشتركة والإشراف على العلاقات الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية والثقافية .

وفى ٢٥ مارس سنة ١٩٤٧ وقعت الاتفاقية بصفة نهائية ، وقام ممثلو هولندا فى هيئة الأمم المتحدة بإخطار سكرتاريتها العامة بنبأ الموافقة النهائية على المعاهدة . وبعد التصديق على المعاهدة بدأ الطرفان فى وضع بنودها موضع التنفيذ وجرت مفاوضات واجتماعات بين ممثلى الجمهورية الإندونيسية وبين المقيم العام الهولندى فى إندونيسيا . وقد أوضحت هذه الاتصالات منذ بدايتها على مدى اختلاف وجهات النظر بين الطرفين فى مسائل متعددة، مثل عودة الممتلكات التى كان يمتلكها غير الإندونيسيين إلى أصحابها الشرعيين . وكذلك رفع الحصار البحرى الذى فرضته هولندا على إندونيسيا وعلاقة إندونيسيا الخارجية بغيرها من الدول .

وقد فشلت جميع الجهود التى بذلت للوصول إلى اتفاق فيما بينهما ، وذلك لعدم ثقة كل منهما فى الآخر . وفى ٢٠ يونية سنة ١٩٤٧ قطع المقيم العام الهولندى فى أندونيسيا مفاوضاته مع المفاوضين الأندونيسيين ، ورفع هذا الأمر إلى حكومته بلاهاى .

وفى يومى ٢٠ و ٢١ يوليو سنة ١٩٤٧ بدأت قوات هولندا فى جزيرتى جاوة وسومطرة عملياتها الحربية ضد قوات الجمهورية الإندونيسية . وفى نفس الوقت أبلغ ممثلو هولندا فى هيئة الأمم المتحدة السكرتير العام للهيئة بأن الحكومة الهولندية قد وجدت نفسها مضطرة لأن تقوم ببعض إجراءات بوليسية إزاء حكومة الجمهورية الإندونيسية التى برهنت على عجزها التام عن حفظ الأمن والنظام داخل أراضيها . وأن حكومة صاحبة الجلالة الملكة التى تعمل بروح الاتفاقية لايسعها إلا أن تقرر بأن حكومة الجمهورية الإندونيسية ليست على استعداد ولاهى قادرة على إنجاز الاتفاقية المشار إليها .

أرادت حكومة هولندا بهذا الإجراء أن تسترد ما فقدته من سيادتها المطلقة على إندونيسيا متعللة بمختلف الحجج لتبرير عدوانها وعودة سيطرتها المطلقة مرة ثانية .

وعقب استئناف الأعمال العدوانية مباشرة طلبت حكومات استراليا والمملكة المتحدة (بريطانيا) والولايات المتحدة الأمريكية والهند بوقف الأعمال العدوانية وتسوية المشاكل بطريق المفاوضات والوساطة ، ولكن جهودها في هذا الشأن قد باءت بالفشل . فبدأت كل من حكومتى استراليا والهند تعمل بمفردها لحمل مجلس الأمن على التدخل في هذا النزاع الذى قد يؤدي إلى زعزعة الأمن والسلام الدولى . واجتمع مجلس الأمن فى ٣١ يوليو سنة ١٩٤٧ لنظر المشكلة . وقد رفضت هولندا رفضا باتا الموافقة على إدراج المسألة فى جدول أعمال مجلس الأمن أو الاعتراف باختصاص هذا المجلس لنظر القضية معتمدة فى ذلك على تأييد الدول الاستعمارية مثل بلجيكا والمجلترا وفرنسا .

وقد قرر المجلس الموافقة على اقتراح بوقف إطلاق النار وحث الطرفين على الدخول فى مفاوضات لحل النزاع بالطرق السلمية وقد نفذ هذا القرار فى يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٤٧ ورأى أعضاء مجلس الأمن تعيين لجنة أطلق عليها اسم Committee of Good Offices للتوسط بين الطرفين إلى تسوية سلمية للمشكلة . وقد استطاعت اللجنة بعد مشاورات طويلة من أن تصل إلى اتفاق وقع فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٨ أطلق عليه اسم اتفاقية هدنة ونفيل Renville Truce Agreement وبدأ الطرفان فى تنفيذ الاتفاقية بوقف إطلاق النار وتحديد مناطق نفوذ كل منهما .

وبينما كانت إجراءات تنفيذ اتفاقية الهدنة تسير سيرا مرضيا ، لم تبدأ المباحثات السياسية بين الطرفين حتى منتصف مارس من نفس السنة وذلك لتلكز الحكومة الهولندية فى تعيين مفاوضيها . وقد أثار هذا التلكز مخاوف حكومة الجمهورية الإندونيسية وشكوكها ، خصوصا وأن الحكومة الهولندية قد أخذت فى ذلك الوقت تقدم الضمانات إلى حكومات غرب جاوة ومادورا وشرق سومطرة وتنشئ حكومة فيدرالية مؤقتة. خارجة عن نطاق الجمهورية الإندونيسية .

وأخيرا تم تشكيل أربع لجان رئيسية تتولى مناقشة أربعة موضوعات هامة كل على حدة

أولا - المسائل السياسية .

ثانيا - الشئون العسكرية .

ثالثا - الشئون المالية والاقتصادية .

رابعا - الشئون الإدارية والاجتماعية .

وقد اجتمعت اللجان الأربع وشارت مناقشة المسائل المعروضة عليها بمساعدة لجنة الوساطة ولكن الحكومة الهولندية كانت عازمة على إثارة العقبات أمام هذه اللجان وخصوصا اللجنة المكلفة ببحث المسائل السياسية . من هذه العقبات ما ادعته الحكومة الهولندية بأن المقترحات التى تتقدم بها الهيئة التى عينها مجلس الأمن لمعاونة الطرفين على الوصول إلى اتفاق بينهما وهى لجنة الوساطة لا يكون لها الصفة الرسمية ولا تدرج ضمن المناقشات الرسمية للجان تلك المناقشات التى ترفع أولا بأول إلى مجلس الأمن . كذلك أنكرت الحكومة الهولندية ما لحكومة الجمهورية الإندونيسية من سيادة على أراضيها طبقا لما جاء باتفاقية «لنجاجاتى» بينما أصرت حكومة الجمهورية على التمسك بمالها من حق السيادة على أراضيها .

كذلك أبدت حكومة الجمهورية الإندونيسية رغبتها فى إيجاد اتحاد هولندى إندونيسى Netherlands Indonesian Union تتمتع فى ظله حكومة الولايات المتحدة الإندونيسية بكامل استقلالها مع إيجاد نوع من الارتباط الواهى مع الحكومة الهولندية . ولكن هولندا أصرت على أن يكون الارتباط قويا بين الطرفين حتى لا تنفرد حكومة الجمهورية الإندونيسية بإدارة شئون البلاد .

وقد تعمدت الحكومة الهولندية أن تمد من أجل المفاوضات أطول فترة ممكنة تستطيع خلالها أن تثبت أقدامها فى إندونيسيا وأن تنشئ حكومات غرب جاوة ومادورا وشرق سومطرة اتحاد فيدرالى مؤقت . وكان هدفها من ذلك إيجاد شئ من التوازن فى القوى بينها وبين حكومة الجمهورية الإندونيسية . وقد احتجت الأخيرة على هذا التصرف المخالف لنصوص اتفاقية رنفيل ، واتهمت حكومة هولندا بأنها تتصرف بمفردها فى مناطق موضع خلاف بينهما ولا يجوز لها ذلك إلا بعد الوصول إلى اتفاق فيما بينهما . وقد أعلنت حكومة هولندا بأن ما تتخذه من إجراءات هو بصفة مؤقتة ولن يغير من طبيعة المشكلة .

ولكن كان تصرف الحكومة الهولندية يشير مخاوف الجمهورية الإندونيسية ، وخصوصا ما لجأت إليه هولندا من دعوة مؤتمر يمثل الحكومات الإندونيسية غير الجمهورية للنظر فى تنظيم

العلاقات فيما بينها. فطلبت حكومة الجمهورية من لجنة الوساطة أن تتدخل فى الأمر وأن تحول بين هولندا وبين اتخاذ أى إجراء يكون من شأنه عرقلة الوصول إلى تفاهم بالطرق الودية . وقد قبلت اللجنة ما أعطته حكومة هولندا من ضمانات وتصريحات بأن ما يسفر عنه المؤتمر من قرارات لن يكون له أى أثر فى سير المفاوضات بينها وبين حكومة الجمهورية الإندونيسية .

وكان من وجهة نظر هولندا أن إصرار حكومة الجمهورية الإندونيسية على ممارسة حقها فى مباشرة علاقاتها الخارجية بمفردها فيه انتهاك لبنود اتفاقية رنفيل التى نصت على أن تبقى السيادة على إندونيسيا فى يد الملكية الهولندية ، إلى أن يحين الوقت المحدد لانتقالها إلى حكومة الولايات المتحدة الإندونيسية .

وعندما تعثرت المفاوضات بين الطرفين ، طالب مجلس الأمن لجنة الوساطة بتقديم تقرير عن سير المباحثات . وفى هذا التقرير أبدت اللجنة مخاوفها من العقبات التى اعترضت تقدم المباحثات . فطالبت الدول بتدخل مجلس الأمن من جديد لإيجاد حل للمشكلة . ورأت الولايات المتحدة الأمريكية أن تتدخل تدخلا فعالا فى الأمر ، ويعتث بممثل جديد لها ليحل محل الممثل السابق بلجنة الوساطة الذى فشل فى التفاهم مع المفاوضين الهولنديين . ورغم ركود المفاوضات بين الطرفين فقد استمرت حكومة هولندا فى سياستها نحو إيجاد تنظيمات خارجة عن نطاق الجمهورية الإندونيسية بخطى سريعة ، فكونت عددا من الحكومات الجديدة ، وأنشأت مجلس الشورى الفيدرالى يتكون من رؤساء الحكومات ورؤساء الوزارات الخارجيين عن الجمهورية الإندونيسية .

ولما لم تستطع هولندا الوصول إلى تفاهم مع الجمهورية الإندونيسية طبقا لما تراه ، اتسأنفت عملياتها الحربية فى صباح ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ خارقة بذلك اتفاقية رنفيل للهدنة ونتيجة لتلك العمليات سقطت عاصمة الجمهورية وقبض على الرئيس سوكارنو ووكيله الدكتور حتا وزج بهما فى السجن .

طالب ممثل هيئة الأمم المتحدة فى إندونيسيا الدكتور فيليب جوسب Dr. Phillip G. Jessup عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن للنظر فى تدهور الحالة فى إندونيسيا . واجتمع مجلس الأمن فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ووقف ممثل هولندا وأعلن فى المجلس تمسك حكومته ببنود اتفاقية رنفيل ولينججاتى واعترافها باستقلال وسيادة إندونيسيا ولكن حكومته وجدت نفسها مضطرة لاتخاذ بعض التدابير اللازمة لوضع حد للاضطرابات التى سادت أجزاء

مختلفة من الجمهورية الإندونيسية. وهذا هو منطق الاستعمار فى تبرير اعتدائه الدنيئة على السكان الأمنين ، لا لسبب سوى لىسط نفوذه وسيطرته ولو على أشلاء المجاهدين الوطنيين .

طالب مجلس الأمن بوقف إطلاق النار وبعودة قوات الطرفين إلى خطوط الهدنة التى حددتها اتفاقية رنفيل . ولكن هولندا لم تصدع للأمر واستمرت فى أعمالها العدوانية رغم هذا القرار. واجتمع مجلس الأمن مرة أخرى فى ٧ يناير ١٩٤٩ للنظر فى آخر التقارير التى أرسلتها لجنة الوساطة بشأن الحالة فى أندونيسيا والتى أوضحت فيه بأن الطرفين لم يكفا عن إطلاق النار، كما أن هولندا لم تطلق سراح المسجونين السياسيين الإندونيسيين كما طالب بذلك المجلس .

وقد تبنى مجلس الأمن فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٩ المشروع الذى تقدم به مندوبو كوسا والصين والنرويج . وقد بدأ المشروع بالإشارة إلى أن الحلول التى أوصى بها المجلس فى ٢٤ و ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ لم تنفذ تنفيذًا كاملاً . واقترح المشروع النقاط الآتية :

أولاً : أن يطلب من هولندا إعطاء الضمانات والتأكيدات بعدم الاستمرار فى عملياتها الحربية وكذلك يطلب من حكومة الجمهورية الإندونيسية بأن تأمر جنودها بالكف عن استخدام القوة .

ثانياً : أن يطلب أيضا من الحكومة الهولندية بأطلاق سراح المعتقلين السياسيين من رجال حكومة الجمهورية الإندونيسية فوراً والسماح لهم بالعودة إلى ممارسة أعمالهم بكل حرية بما فى ذلك إدارة شئون جوجاكارتا Jogjakarta .

ثالثاً : توصى الدول المقدمة للمشروع كلا الطرفين باستئناف المباحثات بينهما فى أقرب وقت مستطاع بمعاونة هيئة الوساطة ، على أساس ما جاء باتفاقيتى رنفيل ولينججاتى وكذلك مشروع (تقدم بهذا المشروع مندوب الولايات المتحدة الأمريكية) على فرض أن الحكومة الاتحادية المؤقتة ستشكل فى حدود ١٥ مارس سنة ١٩٤٩ وأن الانتخابات للمجلس النيابى الإندونيسى ستتم فى مدة أقصاها أول أكتوبر . وأن انتقال السيادة إلى الجمهورية الإندونيسية سيتم فى أسرع وقت ممكن بحيث لا يتجاوز ذلك أول يولية سنة ١٩٥٠ .

رابعاً : إعادة تشكيل لجنة الوساطة واعتبارها لجنة من قبل هيئة الأمم المتحدة لدى إندونيسيا ، وتعمل كممثلة لمجلس الأمن فى إندونيسيا ويكون من مهمتها معاونة

الطرفين على حل مشاكلهما ، تحت إشرافها . وكذلك يكون لها السلطة فى تقديم التوصيات لكلا الطرفين وكذلك لمجلس الأمن . ولها الحق أيضا فى تقديم التوصيات التى تراها لحل هذا النزاع فى حالة ما إذا لم تتم الإجراءات المتفق عليها فى حدود التواريخ المحددة لها .

وكذلك يوصى المشروع بعودة الأراضى التى كانت خاضعة إلى حكومة الجمهورية الإندونيسية إليها وانسحاب القوات الهولندية منها .

وفى الفترة ما بين ٢٠ و ٢٣ يناير عقد فى مدينة نيودلهى بالهند مؤتمرا يضم ١٩ دولة أسيوية منطقة الشرق الأوسط بالإضافة إلى استراليا ، بناء على دعوة رئيس وزراء الهند . وذلك لمناقشة الحالة السيئة فى إندونيسيا وفى ختام المؤتمر تقدم الأعضاء بقرار إلى مجلس الأمن راجين فيه أن يولى هذه المسألة ما تستحقه من عناية حفظا للأمن والسلام العالمى .

ويعتبر مشروع الحل الذى تقدمت به هذه الدول إلى مجلس الأمن معتدلا ، إذا ما نظرنا إليه فى ضوء الظروف التى أحاطت بانعقاد المؤتمر وروح العداة للاستعمار التى سيطرت على معظم البلاد المثلة فيه . وعلى العموم فهذا المشروع كان أقوى من المشروع الذى كان معروضا على المجلس .

رفضت هولندا فى أول الأمر الاعتراف بوجود الحكومة الجمهورية كهيئة رسمية شرعية لإندونيسيا . ولكن معظم الإندونيسيين الفيدراليين كانوا ينكرون هذا على هولندا ويقرون حق زعماء الجمهورية بالاعتراف بمركزهم كحكام شرعيين للبلاد . وعندما جاءت قرارات مجلس الأمن التى أصدرها فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٩ فى صالح هؤلاء الزعماء وازداد مركزهم قوة وأعلنوا فى منفاهم بجزيرة Banka بأنه رغم استمرارهم فى المباحثات غير الرسمية مع أعضاء المجلس الاستشارى الفيدرالى ، فإنهم لن يدخلوا فى مفاوضات رسمية إلا بعد عودة حكومة الجمهورية إلى جوجاكارتا .

بعثت الحكومة الهولندية بأحد رجالها الدبلوماسيين إلى مجلس الأمن للاعتراض على إمكان تغيير المشروع الذى أوصى به المجلس . مستندا إلى أن هذا المشروع قد أوقع الحكومة الهولندية فى مركز حرج وجعلها عرضة لهجمات جميع الأحزاب . كما استقال وزير المستعمرات الهولندى احتجاجا على السياسة التى تعتمزم حكومته تنفيذها فى إندونيسيا وأعلن أن المندوب السامى الهولندى فى إندونيسيا قد استدعى إلى لاهاي ، وأن الحكومة

الهولندية قد وافقت على وجهة نظره فى انتقال السيادة إلى حكومة الولايات المتحدة الإندونيسية فى أسرع وقت مستطاع . وتعتمزم الحكومة الهولندية عقد مؤتمر للمائدة المستديرة فى لاهأى فى القرب العاجل لوضع التفاصيل الخاصة بانتقال السيادة وأعضاء الاتحاد الهولندى الإندونيسى .

وفى أول مارس تقدمت لجنة الوساطة بتقرير إلى مجلس الأمن تبين فيه أن هولندا لم تنفذ الاقتراحات التى أصدرها المجلس فى ٢٨ يناير . وأن الموافقة لم تتم بشأن إقامة الحكومة الفيدرالية المؤقتة ، كما أن المباحثات بين الطرفين لم تبدأ بعد . وترجع اللجنة سبب توقف المباحثات إلى رفض الحكومة الهولندية السماح بعودة حكومة الجمهورية إلى جوجاكارتا .

رأى مجلس الأمن أن يوفق بين المقترحات الأندونيسية والمقترحات الهولندية فوافق على عقد مؤتمر للمائدة المستديرة Round- Table conference بمدينة لاهأى باشتراك لجنة الوساطة الدولية على أساس ما ورد بقرارات ٢٨ يناير . وقد وافق على هذا الرأى فى جلسة ٢٣ مارس سنة ١٩٤٩ . ويعتبر هذا القرار من قبل مجلس الأمن نقطة تحول فى سير القضية الإندونيسية ، وتوضح مدى ما نالته تلك القضية من عطف الرأى العام العالمى وإصرار الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية على حلها بما يحقق مصالح الإندونيسيين .

ولم يكن تدخل مجلس الأمن للضغط على هولندا لحل القضية الإندونيسية هو العامل الوحيد الذى ساعد على إنهاء هذا النزاع . بل أسهمت عوامل أخرى فى هذا الضغط ، منها تلك التقارير التى كانت ترسلها لجنة هيئة الأمم المتحدة والمراقبون المحايدون بشأن الحالة فى إندونيسيا واستمرار الأعمال العدوانية من جانب هولندا وعدم استطاعة القوات الهولندية تأمين سلامة المناطق المحيطة بها بما فى ذلك المزارع الواسعة والممتلكات الهولندية الخاصة . كما أصيبت صادرات إندونيسيا و وارداتها بضرية شديدة ، وخصوصا عندما قطعت الولايات المتحدة الأمريكية الإعانة التى كانت تمنحها هولندا طبقا لمشروع مارشال Marshall Plan .

هذا بالإضافة إلى احتفاظ هولندا بقوات حربية كبيرة فى إندونيسيا تبلغ حوالى ١٢٠ ألف مقاتل ، أثقلت كاهل ميزانيتها ، وجعلها موضعا للضغط من قبل الدول المشتركة معها فى حلف شمال الأطنطى ومعاهدة بروكسل الذين كانوا يطالبونها بضرورة زيادة إمكانياتها من الرجال والعتاد لتدعيم البناء الاقتصادى والحربى لدول غرب أوربا . وأخذوا يحضونها على

إنهاء المشكلة الإندونيسية حتى تستطيع أن تفي بالتزاماتها نحو الأحلاف الغربية . كل هذه العوامل مجتمعة قد دفعت هولندا إلى إيجاد تسوية سريعة للموقف الذي يزداد سوءا يوما بعد يوم .

وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر نجد أن زعماء إندونيسيا كانوا أشد حرصا من هولندا على الوصول إلى تسوية سريعة للموقف . فمن الناحية الحربية لن يستطيعوا التغلب على قوات هولندا المجهزة أحسن تجهيز والمزودة بأحدث الأسلحة ومن الناحية الاقتصادية فإن استمرار أعمال العنف سيؤدي إلى انهيار اقتصاديات البلاد وإلى انخفاض مستوى المعيشة مما قد يؤدي إلى زعزعة مراكز هؤلاء الزعماء في الأوساط الوطنية الشعبية .

كانت الظروف إذن مهيأة لعقد تسوية سريعة وحاسمة تضع حدا للاضطرابات في إندونيسيا .

اجتمع الفريقان المتفاوضان تحت إشراف لجنة الوساطة في بتافيا (جاكرتا) في ١٤ أبريل سنة ١٩٤٩م وكان الفريق الإندونيسي يتكون من رجال حكومة الجمهورية الذين اعتقلتهم هولندا عقب هجومها على العاصمة الإندونيسية في ديسمبر سنة ١٩٤٨م . وقد وجد هؤلاء الزعماء الإندونيسيون أنه تصحيحا للأوضاع ، يجب أولا وقبل كل شئ أن تتخذ التدابير لعودتهم إلى مقر الحكومة الجمهورية بمدينة جوجاكارتا ، قبل أن يبدأوا في مناقشة أى خلاف .

وفي ٧ مايو سنة ١٩٤٩م اجتمع الطرفان تحت رعاية لجنة الوساطة وفي هذا الاجتماع أعلن رئيس وفد المفاوضين الإندونيسيين الدكتور محمد روم M . Roem بأنه قد فوض من قبل الرئيس سوكارنو ووكيله الدكتور حتا ليعرب عن تأكيدهما الشخصي بأنهما يستحشان عودة حكومة الجمهورية إلى جوجاكارتا ، ليطمئنا من إصدار أوامرها بوقف الأعمال العدوانية للتعاون من أجل إقرار السلام وسيادة القانون والنظام وللإشتراك في مؤتمر المائة المستديرة المزمع عقده في لاهاي .

وقد وافق رئيس لجنة المفاوضين الهولنديين Dr . Van Royen على عودة حكومة الجمهورية إلى جوجاكارتا والتعاون بين الطرفين للوصول إلى حل للنزاع .

وقد لعبت لجنة الوساطة دورا فعالا في تقدم المباحثات غير الرسمية بين الطرفين . كما يرجع الفضل أيضاً لهذا التقدم لمقدرة المستر كوتشران Gochran مندوب الولايات المتحدة

الأمريكية في لجنة الوساطة ، وكذلك لحسن إدراك رئيس وفد المفاوضين الهولنديين المستر فان روين لحقيقة الموقف . هذا بالإضافة إلى ما بذلته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من ضغط على الحكومة الهولندية للوصول إلى تسوية للمشكلة في أقرب وقت مستطاع .

وبعد اتفاق وجهتى نظر الطرفين فيما سمي باتفاق فان روين- روم Van Royen Room أصبح الطريق ممهدا لعقد مؤتمر المائدة المستديرة.

وفى ٢ يونيو عام ١٩٤٩ أعلن ممثل هولندا في لجنة المفاوضات ، لجنة الوساطة بأن التدابير لعودة حكومة الجمهورية إلى مقرها في جوجاكارتا تتقدم بخطى واسعة ، وأن الحكومة الهولندية ستأمر قواتها بالبدء في الجلاء عن مقر الحكومة فى ٢٤ يونية . كما أعلن الجانبان بأن المناقشات التى جرت بشأن إيقاف الأعمال العدوانية ، قد أكدت التقاء وجهات النظر بين الطرفين ، مما يبشر بقرب انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة ، وعودة حكومة الجمهورية إلى مقر عملها .

وقد تم الجلاء عن جوجاكارتا فى ٣٠ يونية ، وعاد الرئيس سوكارنو ووكيله الدكتور حتا والزعماء الإندونيسيون إليها وسط الحماس من جماهير الشعب الإندونيسى وباشرت الحكومة سلطتها فى ١٣ يولية . وبذلك تنتهى مهمة حكومة الطوارئ التى شكلت عقب سقوط جوجاكارتا فى أيدي الهولنديين .

واتفق الطرفان فى ٣ أغسطس على إيقاف الأعمال العدوانية بصفة نهائية ، بحيث يتم ذلك بالنسبة لجزيرة جاوة فى منتصف ليلة ١٠ / ١١ أغسطس سنة ١٩٤٩ ، وبالنسبة لسومطرة فى منتصف ١٤ / ١٥ أغسطس . على أن تشكل لجنة اتصال مركزية لتنظيم العلاقة بين الطرفين ولتسهيل القيام بالالتزامات المفروضة عليهما ، وتشرف هذه اللجنة على ١٣ لجنة اتصال محلية .

مؤتمر المائدة المستديرة

اجتمع مؤتمر المائدة المستديرة فى لاهاي فى الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٩ فى جو من التفاؤل والأمل المشوب بالتيقظ والحذر ومثلت فيه لجنة الوساطة التابعة للأمم المتحدة . وقد انقسم أعضاء المؤتمر إلى خمس لجان رئيسية تختص كل منها بناحية معينة لمناقشتها والوصول إلى اتفاق بشأنها ، وقد اشترك مندوبو لجنة الوساطة فى كل هذه اللجان تسهيلا لمهمتها .

واختصت اللجنة الأولى بالمسائل السياسية الدستورية . واللجنة الثانية للمسائل الاقتصادية والمالية . والثالثة للمسائل العسكرية ، والرابعة للمسائل الثقافية . والخامسة للشئون الاجتماعية .

وقد وقع المتفاوضون على ميثاق المؤتمر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٩ وقد تضمن هذا الميثاق النقاط الآتية : -

- ١- مشروع لاتحة بنقل السيادة من هولندا إلى جمهورية الولايات المتحدة الإندونيسية .
- ٢- مشروع دستور للاتحاد الإندونيسى الهولندى يتضمن ملاحق واتفاقيات خاصة حول أسس الموضوعات التى ستكون مجالاً للتعاون فى المستقبل .
- ٣- مشروع اتفاقية حول التناهبير الانتقالية وما تتضمنه من اتفاقيات خاصة حول تسوية بعض الموضوعات التى تحتاج إلى إعداد كنتيجة لانتقال السيادة .
- ٤- تبادل المراسلات بشأن بعض المسائل المنفصلة .

وخلاصة القول فإن اتفاقية المائدة المستديرة قد نقلت السيادة إلى إندونيسيا دون قيد أو شرط . وأصبحت جمهورية الولايات المتحدة الإندونيسية فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩ تتكون من ست عشرة ولاية بما فى ذلك الجمهورية الأندونيسية السابقة ، وأصبح الاتحاد الإندونيسى الهولندى تحت تاج هولندا يمثل المصالح المشتركة للطرفين وخصوصا فى ميدان السياسة الخارجية والدفاع .

وقد عرضت قرارات مؤتمر المائدة المستديرة على مجلس الأمن ، فأظهر ارتياحه إلى نجاح الطرفين فى الوصول إلى اتفاق فيما بينهما . وطالب من لجنة الوساطة الاستمرار فى عملها لتنفيذ ما ورد بنصوص الاتفاقية وموافاته بتقارير دورية عن سير التنفيذ .

وقد حازت اتفاقية المائدة المستديرة موافقة أعضاء المجلس فيما عدا خمسة أصوات يمثلون دول شرق أوروبا ، فقد عارضتها ووصفت الاتفاقية بأنها شكل جديد من الاستعمار الهولندى الذى تزيده الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا ، واتهمت زعماء الحكومة الجمهورية بالخيانة . كما عارضها الاتحاد السوفيتى إلى حد استخدام حق الفيتو عند عرضها فى المجلس . ولكن رغم هذا ظلت الاتفاقية سارية المفعول .

وفى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٩ وافقت حكومات الولايات المتحدة الإندونيسية الستة عشر

على اتفاقية المائدة المستديرة ، وبذلك تنتقل السيادة إليها بصفة رسمية .

وفى أغسطس سنة ١٩٥٠ يتغير اسم الدولة الجديدة «إلى» جمهورية إندونيسيا ويوصل الطرفين إلى هذا الاتفاق تنتهى المشاكل المعلقة بين الطرفين فيما عدا مشكلة واحدة هى مشكلة غينيا الجديدة New Guinea أو «إيربان الغربية» كما يسميها الإندونيسيون أنفسهم . ولكن مصير هذا الجزء من الجزيرة لم يهمله المفاوضون الإندونيسيون ، بل كان موضع عنايتهم طوال المفاوضات . ونصت المادة الثانية من اتفاقية المائدة المستديرة على بقاء هذه المنطقة على حالتها الراهنة ، على أن يدخل الطرفان الإندونيسى والهولندى فى مفاوضات بشأن تقرير مصيرها بعد عام واحد من انتقال السيادة إلى جمهورية الولايات المتحدة الإندونيسية .

وإيربان الغربية هى إحدى جزر إندونيسيا وتقع فى شمال شرق جاوة وشمال استراليا . وتبلغ مساحتها ٨٥٠ ألف كيلو متر مربع . وتنقسم إلى قسمين : القسم الشرقى تحت وصاية استراليا منذ انتزاعه من ألمانيا عام ١٩١٨ . والقسم الغربى فيها ويقع فى قبضة هولندا ورغم كبر مساحتها التى تقرب من ربع مساحة إندونيسيا كلها فكأن عدد سكانه لا يزيد عن مليون نسمة فى حالة تأخر وانحطاط شديدين .

فالجزيرة إذن من هذه الناحية تعتبر المجال الحيوى بالنسبة للشعب الإندونيسى وبالنسبة لزيادة عدد سكان الجزر الإندونيسية الأخرى ، وخصوصا جزيرة جاوة التى يزيد عدد سكانها عن اثنين وخمسين مليوناً وقتئذ رغم أن مساحتها تعادل ثلث مساحة إيربان الغربية .

فالجزيرة ليست على درجة كبيرة من الأهمية من الناحية الاقتصادية بالنسبة لهولندا فإنتاجها قليل نظرا لأن معظم أراضيها تغطيها المستنقعات والأحراش وتنتشر فيها الملازى انتشارا كبيرا . ولكنها من الناحية الاستراتيجية تعتبر ذات أهمية بالغة بالنسبة للدفاع عن استراليا وبالنظر إلى مشروعات الغرب الدفاعية فى جنوب شرقى آسيا .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فهى تعتبر نقطة ارتكاز للنفوذ الهولندى فى إندونيسيا . فهولندا لها مصالح حيوية فى إندونيسيا تتمثل فى مزارع المطاط والشركات الهولندية العديدة .

فوجودها فى إيربان الغربية يضمن لها تلك المصالح . وفى نفس الوقت ييسر لها مهمة التجسس على أعمال الحكومة الوطنية ، ويجعلها فى مركز المتحفز للوثوب على إندونيسيا إذا مالات لها فرصة مناسبة .

كما أن إيربان الغربية تعتبر الملجأ الوحيد للرعايا الهولنديين فى أندونيسيا إذا ما طردتهم حكومة الجمهورية الإندونيسية . فهولندا لن تستطيع إرجاعهم إلى بلادهم الأصلية هولندا ، نظرا لازدحامها الشديد بالسكان .

بدأت مفاوضات تمهيدية بين الطرفين عقب توقيع اتفاقية المائدة المستديرة وقبل أن تكتمل فترة العام المنصوص عليها . وتقدمت إندونيسيا بمقترحات إلى هولندا تتضمن الاعتراف بالسيادة بعد الاتفاق بين الطرفين . على أن تضمن حكومة الجمهورية الإندونيسية مصالح هولندا فى الجزيرة ودفعت التعويضات عما تكبدته من نفقات .

ولكن هولندا رفضت هذا العرض وقدمت مقترحات جديدة تلخص فى الاعتراف بالسيادة للاتحاد الأندونيسى الهولندى ، مع احتفاظها بإدارة الجزيرة والسماح لعدد معين من الأعضاء الإندونيسيين بدخول مجلس إيربان الغربية فلم تسلم إندونيسيا بهذا الحل .

واستؤنفت المفاوضات من جديد فى ديسمبر سنة ١٩٥١ ولكنها لم تسفر عن أية نتيجة . فطالبت هولندا بعرض النزاع على محكمة العدل الدولية ، وأرادت هولندا بذلك أن تخرج المسألة عن طبيعتها السياسية الصرفة .

ولم تكن الحكومة الهولندية جادة فى مفاوضاتها مع إندونيسيا ، خصوصا بعد أن ظهر زيت البترول فى الجزيرة ، وبعد أن أخذ النفوذ الغربى يتداعى فى جنوب شرقى آسيا ونظرا لاهتمام الغرب بمشروعات الدفاع عن المنطقة وانتهاج إندونيسيا لسياسة الحياد الإيجابى وعدم التحيز للغرب أو قبول مشروعاته الدفاعية . ونتيجة لهذه العوامل المتعددة أقدمت هولندا على اتخاذ قرار خطير ينم عن نواياها فى إصرارها على التمسك بإيربان الغربية ، وذلك بتعديل الدستور الهولندى فى عام ١٩٥٢ بحيث ينص على جعل إيربان الغربية جزءا من مملكة هولندا المنخفضة .

وبهذا التعديل الجديد زادت المشكلة تعقيدا ، وأصبحت مشار نزاع بين الفريقين . وتتجه السياسة الهولندية إلى التعاون مع جارتها الشرقية فى الجزيرة وفى استراليا لتنسيق سياستها الدفاعية إزاء الجزيرة .

وإذا كانت إندونيسيا ، قد وجدت تعضيدا من قبل حكومتى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى نزاعها مع هولندا بشأن الاستقلال ، فإنما كان يرجع ذلك إلى رغبة هاتين الدولتين فى أن تصبح الجمهورية الإندونيسية الجديدة من الدول التى تدور فى فلك السياسة الغربية والتى تجبذ مشروعات الغرب الدفاعية التى تهتم بها الولايات المتحدة الأمريكية أيا اهتمام . ولكن بعد أن اتضحت نية إندونيسيا منذ انعقاد مؤتمر باندونج فى أبريل عام ١٩٥٥ ، تلك السياسة القائمة على الحياد الإيجابى وعدم التحيز لكلا المعسكرين الشرقى والغربى ، فإن الجمهورية الإندونيسية لاتفيد تعضيدا من قبل هاتين الدولتين فيما يتعلق بمشكلة إيريان الغربية .

وقد عرضت هذه المشكلة على الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة مرات منذ أغسطس ١٩٥٤ ولكن مناوورات الدول الغربية كانت تحول فى كل مرة بين حلها . ثم أعلنت هولندا فى آخر الأمر أنها لن تدخل فى مفاوضات مع إندونيسيا وأنها ستستمر فى حكم الجزيرة إلى أن يتمكن السكان من تقرير مصيرهم بأنفسهم وتمسكت باعتبار النزاع مسألة قانونية يجب عرضها على محكمة العدل الدولية .

وكان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧ قاسيا بالنسبة لأندونيسيا إذ أنه أغلق باب المفاوضات بين الطرفين ، وجعل إندونيسيا أمام أمرين لا ثالث لهما : إما قبول الأمر الواقع ، وإما إرغام هولندا على وضع حد لتلك المشكلة ، وقد رأت إندونيسيا بعد أن استنفذت كل محاولاتها السلمية لدى الأمم المتحدة لحل المشكلة ، أن تختار الأمر الثانى . فاجتمع فى جاكرتا فى ١٨ نوفمبر ١٩٥٧ مؤتمر شعبى حضره ما يزيد عن المليون نسمة . وقرر بأنه فى حالة فشل قضية إيريان الغربية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فإن المؤتمر يرى أن تتخذ الحكومة خطوات حازمة إزاء تعنت هولندا ، تتلخص فى تأميم الشركات الهولندية ، وترحيل جميع الرعايا الهولنديين خارج البلاد ، وتحريم دخول إندونيسيا على الهولنديين وإنشاء فرقة مسلحة هدفها تخليص إيريان الغربية وإنشاء صندوق تمويل حركة التحرير فى الجزيرة .

وقد لبت الحكومة هذه الدعوة بعد فشل القضية ، فأتمت الشركات الهولندية وأمرت بترحيل الهولنديين إلى بلادهم واستولت على المصانع ومزارع المطاط ومختلف المنشآت الهولندية . وبهذا الإجراء الحاسم فقدت هولندا كل ما تمتلكه من رؤوس أموال تقدر بنحو ٧٠٪ من

الاقتصاد الإندونيسى . بل إن ما يستثمره الرعايا الهولنديون وحدهم يقدر بنحو ١٢٠٠ مليون دولار . ولن تستطيع الدول الاستعمارية الصمود أمام حركات التحرير التى اجتاحت آسيا وأفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية . وأن تثبت الاستعمار بما بقى لديه من مناطق قليلة، هو من قبيل إرضاء النزعة الاستعمارية التى أصبحت لا تتفق ومقومات الحياة فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وتتدخل الأمم المتحدة وتقرر فى أول مايو سنة ١٩٦٣ وضع إيريان تحت إشراف إندونيسيا على أن يجرى استفتاء بعد ذلك حول تقرير مصيرها ولكن انسحاب إندونيسيا من هيئة الأمم ألغى هذا الألتزام . وكان النزاع حول ماليزيا قد جعل إندونيسيا تنسحب من هيئة الأمم ولكنها عادت بعد الاعتراف بماليزيا فى أغسطس سنة ١٩٦٦ .

الفصل الخامس

ماليزيا وسنغافورة

- نظرة جغرافية - التطور التاريخي لماليزيا - الإسلام فى ماليزيا -
الاستعمار البريطانى - الاستقلال - سنغافورة

ماليزيا

نظرة جغرافيا :

تقع ماليزيا فى قلب جنوب شرق آسيا ، وهى هلالية الشكل قريبة من خط الاستواء بين خطى عرض ٥١ و ٥٧ شمالا ، وخطى طول ١٠٠ و ١١٩ شرقا وتمثل ماليزيا منطقتين واضحتين : المنطقة الأولى هى شبه جزيرة ماليزيا وتمتد من برزخ أكرا إلى مضائق ولاية جوهور ، والمنطقة الثانية هى ولايتى صباح وسرواك التى تقع على الساحل الشمالى الغربى من جزيرة بورنيو ...

يفصل بين المنطقتين بحر الصين الجنوبى بحوالى ٧٥٠ كيلو مترا ، وتتصل شبه جزيرة ماليزيا من جهة الشمال بتايلاند عبر حدود أرضية ، ومن الجنوب بجمهورية سنغافورة عن طريق جسر ، وتقع جزيرة سومطرة الإندونيسية غربا عبر مضائق ملقا ، كما تقع جزر الفلبين شمال شرق ولاية صباح .

وتبلغ مساحة ماليزيا ٣٣٠٣٤٣ كيلو متر مربع منها ١٣١٥٩٨ كيلو متر مربع مساحة شبه جزيرة ماليزيا ، بينما تبلغ مساحة ولايتى صباح وسرواك ٧٣٦٢٠ كيلو متر مربع و ١٢٤٤٤٩ كيلو متر مربع على التوالى .

وتمتد ساحل ماليزيا إلى حوالى ٤٨٣٠ كيلو متر من المحيط الهندى إلى بحر الصين الجنوبى ، ويعتبر الساحل الغربى أكثر المنافذ وصولا لشبه جزيرة ماليزيا لاحتمائه بمضائق ملقا ، بينما يصعب الدخول إلى الساحل الشرقى فى فترة الإعصار الشمالى الشرقى (الممتدة من شهر أكتوبر حتى شهر فبراير) ويبلغ طول ساحل ولايتى صباح وسرواك ٢١٠٠ كيلو متر .

وتتعرض ماليزيا لعوامل بحرية ورياح متداخلة ومتبادلة تنشأ أصلا فى المحيط الهندى وفى بحر الصين الجنوبى ، وتنقسم السنة الميلادية عادة إلى مواسم : الإعصار الشمالى الشرقى

ويسود البلاد فى الفترة من شهر أكتوبر إلى شهر فبراير ، ويأتى بالأمطار على الساحل الشرقى لشبه جزيرة ماليزيا والمناطق الساحلية لولايتى صباح وسراوك . والإعصار الجنوبي الغربى ويمتد من منتصف شهر مايو إلى شهر سبتمبر فيتراوح متوسط الأمطار فيه بين ٢٠٣٢ و ٢٥٤٠ مليمترا .

وتتراوح درجة الحرارة اليومية على كافة أنحاء ماليزيا بين ٢١ و ٣٢ درجة مئوية ، بينما تسجل درجات الحرارة فى المناطق المرتفعة ٢٦° و ٥٢° درجة مئوية ، وتمثل الرطوبة النسبية درجة عالية تصل إلى ٨٠ درجة فى المائة وتمتاز هذه المنطقة بالمناخ الذى يسمح بنمو الزراعات دون توقف، ولذلك تغطى ماليزيا الغابات الاستوائية التى تنمو عن طريق مياه الأمطار الغزيرة .

وتتكون دولة ماليزيا الحالية من اتحاد فيدرالى يضم ثلاث عشرة ولاية هى :

١- ولاية جوهور دار التعظيم ومساحتها ١٨٩٨٦ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٢١٠٦٧٠٠ نسمة وعاصمتها جوهور بحرو . وتتصل هذه الولاية بسنغافورة عن طريق معبر .

٢- ولاية قدح دار الأمان ومساحتها ٩٤٢٦ كيلو متر مربع وعدد سكانها ١٤١٢٠٠٠ نسمة وعاصمتها الورستار .

٣- ولاية كلنتان دار النعيم ومساحتها ١٤٩٤٣ كيلو متر مربع ، وعدد سكانها ١٢٢١٧٠٠ نسمة وعاصمتها كوتا بحرو .

٤- ولاية ملقا ومساحتها ١٦٥٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٥٨٣٤٠٠ نسمة وعاصمتها ملقا .

٥- ولاية نجرى سمبلاى دار الخصوص ، ومساحتها ٦٦٤٣ كيلو متر مربع ، وعدد سكانها ٧٢٣٩٠٠ نسمة وعاصمتها سربان .

٦- ولاية باهنج دار المقصور ومساحتها ١٠٣١ كيلو متر مربع وعدد السكان ١١٤١٥٠٠ نسمة ، والعاصمة كوانتان .

٧- ولاية بلو بينانج ومساحتها ١٠٣١ كيلو متر مربع وعدد السكان ١١٤١٥٠٠ نسمة والعاصمة جورج تاون ، وعادة ما تسمى لؤلؤة الشرق .

٨- ولاية بيراك دار الرضوان ومساحتها ٢١٠٠٥ كيلو متر مربع وعدد السكان ٢٢٢٢٤٠٠ نسمة والعاصمة إيبوه .

٩- ولاية بيرلس أندرا كانيجان ، مساحتها ٧٩٥ كيلو متر مربع وعدد سكانها ١٨٧٦٠٠ نسمة والعاصمة كالجار .

١٠- ولاية صباح ومساحتها ٧٣٦٢٠ كيلو متر مربع وعدد السكان حوالي مليون ونصف المليون نسمة والعاصمة مدينة كوتاكيننا بالو .

١١- ولاية سرواك ومساحتها ١٢٤٤٤٩ كيلو متر مربع وعدد السكان ١٦٧٠٣٠٠ نسمة والعاصمة مدينة كوتشينج .

١٢- ولاية سنجور دار الإحسان ، ومساحتها ٧٩٥٦ كيلو متر مربع ، وعدد السكان حوالي اثنين مليون نسمة والعاصمة مدينة شاه علم .

١٣- ولاية ترنجانو دار الإيمان ومساحتها ١٢٩٥٥ كيلو متر مربع وعدد السكان ٧٥٢٠٠٠ نسمة والعاصمة كوالا ترنجانو .

والى جانب الثلاث عشرة ولاية توجد أراضي فيدرالية تتكون من : -

أ- كوالا لامبور : وهي عاصمة ماليزيا ، وقد اكتسبت صفة المدينة فى أول فبراير ١٩٧٢ ، وأضفى عليها اسم الأراضي الفيدرالية فى أول فبراير ١٩٧٤ ومساحتها ٢٤٣ كيلو متر مربع وعدد السكان حوالي مليون ونصف نسمة .

ب- لابوان ومساحتها ٩١ كيلو متر مربع وعدد السكان ٣٥٠٠٠ نسمة وقد أنشئت الأراضي الفيدرالية لمنطقة لابوان فى ١٦ فبراير ١٩٨٤ م .

التطور التاريخى لماليزيا

الإسلام فى ماليزيا :

بدأت صورة تاريخ ماليزيا فى الوضوح منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادى . وكان عهد امبراطورية ملقا هى الحقبة التى شهدت العصر الذهبى للقوة السياسية لشعب الملايو ، وإلى حد بعيد تطابق ذلك مع عهد بداية انتشار الإسلام فى جنوب شرق آسيا ، وكانت ملقا ذاتها أول ولاية تعتنق الدين الإسلامى .

وقد كان للإسلام نفوذ قوى على شبه الجزيرة ، وبدون شك كان أعظم مؤثر خارجى ساعد على تكوين المبادئ الأساسية للمجتمع الملاوى ، وفى ذلك الوقت كانت امبراطورية بروناى تهيمن على المناطق الساحلية فى جزيرة بورنيو .

وكان التجار العرب أول من نقل الإسلام إلى ماليزيا ، كما انتقل الإسلام مع المهاجرين المسلمين الذين استوطنوا البلاد، وقد اتسع انتشار الإسلام في ماليزيا في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي.

وتذكر بعض المصادر أن الإسلام دخل إلى أرخبيل الملايو من منبعه الأول في القرن الأول تقريبا عام ٥٢ هجرية في عهد معاوية بن أبي سفيان . وإقامت عدة ممالك في جزر الأرخبيل التي مازالت تعيش شعوبها حتى اليوم معتزة بالإسلام رغم جحافل الاستعمار المتعددة منذ القرن السادس عشر الميلادي^(١). ولم يأت القرن الخامس عشر حتى كانت التجارة في المحيط الهندي وفي بلاد الصين كلها في يد العرب قبل أن تظهر قوة الاستعمار البرتغالي، وكان الطريق الطبيعي لهذه التجارة هو مياه بحر الملايو التي يلتقى بين جزرها مياه بحر الصين وبحر الهند^(٢).

ورغم اختلاف الجنسيات التي دخلت الإسلام في هذا الأرخبيل فقد كانت تجمعها كلها كلمة واحدة هي الجامعة الإسلامية ، فلقد ألف الإسلام بين العرب والفرس والملاويين وأهل جزر الهند الشرقية . وقد عاشت هذه الجماعات الإسلامية بحريتها في ظل ممالك غير إسلامية ، حيث كان من السهل على المسلمين أن يتصلوا بالصين ، وعلى يد هذه الجماعات اعتنق كثيرون من أهل البلاد الإسلام .

الاستعمار البرتغالي والهولندي :

كان وقوع ملقا تحت سيطرة البرتغاليين في عام ١٥١١م مؤشرا قويا لبدء الغزو الأوربي لملقا . ذلك أن العرب المسلمين كانوا يسيطرون على البحار الهندية كتجار يتاجرون بمنتجات الحرية بجميع الموانئ الهندية وينطلقون بسفنهم إلى المحيط الهادي ، بل يبلغون ساحل الصين . إلا أنه عند مجئ البرتغاليين سلكو مع المسلمين مسلكا عدائيا سواء في الهند أو في جزر الهند الشرقية أو في أرخبيل الملايو حيث يسيطر المسلمون على ملقا وسنغافورة^(٣).

١- د. رؤوف شلبي : الإسلام في أرخبيل الملايو ، ومنهج الدعوة إليه . الكويت ١٩٨٣ ، ص ٨٢ .

٢- نفس المرجع ، ص ٨٩ .

٣- بانينكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٣٠ ، ٣٣ .

وبعد أن نجح ألفونسو البوكيرك القائد البرتغالي فى إحكام سيطرته على ساحل الهند الغربى بعد معركة ديو البحرية التى هزم فيها أسطول سلاطين المالك أمام القوات البرتغالية عام ١٥٠٩م بسبب خيانة بعض حكام الإمارات الهندية ، التفت إلى منطقة الملايو والمحيط الهادى ، ولم يكن فى استطاعته السيطرة التامة على تجارة هذه المناطق مالم تتوطد هيمنته على مضيق ملقا ، خاصة أن مدينة ملقا كانت آنذاك ميناء دوليا عظيما وقد جعلها موقعها الطبيعى مفتاحا للمحيط الهادى ، ومن ثم عزم عام ١٥١١م على الاستيلاء على مملكة ملقا ، وقد نجح فى ذلك بعد مقاومة شديدة من حاكمها المدعوم بالمسلمين بسبب موقف الصينيين والهنود والبورمين الذين يشتركون مع البرتغاليين فى كراهية المسلمين^(١) . مع العلم بأن قائد الجيش الملاوى «تون حسن» كان قد نجح عام ١٥١٠م فى صد الغزو البرتغالى الأول وأسر البرتغاليين الذين احتسوا فى القلاع التى أقاموها من البداية للتجارة ولم ينبج من الأسر والقتل إلا قليلا من البرتغاليين الذين تمكنوا من الهرب واتجهوا إلى سومطرة بجزر الهند الشرقية^(٢) .

ويمكن تحديد بداية السيطرة الهولندية على منطقة الملايو إلى عام ١٦٣٣م عندما تم تعيين «أنطونى فان ديمين» حاكما عاما على أملاك هولندا فى الهند الشرقية . وفى عام ١٦٤١م انتزع من البرتغاليين ملقا بمعاونة كبيرة من أهالى الملايو المسلمين ، ومن ثم جاء سقوط الإمبراطورية التجارية البرتغالية انهيارا سريعا ، ومالبثت «كوتشين» مؤسستهم الأولى أن وقعت فى يد الهولنديين عام ١٦٦٠م ، ثم سقطت فى يدهم المحطات التجارية الصغيرة الأخرى الواحدة تلو الأخرى بحيث شملت جزر الهند الشرقية وجزيرة الملايو ، واتخذ الهولنديون جزر المحيط الهادى أساسا رئيسيا لنشاطهم ، وبذلك استمرت سيطرة هولندا فى هذه المناطق حتى ظهر النشاط الاستعمارى البريطانى ليناكس الوجود الهولندى .

وأخذت ممالك أرخبيل الملايو مع جزر الهند الشرقية منذ القرن السابع عشر تخضع تحت السيطرة الهولندية والبريطانية زهاء ثلاثة قرون ونصف كان حصادها :

- ١- إنهاك القوى الإسلامية وشل حركة الدعوة الإسلامية .
- ٢- اغتصاب كل إنتاج البلاد وتصديره إلى هولندا وترك البلاد قاحلة فقيرة .

١- نفس المرجع ص٤٦ ، ٤٩ .

٢- د. رؤوف شلى : المرجع السابق ، ص١٢٤ .

- ٣- تمزيق الوحدة الإسلامية، وتضييع الثقافة الإسلامية .
- ٤- بعث الفكر الأوروبي الاستعماري .
- ٥- نشر المسيحية بأساليب التبشير كالتى استخدمتها مناهج الدعوة الإسلامية فى العمل فى هذه البلاد سالفًا .
- ٦- اختفاء الدعاة وقطع الصلة بين المشرق الإسلامى وجزر الأرخيبيل .
- ٧- استخدام خيرات البلاد فى التقدم بأوروبا وزج جزر الأرخيبيل فى الحروب وبخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية (١).

الاستعمار البريطانى :

بدأ الاستعمار البريطانى للملايو عن طريق شركة الهند الشرقية البريطانية التى نشطت منذ عام ١٦٠١م أولاً عن طريق الاتجار مع تلك البلاد فى الفلفل وبقية أنواع التوابل ، وكان أول مركز للشرق فى البلاد الهندية مدينة «سورات» عام ١٦١٢م، ثم وقوع مدينة بومباى فى يد الشركة عام ١٦٦٥م .

وقد اتسعت اهتمامات شركة الهند الشرقية البريطانية التجارية بجزر أرخبيل الملايو ، حيث حصلت الشركة على ولاية «بلويناىنج» من سلطان «قدح» عام ١٧٨٦ ، كما استولت الحكومة البريطانية عام ١٨١٩م على سنغافورة من سلطان جهور ، واستولت على ملقا من الهولنديين عام ١٨٢٤م بعد أن تنازلوا عنها فى مقابل أن يحصلوا على «بنكولين» فى جزيرة سومطرة . وبعد مضى عامين ١٨٢٦م أصبحت كل من «بلويناىنج» وملقا وسنغافورة تعرف باسم مستعمرات المضيق .

وخضعت ماليزيا لإدارة بريطانية سمحت لاستثمارات ضخمة قامت بها طبقة التجار الأثرياء فى مستعمرات المضيق ، وكانت هذه الاستثمارات تتم بطريقة غير مباشرة والتى كانت فى شكل قروض تدفع مقدما إلى الطبقة الحكومية الملاوية ، تلك الطبقة التى كانت محتكرة للأنشطة الاقتصادية فى ولايات الملايو.

١- نفس المرجع ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

وفى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى بدأ الغزو الاقتصادى فى شبه الجزيرة الملاوية ، وقد تدفقت رؤوس الأموال عقب توالى أعداد كبيرة من العمال الصينيين الذين كانوا يعملون فى مناجم القصدير . وفى عام ١٨٦٧م انتقلت إدارة المستعمرات من مكتبها بالهند إلى مكتبها بمستعمرات المضيق .

وكانت معاهدة «بنكور» عام ١٨٧٤م تمثل بداية التغيير الجذرى السياسى والإدارى فى ولايات الملايو واطلع البريطانيون على المهام والواجبات التى كانت يوما ما مقصورة على الأمراء والأرستقراطيين، وظل هذا التغيير مستمرا لسنوات طويلة .

وقد استحدث البريطانيون فى إدارتهم للبلاد الملاوية ، نظاما جديدا وهو تعيين ما عرف باسم المندوب المقيم الذى يقوم بتقديم المشورة والنصح للسلطين فى جميع الشئون فيما عدا ما يتعلق بأمور الدين الإسلامى والعادات والتقاليد المحلية لشعب الملايو .

وفى عام ١٨٩٥م قام اتحاد يضم ولاية سلانجور وجزى سبلان وباهانج وأطلق عليه اسم : الاتحاد الفيدرالى لولايات الملايو « وفى عام ١٩٠٩م تنازلت سيام لبريطانيا عن سلطاتها على ولايات : قح ، بيرليس ، كلنتان وترنجانو ، وتم تعيين مستشارا بريطانيا لكل من هذه الولايات الأربع ، ثم لحقت جوهور بهذه الولايات فى عام ١٩١٤ لتشكل ما سسمى باسم : الولايات الملاوية غير المتحدة، وهذه الولايات الخمس لم يتم ضمها إلى الاتحاد السابق خوفا من زوال سلطاتها وانتقالها إلى بريطانيا .

وفى ظل الإدارة البريطانية للملايو سمحت السلطات البريطانية بهجرة كبيرة من مواطنى شبه القارة الهندية منذ عام ١٩١٠م للعمل بصناعة المطاط فى الملايو .

وبالنسبة لجزيرة بورنيو فقد قام مغامر بريطانى يدعى «جيمس بروك» منذ عام ١٨٤٠م بزيارة إلى مدينة كوتشينج وكانت حينئذ جزءا من «بروناي» وأثناء إقامته هناك ساعد على قمع التمرد القائم ضد نائب سلطان بروناي ، وقد عينه السلطان مكافأة له عام ١٨٤١م فى منصب الحاكم «راجا» ، ثم اتسعت الأراضى التابعة له حتى شملت كل أراضى ولاية بروناي بحدودها الحالية.

وقد استطاعت إدارة أعمال المصالح البريطانية فى عام ١٨٧٧م و ١٨٧٨م، الحصول على حق تنازل الممتلكات فى شمال بورنيو من سلطان بورنيو ، كما حصلوا على تنازل سلطان سولو

على شرق بورنيو ، وحينما تأسست الشركة البريطانية لشمال بورنيو عام ١٨٨٢م استولت على ماتبقى من الممتلكات ، وفى عام ١٨٨٨م أصبحت كل من سرواك وبيروناي، وشمال بورنيو- وهى الآن صباح- تحت الحماية البريطانية .

وقد تعرضت ماليزيا أثناء الحرب العالمية الثانية للاحتلال اليابانى خلال عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢م ، وحتى استسلمت اليابان لقوات الحلفاء فى شهر سبتمبر ١٩٤٥م عندما عادت الإدارة البريطانية لحكم الملايو مرة أخرى. فى الوقت الذى كانت فيه الحركة الوطنية لشعب ماليزيا تنظم صفوفها من خلال منظمات مختلفة ، وخلال الاحتلال اليابانى عمقت هذه المنظمات جذورها ووحدت صفوفها ، وفى عام ١٩٤٦م تكونت المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو « أمنو » وذلك فى سبيل تحديد وتوحيد مطالب المناضلين الوطنيين من أجل تحقيق الاستقلال القومى .

وعندما قام الحكم العسكرى البريطانى لماليزيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة انقسمت مستعمرات المضيق وأصبحت سنغافورة مستعمرة بريطانية ، وأنشأت بريطانيا اتحاد الملايو فى شهر أبريل عام ١٩٤٦م الذى ضم كلا من ملقا وبينانج والولايات التسع ، إلا أن هذا الاتحاد واجه معارضة شديدة من قبل الوطنيين حتى تلاشى فى النهاية عام ١٩٤٨م، ثم ظهر عدم الرضا نتيجة تحويل السلطة من حكام الملايو إلى التاج البريطانى. وعقدت اتفاقية اتحاد الملايو عام ١٩٤٨م، والتي بموجبها تم تعيين مندوب سامى بريطانى ومجلسا استشاريا ، مع تحويل جزء كبير من السلطات إلى حكومات الولايات والمستوطنات .

وبالنسبة لسرواك وبورنيو بعد انتهاء معارك الحرب العالمية الثانية فقد تمت إعادة تنظيم حكومة البلاد عام ١٩٤٦م ، وأصبح شمال بورنيو ولاهوان مستعمرة بريطانية تدار بواسطة حاكم بمساعدة مجلس استشارى تم إلغاؤه عام ١٩٥٠م بموجب دستور جديد واستبدل بمجلس تشريعى وتنفيذى . ثم أصبحت سرواك منذ عام ١٩٤٦م تحت الاحتلال البريطانى وذلك حينما قام آخر حاكم فيها بتسليمها إلى التاج البريطانى، وأصبحت المستعمرة تحكم بواسطة حاكم وبمساعدة المجلس التنفيذى وسمى «المجلس الأعلى للولاية» والمجلس التشريعى وهو مجلس الولاية .

ومنذ عام ١٩٤٨م شنت العصابات الإرهابية الشيوعية حملات عنف وإبادة وذلك لشل حركة الانتعاش الاقتصادى التى كانت قد بدأت فى الظهور فى البلاد، مما استدعى إعلان حالة الطوارئ فى البلاد التى استمرت لمدة ١٢ سنة عاشت فيها ماليزيا فى ظل صراع عنيف استمر حتى انتهت هذه الأحوال عام ١٩٦٠م .

صدر عام ١٩٥٥م قانون جديد للمليزيا تحولت بمقتضاه المسئولية إلى ممثلى الشعب، ولأول مرة حصل المجلس التشريعى الفيدرالى على أغلبية أصوات الناخبين ، وفى نفس العام أجريت أول انتخابات عامة حيث اكتسح حزب التحالف بالحصول على ٥١ مقعدا من ٥٢ مقعد ، وحزب التحالف هو اتحاد بين المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو « أمنو » واتحاد الملايو الصينى ، والمجلس الهندى الملايو. وقد أدى النجاح الساحق فى الانتخابات إلى البدء فوراً فى قيادة المسيرة والنضال من أجل تحقيق الاستقلال .

وبالنسبة للتقدم الدستورى فى شمال بورنيو وسرواك ، فقد ازدادت العضوية غير الرسمية فى المجلس التشريعى والمجلس التنفيذى عام ١٩٦٠م حتى أصبحت تشكل أغلبية . وقد شهد عام ١٩٦٣ - شهر أبريل- انتخابات السلطات المحلية ، وفى أغسطس من نفس العام شكلت شمال بورنيو حكومة برئاسة رئيس الوزراء ، كما تكونت السلطة التشريعية بأغلبية مطلقة ، وكان ذلك قبل أن تصبح عضوا فى اتحاد ماليزيا .

وفى شهر أغسطس عام ١٩٥٦م وضعت سرواك دستوراً جديداً تم بموجبه انتخاب أعضاء المجلس التشريعى بالأغلبية ، ومنذ عام ١٩٥٩م أصبح النظام السياسى قائماً على أساس اختيار أعضاء مجلس الولاية من داخل الأقسام والمجالس الاستشارية . وقد كانت هذه الانتخابات الدافع القوي للشعب لأن يطالب بالحكم الذاتى .

وفى مارس ١٩٦٣ م قام مجلس الولاية بإجراء تعديل على الدستور حتى يتحقق الحكم الذاتى الشامل ، وفى منتصف شهر أغسطس من نفس العام أجريت الانتخابات على أساس التعديل الجديد حيث أنتجت نجاح حزب التحالف المؤيد لإقامة دولة ماليزيا ، وكان نجاحه بأغلبية ساحقة .

وقد تشكلت منذ يناير ١٩٦٢م لجنة إنجليزية ملايوية لتأييد وتعميق رغبة شعب شمال بورنيو وسرواك لإقامة دولة ماليزيا ، وهى الرغبة التى كان يشجع عليها ويتبناها رئيس وزراء الملايو آنذاك السيد « تنكو عبد الرحمن » وقد أسفرت عمل اللجنة عن نتائج تؤكد أن غالبية الشعب تؤيد إقامة دولة ماليزيا ، ومن ثم تشكلت لجنة حكومية منبثقة عن اللجنة العليا تتكون من الملايو وبريطانيا وشمال بورنيو وسرواك وذلك للعمل على وضع التفاصيل التى كان من بينها تحقيق الاهتمامات والرغبات الخاصة ، لولايات بورنيو . وما أن حل شهر سبتمبر ١٩٦٢م حتى وافقت السلطات التشريعية لشمال بورنيو وسرواك على الاتحاد الجديد

ومما يلاحظ أنه كانت هناك معارضة من بورنيو آثارها سلطات كل من الفلبين وإندونيسيا لقيام دولة ماليزيا ، وعندما عقد اجتماع ثلاثي ضم ممثلين عن كل من الملايو والفلبين وإندونيسيا ، انحصرت المعارضة في الإدعاء بعدم رغبة شعب بورنيو للانضمام للاتحاد ، وفي شهر سبتمبر - كما أشرنا- عام ١٩٦٢ جاء تقرير السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة مؤكدا موافقة شعب بورنيو على الانضمام لاتحاد ماليزيا .

وهكذا أعلن قيام دولة ماليزيا في ١٦ سبتمبر عام ١٩٦٣ م ، وكانت على شكل اتحاد مكون من ولايات الملايو وصباح وسراوك وسنغافورة . وإن كانت الأخيرة- سنغافورة - انفصلت عن الاتحاد في ٩ أغسطس عام ١٩٦٥ م . وقد عارضت الفلبين قيام هذه الدولة وقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها حتى عادت إلى طبيعتها في ٣ يونيو عام ١٩٦٦ م . كما عارضت إندونيسيا قيام دولة ماليزيا واتخذت معارضتها شكل المواجهة ، ولكن هذه المعارضة خفت حدتها منذ بداية عام ١٩٦٦ م حيث أن زعماء إندونيسيا كانوا منشغلين بتشكيل حكومة جديدة لهم ، وفي شهر يونيو ١٩٦٦ عقدت معاهدة سلام بين إندونيسيا وماليزيا انتهت بموجبها المواجهة بين الطرفين ، وقد أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين إندونيسيا وماليزيا في ٣١ أغسطس عام ١٩٦٧ م .

وبعد إعلان قيام دولة ماليزيا انضمت إلى «اتحاد دول جنوب شرق آسيا» «آسيان» منذ شاركت في شهر أغسطس عام ١٩٦٧ م في مدينة «بانكلول» في اجتماع دول إندونيسيا والفلبين وسنغافورة وتايلاند إلى جانب ماليزيا حيث أعلن تشكيل الاتحاد الذي يهدف إلى تنمية وتأكيد أوجه التعاون بين هذه الدول من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي فيها . وفي شهر يناير ١٩٨٤ م انضمت سلطنة بروناى دار السلام رسميا إلى مجموعة الآسيان . وبالنسبة للأحوال الداخلية بدولة ماليزيا ، فقد أجريت الانتخابات العامة ست مرات وذلك منذ إعلان الاستقلال في عام ١٩٥٧ م . وقد ظل حزب التحالف محافظا على تفوقه وسيطرته على مقاليد الأمور على المستوى الفيدرالى منذ انتخابات عام ١٩٦٩ م . كما أنه ظل محافظا على نجاحه الدائم كحزب حاكم منذ عام ١٩٩٥ م .

وقد تلى انتخابات عام ١٩٦٩ م بعض أحداث العنف والاضطرابات العنصرية الداخلية ، وقد عرفت باسم حوادث مايو وهى ما اضطرت الحكومة إلى فرض إعلان حالة الطوارئ وتشكيل مجلس وطنى للعمليات للسيطرة على الأحداث وإدارة البلاد وفى عام ١٩٧٠ م أصبح

السيد «تون عبد الرازق بن الحاج حسين» ثاني رئيس وزراء ماليزيا ، وذلك عندما تنازل له عن الرئاسة «تنكو عبد الرحمن بوترا الحاج» رئيس وزراء ماليزيا السابق.

وفي عام ١٩٧١م أعيد انعقاد البرلمان الماليزي وقدمت بعض التعديلات الدستورية تقضى بمنع المناقشات العامة لبعض المسائل التي قد تحدث وتثير عوامل العنصرية في البلاد . وفي نفس الوقت اتخذت بعض الإجراءات لضمان قدرة الشعب الأصلي على الاشتراك في الحياة الاقتصادية للبلاد .

وقد نجح حزب التحالف وبمبادرة منه في تكوين الجبهة الوطنية والتي كان من بينها كثير من الأحزاب السياسية المعارضة . وفي ٢٤ أغسطس عام ١٩٧٤م أجريت الانتخابات العامة في ماليزيا للمرة الرابعة والتي خرجت منها الجبهة الوطنية بنجاح ساحق حيث فازت بـ ١٣٥ مقعدا من ١٥٤ مقعد في البرلمان .

وفي ١٥ يناير عام ١٩٧٦م توفى السيد «تون عبد الرازق» تانى رئيس وزراء وخلفه تون حسين عون كثالث رئيس وزراء ماليزيا . كما أجريت الانتخابات العامة للمرة الخامسة عام ١٩٧٨م . وفي ١٦ يوليو عام ١٩٨١م وبعد أن بلغ «تون حسين عون» سن المعاش أصبح «داتوسرى» دكتور محضير محمد» رئيسا لوزراء ماليزيا كرابع رئيس وزراء .

وقد أجريت انتخابات جديدة في ماليزيا في شهر أبريل عام ١٩٨٢م فاز فيها حزب الجبهة الوطنية الحاكم بأغلبية ساحقة ، ثم أجريت انتخابات أخرى عام ١٩٨٦م حقق فيها أيضا حزب الجبهة الوطنية الحاكم نفس النجاح بأغلبية الثلثين . ثم عقدت الانتخابات العامة للمرة الثامنة في أكتوبر عام ١٩٩٠م وفاز فيها الحزب الحاكم «حزب الجبهة الوطنية بـ ١٢٨ مقعدا من ١٨٠ مقعد .

وسكان وشعب ماليزيا يبلغ عددهم بناء على إحصاء عام ١٩٩٣م ١٩.١ مليون نسمة ، وتميز بتعداد أجناسها الذين يؤلفون في النهاية اتحادا شعبيا يوحد ما بين الملايوين والأجناس الأصلية الأخرى التي هي الطوائف الآتية : الدياق البحري «إيبان» الدياق الأرضي «بيدايوه» الكادازان، كينياه، ميلانوز ، موروتس المعروف باسم بومي بوترا ، كما يوجد أيضا الصينيون (نسبتهم ٣٣.٩ ٪ من عدد السكان) والهندوس (ونسبتهم ١٠.٢ ٪ من عدد السكان) ، والأوراسيان ، وغيرهم كثيرون يعيشون ويعملون في وحدة وتآلف وإخاء .

واللغة القديمة والرسمية للبلاد هي «بهاسا ملايو Bahasa Melayu» ولكن في دولة متعددة الجنسيات مثل ماليزيا تتواجد لغات أسيوية كثيرة كما تتعدد اللهجات ، وتم الإنجليزية جميع المعاملات التجارية والصناعية .

وينص الدستور في ماليزيا على أن الدين الرسمي للبلاد هو الدين الإسلامي وهو يكفل حرية العبادة لمعتنقى الديانات الأخرى، وجميع المؤسسات الدينية في ماليزيا لها الحق في امتلاك وإدارة منظماتها الخاصة بها .

وشعب ماليزيا المتعدد الجنسيات يمارس عباداته ودياناته الخاصة به تبعا لما درج عليه وتوارثه من الأجناس الأصلية في البلاد. وجميع الملايويون وبعض من الهنود والصينيون يعتقدون الدين الإسلامي، ومعظم الصينيين بوذيون أو تايون في حين معظم الهنود هندوس مع وجود أقلية من السيخ وهناك بعض الصينيين والهنود والأوراسيان وأبناء البلاد الأصليين في سواك وصباح يعتقدون الدين المسيحي .

وملك ماليزيا جلالة الملك «البانج دي بريتوان أجونج» يمثل أعلى سلطة في دولة ماليزيا فهو ملك يتم انتخابه عن طريق الوزراء ، ويقوم بتعيين قضاة المحكمة الفيدرالية أو المحاكم العليا التي تقوم بسن القوانين . ويشتمل البرلمان في ماليزيا على اليانج دي بريتوان أجونج ومجلسين : ديوان راكيبات (مجلس النواب) ، وديوان نيجارا (مجلس الشيوخ) . يتكون مجلس النواب من ١٨٠ عضوا ، ويتكون مجلس الشيوخ من ٦٥ عضوا .

سنغافورة

وحيث كانت سنغافورة جزءاً من اتحاد ماليزيا بعد الاستقلال ، كان لابد من الإشارة إليها ، إذ أنها تقع عند الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الملايو ، ويفصلها عن شبه جزيرة الملايو مضيق جوهور الذي لايعتبر فاصلا كبيرا لأن المواصلات البرية والحديدية تربط بين سنغافورة والملايو عنده وتشرف سنغافورة على مضيق ملقا الواقع بين الملايو وسومطرة ، ومن ثم أصبحت أهم الموانئ التجارية في جنوب شرقي آسيا لوقوعها على خطوط الملاحة بين حوض البحر المتوسط وغربي أوروبا من جهة وبين الشرق الأقصى من جهة أخرى .

وتتألف جمهورية سنغافورة من جزيرة سنغافورة وبعض الجزر الصغيرة الواقعة في المضائق البحرية المجاورة لها وتبلغ مساحتها ٦٢٠ كيلو مترا مربعا . وعدد سكانها حوالي ٣ ملايين

نسمة ، وأرضها منخفضة السطح بوجه عام . إلا أن بعض التلال تنتشر فى الشمال الغربى وفى الجنوب الشرقى ، مع انتشار الغابات على التلال ، ومناخها استوائى رطب . وأمطارها وفيرة وتسقط بكميات كبيرة فى شهر ديسمبر حيث يكثر الحاصلات الاستوائية مثل المطاط وحيز الهند مما ساعد على قيام صناعات تمويلية باستخدام رؤوس أموال يابانية وبريطانية وأمريكية ومن هونج كونج وعاصمة جمهورية سنغافورة هى مدينة سنغافورة التى تقع وسط الساحل الجنوبي وتضم معظم سكان الجزيرة ، وهى مدينة صناعية وتجارية مهمة ، والسكان خليط من عدة عناصر بشرية ٧٥٪ من أصل صينى ، ١٤٪ من أصل ماليزى ، و٩٪ من سنود والباكستانيين والاندونيسيين، وتعتبر اللغة الإنجليزية اللغة الأساسية رغم تعدد اللغات حسب عناصر السكان .

والمعتقدات الدينية تتمثل فى البوذية والكنفوشية والطوطمية والمسيحية ويعتق الإسلام ١٥٪ من مجموع السكان بعضهم من أصول عربية والباقي من الماليزيين والهنود التاميل . الباكستانيين والاندونيسيين، ويتعرضون لعدم المساواة فى المعاملة فى الوظائف العليا بالدولة. ويوجد ٦ أعضاء مسلمين فى البرلمان كما يوجد حزبان للمسلمين ، غير أن الدولة تعاملهم على أساس التفرقة العنصرية ، وكثيرا ما يتعرضون لحملات تفتيشية واعتقالات . إن كان يسمح للجمعيات الإسلامية فى سنغافورة بالعمل لخدمة المسلمين ، ولهذه الجمعيات صلات بمثيلاتها فى ماليزيا واندونيسيا ورونى والفلبين .

الباب الثالث

أقطار شمال آسيا

- مقدمة .

الفصل الأول : روسيا

الفصل الثاني : أقطار القوقاز

الفصل الأول

روسيا

مقدمة - إمارة موسكو- روسيا القيصرية- الثورة الروسية
الكبرى- روسيا الاشتراكية بين الحربين العالميتين- السياسة
الخارجية للاتحاد السوفيتي بالنسبة لآسيا- الاتحاد
السوفيتي والحرب العالمية الثانية

مقدمة

روسيا القيصرية ثم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ثم روسيا الاتحادية ، دولة
آسيوية أوروبية تقع معظم أراضيها في قارة آسيا رغم أنها تحسب نفسها دولة أوروبية
سياسيا ، وتشارك في السياسة العالمية مع أحداث القارة الأوروبية.

إلا أن ذلك لم يمنعها من المشاركة في الأحداث الآسيوية باعتبارها تجاور أكبر دولة آسيوية
وهي الصين، كما تجاور اليابان من خلال إشرافها على بحر اليابان والمحيط الهادى ، وتجاور
إيران من خلال ما أصبح يعرف الآن بجمهوريات وسط آسيا الإسلامية ، كما تجاور تركيا .
ولذلك كان علينا معالجة تاريخ هذه الدولة منذ أن بدأت إمارة ثم إمبراطورية بحكمها قيصرية
انتهى حكمهم بقيام الثورة البلشفية بزعامة الحزب الشيوعى الثورى ، تلك الثورة المعروفة
بثورة أكتوبر / نوفمبر عام ١٩١٧م ، حيث توسعت الدولة لتشمل دولا في أوروبا وليصبح
اسمها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الذى تألف من ١٥ جمهورية ، ولكن الاتحاد
ما لبث أن تفكك عام ١٩٩١م لتظهر إلى الوجود جمهورية روسيا الاتحادية القائمة الآن.

وإذا كانت الإمارة الروسية التى انطلقت من كييف ثم من موسكو فى القرن الثالث عشر قد
توسعت لتصبح مملكة، فإن توسعها جاء على حساب جاراتها فى آسيا وأوروبا ، ثم توسعت
المملكة لتصبح إمبراطورية على حساب الأقطار الآسيوية حتى ضمت كل ما عرف ببلاد القوقاز
وببلاد تركستان الغربية (وسط آسيا) وأصبحت تجاور بريطانيا المسيطرة على شبه القارة
الهندية وحتى أفغانستان .

إذا كان الأمر كذلك ، فإن روسيا في مرحلتها الثانية من تاريخها وأعنى مرحلة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية قد سعت لنشر الفكر الماركسي في بلاد أصبحت ظهيراً قوياً للاتحاد السوفيتي مثل الصين وكوريا وعن طريق الصين إلى شبه جزيرة الهند الصينية ، ولعب الاتحاد السوفيتي دوراً كبيراً في السياسة العالمية بتزعم الكتلة الشرقية في مواجهة الكتلة الغربية التي تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان ظهور كتلتين رئيسيتين في السياسة الدولية بعد انتهاء معارك الحرب العالمية الثانية قد أسهم في عدة أمور هامة هي :

١- ظهور كتلة عدم الانحياز والحياد الإيجابي والتعايش السلمي التي تمثلت في الدول التي خضعت لسنوات طويلة للاستعمار الأوروي وكان على رأسها الهند وهي دولة أسيوية ومصر وهي دولة أفريقية أسيوية ويوغوسلافيا وهي دولة أوروبية.

٢- الصراع مع الكتلة الغربية التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل السيطرة على العالم ومد النفوذ على الدول الأخرى وأعنى بها الدول التي عرفت بالدول النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ذلك الصراع الذي امتد من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٩١م ، والذي عرف باسم الحرب الباردة بين الكتلتين الكبيرتين .

٣- وجود القطبية الثنائية على مسرح السياسة الدولية أوجد توازناً في العلاقات الدولية ، حيث لم تنفرد قوة أو قطب أوحده بالهيمنة على العالم خلال ٤٥ سنة هي فترة الحرب الباردة ، وقد أحسها العالم الآن بعد أن تفكك الاتحاد السوفيتي وبقاء القوة الغربية قوية ومهيمنة بمفردها على العالم ، وهو ما شاهدناه فيما عرف بالحرب أو العدوان ضد العراق في مارس ٢٠٠٣م ، حيث انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقرار العدوان دون أن تحفل بهيئة الأمم المتحدة أو حتى بروسيا الاتحادية وبعض حلفائها التقليديين في أوروبا مثل فرنسا وألمانيا وبلجيكا .

لذلك كان لزاماً علينا معالجة تاريخ روسيا في مراحلها هذه وحتى المرحلة الثالثة- وأعنى مرحلة روسيا الاتحادية - القائمة بعد عام ١٩٩١م ، وسوف نركز على الدور الأسيوي لروسيا مع الإشارة إلى الدور الأوروي والعالمي.

كما لا يفوتنا أن نتناول أقطار القوقاز باعتبارها تقع في شمال آسيا وتحاور روسيا وقد تأثرت بكل مراحل التاريخ الروسي حتى تم استقلال ثلاث دول منها هي جورجيا وأرمينية وأذربيجان ، وبقية جمهوريات ذات حكم ذاتي مثل الشيشان والأنجوش والداغستان وغيرها تتطلع إلى الاستقلال أسوة باخوتها في القوقاز وفي وسط آسيا.

إمارة موسكو

يمكن التأريخ لقيام روسيا بتأسيس مدينة موسكو، حيث أشارت المصادر التاريخية إلى أن اسم موسكو يعنى القلعة، سجله التاريخ فى أبريل ١١٤٧م، وأن مؤسس المدينة هو «يورى دولجوروكى» عند مصب نهر «نيجلينايا» أحد فروع نهر «ياوزا» وأظهرت الحفريات الأثرية أنه وجد فى موسكو فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر حتى كامل للحرفيين والنشاط التجارى، وأن موسكو فى هذين القرنين كانت مدينة كبيرة لها كنائسها وأديرتها والقرى الغنية فى ضواحيها .

وجاورت الدولة الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز حدود إمارة موسكو مما جعل للإسلام طريقه إلى الأراضى الروسية، ولكن النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى شهد هجوما على الأراضى الروسية من الشرق من جانب المغول والتتار فى أعداد لاحصر لها، كما هجم عليها من الغرب الفرسان الصليبيون الألمان، وجاء الغزو المغولى بعد أن توحد المغول والتتر عام ١٢٠٦م تحت إمرة القائد العسكرى «تيموتشين» الذى تلقب بلقب «جنكيز خان» ومن ثم بدأت عمليات الغزو المغولى لسبيريا وشمال غرب الصين وأقطار وسط آسيا الإسلامية وأقطار القوقاز (أذربيجان وأرمينية وجورجيا) .

استمرت عمليات الغزو المغولى والتترى باتجاه الغرب حيث ألحقوا بالروس هزيمة كبيرة عام ١٢٢٣م على نهر «كالكا» عند بحر آزوف، وضمو سهوب مناطق بحر قزوين، واقتحموا أراضى بلغاريا والفولجا بجيش كبير قاده «باتو» أحد أحفاد جنكيز خان وذلك عام ١٢٣٦م، وفى العام التالى - ١٢٣٧م - استولى المغول على إمارة «ريازان» حيث دمروا المدينة الرئيسية «ريازان» وفتكوا بجميع سكانها أسوة بما فعلوه فى كل المدن والإمارات التى غزوها، ثم اتجه المغول غربا فاستولوا على مدن «كولومنا» و«فلاديمير» وأخيرا «موسكو» حيث سقطت فى أيديهم بعد ذلك «تورجوك» وأراضى «سمولنسك» و«تشيرنيجون» .

وفى عامى ١٢٣٩-١٢٤٠م أخضع المغول جميع الأراضى الروسية التى أضعفتها منازعات الأمراء الروس، كما احتلوا مدينة «كيبيف» وأحرقوها وهلك من سكانها خلق كثير، ثم توقف الزحف المغولى أمام مقاومة جيوش المجر والتشيك. وبعد موت جنكيز خان انقسمت امبراطوريته إلى عدة دول، فوقعت الأراضى الروسية فى قبضة «القبيلة الذهبية»^(١)، التى اتخذت من مدينة «ساراي» - الفولجا السفلى - عاصمة لها، وامتدت الأراضى التابعة لخانات

١- بيغانوف وفيدوسوف، ترجمة خيرى الضامن وآخر: تاريخ الاتحاد السوفيتى موسكو د.ت، ص ٧٧ .

«القبيلة الذهبية» من «أرتيش» حتى الدانوب ، بما فيها بلغاريا الفولجا ومناطق الأورال والقرم وشمالى القوقاز .

انتشر الإسلام فى الأراضى الروسية ، أثناء حكم دولة «القبيلة الذهبية» وظلت سيطرة «القبيلة الذهبية» قوية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، الذى شهد توقف الزحف المغولى أمام قوة الممالك فى مصر والشام عام ١٢٦٠م ، كما شهد قيام الإمارة العثمانية عام ١٢٩٩م ، فى هضبة الأناضول ، وفى نفس الوقت تأخر التطور السياسى والاقتصادى للروس ، حيث لم تشهد الأراضى الروسية وحدة سياسية ، كما شهدت الأراضى الروسية غزوات من الغرب وخاصة الألمان والسويديون ، فى ظل إعلان بابا روما أن الروس أعداء الصليب لتبرير سياسة الفتوحات التى سار عليها الألمان .

وفى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ارتفع شأن إمارة موسكو بين الامارات الروسية الأخرى وتعززت قوتها العسكرية والسياسية ، وصارت موسكو مركز تكاتف القوى الوطنية للشعب الروسى فى نضاله ضد أعدائه فى الشرق - المغول والتتار - وفى الغرب - الألمان- حيث ظهرت الدولة الروسية ذات الحكومة المركزية القوية ، وقد أصبحت موسكو من أغنى وأكبر مدن روسيا ، حيث بلغ عدد سكانها فى منتصف القرن الرابع عشر حوالى ٤٠ ألف نسمة كما أنشئ الكرملين (قصر الحكم) عام ١٣٦٧م ، الذى لعب دوراً كبيراً فى الدفاع عن روسيا ضد الأعداء الخارجيين ، وإن حرصت إمارة موسكو على عدم إثارة خانات القبيلة الذهبية .

ويعتبر الأمير «دانييل الكسندروفيتش» هو مؤسس سلالة أمراء موسكو ، وازدادت إمارة موسكو قوة واتساعاً فى عهد الأمير «إيفان دانيلوفيتش» الذى حكم فى الفترة من ١٣٢٥-١٣٤٠م ، الذى حصل من خان القبيلة الذهبية على براءة الإمارة الكبرى ، ومنذ ذلك الحين أصبح لقب الكبير ينسب فقط إلى أمراء موسكو ، ورغم محاولات الروس التخلص من سلطة خان القبيلة الذهبية بالالتحام الحربى بين الطرفين عام ١٣٨٠م ، إلا إن تبعية روسيا لخانات القبيلة الذهبية ظلت مائة عام كاملة أخرى^(١).

وفى النصف الثانى من القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تكونت الدولة الروسية المركزية ذات القوميات المتعددة ، وفى هذه الفترة نفضت شعوب روسيا عن نفسها سلطة خانات المغول والتتار التى استمرت قروناً ، وتم توحيد الإمارات والأراضى الروسية حول

موسكو، وازداد نظام الاقطاع فى الأراضى الزراعية توحشا، حيث صار الاقطاعيون النبلاء كشيرو العدد الذين كانوا فى خدمة الجيش أو الدولة سندا رئيسيا لسلطة الأمير، وأيدت الكنيسة الروسية أيضا سلطة الأمير الكبير .

وقد استمرت عملية توحيد الأراضى الروسية فى إطار دولة واحدة طوال القرنين الخامس عشر والسادس عشر على يد أمراء موسكو «إيفان فاسيليفيتش الثالث ١٤٦٢-١٥٠٥» والأمير الكبير «فاسيلى إيفانوفيتش الثالث ١٥٠٥-١٥٣٣» كما تم نهائيا إسقاط نفوذ خانات القبيلة الذهبية عام ١٤٨٠م ، بعد سيطرة للخانات على أمراء روسيا لعدة قرون، وصار «إيفان» الثالث يسمى نفسه فى الوثائق الرسمية باسم «قيصر عموم روسيا» ، وأخذ جهاز الإدارة المركزية والمحلية يتكون، وتشكل ما عرف باسم مجلس الدوما (البرلمان) غير أن الأمير كان يعالج أهم القضايا مع أقرب مستشاريه ونظم جيشا حديثا وأنشأ مصانع للسلاح، ووضع نظاما قضائيا .

وبعد أن فتح العثمانيون مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣م وصار اسمها «إسلام بول» ازداد دور مطران موسكو بوصفه رئيسا للكنيسة الأرثوذكسية ، وأكد زواج «إيفان» الثالث من «صوفيا باليولوج» ابنة أخى آخر امبراطور بيزنطى دور دولة موسكو كورثة للإمبراطورية البيزنطية ، وتكون الشعب الروسى على أساس وحدة الأراضى والاقتصاد واللغة والثقافة وانبعثت العلاقات الثقافية بين روسيا وبلدان الشرق والغرب، وصارت موسكو عاصمة الدولة الروسية السائرة فى طريق التكوين حاملة راية التقاليد الثقافية القومية الشاملة.

ويتتويج إيفان الرابع قيصرا لروسيا عام ١٥٤٧م وحتى عام ١٥٨٤، والذي عرف باسم إيفان الرهيب بدأت الدولة الروسية فى ترسيخ قواعد الحكم فى الداخل بوضع القوانين والأنظمة والقيام باصلاحات من أجل تركيز السلطة فى يد القيصر ، والوقوف أمام الأخطار الخارجية التى تتعرض لها الدولة الروسية من الشرق والجنوب ، إلى جانب انضمام شعوب مناطق الفولجا والأورال إلى الدولة الروسية، وخانية قازان واستراخان ، وصارت إمارة «كبارديا» وقسم من قبائل «الأديغيين أو الشركس» من محميات روسيا ، وتعززت الصلات مع «كبارديا» بزواج إيفان الرهيب من ابنة أمير كابارديا .

ويعد ضم دويلة خان كازان إلى روسيا ، اعترف خان سيبيريا بتبعيته لروسيا ، وأثناء حكم خليفته تازمت العلاقات مع سيبيريا بسبب إخضاع الخان «كوتشوم» الخاتين «الاستياكيين»

والمانسيين الفوغوليين» الذين كانوا يعيشون في غرب سيبيريا وفرض عليهم الجزية، وبدأت فصائل تتار سيبيريا غاراتها على الحدود الروسية ، وصار هذا دافعا لتوجيه حملة إلى سيبيريا، انتهت مع بداية القرن السابع عشر بدخول شعوب سيبيريا الغربية ضمن الدولة الروسية وقد ساهم القوزاق^(١) في هذه الجهود، باعتبارهم جنود القيصر المخلصين .

وقد تأسست بطريكية روسيا عام ١٥٨٩ وانتخب المجمع الكنسى المطران «إيوف» وهو من أنصار «بوريس غوردونوف» قيصر روسيا (١٥٩٨-١٦٠٥م) بطريكا لروسيا ، ونتيجة لهذا الاصلاح استقلت الكنيسة الروسية عن بطريك القسطنطينية، وساعدت تقوية الكنيسة على رفع شأن سلطة القيصر المطلقة، مما ساعد على أن يؤيد الفاتيكان خطط التدخل ضد روسيا بهدف فرض الكاثوليكية على الشعوب السلافية في شرق أوروبا ومنها الشعب الروسى، خاصة بعد ظهور البروتستانتية في غرب أوروبا .

وقد شهدت روسيا عدة انتفاضات وثورات قام بها الفلاحون ضد الاقطاعيين ، كان منها ثورة عامى ١٦٠٦-١٦٠٧م المسلحة التى شملت معظم أنحاء روسيا تقريبا، حيث حمل الفلاحون والأرقاء السلاح ردا على اشتداد سطوة الإقطاعيين ، ولكن القيصر بمساعدة الإقطاعيين نجح فى القضاء على تلك الثورات، وإن تحولت الحركة الوطنية فى السنوات التالية فى مواجهة الغزوات البولونية والسويدية حتى تم عام ١٦١٣ انتخاب «ميخائيل فيودورفيتش رومانوف من جانب مجمع الأقاليم فى موسكو قيصرا لروسيا ، وقد استمر فى الحكم من ١٦١٣ حتى ١٦٤٥م، لعب خلالها دورا كبيرا فى إعادة تنظيم جهاز الدولة الإقطاعية وفى إتمام مواجهة الغزو الخارجى : وأثناء حكم القيصر «إلكسى ميخائيلوفيتش» من ١٦٤٥-١٦٧٦م كانت سلطة القيصر تجسد صفات الاستبداد أى النظام الملكى غير المحدود، مما أوجد تدمرا بين الناس ظهر فى صورة ثورات فى عام ١٦٤٨ فى موسكو وفى غيرها من المدن ، وثورة عام ١٦٥٠م فى «يسكوف» و«نوفجورود» وثورة أخرى فى موسكو عام ١٦٦٢م، واستمر النضال المسلح بين الثوار وقوات القيصر من ربيع عام ١٦٧٠ حتى خريف عام ١٦٧١م^(٢).

١- القوزاق هم : جماعة الفلاحين وفقراء المدن الذين هربوا إلى حدود الدولة الروسية ، وفى القرن السابع عشر قامت بعض فصائل القوزاق بحراسة الحدود الجنوبية لروسيا، ومنذ القرن الثامن عشر حتى عام ١٩١٧م خدم القوزاق فى القوات المسلحة للإمبراطورية الروسية بصفاتهم نوعا خاصا من الحيالة غير النظامية ، وكان للقوزاق عدة امتيازات منحتها لهم القيصرية الروسية ، وفى أوائل القرن العشرين كان عدد القوزاق يربو على أربعة ملايين شخص منهم حوالى ٤٥٠ ألف شخص يخدمون فى الجيش ، استخدمتهم القيصرية فى مكافحة الحركة الثورية.

٢- بيغانوف . فيدرسوف . المرجع السابق، ص ١٥٨ .

وفى النصف الثانى من القرن السابع عشر انضمت شعوب سيبيريا الشرقية إلى روسيا إلى جانب كييف ومعظم أراضي أوكرانيا وبيلا روسيا ، وأثناء حكم بطرس الأول الملقب بالكبير (١٦٨٢-١٧٢٥م) تم إجراء إصلاحات كبيرة فى مجالات الاقتصاد والثقافة والشئون العسكرية والإدارية للدولة ، وقد هيا لهذا الإصلاحات كل التطور السابق للمجتمع الروسى اجتماعيا واقتصاديا ، وقد اعتمد بطرس الكبير على فئة التجار والاقطاعيين فى إجراء الإصلاحات لمصلحة الفئات المسيطرة ، ولكن هذه الإصلاحات ضمنت فى نفس الوقت تعزيز الدولة القومية الروسية^(١) .

لقد كانت روسيا بحاجة إلى طرق المواصلات البحرية لكي تتطور بصورة طبيعية، وكان بطرس الكبير يقول: إن روسيا بحاجة إلى البحر، إلا أن تركيا كانت تسيطر عندئذ على البحر الأسود، والسويد القوية كانت تسيطر على بحر البلطيق ، ومنذ عام ١٦٩٥م، بدأت الإصلاحات الداخلية، وتزامن ذلك مع احتلال قلعة أزوف القوية التى تقع عند مصب نهر «الدون» على البحر الأسود، والتى كانت قاعدة تركية، وذلك بمساعدة الأسطول الذى أنشأه بطرس الكبير، وقد أرسل بطرس بعثات إلى أوروبا المجتهدا وهولندا والنمسا لتعلم الفنون الحربية والبحرية ، وبعودة البعثات افتتح بطرس فى موسكو مدرستين : مدرسة للمدفعية ، ومدرسة للعلوم الرياضية والبحرية ، وبدأ إنشاء مصانع الحديد فى الأورال .

وكان من إصلاحات بطرس الكبير بداية حساب السنين فى روسيا يجرى اعتبارا من ميلاد السيد المسيح كما فى بلاد أوروبا الأخرى، أما حساب أشهر السنة فمن الأول من يناير ، بعد أن كان حساب السنين يجرى سابقا من «خلق العالم»، أما السنة الجديدة فكانت تبدأ فى الأول من سبتمبر ، وقد سهل هذا الإصلاح كثيرا العلاقات مع الدول الأوروبية.

وتحقيقا لرغبة روسيا فى الوصول لبحر البلطيق ، دخلت فى حروب ضد السويد بالتحالف مع الدانمرك ، وذلك عام ١٧٠٠م، واستمرت المعارك بين فشل الجيش الروسى ثم نجاحه آخر الأمر عام ١٧٠٢م باحتلال الجيش الروسى لمدينة «نوتيبورج» فى مصب نيفا ، وسميت هذه القلعة باسم «شليسيلبورج - قلعة بطرس فيما بعد- وفى ربيع عام ١٧٠٣م أسست على نهر نيفا مدينة «سانت بطرسبورج» التى صارت عاصمة للدولة بعد ذلك بـ عدة أعوام، وتلى ذلك بناء أسطول البلطيق ، كما أعقب ذلك مواجهة غزو الجيش السويدى الزاحف نحو الأراضى الروسية، حيث دارت عدة معارك فى أعوام ١٧٠٦ حتى ١٧٠٩م وكانت نتيجتها هزيمة السويديين ، ونتيجة للمصلح بين البلدين دخلت ضمن الدولة الروسية الأراضى التى يسكنها

«اللاتفيون» و«الأستونيون» . ووضع ذلك روسيا في صف دول أوروبا الكبرى ، وفى عام ١٧٢١م أعلنت روسيا امبراطورية واتخذ بطرس الكبير لقب الإمبراطور ، وكانت تركيا قد أعلنت الحرب على روسيا عام ١٧١١م، نتج عنها اضطرار بطرس الكبير لعقد صلح مع تركيا والتنازل لها عن أزوف على البحر الأسود^(١).

وخلال سنوات حكم بطرس الكبير قامت عدة ثورات شعبية ضد سيطرة ملاك الأراضي الزراعية وتسلط الإدارة على مقدرات الناس ، منها ثورات «استراخان» عامى ١٧٠٥-١٧٠٦م، وفى «باشكيريا» خلال الأعوام من ١٧٠٥ إلى ١٧١١م، إلى جانب ثورات مماثلة فى مناطق «الدون» ، وروافده ، ومدن نهر«الفولجا» ، ولكن هذه الثورات تم قمعها بقسوة بالغة.

وتمثلت إصلاحات بطرس الكبير الداخلية ، فى تأسيس الهيئات التى حلت محل الدوائر ، وصارت كل هيئة تدير شئون فرع معين من فروع إدارة الدولة، فكانت هيئة الشئون الخارجية تدير شئون السياسة الخارجية، والهيئة العسكرية تدير شئون الجيش البرى، وهيئة الأميرالية تدير شئون الأسطول البحرى، وهيئة العدل تدير شئون المحاكم المدنية والجنايئة ، وهكذا بما يعنى بداية إنشاء ما صار بعد ذلك يعرف بالوزارات . وكان يرأس كل هيئة رئيس ونائب رئيس وعدد من المستشارين، كما كان للبوليس السرى مكان خاص فى نظام الأجهزة المركزية، وتم إلغاء البطيركية وأحيلت إدارة الكنيسة إلى الهيئة الدينية المكونة من رجال الدين الكبار الخاضعين لإرادة بطرس الكبير.

وقد أسس بطرس الكبير فى الريف وظيفة عمدة لكل قرية، وأسس فى موسكو مجلس العمدة، وفى عام ١٧٢٠م تم فى بطرسبورج تأسيس المأمورية الرئيسية التى كانت تخضع لها المأموريات المحلية ورؤساؤها من العمديات والمستشارين المنتخبين من بين سكان المدن ، وانقسم جميع المواطنين إلى قسمين : المنتظمين أى التجار الأغنياء وأصحاب المهن الحرة، ثم الحرفيون والباعة ، والقسم الثانى هم الرعاع أو السفلة ، وهكذا وسع بطرس الكبير القاعدة الاجتماعية للحكم المطلق فى المدن، وأنشأ له سندا أكثر متانة وتنظيما من بين «المواطنين المنتظمين» بتقديمه العون لفئة التجار التى كانت تنمو حينذاك.

كما تمثلت الإصلاحات الداخلية فى تقسيم البلاد كلها إلى ثمانى محافظات ، وذلك لتقوية جهاز السلطة المحلى ولتكوين إدارة أكثر مرونة ومركزية، ثم زاد عدد المحافظات بعد ذلك ، يرأس المحافظ كل محافظة توضع فى يده جميع السلطات الادارية والعسكرية والقضائية ، ثم قسمت كل محافظة إلى أقضية ، وكل قضاء إلى أقاليم، وساعد على القيام بهذه الإصلاحات شخصية بطرس الكبير وتميزه بالإدارة الحازمة والأفق الواسع سياسيا واقتصاديا ، إلى جانب قسوته المفرطة ضد المعارضين له حتى ولو كان ابنه الأمير « ألكس » الذى حكم عليه بالاعدام عام ١٧١٨م بتهمة الخيانة العظمى^(١).

وبعد وفاة بطرس الكبير (الأول) عام ١٧٢٥م نصبت على العرش زوجته «يكاترينا أليكسينا الأولى» لمدة عامين (١٧٢٥-١٧٢٧م) ، ثم خلفها لثلاث سنوات القيصر بطرس الثانى ابن الأمير ألكس، وحفيد بطرس الكبير (١٧٢٧-١٧٣٠م) ، وقد خلفته فى عرش روسيا الامبراطورة «أنا يوانوفنا» (١٧٣٠-١٧٤٠م) خلفتها «يليزافيتا بتروفنا» فى حكم روسيا فى الفترة من ١٧٤١ إلى ١٧٦١م ، شاركت خلالها روسيا فى حرب السنوات السبع (١٧٥٧-١٧٦٣م) حيث نجح الجيش الروسى فى إلحاق الهزائم بالجيش البروسى - الذى لايقهر كما كان يقال- حتى دخلت القوات الروسية برلين، إلا أن الإمبراطورة «يكاترينا الثانية» التى تولت العرش عام ١٧٦٢ تنازلت عما احتلته روسيا فى حرب السنوات السبع.

وأثناء حكم الإمبراطورة «يكاترينا الثانية» ١٧٦٢-١٧٩٦ ، شهدت روسيا كثيرا من ثورات الفلاحين والعمال، مثل حركة فلاحي الأديرة ، وفلاحي الملاك الزراعيين الكبار وعمال مصانع الأورال، وأوكرانيا، وقد نجحت السيطرة القوية للحكم فى عهد «يكاترينا الثانية» فى إخضاع هذه الثورات بقسوة شديدة من خلال تقسيم البلاد إلى ٥٠ محافظة وتقسيم كل محافظة إلى أقضية جميعها يحكمها حكام عسكريون^(٢).

وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر تعززت سمعة روسيا الدولية كواحدة ، من دول العالم الكبرى، وقد استغلت الدبلوماسية الروسية التناقضات بين الدول الأوروبية، خاصة بين بريطانيا وفرنسا لتنفيذ أهداف روسيا فى السياسة الخارجية، التى تطمح إلى امتلاك سواحل البحر الأسود وتقوية نفوذها فى البلاد الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية ، غير أن دول أوروبا

١- المرجع السابق، ص ٢٢٢ .

٢- جواهر لال نهرو : المرجع السابق، ص ١٩٢ .

الكبرى حالت دون ذلك فقد حاولت أن تحم من استمرار نمو قوة روسيا ودفعها للاصطدام مع أقرب جيرانها : السويد وبروسيا وبولندا ، وسارت الحكومة القيصرية المستندة إلى جيش وأسطول قويين على سياسة خارجية نشيطة لمصلحة البورجوازية الروسية النامية .

وقد دارت الحرب بين روسيا وتركيا للسيطرة على سواحل البحر الأسود، على فترات، كانت الحرب الأولى بين عامى ١٧٦٨-١٧٧٤م، والحرب الثانية بين الطرفين بين عامى ١٧٨٧-١٧٩١م ، ففى الحرب الأولى التى انتهت بهزيمة الأتراك وعقد معاهدة بين تركيا وروسيا فى بلدة « كيوتشك- كانيارجى » عام ١٧٧٤م ضمت روسيا بموجبها الأراضى الواقعة بين « بوجى الجنوبى » و« الدنيبر » مع قلعة « كينبورن » وكذلك قلعتا « كيرتش » و« نيكاله » عند بحر « آزوف » وفى شمال القوقاز ضمت روسيا « كاباردا » كما اعترفت تركيا باستقلال دولة خانات القرم، وبحق مرو السفن الروسية الحر عبر البوسفور والدردنيل، كما نتج عن هذه المعاهدة ضم شبه جزيرة القرم نهائيا إلى روسيا، ونشأت ظروف أكثر مناسبة للعلاقات الاقتصادية والثقافية بين روسيا وشعوب جورجيا وأرمينيا وأذربيجان .

وعندما اشتعلت الحرب الروسية التركية الثانية عام ١٧٨٧م واستمرت أربعة أعوام انتهت بهزيمة الأتراك وعقد صلح « ياسى » عام ١٧٩١م وضع مناطق البحر الأسود فى القوقاز تحت السيطرة الروسية ، مما فتح طرق التجارة البحرية بين روسيا والبلاد الأخرى ، وظهرت فى جنوب روسيا المدن الجديدة التالية: « سيباستبول » و« خيرسون » و« أوديسا » و« روستوف » على نهر الدون وأنشأت روسيا فى البحر الأسود أسطولا بحريا حريا قويا، وعززت بذلك مواقعها فى الجنوب.

وفى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر شاركت روسيا فى الاتحاد الأوروبى المناوئ للثورة الفرنسية التى اندلعت عام ١٧٨٩م، وعندما حاولت القوات الفرنسية بقيادة الامبراطور نابليون الأول غزو الأراضى الروسية عام ١٨١٢م، اندحرت أمام قوات القوزاق الروسية ويرودة مناخ روسيا وتلوجها بحيث عادت لفلول الجيش الفرنسى وعددها ١٠٠ ألف جندى من أصل ٦٠٠ ألف غزت الأراضى الروسية ، وكانت تلك بداية النهاية للامبراطور نابليون الأول^(١).

وفى مارس عام ١٨٠١م كان قد ارتقى عرش روسيا « ألكسندر الأول » فى المدة من ١٨٠١ حتى ١٨٢٥م، على أثر انقلاب فى البلاط، وقد اتصف القيصر ألكسندر بالمرآغة

والنفاق ، أصدر خلال حكمه ما عرف بقانون «الفلاحين الأحرار» عام ١٨٠٣م، كما تشكلت الوزارات بدل الهيئات القديمة التي صار الوزير فيها المدير المطلق للوزارة ، ونتيجة لحروب روسيا مع إيران وتركيا في بداية القرن التاسع عشر ثم ضم داغستان، وشمال أذربيجان ، وجورجيا، ورسخت روسيا أقدامها فيما وراء القوقاز رسوخا قويا ، وأقامت القيصرية فى تلك الأراضى حكم المستعمرات وأخذ الموظفون الروس المتزايدة أعدادهم والذين أرسلوا إلى بلاد القوقاز ينهبون السكان المحليين، ويعملون على «تروس» السكان أى صبغهم بالصبغة الروسية ، ويعرقلون تطور ثقافتهم الوطنية.

وقد اتجه الزحف الروسى نحو هضاب القرغيز وصحاريها ، وتلك بلاد إسلامية توارث ذكرها في روايات المسلمين بل كانت فى فترات كثيرة مركزا للحضارة الإسلامية ، وكانت تركستان خلاء فسهل غزوها من جانب الروس، وانحدروا بعد ذلك للسيطرة على كل الأراضى الواقعة بين البحرين الأسود وقزوين ، ومن ثم أطلقوا على فارس (١).

وفى الربع الأول من القرن التاسع عشر، شهدت روسيا حركة تحريرية تسعى لإحلال الديمقراطية فى الحكم بدل الدكتاتورية التي تمارسها القيصرية ، وقد مرت هذه الحركة بثلاث مراحل هي:

١- المرحلة الأولى من عام ١٨٢٥ إلى عام ١٨٦١م ، خاض النضال فيها ضد القيصر فريق غير كبير من أفضل ممثلى طبقة الدفوريان، عمل من أجل تحرير الشعب.

٢- المرحلة الثانية من عام ١٨٦١ إلى عام ١٨٩٥م، عرفت بالمرحلة الثورية الديمقراطية ، إذ اشتركت فى النضال أوساط أوسع من المثقفين ، فكانوا أقرب إلى الشعب، وقدموا برنامجا أوسع للتحويلات الثورية ، وإن كان هذا لم يكن بعد حركة ثورية جماهيرية .

٣- المرحلة الثالثة وتبدأ من عام ١٨٩٥م حيث قادت البروليتاريا الروسية النضال التحررى وانتهت المرحلة الثالثة فى عام ١٩١٧م بانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى.

وقد تكونت خلال مراحل الحركة الثورة الروسية جمعيات منظمة لعبت دورا كبيرا فى إثارة الجماهير وفى قيادتها وتوجيهها ، مثل «اتحاد الانقاذ» التي تحولت إلى منظمة «اتحاد الإقبال» والتي عرفت باسم «جمعية أبناء الوطن المخلصين والأمناء» والجمعية الجنوبية فى

أوكرانيا، و«الجمعية الشمالية» فى بطرسبورج. وكلها كانت تنادى بوضع دستور للبلاد يحدد اختصاصات القيصر وحكومته التى تكون مسئولة أمام برلمان يضم ممثلى الشعب الروسى.

وقد توفى القيصر ألكسندر الأول فى نوفمبر ١٨٢٥م ليخلفه القيصر نيقولاى الأول الذى استطاع قمع الحركة الثورية فى مرحلتها الأولى لتعود السياسة الرجعية للحكم القيصرى المطلق فى المدة من ١٨٢٥ حتى ١٨٥٥م، الذى خنق البلاد وجرها إلى كارثة حربية، ومع ذلك فقد تطورت الصناعة الرأسالية بالتحول إلى الانتاج الآلى باحلال الآلات محل العمل اليدوى، مما أدى إلى انقلاب اجتماعى يتلخص فى ظهور وتطور علاقات إنتاج جديدة وفى نشوء طبقتين جديدتين- طبقتى المجتمع الرأسالى- البورجوازية، والبروليتاريا. كما أسهم نمو التجارة فى إثراء البورجوازية الروسية الناشئة، ساعد على ذلك نشوء الملاحة النهرية بواسطة البواخر، إلى جانب بناء السكك الحديدية، واستخدام الآلات فى مجال الزراعة^(١).

وقد شهدت سنوات القرن التاسع عشر حروبا لروسيا مع إيران وتركيا، كما شهدت نضال شعوب جبال القوقاز من أجل استقلال بلادهم عن الحكم الروسى، إذ هب سكان جبال داغستان، والشيشان والأديغ، فى حرب تحررية شعبية ضد الجيوش القيصرية، حيث أبدوا أمامها مقاومة ضارية استمرت فترة طويلة أرهقت الجيوش الروسية وقد ظهر أثر ذلك واضحا فى فشل روسيا المشين فى حرب القرم، فرغم انتصار الأسطول الروسى على الأسطول التركى فى البحر الأسود عام ١٨٥٣م، إلا أن تدخل بريطانيا وفرنسا إلى جانب تركيا عام ١٨٥٤م قد غير موازين القوى لغير صالح روسيا. مما اضطر روسيا لعقد معاهدة الصلح فى باريس فى مارس ١٨٥٦م، حيث فقدت روسيا بموجبها مصب الدانوب والقسم الجنوبى من بسارابيا، وحرمت من امتلاك أسطول حربى فى البحر الأسود، وتم تصفية القلاع على البحر الأسود الذى أصبح محايدا ومفتوحا للسفن التجارية لكل بلاد العالم.

وبعد وفاة القيصر نيقولاى الأول عام ١٨٥٥م. اعتلى عرش القيصرية ابنه الأكبر «ألكسندر الثانى» الذى حكم الفترة من ١٨٥٥ إلى ١٨٨١م، وكان القيصر الجديد رجعيا ولكنه لم يستطع فى ظل ظروف تعاضم الحركة الثورية أن يحكم بأساليب كانت متبعة فى الماضى، باستخدام العصى والتدريب العسكرى كما كان يفعل أبوه، إذ اضطر إلى التصديق على مشاريع القوانين المتعلقة بتحرير الفلاحين فى ١٩ فبراير ١٨٦١م، وإن كانت طبقت فقط

بالنسبة للفلاحين التابعين لملاك الأراضي والعقارات ولم تشمل فلاحى الدولة والعائلة القيصرية^(١).

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ضمت روسيا أراض واسعة من آسيا الوسطى تمتد من بحر قزوين حتى جبال « تيان - شان » ومن بحر آرال حتى حدود أفغانستان، وكان لاشتداد توسع القيصرية فى آسيا الوسطى سببان : أولا : تزايد حاجة الصناعة الرأسمالية النامية إلى أسواق جديدة للتصدير ، وإلى مصادر جديدة للخامات ، وثانيا : تفاقم التناقضات بين روسيا وبريطانيا فى الشرق الأوسط.

وكان على حدود روسيا من الجنوب الشرقى قوميات عديدة فى آسيا الوسطى : أوزبكية ، وطاجيكية، وتركمانية ، وقره كالبكية، وقرغيزية ، وكان الأوزبك والطاجيك يعمل معظمهم بالزراعة ، بينما كان التركمان والقرغيز يعملون بالرعى، وكانت فى آسيا الوسطى فى القرن التاسع عشر قبل الغزو الروسى ثلاث دول كبيرة هى إمارة « خوكند » وإمارة « بخارى » وإمارة « خيوه » . إلى جانب عدد من الإمارات الصغيرة والقبائل التى لم تكن تمثل دولا . وكان لهذه الامارات كبيرة وصغيرة علاقات اقتصادية نشطة مع روسيا ، وكان قسم من قازخستان قد أصبح جزءا من الإمبراطورية الروسية منذ القرن الثامن عشر .

بدأ هجوم روسيا على دول وسط آسيا الإسلامية فى العقدين السابع والثامن للقرن التاسع عشر عندما دخلت روسيا فى مرحلة التطور الرأسمالى، ونظرا لحاجة أصحاب رموس الأموال الروس إلى أسواق فى آسيا الوسطى لتصريف البضائع الصناعية، والمنتجات الزراعية، إلى جانب ما يتوفر فى دول وسط آسيا من خامات مثل القطن اللازم لمصانع النسيج الروسية ، هذا بالإضافة إلى أن روسيا راقبت محاولات بريطانيا من شبه القارة الهندية التوجه لدول وسط آسيا كسوق للبضائع والمنتجات التى تنتجها المصانع البريطانية .

وانطلاقا من قازاخستان ومركزها « ألما- أتا » المدينة التى تكونت حول قلعة « فيرنويه » التى بناها الروس، زحفت القوات الروسية نحو دول وسط آسيا حيث سيطرت على كل قازاخستان ، واعترف قسم كبير من قبائل القرغيز بسلطة روسيا، عام ١٨٨٤م، ومن ثم بدأ غزو القوات الروسية لكل من إمارة خوقند وبخارى حيث سقطت طقشند - مركز بخارى - عام ١٨٦٥ فى يد الجيش الروسى ، مما أدى إلى اعتراف كل من إمارتى خوقند وبخارى بتبعيةها

لروسيا وذلك عام ١٨٦٨ م . ثم اعترف أمير « خيوة » عام ١٨٧٣ م ، بالتبعية لروسيا ، أعقبته دخول القبائل التركمانية، وبذلك دخلت كل آسيا الوسطى تقريبا تحت السيطرة الروسية.

وقد نظرت روسيا إلى أقطار وسط آسيا باعتبارها مستعمرة، ومن ثم خضعت أسواقها لاحتكار الصناعات الروسية مما أدى إلى تدهور الصناعات المحلية والمنتجات الحرفية ، ومع ذلك سعت الرأسمالية الروسية إلى استثمار أموالها فى أقطار وسط آسيا باستغلال الخامات المتوفرة معدنية وزراعية، إلى جانب وفرة الأيدي العاملة الرخيصة، والأسواق الواسعة لتصريف منتجات المصانع لصالح أصحابها الروس^(١).

وفى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر دخلت روسيا فى حرب ضد تركيا لموازرة السلاف شعوب صربيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك، وبلغاريا ثم رومانيا الشائرة ضد الحكم التركي، منذ عام ١٨٧٥م، واشتركت القوات الروسية فى العمليات العسكرية فى البلقان ضد القوات التركية- والتي كانت تؤيدها بريطانيا- فى أبريل ١٨٧٧م، تلك الحرب التى انتهت بمعاهدة «سان ستيفانو» فى مارس ١٨٧٨م نتج عنها تكوين دولة مستقلة فى بلغاريا ، واعتراف تركيا باستقلال صربيا والجبل الأسود ، وبرومانيا دولة مستقلة ، ونالت روسيا الجزء الجنوبى من «بوسارابيا» ومنطقة «قرص» فى القوقاز . ثم تعدلت بعض الشروط فى معاهدة برلين صيف ١٨٧٨م^(٢).

وفى نفس الفترة تولى العرش فى روسيا ألكسندر الثالث (١٨٨١-١٨٩٤م) وهو الابن الأكبر لألكسندر الثانى، وفى عهده ظهرت الحركة العمالية الثورية بقوة على الساحة الداخلية الروسية . وظهرت كتابات لمفكرين روس تندد باستغلال أصحاب رموس الأموال للعمال، ونتج عن ذلك أن نشأت فى روسيا عدد من الجماعات والحلقات الماركسية الثورية السرية ، وشهدت روسيا إضرابات للعمال مطالبين بحقوقهم، كما شهدت بداية نشاط لينين (فلاديمير إيليتش لينين (أوليانوف) (١٨٧٠-١٩٢٤م) الثورى، من أجل تحرير الطبقة العاملة، حتى تم تأسيس حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى.

١- المرجع السابق ، ص ٣٩٥ .

٢- بيير رونقان ترجمة د. جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية ، القاهرة ، ص ٣٦٨ .

وفى السنوات الأولى من القرن العشرين حدثت تطورات داخلية فى روسيا قوّت من الحركة الماركسية والنشاط العمالى فى مواجهة الاحتكارات الرأسمالية ، وتأثر روسيا بالأزمة الاقتصادية العالمية حيث انخفض بناء السكك الحديدية بشكل واسع وهبطت أسعار البضائع وانخفضت استثمارات الأموال فى الصناعة، ودور البنوك الأجنبية فى تبعية روسيا للرأسمال الأجنبى، مع تخلف الزراعة، حتى حدثت أول ثورة شعبية فى عصر الإمبريالية بين عامى ١٩٠٥ و ١٩٠٧ ، بعد خروج روسيا من حربها مع اليابان منهزمة خلال عامى ١٩٠٤-١٩٠٥م^(١).

وكانت نتائج ثورة ١٩٠٥م التمهيد للثورة الاشتراكية الكبرى عام ١٩١٧م ، حيث نشطت الحركة الثورية بزعامة لينين، وقد أدت الحرب العالمية الأولى إلى يؤس الجماهير الروسية ، كما بلغ الخراب الاقتصادى حد الكارثة خاصة فى عام ١٩١٦ / ١٩١٧م، واتساع الحركة الثورية فى جميع أنحاء روسيا، والتي انتهت بقيام ما عرف بالثورة الروسية الكبرى عام ١٩١٧ .

الثورة الروسية الكبرى ١٩١٧:

كان دخول روسيا الحرب العالمية الأولى خطأ كبيراً من جانب القيصرية ، فروسيا لم تكن عسكرياً واقتصادياً معدة إعداداً كافياً للدخول فى حرب كالحرب العالمية. كانت تنقصها مصانع الأسلحة والمعدات ووسائل الحرب الحديثة. وفى خلال الثلاث سنوات الأولى من الحرب جندت الحكومة الروسية ١٥ مليوناً من الجنود وهو عدد لم تستطع الحكومة بما لديها من إمكانيات حربية ضعيفة أن تجهزهم فى ميادين القتال من مؤنة وأسلحة فلم تستطع أن تنتفع بأغلب هؤلاء المجندين لأنهم وهم على حالتهم من نقص الذخيرة كانوا عالة على الميدان وعاملاً من عوامل الهزيمة، ثم كان من شأن تجنيد الملايين من الفلاحين أن حرمت الأرض من اليد العاملة فيها فأثر ذلك فى المحصول الزراعى السنوى الذى كان من الواجب أن يتضاعف لیسد حاجة البلاد فى وقت الحرب . وكان الفساد موجوداً فى حكومة القيصرية قبيل الحرب ولكن الحرب والهزائم التى لحقت بالجيش الروسى أوضحت بشكل صارخ ، فأخذ الوطنيون ، بىندون بالفساد الذى استشرى فى دواوين الحكومة وانتشرت الإشاعات عن فساد الأسلحة ومتاجرة

النبلاء فيها وكان من أشد مظاهر هذا الفساد وقوع الأسرة المالكة تحت تأثير ألماني أفاق جاهل منحل هو جريجوري راسبوتين^(١).

بدأ الاضطراب بعد هزيمة روسيا في غاليسيا ١٩١٥ إذ قامت المظاهرات في أوائل سنة ١٩١٦ في بترو غراد ترمى الحكومة بالإهمال والفساد اللذين سببا الهزيمة وتطالب بمحاكمة القواد الروس وكبار رجال الحكومة وأسرع القيصر بتعيين Boris Sturmer رئيساً لوزرائه لمواجهة هذا الموقف المضطرب وقد كان محافظاً من كبار الإقطاعيين المحافظين ولذلك أدى تعيينه إلى تعقيد الموقف إذ اتهمه الشعب الروسى بيمول ألمانية بل التآمر مع ألمانيا ضد الروسيا والجيش الروسى وازدادت الاضطرابات طوال سنة ١٩١٦م كما ازدادت الحالة الاقتصادية سوءاً بسبب نقص الفحم مما أدى إلى إغلاق بعض المصانع وتسريح عمالها بسبب اشتداد أزمة الفحم ثم إن حاميات كبيرة من الجيش من التى استدعيت إلى المدن الكبرى عقب ظهور الاضطرابات ولاسيما في بترو غراد أخذت تعمل على الاتصال بالعمال فتسرب إلى الجنود الكثير من الأفكار الثورية المعادية للقيصرية.

وفى أوائل سنة ١٩١٧ انتشرت المظاهرات تطالب بانفراج أزمة التموين وشعارها «الخبز» وانضم إلى المظاهرات حوالى ٢٥ ألف جندى من حامية العاصمة ثم ما لبثت عناصر الثورة من جنود وعمال أن سيطرت على العاصمة سيطرة تامة. وازاء فشل القيصرية ووزارة سترمر فى مواجهة الموقف قرر مجلس الدوما أن يعمل منفرداً ليحاول إنقاذ روسيا من ثورة العمال والجنود فاجتمع أعضاؤه اجتماعاً غير رسمى وقرروا تعيين لجنة مؤقتة برئاسة Rodzinako لتتسلم السلطة . وفى الوقت نفسه قام العمال والجنود فى بترو غراد بتكوين مجلس أى سوفيت من العمال والجنود وانتخب ذلك السوفييت لجنة تنفيذية مؤقتة لتسلم السلطة أيضاً ، وهكذا أصبح فى المدينة لجنتان خارجتان عن القيصرية إحداها معتدلة (لجنة الدوما المؤقتة) والأخرى المتطرفة (وهى اللجنة التنفيذية السوفيتية) وكانت السيطرة فى هذه اللجنة السوفيتية بل وفى سوفيت بترو غراد أيضاً للحزبين الديمقراطى (المنشفك) والثورى الاشتراكى «البلشفيك»^(٢).

١- د. محمد أنيس: أوروبا بين الحربين العالميتين ، القاهرة ١٩٥٧م.

٢- جواهر لال نهرو: المرجع السابق، ص ٢١٦ .

ثم بدأت المحاولات لإدماج اللجنتين فى حكومة واحدة مؤقتة وعارض الحزب الديمقراطى الاشتراكى «البلشفيك» فى الاشتراك فى حكومة مؤقتة ولكن الحزب الاشتراكى الثورى قبل الاشتراك فيها فتألفت الحكومة المؤقتة من غالبية الاكثوريين والحزب الديمقراطى الدستورى ومثل سوفيت بترو غراد Kerensky من الحزب الثورى الاشتراكى وزيراً للعدل وتولى رئاسة الحكومة الأمير جورج لفوف Lvov . ولا يجب أن يفهم من هذا أن السوفيت قد أصبح موالياً للحكومة بل على العكس أخذ الديمقراطيون الاشتراكيون يعملون للسيطرة عليه ودفعه لاتخاذ مواقف عدائية من الحكومة فالحكومة المؤقتة فى الواقع كانت تتلقى عداوة السوفيت من ناحية وداوة القيصرية من ناحية أخرى ذلك أنها طالبت القيصر نيقولا الثانى بالتنازل عن العرش وأقامت ميشيل وصياً على العرش حتى يصل ولى عهد القيصر إلى سن الرشد وقام القيصر أول الأمر وأرسل إلى بترو غراد جيشاً بقيادة جنرال ايفانوف للاستيلاء على العاصمة ولكن أغلبية هذا الجيش انحاز إلى جانب الشوار فأضطر القيصر إلى قبول اقتراح الحكومة وأعلن تنازله مبدئياً رغبته فى أن يلى العرش من بعده أخوه ميشيل بدلا من انتقاله إلى ابنه . غير أن سوفيت بترو غراد أخذ يعمل على إثارة الجماهير للمطالبة بالغاء نظام الملكية فى روسيا وإعلان الجمهورية . وأسرع وفد من نواب الدوما إلى الدوق ميشيل يبلغه أن الشعب يطلب منه التنازل عن الوصاية وتسليم الحكم إلى الحكومة المؤقتة حتى تجتمع جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير نوع ونظام الحكم الذى سيتبع فى المستقبل وإزاء هذا اضطر الدوق إلى التنازل عن الوصاية على العرش مناشداً الشعب الروسى أن يخضع للحكومة المؤقتة حتى يتم عقد الجمعية التأسيسية^(١).

وتولى الحكومة المؤقتة تبدأ الثورة الروسية دورها البورجوازي، فالحكومة برجوازية فى شكلها وفى أهدافها رئيسها الأمير جورج لفوف ووزير خارجيتها بول موليكوف زعيم الديمقراطيين الدستوريين ووزير حربيتها Guchkov جوتشكوف زعيم الاكثوريين والحكومة فى شكلها العام قتل أصحاب المصالح والرأسماليين وأصحاب الأعمال، ثم هى تهدف إلى تأسيس دولة دستورية برلمانية كما تهدف إلى حماية الملكية الخاصة وتسوية مسألة الأرض بتعرض أصحابها عما يغتصب منهم وكذلك مواصلة الحرب إلى جانب الحلفاء وأخيراً ألا يقرر نظام الحكم فى روسيا إلا عن طريق جمعية تأسيسية ينتخبها الشعب . واعتقد الناس خارج

روسيا أن الأمر قد انتهى وأن روسيا أصبحت ديموقراطية على النمط الغربى وسرعان ما اعترفت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان بالنظام الجديد فى روسيا غير أن حكومة لفوف لم تكن مسيطرة على الموقف فى الداخل فتصرفاتها لم ترض العمال والفلاحين : العمال يهدفون إلى طرد الرأسماليين وتأسيس نظام اشتراكى يضمن سيطرة العمال أنفسهم على المصانع ، والفلاحون يريدون الاستيلاء على الأملاك الواسعة وتقسيمها دون إعطاء أى تعويض للملاكها .

وقد عبرت هذه الطبقات عن وجهة نظرها فى مؤتمر جماعات السوفييت الذى انعقد فى إبريل سنة ١٩١٧ وكانت السيطرة فيه للحزبين الديموقراطى الاشتراكى (المنشفيكى) والثورى الاشتراكى (البلشفيكى) وقد اتخذ هذا المؤتمر قرارات عدة منها المطالبة بعقد صلح عادل لايرمى إلى ضم بلاد جديدة ولا تخسر فيه روسيا شيئاً من أراضيها ولا تدفع تعويضاً ينزل الخراب بماليتها ، كما كان من مطالبه أن تتخلى روسيا عن فكرة الاستعمار وتعتنق مبدأ حق تقرير المصير ، وأخيراً قرر المؤتمر تأييد الحكومة المؤقتة على أن تسير وفق هذه المبادئ التى قررها المؤتمر . غير أن الحكومة القائمة تجاهلت هذه القرارات بل أرسل وزير الخارجية مذكرة إلى الحلفاء يؤكد عزم روسيا على الاستمرار فى الحرب فى صف الحلفاء وعدم عقد صلح منفرد . وأثارت مذكرة وزير الخارجية معارضة سوفييت بترو غراد وقامت المظاهرات تطالب بسقوط ميليكوف وكان من نتيجة هذه الأزمة سقوط وزيرى الخارجية والحربية . ثم دعت الحكومة سوفييت بترو غراد للاشتراك فى الحكومة فوافق المنشفيك والثوار الاشتراكيون باشتراك ثلاثة منهم مع بقاء لفوف رئيساً للوزارة كما أصبح كرنسكى وزيراً للحربية فى التعديل الوزارى الجديد . كان من أهم أهداف الوزارة الجديدة مراجعة سياسة ميليكوف الخارجية ، فأعلنت فى منشور يعرف بمنشور مايو عن سياسة جديدة هى نبذ فكرة الاستعمار وإقرار سلام عام دون سيطرة على الأمم أو الاعتداء على أراضيها وأخيراً قبول الصلح دون تعويضات وقائم على تقرير مصائر الأمم^(١) .

وكان السبب الرئيسى فى قبول المنشفيك وثوار الاشتراكيين التعاون مع الحكومة المؤقتة الحكومة التى كانت حتى ذلك الوقت تتكون من أحزاب بورجوازية هو ازدياد نشاط البلشفيك فحتى قيام الحرب العالمية كان الحزب الديموقراطى الاشتراكى البلشفيكى فقيراً من الناحية التنظيمية لم يلعب دوراً يذكر فى عزل القيصر ولكن نشاطه بدأ بشكل جدى منذ وصول

نيكولاس لينين في ١٦ إبريل إلى روسيا وخطابه لأعوانه من حزبه لدى وصوله في محطة السكة الحديد وهو الخطاب الذي انصب على ضرورة قيام ثورة ثانية لإنهاء دولة البرجوازية الجديدة التي قامت على أشلاء القيصرية^(١).

ولد لينين سنة ١٨٧٠ في أواسط وادي نهر الفولجا من أب كان مفتشا للتعليم وكان له أخ إرهابي حكم عليه بالإعدام لاشتراكه في المؤامرة التي انتهت بمقتل القيصر اسكندر الثالث سنة ١٨٨٧، وقد أثرت هذه الحادثة وهي إعدام أخيه في نفسه أثراً بالغاً فقد كان لينين معجباً بأخيه وهو إن لم يكن يميل إلى الوسائل الإرهابية، إلا أنه كان يشارك أخاه في آرائه. وقد تجلت ميول لينين المتطرفة عندما كان طالباً في كلية الحقوق بجامعة كازان فقد طردته الجامعة لاتهامه بتحريض الطلبة على الإضراب وإثارتهم على الحكم القيصرى في سنة ١٨٨٧م واضطر لينين إلى الرحيل إلى بطرسبرج ليتم دراسته هناك حيث سحنت له الفرصة حتى يشبع ميوله فاتصل بالجماعات التي كانت تعتقد في المبادئ الماركسية. وطرد كغيره من المتطرفين وحكم عليه بالنفى إلى سيبيريا ٣ سنوات، بسبب نشاطه الثورى، وعندما انتهت مدة سجنه سنة ١٩٠٠ فضل الرحيل إلى سويسرا حيث أسس صحيفة سماها اسكر Iskra «الشرارة» لينشر فيها آراءه ويهربها إلى روسيا. وقد قضى سنة من حياته في لندن ١٩٠٢-١٩٠٣م حيث واصل هناك إصدار صحيفته بمعاونة بعض الديمقراطيين الاشتراكيين الإنجليز وفي أغسطس سنة ١٩٠٣ حضر مؤتمر الحزب الديمقراطى الاشتراكى الذى انعقد خارج روسيا وحدث فيه الانقسام الكبير بين البلشفيك والمنشفيك. ولينين يتزعم حركة البلشفيك فى الحزب ولذلك يسمى أبو البلشفية الروسية وعاد إلى روسيا سنة ١٩٠٥م وعمل على إثارة البغضاء ضد الدوما والأحزاب المعتدلة وعندما فشلت ثورة سنة ١٩٠٥م اضطر إلى الخروج من روسيا وعاش فى الخارج من ١٩٠٦-١٩٠٧م ولم يفقد نشاطه فى منفاه بل أخذ يعمل فى المنظمات السرية كثورى محترف ولما قامت ثورة سنة ١٩١٧م كان لا يزال فى زيورخ فى سويسرا^(٢).

وعندما أعلنت الحكومة المؤقتة العفو عن المجرمين السياسيين أصبح المجال مفتوحاً له للعودة إلى روسيا وسهلت له ألمانيا العبور فى أراضيها أملاً فى أن يسبب وصوله اثارة

١- جواهر لال نهرو : المرجع السابق، ص ٢٢٠.

٢- نفس المرجع السابق، ص ٢٢١.

خلاقات فى روسيا تؤدى إلى تسليمها فى النهاية، ويجرد وصول لينين فى روسيا بدأ هجومه العنيف على الحكومة القائمة فكانت مشكلة الغذاء فى روسيا وروسيا لاتزال فى حالة حرب والحكومة تتهرب من إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية وأهم من هذا كله أن الناس بدأوا يفقدون ثقتهم فى المنشفيك والثوار الاشتراكيين بعد اشتراكهم فى الوزارة وتورطهم فى سياسة التعاون مع الأحزاب البرجوازية وأعلن لينين عن برنامج حزبه الذى يتلخص فى النقاط التالية:

- ١- صلح عام فوراً .
 - ٢- مصادرة الأراضي الإقطاعية الزراعية دون تأخير ودون تعويض.
 - ٣- امتلاك العمال للمصانع وإدارتها .
 - ٤- تكوين نقابة قومية للإنتاج والتوزيع الاقتصادى^(١) .
 - ٥- أن تحل سوفيتيات العمال والجنود والفلاحين محل إدارات الحكومة .
- وكان من الطبيعى أن يلقى هذا البرنامج تأييداً شعبياً كبيراً فارتفعت أسهم الحزب البلشفيكى لدى العمال وأخذوا طريقهم للسيطرة على السوفيتيات وأخذ مركز الحكومة يزداد حرجاً .

واعتقد كرنسكى وزير الحربية والعقلية المفكرة فى الوزارة أنه لو نجح فى إحراز الانتصار فى الجبهة النمساوية لأدى ذلك إلى تقوية مركز الحكومة من ناحية وإلى رفع معنوية الجنود والمواطنين من ناحية أخرى، واختيار الجبهة النمساوية فى الجنوب له مبرراته فهى أضعف من الجبهة الألمانية فى الشمال والجيش الروسى فى الجبهة النمساوية كان محتفظاً بشئ من النظام والتماسك ، غير أن بعض الفارين من الجيش الروسى أطلعوا الألمانى على خطة كرنسكى فأرسلت المساعدات الألمانية للجبهة النمساوية، وقامت القوات الألمانية فى الشمال من جانبها بهجوم أدى إلى انهيار الجيش الروسى فى الشمال وفشل الهجوم الروسى فى الجنوب وبذا فشلت خطة كرنسكى وفى نفس الوقت ازداد الموقف سوءاً فى الداخل فقد استولى البلشفيك على منظمات العمال فى بترو غراد، وبدأوا يوجهون الثورة فى العاصمة ضد الحكومة وانضم إلى صفوفهم عدد كبير من حامية بترو غراد وقامت الثورة بقيادة البلشفيك فى يولية تنادى بسقوط وزارة الرأسمالية وسقوط الحرب وإعطاء السوفيتيات السلطة وأسرع كرنسكى باستدعاء ٦٠ ألف من الجنود الموالين للحكومة ونشبت معارك دموية بين الثوار وجنود

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٤٢ .

كرنسكى استمرت يومين وهزم بعدها الشوار . وكان من نتيجة هذه الهزيمة أن عدل لينين من خطوطه السياسية فلم يعد يطالب بإسقاط الحكومة المؤقتة فوراً بل بضرورة بذل الجهد لضم القوات العسكرية الروسية القاطنة خارج العاصمة إلى الثورة (١).

على أنه كان من نتيجة اضطرابات يوليه وهزيمة الجيش الروسى أمام الألمان أن وقعت الوزارة في أزمة عنيفة انتهت باستقالة لفوف وتولى كرنسكى رئاسة الوزارة وقد واجه موقفاً معقداً فإلى جانب ثورة البلاشفة كانت بعض عناصر اليمين من القادة العسكريين ومن التي قبلت على مريض قيام الحكومة المؤقتة على أنها السبيل الوحيد لانقاذ الموقف- قد نفذ صبرها واعتقدت أن سياسة الحكومة المؤقتة ليست حازمة بما فيه الكفاية فبدأت تعلن سخفها على الحكومة بعد اضطرابات يوليو فبينما كان البلاشفة ينادون بدكتاتورية الطبقة العاملة كانت هذه العناصر تنادى بدكتاتورية عسكرية وكان يتزعم هذه العناصر القائد الروسى كورنيلوف الذى انسحب فى سبتمبر بقواته من جبهة القتال واتجه نحو العاصمة كما أرسل إنذاراً إلى رئيس الوزارة يطالبه بالاستقالة وإعلان الأحكام العرفية فى العاصمة . ولكن كرنسكى رفض الإنذار ومنحته الوزارة سلطات استثنائية لمواجهة الموقف الذى أطلق عليه بالمؤامرة الرجعية وتمكن من القبض على كورنيلوف وأفسد عليه خطته (٢).

وأهمية المؤامرة الرجعية تنحصر فيما تركته من أثر فعال فى جماهير العمال والفلاحين والجنود الذين اعتراهم الخوف من احتمال نجاح الحزب اليميني من العسكريين فى إرجاع الحكم القيصرى فى شكل دكتاتورية عسكرية وفى نفس الوقت أخذ الشك يتطرق إلى أذهانهم عن موقف كرنسكى من المؤامرة فاعتقدوا أنه كان يعطف على هذه المؤامرة واعتقدوا أنه غير موقفه تحت ضغط سوفيت بترو غراد ، ومع أن هذا الاعتقاد لا يستند إلى شئ من الصحة إلا أن البلاشفة استفلوه أسوأ استغلال حتى فقد الناس كل الثقة فى الحكومة . ثم جاء تأجيل كرنسكى لانتخابات الجمعية التأسيسية مؤكداً لسوء نية الحكومة وعدم رغبتها فى تقديم مشروعات الإصلاح التى طالما نادى بها الشعب الروسى . وكان من مظاهر نجاح البلاشفة سيطرتهم على سوفيت بترو غراد . كما سيطروا على معظم السوفيتات الروسية وكانت نداءاتهم: السلام للجيش والأرض للفلاحين والمصانع للعمال (٣).

١- جواهر لال نهرو: المرجع السابق، ص ٢٢٢ .

٢- د. محمد أنيس: المرجع السابق.

٣- جواهر لال نهرو : المرجع السابق ، ص- ٢٥ .

وسيطرة البلاشفة على السوفيات لاسيما سوفيت بترو غراد بدأت مقدمات ثورة نوفمبر ففى أواخر أكتوبر عقد لينين لجنة الحزب وقررت اللجنة القيام بثورة مسلحة ضد الحكومة المؤقتة فوضعت خطة الثورة وأرسل مندوبون إلى بقية المقاطعات فى روسيا وقيادة الثورة هناك وتنسيق الخطط مع ثورة بترو غراد. كما تكونت فى العاصمة لجنة من سوفيت بترو غراد سميت باللجنة العسكرية الثورية لتكون بمثابة مركز القيادة للثورة وكانت هذه تستمد توجيهاتها من ستالين .

وتسربت أنباء قرار الثورة إلى كرنسكى ففكر فى إخلاء بترو غراد وانتقال الحكومة إلى موسكو وترك العاصمة للألمان الذين كانوا على مقربة منها ليحتلوها وليخمدوا الثورة فيها . ولكن سوفيت بتروغراد أجبر الوزارة على البقاء . وكان البلاشفة قد قرروا القيام بالثورة فى ٧ نوفمبر يوم إنعقاد المؤتمر الثانى للسوفيات الروسية فلما أحسوا أن الحكومة على علم بخططهم قرروا تغيير موعد الثورة بيوم سابق لاجتماع المؤتمر ورغم ذلك فقد تسربت أنباء التأجيل إلى كرنسكى فقام فى صباح ٦ نوفمبر بتوجيه ضرباته فهاجمت قوات الحكومة مقر جريدة الحزب البلشفى واسمها « طريق العمال » ولكن الحرس الأحمر - وهو تنظيم عسكرى خاص بالحزب - والجنود المواليون للثورة تمكنوا من صد الهجوم وحوالى الساعة الحادية عشر صباح ذلك اليوم نزلت « طريق العمال » إلى الأهالى تعلن قرار اللجنة المركزية ببدء الثورة فقامت وحدات من الحرس الأحمر والجنود المواليين للثورة بمحاصرة قصر الشتاء مقر الحكومة واستمر الحصار إلى اليوم التالى ، وفى نفس الوقت احتل الثوار محطات السكك الحديدية ومكاتب التلغراف والبريد والوزارات وبنك الدولة ، وفى صبيحة ٧ نوفمبر كانت بتروغراد قد سقطت فى يد السوفيت فأخذت قطع الأسطول الموالية للثورة فى ضرب قصر الشتاء وفى المساء تمكنت قوات العمال والبحارة والجنود من التغلب على القوات المدافعة عن قصر الشتاء واحتلاله (١).

وفى نفس الليلة وعقب سقوط مقر الحكومة اجتمع مؤتمر السوفيات وأسفر عن أغلبية ساحقة للحزب البلشفى فانسحب المنشفيك كما انسحب الجناح اليميني من الثوار الاشتراكيين وقرر المؤتمر إنهاء الحكومة المؤقتة واستيلاء السوفيات على السلطة وفى اليوم التالى اتخذ ثلاثة قرارات حاسمة وهى:

١- قرار السلم وهو نداء إلى الدول المتحاربة لإعلان الهدنة تمهيداً للمفاوضات الصلح.
٢- قرار الأرض ويقضى بإلغاء الملكية بدون تعويض واعتبار جميع الموارد المعدنية والغابات ملكاً للشعب .

٣- القرار الخاص بتكوين أول حكومة سوفيتية التي أطلق عليها مجلس مندوبى الشعب والتي تتكون كلها من الحزب البلشفي وعلى رأسها لينين.

وفيما بين نوفمبر سنة ١٩١٧ وفبراير سنة ١٩١٨ امتدت الثورة إلى أجزاء واسعة من روسيا تمكنت من القضاء على العناصر البرجوازية وحلفائها من المنشفيك والثوار الاشتراكيين وكذلك اتفق الجناح اليسارى من الثوار الاشتراكيين مع البلاشفة لتكوين جبهة شعبية متحدة كان لهؤلاء أى للثوار الاشتراكيين السيطرة على الفلاحين وهو أمر أغرى الحزب البلشفي بالتحالف معهم ومنحهم مراكز فى مجلس مندوبى الشعب ولو أن هذا التحالف لم يستمر إلى أبعد من صلح روسيا مع ألمانيا وانسحابها رسمياً من الحرب فقد أعقب ذلك ظهور الخلاف بين الحزبين وقد كان متوقفاً ودار حول الإصلاح الزراعى وكان حزب الثوار الاشتراكيين يمثل إلى حد كبير مصالح طبقة الكولاك التي تكونت فيما بين ١٩٠٦-١٩١٤ والتي تمثل صغار الملاك من الفلاحين فخرجوا على الجبهة المشتركة واستطاعوا بنفوذهم فى الريف أن يقوموا بثورة الكولاك أو صغار الملاك من الفلاحين ضد الحكومة البلشفية وهى ثورة عاتية هزت الحكومة البلشفية هزة عنيفة، ولو أنها فشلت إلا أنها تدل على أن البلاشفة حتى وصولهم إلى الحكم لم تكن لهم السيطرة إطلاقاً فى الريف والحق أن مشكلة الأرض كانت من أعقد المشاكل التي واجهتها روسيا بعد الثورة . والتي تخبطت الحكومة الروسية فى سبيل حلها (١).

ومن الممكن أن نتبين عدة أسباب لنجاح ثورة نوفمبر :

١- واجهت هذه الثورة عدواً ضعيفاً نسبياً وهى البورجوازية الروسية فمن الناحية الاقتصادية كانت لا تزال البورجوازية الروسية ضعيفة نسبياً . يضاف إلى ذلك قلة الخبرة السياسية وهذه الخبرة لا تعدو ما بين وصولها إلى الحكم فى مارس وسقوطها فى نوفمبر ، وكان من أبرز مظاهر عجزها السياسى اتباعها نفس الخطط التي كانت تدير عليها القيصرية فأيدت الحرب وأبقت على سيطرة أصحاب الأعمال فتلكأت فى حل مشكلة الأرض وفى انتخابات الجمعية التأسيسية فليس غريباً إذن أن لا يجد الشعب الروسى فرقاً بينها وبين القيصرية ،

وليس غريبا أن تنتقل كراهيته للقيصرية إلى الحكومة المؤقتة. إن الشيء الوحيد الذي استطاعت القيام به والذي يدل على نوع من المهارة السياسية تمثل في اتخاذها من المنشفيك والثوار الاشتراكيين حلفاء لها فهذه الأحزاب كانت تتمتع بتأييد شعبي كبير .

٢- قامت ثورة نوفمبر على يد الطبقة العاملة في روسيا وهي طبقة اكتسبت كثيرا من الخبرة في كفاحها الطويل ثم هي ثورية بطبيعتها . حقيقة كانت الأحزاب المثلثة لها منقسمة على نفسها غير أن قيادة ثورة نوفمبر كانت قطعا في يد الحزب الاشتراكي الديمقراطي البلشفيكي . ومهما يكن من قيمة النقد الموجه إلى هذا الحزب فلا ريب أنه كان الحزب الوحيد في روسيا في سنة ١٩١٧ الذي برهن لطبقة العمال والفلاحين على أنه جاد في عدائه للبورجوازية الروسية فلم يشترك في الحكومة المؤقتة وعارض فكرة الاستمرار في الحرب، ولم يتخذ مواقف مترددة مائعة كما فعل المنشفيك والثوار الاشتراكيون ، كما تمكنت قيادة الحزب البلشفي الحازمة من العمل على تماسك التحالف بين الفلاحين والعمال على الأقل حتى نجاح ثورة نوفمبر .

٣- أن ثورة نوفمبر حدثت في فترة كانت الحرب الاستعمارية على أشدها فهناك انقسام في الدول البورجوازية إلى معسكرين وانشغال كل منهما في الحرب العالمية الأولى جعلها أعجز من أن تتدخل تدخلا حاسما في صالح الحكومة المؤقتة^(١).

وفي ٢٥ نوفمبر أجريت إنتخابات الهيئة التأسيسية فجاءت النتيجة مخيبة لآمال البلاشفة إذ أسفرت عن أغلبية للجبهة المعارضة لهم رغم تفوقهم على أحزاب هذه الجبهة في إجراء صلح منفرد . ومن وجهة النظر البرلمانية البحتة كان على البلاشفة التنازل عن الحكم لجبهة المعارضة ولكن حين اجتمعت اللجنة التأسيسية في ١٨ يناير سنة ١٩١٨ انسحب البلاشفة وفي صبيحة اليوم التالي حلوا الجمعية بالقوة وهذه المسألة أي موقف البلاشفة من الجمعية مثار خلاف بين المؤرخين والكتاب كما قلنا من وجهة النظر البرلمانية كان يجب أن يتنحى البلاشفة ولكن هؤلاء يقدمون وجهة نظر من الممكن إيجازها في النقاط التالية:

أولا : المطالبة بالجمعية التأسيسية تمثل في النظام الجمهوري البورجوازي أعلى مراحل الديمقراطية ولكن الجمهورية البورجوازية قد سقطت وبذلك تصبح الجمعية التأسيسية من وجهة نظر البلاشفة غير ذات موضوع .

ثانيا : فبعد سقوط الرأسمالية فى روسيا تكونت جمهورية مكونة من السوفيتيات أنسب للوضع الجديد من ديموقراطية بمجلس تأسيسى، حقيقة أن الثورة قد نجحت ولكن كان هناك بناء جديد اشتراكى لابد من إقامه وجمهورية من سوفيتات العمال والفلاحين هى الشكل الوحيد القادر على القيام بهذا البناء . وأخيرا هم يرون أن انتخابات الجمعية التأسيسية قد أجريت قبل أن يتمكن الناخبون ولاسيما خارج بتروغراد من تفهم ثورة نوفمبر تفهما دقيقا وما تحمله فى طياتها من تغيير أساسى لشكل الدولة السياسى والاقتصادى .

ولارب فى أن حجة البلاشفة منطقية للغاية لكن السؤال يبقى لماذا قبلوا إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية؟ ولماذا قبلوا الدخول فيها؟ وبعد أسبوعين من قيام الثورة بدأ وزير الخارجية فى الحكومة البلشفية تروتسكى بمفاوضات الهدنة مع ألمانيا تلك التى انتهت ٣ مارس سنة ١٩١٨م بصلح برست ليتوفسك Prest letovsk ويمقتضاها تنازلت روسيا عن كثير من ممتلكاتها فى بحر البلطيق وبحر الشمال وأوكرانيا. وبهذه الخسارة الفادحة كسبت روسيا الخروج من الحرب لتبدأ أضخم تجربة فى تاريخ البشرية وهى إقامة دكتاتورية الطبقة العاملة .

وقد كان الموقف الحربى فى أوائل سنة ١٩١٨م غير حاسم، ففى الجبهة الغربية فشلت حرب الغواصات الألمانية غير المقيدة ورغم ذلك كانت ألمانيا بسبب انسحاب روسيا تأمل فى أن تتمكن من الانتصار السريع لتركيز جميع قواتها فى الجبهة الغربية ولذلك حين جاء إعلان ولسون عن أهداف الحلفاء من الحرب بما يعرف بنقاط ولسون ١٤ رفضتها الدول المركزية بشدة. جاءت هذه النقاط فى خطاب الرئيس الأمريكى فى أوائل يناير سنة ١٩١٨ أمام الكونجرس الأمريكى وهى النقاط التى سيقدر لها أن تلعب دورا هاما كسمادى فى تسويات الصلح النهائية، وهذه النقاط هى:

- ١- ميثاق علنية للصلح أى نبذ المعاهدات السرية.
- ٢- حرية الملاحة المطلقة فى البحار خارج المياه الإقليمية فى حالتى الحرب والسلم.
- ٣- إزالة جميع الحواجز الاقتصادية وإقامة المساواة فى شئون التجارة بين جميع الدول.
- ٤- الجلاء عن روسيا وبلجيكا وفرنسا ورومانيا والصرب والجبل الأسود.
- ٥- إعطاء فرصة حرة للحكم الذاتى للشعوب الخاضعة للحكم التركى.
- ٦- تأليف عصبة أمم لتوفير الضمانات المتبادلة بين جميع دول العالم^(١).

روسيا الاشتراكية بين الحربين العالميتين :

ونستطيع أن نقسم هذه الفترة إلى:

أولا : الحرب الأهلية وتدخل الدول الحربى ١٩١٨-١٩٢١ م .

ثانياً : فترة الانتقال للاستقرار الاقتصادى ١٩٢١-١٩٢٥ م .

ثالثاً : مشروعات السنوات الخمس ١٩٢٨-١٩٣٧ م .

بالنسبة للفترة الأولى ١٩١٨-١٩٢١ م، ضايق الحلفاء صلح برست ليتوفسك لسببين :

أولا : لأنه يخلى ألمانيا من الجبهة الشرقية تماماً ويجعلها تركز قوتها فى الجبهة الغربية

ضد الحلفاء .

ثانيا: لأنه يتيح للثورة البلشفية فى روسيا فرصة هادئة للنجاح وإتمام القضاء على أعدائها وأعداء الثورة وهم حلفاء دول الوفاق ولجناح الثورة العمالية تجربة خطيرة بالنسبة لدول الوفاق لأنها بمثابة نموذج قد يشجع العمال فى هذه البلاد على الثورة أما فى الداخل فأعداء الثورة يتمثلون فى الأحزاب المعارضة للبلاشفة فى الشوار الاشتراكيين والبورجوازيين الوطنيين والديموقراطيين الدستوريين والمنشفيك ثم يتمثلون فى طبقة القوزاق وهم طبقة حربية من دعائم القيصرية والكولاك طبقة صغار الملاك من الزراعيين ورجال المال وغير ذلك وهذه الطبقات المعارضة يعوزها المال والسلاح، والحلفاء على استعداد لمدهم بالمال والسلاح ولكن إلى حد لأن الحلفاء أنفسهم مشغولين فى الحرب ضد ألمانيا والنمسا وكانت فكرة الحلفاء من التدخل الحربى إرجاع الطبقة البرجوازية إلى الحكم لتواصل نضالها ضد ألمانيا من ناحية ولفشل ثورة العمال من ناحية أخرى . وفى أوائل ١٩١٨ تم الاتحاد بين الجبهة الداخلية المعارضة للثورة وبين الحلفاء وبدون إعلان حرب على الحكومة البلشفية أنزلت بعض الدول مثل فرنسا وانجلترا واليابان بعض قواتها فى أنحاء روسيا وكانت أهم الجبهات المعادية للثورة ثلاث^(٢):

١- الجبهة الشرقية فى سيبيريا حيث تكثر طبقة الكولاك وهناك تمكن الشوار الاشتراكيون

من إقامة حكومتين إحداهما فى Samara والثانية فى Omsk .

١- د . محمد أنيس : المرجع السابق .

٢- جواهر لال نهرو : المرجع السابق، ص ٢٤٦ .

٢- الجبهة الجنوبية فى شمال القوقاز حيث تمكن Denikin بتأييد الفرنسيين والبريطانيين من تكوين جيش من المتطوعين ضد هذه الثورة هناك.

٣- فى حوض نهر الدون تمكن الجنرال Krasnov بمساعدة ألمانيا السرية من السيطرة^(١).

كيف واجهت الثورة الموقف ؟

أولاً : واجه لينين الموقف بحزم وسياسة تركيز قوى البلاد لدفع الخطر وعرفت هذه السياسة بسياسة War Communism فأشرفت الدولة على الصناعات الصغيرة وأدخلت نظام احتكار الدولة لتجارة الحبوب ثم التجنيد الإجبارى للعمال . أما العناصر البورجوازية فاتبع معها العمل الجثمانى الإجبارى سيرا على مبدأ « الذى لا يعمل لا يأكل ».

ثانياً : نشر الثورة العمالية بقصد عرقلة نشاط الحلفاء ضد روسيا وخصوصاً وأن الحرب انتهت فى هذا العام وكان لانتهاؤها مزايا ومساوئ بالنسبة لروسيا أما مساوئها فهى أن دول الوفاق تستطيع الآن أن تتفرغ للتدخل الحربى فى روسيا وأما محاسنها فهى قيام الثورة فى ألمانيا وسقوط معاهدة برست ليتوفسك والقوة الألمانية فى الغرب بحيث تستطيع روسيا الآن أن توقف التعرضات التى تدفعها وأن تسترجع الأراضى التى تنازلت عنها لألمانيا ، ثم أن الثورة اجتاحت أواسط أوروبا فانتصرت الثورة الاشتراكية فى النمسا والمجر فتكونت جمهورية سوفيتية هناك وأسرع الحزب الشيوعى الروسى إلى عقد مؤتمر من الأحزاب الشيوعية فى العالم ليكون الدولية الثالثة فى مارس ١٩١٩م وأصدر المؤتمر إعلان الدولية الثالثة يحض بها الطبقة العاملة فى جميع البلاد ويدعوها إلى الثورة لتكوين دكتاتورية الطبقة العاملة ونجاح السوفيات فى جميع العالم^(٢).

ثالثاً : تعديل الخط السياسى للثورة إذ لما كانت الثورة المضادة تقوم أساساً على أكتاف الكولاك ألد أعداء الثورة وهم الذين يتمثلون فى حزب الثوار الاشتراكيين فقد نظمت الحكومة السوفيتية لجان من جماهير الفلاحين سميت لجان فقراء الفلاحين لتعمل ضد الكولاك وأما الطبقة المتوسطة من الفلاحين فقد حدث خلاف حول موقفها وكانت هذه المسألة من أهم المسائل التى دار خلاف حولها فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى فى مارس ١٩١٩م فهذه الطبقة حسب قرار الأرض زادت فى عددها حتى أصبحت تكون غالبية الفلاحين ولذلك فمصيرها يقرر

١- د. محمد أنيس: المرجع السابق .

٢- جواهر لال نهرو: المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

مصير الثورة فنجاح الكولاك وغيرهم من أعداء الثورة في حوض نهر الفلجا وفي وسط روسيا مثلاً كان نتيجة تأييد هذه الطبقة المتوسطة ولذلك رأى المؤرخ بأن هذه الطبقة فيها من المد الثورى ما يجعل الثورة تتخذ منها حليفاً طبيعياً ضد الكولاك وأعداء الثورة ، وتبع ذلك تنازل الحكومة عن السياسة الاشتراكية فى الريف وقد كان نتيجة ذلك أن وقفت الطبقة المتوسطة هذه موقف المحايد (١).

سقطت ألمانيا والنمسا وتفرغت دول الوفاق لروسيا فلما انسحب الألمان من أوكرانيا والقوقاز احتلتها قوات فرنسية بريطانية ودخلت أساطيل الدولتين فى البحر الأسود وبدأت هذه الدول سياسة محاصرة روسيا وعلقت هذه الدول آمالها على حكومة الأدميرال Kolchac فى Omsk فى سيبيريا وأصبحت جميع الجبهات تابعة له. وفى صيف ١٩١٩م بدأ هجوم الجيش الأحمر على الجبهة الشرقية وهى أهم جبهة وانهار Kolchac كلية فلما أحس الحلفاء بانهباء هذه الجبهة الهامة بدأوا الانسحاب من أودسه وشجعهم على الانسحاب أن بودار التمرد أخذت تظهر فى فرقهم العسكرية نفسها ومن أمثلة ذلك ترمد البحارة الفرنسيين فى أودسه بقيادة Andre Marty وبهذا انتقلت الأهمية لجبهة Denikin فى منطقة كويان جنوب القوقاز ولجح هناك بمساعدة الحلفاء لمجاًحاً باهراً وبدأ يزحف حتى قارب موسكو فأعلن الحزب الشيوعى أن الوطن فى خطر وظهر المبدأ القائل «الجميع لمحاربة Deizkin» وعزل تروتسكى من قيادة هذه الجبهة وحل محله ستالين فوضع خطته الحربية التى وافق عليها الحزب، وفى أكتوبر ١٩١٩م هزم الجيش الأحمر الجنرال دينكين وفى أوائل ١٩٢٠م كانت كل من أوكرانيا وشمال القوقاز قد طهرت من أعداء الثورة وإزاء هذا وإزاء المعارضة القوية التى ظهرت فى أوروبا بين العمال ضد موقف الدول الغربية من الحكومة السوفيتية قررت كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا إنهاء الحصار فى أوائل ١٩٢٠م بهذا انتهى الجزء الأكبر من التدخل الأجنبى والحرب الأهلية (٢).

ولكن فى الفترة ما بين ١٩٢٠-١٩٢١م حدث تدخل عن طريق بولندا وتحت قيادة Pil-sudski الجنرال البولندى والجنرال Wrangel الذى جمع شتات الجنود المبعثرة من قوات الجنرال دينيكين وكانت خطة بولندا توسيع رقعة دولتها باحتلال أوكرانيا وبيلوروسيا حتى تمد الدولة من دانزج إلى أودسه ومساعدة رانجل الذى تركز فى القرم لتحطيم الحكومة السوفيتية وفشلت محاولة الحكومة السوفيتية للتفاهم مع بولندا ، وفى أبريل ١٩٢٠م احتل البولنديون أوكرانيا

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

٢- جواهر لال نهرو: المرجع السابق، ص ٢٤٨ .

السوفيتية واستولوا على كييف وفي نفس الوقت هاجم رانجل حوض الدنتز وتمكن الجيش الأحمر من هزيمة البولنديين وطردهم من أوكرانيا حتى غاليسيا ولكنه عاد فارتد وفي أكتوبر ١٩٢٠م عقد صلح Riga وفي هذا الصلح تنازلت بولندا عن المطالبة بأراضي أوكرانيا غرب الدينيبير فلما استراح الاتحاد السوفيتي من بولندا بدأ يوجه همه نحو Wrangel وفي نوفمبر ١٩٢٠م تمكن الجيش الأحمر من مطاردة رانجل في شبه جزيرة القرم وتحطيم قوته وبذلك دخلت القرم في نطاق الاتحاد السوفيتي وفي نهاية ١٩٢٠م بدأت روسيا في تحرير ما وراء القوقاز : أذربيجان وجورجيا وإرمينيا وكانت قد قامت في كل منها حكومات مستقلة من أعداء الثورة^(١).

الفترة الثانية ١٩٢١-١٩٢٥م :

خرجت روسيا محطمة من الثورة الأهلية فمن الناحية الاقتصادية بلغ الانتاج الزراعى فى ١٩٢٠م نصف ما كان عليه قبل الحرب وزاد من سوء الحالة فشل المحصول فى ١٩٢٠م فى كثير من المقاطعات فحدثت المجاعة فى هذا العام، أما الصناعة الكبيرة فانخفضت إلى سبع ما كانت عليها قبل الحرب وأغلق الكثير من المصانع والورش والمناجم وكانت صناعة الحديد أسوأ أنواع الصناعات فبلغ إنتاج الحديد فى ١٩٢١م ٣٪ من إنتاج ما قبل الحرب وكان هناك نقص فى الفحم وفسدت المواصلات ولاسيما السكك الحديدية كما ظهر النقص فى جميع المواد الأولية كالحبىز والسمن واللحم والملابس والكبريت والملح والصابون، وأكثر من ذلك الاستياء الذى ظهر بين الفلاحين من سياسة «شيوعية الحرب» واستيلاء الحكومة على الفائض من الإنتاج الزراعى فبدأ تدمر الفلاحين بل الأسوأ من هذا أن يصل هذا الاستياء إلى طبقة العمال الصناعيين أنفسهم وهى دعامة الحكومة السوفيتية إزاء المجاعة الاقتصادية فهم يتعطلون وانصرفوا إلى الأعمال الفردية الصغيرة لكسب العيش واستغل الكولاك والعناصر البورجوازية الوطنية سوء الحالة وبدأوا ثوراتهم فى سيبيريا وفى أوكرانيا وأكبر هذه الثورات ثورة Kronstad وكان شعارها «السوفيت بدون الشيوعيين» ولكنها أخمدت بسرعة^(٢).

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق .

٢- جواهر لال نهرو: المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى بالنسبة لآسيا:

تشكلت هذه السياسة فى فترات متعددة الفترة الأولى ١٩١٧-١٩٢٠م وسياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية كانت تهدف إلى انهيار الدول الرأسمالية فقد كانت الفكرة الأصلية أنه لا يمكن للنظام الشيوعى أن يبقى فى وسط عالم رأسمالى ولذلك كانت الفكرة أن انهيار هذا النظام الرأسمالى أساس لبقاء نظامهم ولذلك فالسياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى فى هذه السنوات الثلاث كانت تنصب على الدعاية الثورية وكان من أساليب هذه السياسة أن عقد زعماء البلشفية فى روسيا فى ١٩ مارس الدولية الثالثة The 3d International وهى التى أطلق عليها Comintern (الدولة الأولى كانت ١٨٦٤م نظمها كارل ماركس نفسه ليقدم حقوق العمال فى جميع البلاد فهى ليست من الأحزاب الشيوعية ولكن من منظمات العمال International Woorkringmen Association وهذه انقسم عراها فى ١٨٧٤م) (أما الدولية الثانية فكانت فى ١٨٨٩م من مختلف الأحزاب الاشتراكية والعمالية وجاءت الحرب العالمية فوضعت حدا لنشاطها) . وكانت أهداف الدولية الثالثة :

١- الاستمرار فى نشر الدعاية البلشفية.

٢- استمرار تقوية الأحزاب الشيوعية فى جميع البلاد .

٣- كسب قيادة جميع الحركات العمالية والاشتراكية.

٤- تطوير الحوادث ناحية الثورة العالمية^(١).

وعن طريق هذه الدولية الثالثة حاولت الحكومة الروسية فى السنوات الأولى القيام بهجوم ضد الرأسمالية فى بلاد مختلفة فى أوروبا فلعبت دورا هاما فى الثورة الألمانية فى ١٩١٨م ، فى ١٩١٩م وفى تأسيس نظام شيوعى فى المجر فى ١٩١٩م وفى التجارب الشيوعية فى إيطاليا فى ١٩٢٠م وفى بعض الاضطرابات فى بعض الجمهوريات البلطيقية كما وجهت جهودها لاقامة علاقات قوية مع عمال بريطانيا وفرنسا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وإن كانت هذه المجهودات قد باءت بالفشل كما فشلت أيضا فى الحصول على تعاون الشعوب الآسيوية على أمل إيجاد تحالف بين الشيوعية فى روسيا والحركة القومية فى آسيا ضد الاستعمار. وخلاصة القول أن الدولية الثالثة فشلت فى الثورة العالمية^(٢).

١- د. محمد أنيس : المرجع السابق، ص ١١٣ .

٢- جواهر لآل نهرو: المرجع السابق، ص ٣٧٩ .

وفى ١٩٣٧م حدث اعتداء اليابان فى شمال الصين وقامت الحرب بين البلدين وكان الاتحاد السوفيتى هو الدولة الوحيدة التى أسرع للعمل فعقدت فى ٢١ أغسطس مع الصين ميثاق عدم اعتداء ، واتبعت فى ذلك إرسال المساعدة الحربية للصين وكانت الصين فى جلسة عصبة الأمم لعام ١٩٣٧م قد طلبت من العصبة اعتبار اليابان معتدية وأنه من الضرورى مساعدتها أدبياً ومادياً ولكن المجترة وفرنسا عارضت هذا ، وكذلك فى نوفمبر فى مؤتمر بروكسل للدول التى وقعت فى واشنطن معاهدة الدول التسع (فبراير ١٩٢٢م) وعارضت روسيا رغبة كل من أمريكا والمجترة للتوسط مع اليابان على أساس منحها بعض المطالب فى الصين وفى سبتمبر ١٩٣٨م عادت الصين تطلب من عصبة الأمم المساعدة ومع أن العصبة قررت تأييد الصين أدبياً واعتبرت اليابان معتدية إلا أنها رأت أن الوقت غير مناسب لعمل جماعى ، وكان لنتيجة طلب الصين أن المجلس دعا الأعضاء إلى تقديم المساعدة المنفردة .

وفى عام ١٩٣٨م المعروف بعام ميونيخ تميز الموقف الدولى للاتحاد السوفيتى بالاستعداد للتسلح للدفاع عن أراضيه مما يدل على إحساس السوفيت القوى بقدم حرب عالمية ثانية^(١) .

الاتحاد السوفيتى والحرب العالمية الثانية :

تأزمت الأمور فى أوروبا بين فريقين : الفريق الأول يتكون من ألمانيا وإيطاليا ، ثم انضمت إليهما اليابان فيما عرف بدول المحور أو دول الدكتاتوريات: دكتاتورية الحزب النازى فى ألمانيا ودكتاتورية الحزب الفاشى فى إيطاليا ، والدكتاتورية العسكرية فى اليابان ، والفريق الثانى يتألف من بريطانيا العظمى وفرنسا ، ثم انضم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية لهذا الفريق والذى عرف بالحلفاء .

اشتعلت الحرب العالمية الثانية، حيث شارك الاتحاد السوفيتى فى معاركها وتلقى الغزو والقتال من اليابان فى الشرق ومن ألمانيا فى الغرب، وعندما انتهت الحرب باستسلام كل من ألمانيا واليابان عام ١٩٤٥م للحلفاء كسب الاتحاد السوفيتى أرضاً جديدة فى آسيا وأوروبا، ولكنه دخل فيما عرف بالحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين فى أوروبا .

كانت آسيا ضمن مجالات الحرب الباردة بين المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي ، حيث دارت حروب محلية وظهرت أحزاب شيوعية هنا وهناك في أقطار آسيوية ، فإن نجاح الحزب الشيوعي الصيني في الاستيلاء ، على السلطة عام ١٩٤٩م بدعم من الاتحاد السوفيتي وطرده الحكم الموالي للولايات المتحدة بزعامة جنرال تشان كاي تشيك كان بداية للسياسة السوفيتية النشطة في آسيا .

وكانت الحرب في شبه الجزيرة الكورية بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٥٣م مظهراً آخر لنشاط السوفييت في آسيا ، حيث قامت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية (الشيوعية) في الجزء الشمالي من شبه الجزيرة الكورية شمال خط عرض ٣٨ درجة شمالاً ، بينما قامت الجمهورية الكورية في الشطر الجنوبي من شبه الجزيرة الكورية بحماية الولايات المتحدة الأمريكية .

كما كانت الحرب الفيتنامية مظهراً آخر لنشاط السوفيت ورفقائهم الصينيين الشيوعيين في الهند الصينية ، حيث نجح الشيوعيون في إقامة دولة فيتنام الديمقراطية الشعبية (الشيوعية) .

ونجح الاتحاد السوفيتي خلال فترة عدة سنوات السيطرة على أفغانستان من خلال حكم عميل ، إلا أن المجاهدين الأفغان بدعم أمريكي نجحوا في طرد السوفييت ، وكانت هذه بداية النهاية للاتحاد السوفيتي الذي انهار وتفكك لتظهر الجمهوريات المستقلة في وسط آسيا والقوقاز .

الفصل الثانى

أقطار القوقاز

مقدمة- أولاً : الغزو الروسى- ثانيا : جمهوريات القوقاز
المستقلة : ١- جمهورية أذربيجان ٢- جمهورية أرمينيا
٣- جمهورية جورجيا ٤- جمهوريات ذات حكم ذاتى ٥-
أقاليم ذات حكم ذاتى ٦- مقاطعات ذات حكم ذاتى.

مقدمة :

تقع منطقة القوقاز على سلسلة جبلية تمتد من بحر قزوين شرقا إلى البحر الأسود غربا ،
وهى الحد الفاصل بين الحضارتين الإسلامية والأوربية (اليهودية المسيحية) ، وهى من الناحية
الجيوپوليتكية تمتد لتشمل أحواض بحرى قزوين والأسود ، وتتداخل وتتكامل مع وسط آسيا
وشمال شرق البحر المتوسط (تركيا والبلقان) ، ومعظم سكان هذه البلاد مسلمون منذ الفتح
الإسلامى وقبل الغزو الروسى.

وتضم منطقة القوقاز جمهوريات وأقاليم خضعت لروسيا القيصرية ، ثم للاتحاد السوفيتى
حيث صارت من جمهوريات الاتحاد ، ثم صار منها ثلاث مستقلة؛ وما زال الباقى يسعى
للاستقلال ، وهذه الجمهوريات والأقاليم هى^(١) :

١- جمهورية أرمينيا : وتقع فى الجزء الجنوبى من القوقاز على حدود تركيا وإيران ، ويزيد
عدد سكانها عن المليونين ونسبة المسلمين فيهم حوالى ١٢٪ .

٢- جمهورية أذربيجان : وتقع إلى الجنوب الشرقى من القوقاز ، وبها مدينة باكو العاصمة
التي تنتج البترول وعدد سكانها حوالى أربعة ملايين ونصف ونسبة المسلمين فيهم
٧٨٪ وكانت أكثر من ذلك قبل دخول الروس إلى هذه المنطقة .

٣- جمهورية جورجيا : وتشغل السفوح الجنوبية الغربية لجمال القوقاز ، ويبلغ عدد سكان
جورجيا حوالى أربعة ملايين ونصف نسمة ونسبة المسلمين فيهم ١٩٪ ، ويعرفون باسم

١- محمود شاکر : قفقاس ، ص ٤٦ .

الكرج والعاصمة مدينة «تفليس» . وتضم أقساما إدارية هي «جورجيا» و«أبخازيا» و«آجاريا» .

وتوجد أيضا جمهوريات ذات حكم ذاتي وهي (١):

١- جمهورية «كبارديا بلكاريا» وكل سكانها مسلمون وهم من العناصر الشركسية .
٢- جمهورية «أوسيتيا الشمالية» وبعض السكان يعتنقون المسيحية والبعض الآخر مسلمون .

٣- جمهورية «شاشان أنغوشيا» وسكانها يدعون أنهم من أصل عربي ، ويبلغ عددهم ما يقارب المليون يتمسكون بالإسلام .

٤- جمهورية أبخازيا : وتقع شمال غربي جورجيا على ساحل البحر الأسود وعاصمتها مدينة «سوخوم» وبعض سكانها مسلمون والبعض الآخر مسيحيون خاصة الذين يقيمون على الساحل .

٥- جمهورية آجاريا : وتقع على ساحل البحر الأسود أيضا بين «جورجيا» و«تركيا» وعاصمتها مدينة «باطوم» وهي مدينة بترولية تصدر بترول «باكو» .

٦- جمهورية داغستان وتقع بين جبال القوقاز وبحر قزوين وعدد سكانها حوالي مليون ونصف وكلهم من المسلمين على اختلاف أجناسهم فيما عدا الروس الوافدين إلى البلاد والعاصمة مدينة «محج قلعة» التي تعرف اليوم باسم «ماخاتشكالا» .

٧- جمهورية ناخيشيفيان، وهي من الجمهوريات الواقعة إلى الجنوب من أرمينيا على الحدود الإيرانية ، ومن ثم فسكانها من أصل إيراني ويتمسكون بالإسلام .

وتوجد كذلك مقاطعات ذات حكم ذاتي وهي :

١- كراتشاي الشركسية : وهي مقاطعة ذات حكم ذاتي وتابعة لإقليم «ستافروبول» وسكانها من المغول وكلهم مسلمون .

٢- قره باخ الجبلية : وهي تقع في جمهورية أذربيجان في سفوح جبال أرمينيا .

٣- أوسيتيا الجنوبية : والأوستين اسم قبيلة شركسية تقطن القسم الأوسط من جبال القوقاز وتقع إلى الجنوب من جمهورية أوسيتيا الشمالية ، وهي تتبع جمهورية جورجيا .

٤- الأديغة : وتقع عند ساحل البحر الأسود الشرقي وأهم مدنها ميناء سوخي .
 وهذه التقسيمات للبلاد التي يسكنها مسلمون فيما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتي الذي له مخططاته التي تتفق مع نظرة الماركسية إلى الإسلام وإلى كل دين باعتباره مخدر الشعوب كما يقولون ، ومن ثم جاءت هذه التقسيمات لكي تحارب الوجود الإسلامي بين المسلمين وفي نفوسهم . ورغم وجود تشكيلات دينية ومفتي أعظم في تركستان مركزه طاشقند ، ورغم وجود مفتي أعظم لمسلمي القوقاز ، ومفتي لمسلمي القرم . كان المسلمون يجدون العنت في القيام بالشعائر الإسلامية^(١) .
 أولا : الغزو الروسي :

عندما تفككت امبراطورية التيموريين وخلفائهم الإسلامية ظهرت دولة روسيا المستقلة وعاصمتها موسكو عام ١٤٨٠م التي أخذت تنتقم من المسلمين في كل بقعة تتوسع فيها ، فعلى سبيل المثال فقد طرد الروس من مدينة «كازان» التي استولوا عليها عام ١٥٥٢م جميع أهلها المسلمين وذلك ليسحلوا مكانهم أبناء جلدتهم من الروس ، ولكن أثناء نزوح هؤلاء المسلمين انتشر الإسلام على أيديهم طوال الطريق التي سلكوها وبين جميع القبائل التي جاوروها^(٢) .

أخذ الروس يتوسعون على حساب الملوك والخانات المجاورين لهم وكانوا يضطهدون المسلمين في كل بلد يجدونهم فيها ، ففي عام ١٥٨٠م استولى الروس على مدينة «سبير»^(٣) عاصمة التتار ، وفي عام ١٧٢٢م استولى بطرس الأكبر قبصر روسيا على «الدريند»^(٤) وسائر سواحل بحر قزوين الغربية ، وفشل شاهات إيران في إزاحة الروس من هذه المناطق ، حتى انتهى الأمر عام ١٨١٣ بتنازل الإيرانيين عن كل ادعاء لهم في هذه المناطق^(٥) .

١- محمود شاکر : ترکستان ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .

٢- محمود شاکر : ترکستان ، ص ٣٨-٣٩ .

٣- أطلق الروس اسم سيبيريا على كل البلاد التي تقع إلى الشرق من جبل الأورال وهي مشتقة من اسم عاصمة التتار .

٤- الدریند منطقة تقع بالقرب من بحر قزوين في آسيا الوسطى .

٥- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

وكانت إيران قد وقعت عدة معاهدات مع روسيا لإنهاء الحرب التي دارت أثناء الغزو الروسى لمناطق تركستان والقوقاز أهمها معاهدة «كلستان» التي عقدت بعد حروب لا طائل من ورائها استمرت عشر سنوات من ١٨٠٣-١٨١٣م عقدت بواسطة الإنجليزية فى معسكر «كلستان» بمنطقة «قرباغ» والتي نصت على تطبيق اصطلاح القانون الدولى : الوضع الراهن StatusQuo بمعنى أن المناطق التي كانت تحت سيطرة حكومة إيران حتى ذلك التاريخ تبقى تابعة لروسيا . ونتيجة لمعاهدة كلستان عام ١٨١٣ م ضمت روسيا إليها نهائيا كرجستان (جورجيا) وشيروان وشكن وكنجة وقرباغ ومغان وقسما من طالش ودريند وبأكو^(١) . كما فقدت «نجوان» فى معاهدة تركمان جاى التي عقدت بين روسيا وإيران عام ١٨٢٨م و«نجوان» تعرف الآن باسم ريفان عاصمة أرمينيا .

ويتواكب وجود قبيلة الأتراك العثمانيين بزعامة أرطغرل فى آسيا الصغرى مع إسلام قبيلة «التون أورد» أى القبيلة الذهبية المغولية ، عندما أسلم خان هذه القبيلة وهو من أحفاد جوجى بن جنكيزخان ويدعى «بركة خان» الذى عقد علاقات ودية مع الظاهر بيبرس سلطان المماليك فى مصر والشام الذى تزوج ابنته لتوحيد أوأصر الصداقة بين الطرفين .

وفى حوالى عام ٦٨٠هـ / ١٢٨٠م أسلم شقيق أباقان بن هولكو من الأسرة الاخلائية وسمى نفسه أحمد ، وأسلم أتباعه باسلامه ، وتوالى إسلام المغول ، حتى استطاع الإيلخانيون إسقاط دولة سلاجقة الروم فى قونية عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م ، وأدخلوا شبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول) تحت نفوذهم وفرضوا الضرائب على الإمارات التركمانية هناك ومنها إمارة آل عثمان .

ومع نهاية حكم التيموريين - بعد وفاة تيمورلنك - عام ١٤٠٤م / ٨٠٧هـ وفتح القسطنطينية على يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م / ٨٥٧هـ لتصبح عاصمة لهم باسم «إسلام هول» أصبحت قبلة أتراك ممالك ما وراء النهر وخراسان والقوقاز وباعتبارها مركز الخلافة الإسلامية وسلطانها هو خليفة العالم الإسلامى السننى وحامى الحرمين الشريفين .

ولكن قيام الدولة الصفوية عام ١٥٠٠م / ٩٠٦هـ فى تبريز التي جعلت من نفسها حامية للمذهب الشيعى فى المنطقة التي تفصل شرقى الأناضول عن ممالك وسط آسيا ، قطع الطريق

الذى عبره الأتراك السلاجقة فى فتوحاتهم الأولى ، واجتازه تيمورلنك متوجها إلى أنقرة ، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر على علاقة ممالك ماوراء النهر وخراسان والقوقاز بالدولة العثمانية. ومنذ ظهور الدولة الصفوية لم تتوقف عن محاولات نشر المذهب الشيعى فى شرقى الأناضول وجنوب القوقاز غربا وفى خراسان وممالك ما وراء النهر شرقا ، الأمر الذى جعلها -الدولة الصفوية- تخوض حروبا متصلة فى الشرق مع خانات آسيا الوسطى وفى الغرب مع سلاطين الأتراك العثمانيين .

وفى الوقت الذى كانت فيه دولة القبيلة الذهبية- التون أوردا- الإسلامية فى شمال غرب آسيا تتجه نحو الإنهيار عام ١٤٨٠م كان أمير موسكو «إيفان الكبير» الذى حكم فى الفترة من ١٤٦٢-١٥٠٥م - يحاول بسط سيطرته على المناطق المجاورة له حيث ضم كافة الإمارات الإسلامية المستقلة التى كانت تحيط بإمارة موسكو ، ومنذ ذلك الوقت بدأت سياسة روسيا التوسع على حساب الممالك الإسلامية فى القوقاز ووسط آسيا ، مما أدخل دولة الأتراك العثمانيين فى الصراع ضد الاعتداءات الروسية على ممالك الأتراك فى وسط آسيا .

وكانت الدولة العثمانية قد نجحت فى أن تلعب دورا هاما فى المنطقة الشمالية بناء على طلب حاكم القرم «حاجى كراى خان» وتقيم علاقات مباشرة مع خانات القبجاق ، وفى عهد «منكلى كراى خان» ١٤٧٨-١٥١٤م توطن النفوذ العثمانى فى بلاد القرم وتوفير الحماية العثمانية لها ضد مملكة «التون أوردا» التى كانت تسعى لاستعادة القرم ، وإمارة موسكو التى كان لها أطماع فى أملاك «التون أوردا» وقد خرج خان القرم «إسلام كراى» على الدولة العثمانية وأعلن استقلاله عنها عام ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م .

وقد اتخذ الصراع بين العثمانيين والروس ميدانا له مملكة القرم ، حيث كان الروس ينتهزون فرص خروج بعض خانات القرم على نفوذ الدولة العثمانية لبسط نفوذهم على المناطق الشمالية، وخاصة القازان ١٥٥٢م و استراخان عام ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م، وبذلك فتحت أمام الروس أبواب آسيا ، وبدأوا يضعون الخطط للسيطرة على كل نواحى القوقاز حتى بحر الخزر (قزوين) شرقا . ورغم أن الدولة العثمانية استمالت إلى جانبها جماعات الجركس فى القوقاز، وجماعات كيجى نوغاي فى سهول القبجاق ، إلا أن الروس نجحوا فى استقطاب جماعات من القازان والجركس استخدموا فى الغزو الروسى لسواحل البحر الأسود .

ويمكن القول أن عصر قوة العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى ظهرت بعد امتلاك الدولة العثمانية لأقطار العراق والشام ومصر والحجاز ، ويعد أن أصبح السلطان

العثماني حامى الحرمين الشريفين وخليفة المسلمين ، وبعد أن قامت فى فارس دولة شيعية تحاول نشره شرقا وغربا على حساب العالم الإسلامى السننى الذى تتزعمه الدولة العثمانية ، وقد ساعد كل ذلك على التقارب بين الدولة العثمانية وبين خانات آسيا الوسطى والقوقاز والممالك السنية هناك التى كانت تتجه صوب إسلامبول فى مواجهة الخطر الصفوى الشيعى ، مثل خانات الأوزيك من الأسرة الشيبانية فى بخارى وسمرقند ، وفى الوقت نفسه كانت إسلام بول ترسل مساعدات عسكرية إلى خانات الأوزيك فيما وراء النهر .

وكانت روسيا أسبق الدول الأوروبية فى معاداة الدولة العثمانية ، وفى السيطرة على المناطق الإسلامية فى القوقاز وتركستان ، من ذلك أنها انتهزت فرصة اضطراب القيادتين العثمانية والقرمية المشتركة فى القرم وبدأت فى بسط سيطرتها على مملكة «التون أورد» فى استراخان ، ومنها إلى شبه جزيرة القرم مستغلة الخلافات داخل الأسرة الحاكمة فى القرم والخلاف بين بعض أفراد هذه الأسرة مع الدولة العثمانية ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية - كما ذكرنا- تعاني من اعتداءات الدول المجاورة مثل امبراطورية النمسا والمجر .

وفى الربع الأخير من القرن الثامن عشر نجحت روسيا بالتآمر وعن طريق معاهدة «كوجك قينارجة» عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م فى إرغام الدولة العثمانية على التنازل عن أراضى شاسعة أغلب سكانها من المسلمين السنة ، وكان أن دخل الجيش الروسى القرم عام ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م وبعد خمس سنوات (١٧٨٣م) اعتبرت القرم ولاية من الولايات الروسية ولاقى سكانها المسلمون الاضطهادات والعنت من الروس ، مما اضطر الكثيرين منهم إلى الهجرة إلى أراضى الدولة العثمانية .

ويسقوط القرم فى يد الروس أصبح الطريق مفتوحا أمام الروس لاحتلال القوقاز ، وكانوا قد أرسلوا حملة إلى هناك عام ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م، ومنذ ذلك الوقت أخذ الروس يوطدون علاقاتهم مع المجموعات النصرانية هناك كالآرمن والكرج فعقدوا تحالف معهم ضد الدولة العثمانية وضد فارس ، ثم سقط فى يد الروس الشاطىء الغربى لبحر الخزر (قزوین) وميناته فى «دريند» فى عام ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م ، ثم احتلوا مدينة «باكو» بعد عامين (١٧٢٤م) ، هذا فى الوقت الذى رحب فيه الشاه «طهما سب» شاه فارس باحتلال الروس لمدن «دريند» و «باكو» وتعهد بالتنازل لروسيا عن جيلان ومازندران واسترداد بشرط مساعدته فى البقاء على عرش إيران .

ونتيجة للضعف الذى أصاب الدولة العثمانية ، أواخر القرن الثامن عشر تنازلت لروسيا عن «قبارتاي» شمالي القوقاز بموجب معاهدة كوجك قينارجة المشار إليها ، وفشلت قوات الدولة فى مساندة كفاح مسلمى القوقاز ضد الغزو الروسى، الذى تمكن عام ١٧٩١م / ١٢٠٥هـ من احتلال «أنابا» ، ثم تمكن الروس من هزيمة القوات العثمانية فى شمال القوقاز خلال معارك حربية عام ١٨٢٨ - ١٨٢٩م / ١٢٤٤هـ ووسطوا نفوذهم على قسم كبير من القوقاز .

ونتيجة لحركة الشيخ شامل فى الشيشان والقوقاز ضد روسيا ونتيجة لحرب القرم الأوروبية عام ١٨٥٦م فشلت الدولة العثمانية فى المحافظة على ممتلكاتها فى القوقاز ، حيث انسحبت القوات العثمانية من المناطق التى استعادتها من روسيا أثناء حرب القرم ، كما اعتبرت روسيا جميع أراضى القوقاز - بعد القضاء على ثورة الشيخ شامل عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م مركز الروس العسكرى فى المنطقة للإنتلاق إلى ممالك آسيا الوسطى^(١).

وعندما حاولت الدولة العثمانية تقديم المساعدات للثورة الإسلامية التى كان يقودها الشيخ شامل فى القوقاز ، أعاق الإنجليز والفرنسيون وصول هذه المساعدات بالتفاهم مع الروس ، باعتبار أن هاتين الدولتين كان يهمهم انشغال روسيا بتوسعاتها فى القوقاز ووسط آسيا حتى لاتتجه بأطماعها إلى أوروبا أو الشرق العربى .

ونتيجة لهذه السياسة الاستعمارية استطاعت روسيا القيصرية الاستيلاء على بقية ممالك القوقاز ثم على خانات وسط آسيا الواحدة تلو الأخرى . فسقطت خانبة «خوقند» فى يد

١- كانت الدولة العثمانية قد استطاعت أن تمد حدودها الشرقية إلى سواحل بحر الخزر خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى / القرن العاشر الهجرى على أثر انهيار دولة «التون أوردا» ، حيث ضمت كل هذه المناطق بما فيها القوقاز ، إلا أن الدولة اضطرت فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى للتنازل عن قسم من هذه المناطق لإيران وبقية القوقاز الغربية فقط تخضع للحكم العثمانى ، حيث تشكلت فى المناطق العثمانية هناك ثلاث إمارات هى : آجيق باس ، ومينجرة لى - دادبانده ، وكوريل . وكانت هذه الإمارات الكورجية الثلاثة يشرف عليها والى «جيلدر» العثمانى ، وتدير شئونها الداخلية بصفة مستقلة . وكانت الدولة العثمانية قد أقامت على سواحل البحر الأسود الشرقية من ناحية القوقاز عدة قلاع لحماية من تعديت الروس .

د. سيد محمد السيد : لمحات من تاريخ العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية بحث من أبحاث مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز جامعة الأزهر .

الروس أخيراً فى عام ١٨٧٦م، وكل من «سمرقند» و«بخارى» و«طاشقند» و«خيو» ثم «عشق أباد» و«مرو» و«سرخس» الواحدة تلو الأخرى، فى الوقت الذى انشغلت فيه الدولة العثمانية بمواجهة مؤامرات المجتراء وفرنسا للاستيلاء على ممتلكاتها فى البلقان والأقطار الغربية فى شمال أفريقيا والمشرق العربى .

ونتيجة للسيطرة الروسية على القرم وممالك القوقاز وآسيا الوسطى والاضطهاد الذى لاقاه المسلمون فى تلك البلاد على يد الروس الذين فرضوا عليهم التنصير أو الإبادة، هاجر كثير من مسلمى تلك البلاد إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى فى الأناضول والرومىلى، حيث بدأت هجرة أهل القرم منذ ضمها ضمًا مباشرًا إلى روسيا عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م، وبلغ عدد المهاجرين من القرم فى الفترة من ١٨٥٦ و ١٨٦٤ م ٥٥٠ ألف مسلم، كما بدأت هجرة أهل القوقاز الجماعية عقب فشل حركة الشيخ شامل هروبا بدينهم من محاولات التنصير الروسية منذ عام ١٨٦٢م واستمرت حتى سنوات الحرب العالمية الأولى. وتبلغ جملة الهجرات الإسلامية من القرم والقوقاز وغيرها إلى الأراضى العثمانية حوالى ثلاثة ملايين مسلم، وفى المقابل هاجر من الدولة العثمانية إلى الأراضى الروسية حوالى ١٥٠ ألف من الأرمن و ٧٠ ألف من البلغار .

وعندما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م حاولت استمالة مسلمى القرم والقوقاز ووسط آسيا من باب فضح النظام القيصرى وتعرية سياسته لتبرير قيام البلشفيك بالثورة ضد القيصرية، فأعلن كل من لينين وستالين الإعلان التالى: «أيها المسلمون فى روسيا القيصرية، يا تثار سواحل الفولجا والقرم، يا قيرغيز وصغد سيبيريا وتركستان، أيها الترك والتتار فى نواحي القوقاز يا ججن القوقاز، أيها الداغستانيون، يامن هدمت مساجدهم ومنابره بيد ظلمة قياصرة الروس، يا من سحقتم أديانهم وعاداتهم نتوجه إليكم جميعا بالخطاب، إننا نعلن من الآن أن عقائدكم وعاداتكم وجميع مؤسساتكم القومية والمدنية حرة ومصونة من كل تعدى وتجاوز، قوموا وأقيموا حياتكم القومية بحرية وبدون أى اعتراض، ولكم حق فى ذلك، واعلموا أن حقوقكم وحقوق كل الأمم التى تعيش فى روسيا تحميها قوى الثورة البلشفية والسوفيت من ممثلى العمال والجنود والفلاحين الذين هم أعضاء فى هذه الثورة، فقدموا يد العون للثورة البلشفية وللحكومة البلشفية^(١).

١- المرجع السابق . د. د. محمود متولى: المسلمون والحكم الشيوعى السوفيتى دراسة تاريخية مؤتمّر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز . جامعة الأزهر .

ثانيا : جمهوريات القوقاز المستقلة :

كانت اتفاقية «منسك» - عاصمة بيلاروسيا - في ٨ ديسمبر ١٩٩١م البداية القانونية لتفكك الاتحاد السوفيتي القائم منذ عام ١٩٢٢م، حيث قررت الجمهوريات الثلاث الكبرى في الاتحاد السوفيتي وهي روسيا الاتحادية وبيلاروسيا (روسيا البيضاء) وأوكرانيا تشكيل رابطة بينها تحمل محل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، عرفت باسم «كومنولت الدول المستقلة». وقد أعلنت جمهوريات وسط آسيا الخمس وجمهوريات القوقاز الثلاث : أرمينيا ، أذربيجان ، جورجيا ، انضمامها للكومنولث الجديد شرطية حصولها على حقوق متساوية واعتبارهم دولا مؤسسة .

فكيف تمزق أو تفكك الاتحاد السوفيتي ؟ نستطيع تلخيص العوامل المستتولة عن هذا التفكك في الآتي:

١- تخلى الاتحاد السوفيتي منذ منتصف عام ١٩٦٠م عن فكرة الحرب المحتمية بين الماركسية والرأسمالية ، حتى حدث الانفراج بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي للحد من التسليح ، وفيما عرف بالوفاق الدولي.

٢- ضغط الولايات المتحدة الأمريكية على الاتحاد السوفيتي اقتصاديا في السبعينات من القرن العشرين فيما عرف بالهجوم المتواصل بعد طرد الخبراء السوفييت من مصر عام ١٩٧٢م، وتأييد الصومال ضد النظام الماركسي في أثيوبيا ، ومساعدة الأفغان لطرد السوفييت من أراضي أفغانستان ، وكل هذا تسبب في أزمات اقتصادية حادة للاتحاد السوفيتي .

٣- الاختلافات العرقية داخل جمهوريات الاتحاد السوفيتي، إلى جانب الاختلافات الدينية. وتطلع شعوب الجمهوريات إلى النموذج الأفغاني حيث نجح المجاهدون الإسلاميون في إرغام القوات السوفيتية على الخروج من أفغانستان ، وتطلع الشعوب الإسلامية إلى استعادة هويتها الإسلامية المعطلة في ظل الحكم الشيوعي .

وبالنسبة لجمهوريات القوقاز يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

أ- جمهورية أذربيجان (١):

دخل الإسلام إلى هذه البلاد في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وفي عهد الأمويين اتحدت أذربيجان مع كردستان في ولاية عربية إسلامية واحدة، وتدعمت سلطة المسلمين هناك وخاصة بعد اتخاذ مدينة تبريز مركزاً للولاية في عهد العباسيين، ومنها انطلقت الفتوحات الإسلامية في شمال القوقاز.

وحدود أذربيجان تبدأ من إيران في الناحية الشمالية الغربية، وسواحل بحر قزوين، وروسيا شمالاً، ومع كردستان ومع العراق جنوباً، وعاصمتها مدينة «باكو» التي تقع غرب سواحل بحر قزوين وأكثر أهلها من المسلمين سنة وشيعة، ومنهم ذوى أصول إيرانية، وتركية وتركمانية وأرمن ويهود.

ويبدأ التاريخ الحديث لأذربيجان في القرن السادس عشر الميلادي حينما دخلت تحت حكم الصفويين الشيعة في إيران الذين اتخذوا من مدينة تبريز عاصمة لهم، وقد شكل الأتراك الأذريون النواة الأساسية للجيش الصفوي، وقد وقعت أذربيجان بين كل من الدولة الصفوية الشيعية والدولة العثمانية السنية، وقد استولى العثمانيون عليها من عام ١٥١٤ حتى عام ١٦٦١م، وقد أدى الصراع العثماني الإيراني إلى تمكن الروس من الاستيلاء على نواحي القوقاز واستولوا على استراخان عام ١٥٥٦م فجاوروا بذلك أذربيجان.

وبانتهاء الصراع حول أذربيجان في منتصف القرن الثامن عشر أنشأ الأتراك الأذريون خانات: شيروان، شاكى، قراباغ، طاليس، قوبا، كنجة، باكو، في محاولة منهم أن يتجمعوا ويشكلون كياناتاً واحداً، وبدأوا يعيشون حياة شبه مستقلة تحت حكم أمراءهم المرتبطين بإيران (٢).

ومع بدايات القرن التاسع عشر بدأ الغزو الروسى لأذربيجان، الذى تمخض عن توقيع المعاهدة الإيرانية الروسية (توكمان جاى) عام ١٨٢٨م التى قررت ترك الإيرانيين الجزء الكبير

١- تذكر بعض المصادر أن اسم أذربيجان جاء نسبة إلى «أذرباز» من أحفاد نوح عليه السلام، أو نسبة إلى النار «أزار آتسن» التى كانت تعبد هناك قبل الإسلام، د. أحمد محمد الهوارى: أترك أذربيجان والاحتلال الروسى، من أبحاث مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر.

من أذربيجان لحكم الروس، ومن ثم توافد الروس للاقامة في أذربيجان ، ولكن الأذاريين قاوموا الاستغلال الروسى، وقاد المقاومة «حركة قاجن» فى أواخر القرن التاسع عشر ، فى الوقت الذى اتفقت فيه كل من إيران وروسيا على تقسيم أذربيجان بينهما، حتى إذا قامت الحرب العالمية الأولى وثورة أكتوبر ١٩١٧م انسحبت القوات الروسية من كل القوقاز ، وكان هذا سعادة للأذاريين.

ولكن الروس استعادوا سيطرتهم باسم الاشتراكية على كل أذربيجان وجعلوا عاصمة أذربيجان مدينة باكو رغم محاولة أذربيجان عام ١٩١٨م إعلان الاستقلال، وأقام الروس فى أذربيجان حكومة شيوعية ، وأعلنوا قيام أذربيجان السوفيتية الاشتراكية فى ٢٨ أبريل عام ١٩٢٠م، ولكن فى ١٢ مارس ١٩٢٢م منحوا أذربيجان العضوية فى جمهورية القوقاز الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية ، ودخلتا أيضا جمهوريتا أرمينيا (أرمنستان) و جورجيا (جورجستان) ^(١). حتى صارت كل من الجمهوريات الثلاث دولا مستقلة عام ١٩٣٨ م فى إطار الاتحاد السوفيتى.

وتبلغ مساحة أذربيجان ٨٦٦٠٠ كيلو مترا مربعا ، وعدد سكانها الحاليين حوالى ثمانية ملايين نسمة أكثر من ٨٠٪ منهم مسلمون أكثرهم شيعة ، إلى جانب أرمن وروس وإيرانيون ويهود يتركزون فى العاصمة باكو. وتشتهر أذربيجان بوجود البترول والغاز الطبيعى إلى جانب أخشاب الأشجار والقطن والتبغ والفواكه والخضروات والأغنام والخيول، بالإضافة إلى المعادن المتنوعة التى تستخدم فى الصناعات المتعددة.

ب- أرمينية :

تقع جمهورية أرمينية فى الجزء الجنوبى من القوقاز ولها حدود مشتركة مع كل من تركيا وإيران وأذربيجان و جورجيا ، وعاصمة أرمينية مدينة «بريقان» وعدد سكانها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة يمثل المسلمون فيهم حوالى ١٢٪ من عدد السكان، والمدلول الجغرافى لكلمة أرمينية يقصد به المنطقة الأكثر ارتفاعا فى غرب قارة آسيا، تحدها آسيا الصغرى من الغرب ، وهضبة أذربيجان من الشرق والجنوب الشرقى، وجبال القوقاز من الشمال، وبلاد حانيق ولازستان الواقعة على البحر الأسود من الشمال الغربى، وأرض الجزيرة بين نهري دجلة والفرات من الجنوب .

وأراضي جمهورية أرمينية جبلية في جملتها يفصلها نهر كورا في الشمال عن جبال القوقاز، ونهر راس يفصلها من ناحية الجنوب عن إيران وتركيا وأعلى جبال أرمينية جبل أارات وارتفاعه ٤٠٩٠ متر، وقد عرف عند الجغرافيين العرب باسم الحارث^(١).

والأرمن مقسمون حالياً بين ثلاث دول : قسم يتبع تركيا ، والقسم الثاني يتبع إيران، والقسم الثالث هو جمهورية أرمينية التي كانت عضوا بالاتحاد السوفيتي قبل الاستقلال وهذا يدل على تأثر أرمينية عبر تاريخها الحديث بسياسة كل من تركيا وروسيا بصفة خاصة نحو أرمينية .

وهناك خلاف بين أرمينيا وأذربيجان حول إقليم ناجورنو قره باخ ذي الأغلبية الأرمينية والواقع ضمن أراضي جمهورية أذربيجان ، حيث لجأت أرمينيا إلى غزو أراضي أذربيجان والسيطرة على إقليم ناجورنو قره باخ .

ج- جورجيا :

تقع جورجيا إلى الشرق من البحر الأسود ، وتشغل السفوح الجنوبية لجبال القوقاز ، وتشارك حدودها مع كل من روسيا الاتحادية وأرمينية ، وأذربيجان ، وبعض الجمهوريات ذات الحكم الذاتي مثل الشيشان والأنجوش والداغستان، وكان العرب يسمون تلك البلاد باسم « كرجستان » وأهلها باسم « الكرج » ، وعاصمتها مدينة « تفليس » وأقسامها الإدارية: جورجيا ، أبخازيا ، آجاريا ، أوسيتيا الجنوبية، وتشتهر بالحصلات الزراعية وأهمها الفاكهة والشاي إلى جانب المعادن والمراعي^(٢).

د- جمهوريات ذات حكم ذاتي في القوقاز :

من أهم هذه الجمهوريات والتي تسعى للانفصال عن روسيا الاتحادية كل من :

١- جمهورية شيشان - أنجوش :

تقع جمهورية الشيشان - الأنجوش في شمال غرب القوقاز إلى جوار جمهورية جورجيا ، وتمتص بأراضي جبلية وعرة شأنها شأن بقية أقطار القوقاز ، وعاصمة الجمهورية مدينة

١- عمر محمد الصادق : اقتصاديات الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى المحور الجغرافي مؤتمر

المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر .

٢- المرجع السابق .

جروزنى، وبلغ عدد سكان الجمهورية حوالى مليون ونصف المليون نسمة معظمهم مسلمون، وبأراضى الجمهورية ثروات اقتصادية هامة مثل البترول وأخشاب الأشجار والأراضى الزراعية، وقيام كثير من الصناعات الكيميائية والهندسية.

وعندما تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م تطلع الشيشان إلى إعلان بلادهم دولة مستقلة أسوة بكل من أذربيجان وأرمينية وجورجيا، وقاد «جوهر دوادييف» الذى صار رئيسا للجمهورية فى نوفمبر ١٩٩١م حركة الاستقلال، وقد عارضت روسيا هذا الاستقلال، ومن ثم بدأت حرب شرسة وقاسية بين قوات الحركة الاستقلالية الشيشانية وبين القوات الروسية مازالت مستمرة حتى الآن^(١).

٢- جمهورية بشكيريا (بشكورتوستان):

تقع الجمهورية فى منطقة جبال أورال ومساحتها حوالى ١٤٣٦٠٠ كم^٢، وعاصمتها مدينة «أوفا» وعدد سكانها حاليا حوالى خمسة ملايين نسمة منهم حوالى ٦٠٪ مسلمين، وهى غنية بالثروة البترولية وبالصناعات الكيميائية والهندسية والمحاصيل الزراعية.

وكانت بشكيريا قد خضعت لروسيا عام ١٥٥٧م، ثم تمتعت بالحكم الذاتى فى ٢٣ مارس عام ١٩١٩م، وعلى الرغم من إعلانها الاستقلال التام عن روسيا عام ١٩٩٠م، فان السلطة المركزية فى موسكو تسيطر على أمورها السياسية، رغم أن لها دستور خاص بها وتمتع بالاستقلالية فى قراراتها الاقتصادية، وتحاول أن تنفض عنها السيطرة الروسية^(٢).

٣- جمهورية تاتارستان:

تقع الجمهورية إلى الشرق من موسكو وعاصمتها مدينة «كازان» وعدد سكان الجمهورية حاليا حوالى خمسة ملايين نسمة غالبيتهم مسلمون إلى جانب جالية روسية كبيرة، ومساحة الجمهورية حوالى ٦٨ ألف كيلو متر مربع. ويتوفر بالجمهورية البترول والغاز بكميات كبيرة.

وكان الروس قد نفوا كثيرا من التتار إلى القرم وإلى سيبيريا وجبال الأورال وموسكو وسان بطرسبرج وغيرها عند احتلالهم للبلاد حتى يضعفوا من مقاومتها لهم، وكان ذلك عام ١٥٥٠م.

١- المرجع السابق.

٢- المرجع السابق.

والجمهورية تتمتع بحكم ذاتي داخل روسيا الاتحادية، وإن كان سكانها يتمنون استعادة هويتهم الإسلامية ، ويتطلعون إلى الاستقلال .

٤- جمهوريات داغستان ، شمال أوسيتيا ، كابردين البلكار، ناخيشيفان ، أبخازيا ، أجار، الداغستان تقع بين بحر قزوين وجمهورية الشيشان ، ومعظم سكانها مسلمون. أما أوسيتيا الشمالية فعدد سكانها حوالي المليون، تبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٣٪ وبها صناعات معدنية وتعدين وزراعة ، وكان بها حوالي ٥٠٪ من السكان أنجوش تم طردهم بمعرفة الرئيس السوفيتي ستالين عام ١٩٤٤ م فلجشوا إلى جمهورية الشيشان المجاورة . أما جمهورية كاباردين البلكار فيبلغ نسبة المسلمين فيها ٧٥٪ من جملة عدد السكان وأما جمهورية ناخيشيفان فتقع ضمن أراضي جمهورية أذربيجان وتقع على الحدود مع تركيا وإيران وعدد سكانها نصف مليون نسمة وتجاور إقليم ناجورنو قره باخ ذا الحكم الذاتي. وأما جمهوريتي أبخازيا وأجار فتقعان داخل أراضي جمهورية جورجيا ، ومعظم سكانها من المسلمين^(١).

هـ- أقاليم ذات حكم ذاتي: وتتمثل في:

١- إقليم الأديج ٢- إقليم كارشاي الشركسي.

٣- إقليم استراخان ٤- إقليم أورنبرج نسبة المسلمين فيها ٥٣٪ .

و- مقاطعات ذات حكم ذاتي :

١- إقليم أوسيتيا الجنوبية الواقع ضمن أرض جمهورية جورجيا.

٢- إقليم ناجورنو قره باخ ، ويقع في داخل أرض جمهورية أذربيجان ومساحته حوالي ٤٤٠٠ كم^٢ وعدد سكانها حوالي ٢٠٠ ألف نسمة ٧٠٪ منهم من الأرمن و٢٥٪ من الأذريين، ويتميز الإقليم بوفرة مياهه، وأراضيه الزراعية الخصبة ، والإقليم متنازع عليه بين أرمينيا المجاورة وبين أذربيجان منذ عام ١٩٩٠م، حيث احتلت أرمينيا الاقليم ومازالت المشكلة قائمة بين البلدين رغم تدخل هيئة الأمم المتحدة^(٢).

الباب الرابع

أقطار العالم التركي الإيرانية

- مقدمة .

الفصل الأول : تركيا

الفصل الثاني : إيران

الفصل الثالث : أقطار وسط آسيا.

مقدمة

يطلق اصطلاح العالم التركي الإيراني على سكان هضبة الأناضول والهضبة الإيرانية الممتدة حتى نهر سيحون (سرداريا) وچيخون بل وحتى غرب الصين ، نظرا لأن سكان تلك المناطق تربطهم بعضهم ببعض علاقات اجتماعية وثقافية إلى جانب العوامل الجغرافية والتاريخية ، فأترك الأناضول جاوا من بلاد ما وراء النهر أى من تركستان ومروا بالهضبة الإيرانية وتأثروا بأحوالها الاجتماعية والثقافية ، ومن ثم نجد كثيرا من مفردات اللغة التركية ذات أصول فارسية إلى جانب العادات والتقاليد المتشابهة بين سكان هضبة الأناضول والهضبة الإيرانية.

وسكان الهضبة الإيرانية أثروا فى أقطار وسط آسيا (تركستان) تأثيرات اجتماعية وثقافية ، ومنها التأثير الشيعى منذ أن اتخذت الدولة الصفوية فى إيران مذهب التشيع لعلى بن أبى طالب وبنيه مذهبا رسميا للدولة عام ١٥٠٠م، ومن ثم نجد أعدادا ليست بالقليلة فى أقطار تركستان قد اتخذوا من التشيع مذهبا دينيا لهم- ومن ثم نجدهم يتعاطفون مع قضايا الشعب الإيراني وحكامه ولعل هذا ما دعا إيران- بعد تفكك الاتحاد السوفيتى - من النظر إلى تلك الأقطار ومحاولة ترويع فكرة العالم الإيراني فى مواجهة مصطلح العالم التركى.

وفى محاولة لاستيضاح التاريخ الحديث بأحداثه فى تلك المنطقة من قارة آسيا، لابد لنا أن نعالج تاريخ الدولة العثمانية منذ كانت قبيلة تركية وفدت من وسط آسيا (تركستان) حتى أصبحت دولة كبرى (امبراطورية) ضمت كثيرا من البلاد الأوروبية والعربية.

وبالمثل نتناول تاريخ إيران (فارس) وخاصة فى العصر الحديث الذى يبدأ من قيام الدولة الصفوية الشيعية عام ١٥٠٠ على يد الشاه اسماعيل الصفوى حفيد الشيخ صفى الدين صاحب المذهب الصوفى الشيعى، وتطور الحكم فى إيران خلال القرون السادس عشر حتى القرن العشرين.

كما نتناول تاريخ (تركستان) بعد الأحداث التى مرت بها على يد جنكيز خان وأبناؤه وخاصة بعد الغزو الروسى لتلك الأقطار وما صحبه من سياسات لسحق الهوية الإسلامية، لشعوب تلك الأقطار، حتى تهيأ لها الاستقلال الكامل بعد تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م.

الفصل الأول

تركيا

أصل الأتراك - الدولة العثمانية - تركيا المعاصرة - دولة الأتراك العثمانيين فى خدمة الحضارة الإسلامية .

أصل الأتراك

يعود أصل الأتراك سكان تركيا- شبه جزيرة آسيا الصغرى- إلى السلاجقة الذين ينتمون إلى « الغز » الذين كان موطنهم يمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر الخزر (قزوين) وكانوا على اتصال مستمر ببلاد ما وراء النهر خاصة مناطق التركستان الشرقية .

ويرجع تاريخ الأتراك الذين سكنوا هضبة الأناضول إلى أوائل القرن السابع الهجرى الموافق لأوائل القرن الثالث عشر الميلادى عندما هاجرت مجموعة من أتراك وسط آسيا هربا من الفطائع التى ارتكبها جنكيزخان وأولاده ضد المسلمين هناك ، وهذه المجموعة سارت حتى وصلت إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى ، بزعامة « أرطغرل » الذى انضم إلى أحد فريقين من سكان الأناضول يتقاتلان ، وعندما انتصر الفريق الذى نصره أرطغرل ورجاله منحهم السلطان السلجوقى المنتصر- وكان سلطانا على قونيه - أرضا خصبة متسعة تقع على الضفة اليسرى لنهر سقاريا وسفوح جبال أرمنييا وهضابها على حدود الإمبراطورية البيزنطية ، ثم نصبه أميرا على مقاطعة «إسكى شهر» .

العثمانيون :

وترجع تسمية الإمارة التركية هذه باسم إمارة عثمان أو الإمارة العثمانية إلى عثمان بن أرطغرل الذى يرجع تاريخ ميلاده إلى عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، ومن الصدف أن يكون مولد عثمان فى نفس السنة التى غزا فيها المغول بقيادة هولاكو بغداد عاصمة الخلافة العباسية وفى عام ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م نجح عثمان فى صد هجوم المغول على آسيا الصغرى خاصة بعد أن هرب من وجههم آخر سلاطين السلاجقة حيث قتل فى بلاط امبراطور الدولة البيزنطية ؛ ومن ثم بسط عثمان سلطانه على الإمارات التركية الأخرى فى آسيا الصغرى، وضرب السكة باسمه

وجعل الدعاء فى الخطبة له واستمر فى التوسع على حساب الدولة البيزنطية حتى بلغ شواطئ البحر الأسود وبحر مرمرة ، وفتح له ابنه أورخان مدينة بروسة فاتخذها عاصمة له وتوفى بها عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٦ م .

وتوالى على حكم الدولة العثمانية سلاطين عظام لمدة قرنين ونصف تقريبا أمثال أورخان بن عثمان الذى أنشأ فرق الانكشارية للمساعدة فى محاربة جيوش الإمبراطورية البيزنطية ، والذى نزلت قوات دولته لأول مرة فى الأراضى الأوروبية واستولت على تراقيا ومات عام ٧٦١هـ / ١٣٥٩هـ .

ومراد الأول بن أورخان الذى دخلت قواته مدينة أدرنة- واستولت عليها من أيدى القوات البيزنطية وأصبحت هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية ابتداء من عام ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م ، إلى جانب الاستيلاء على مقدونيا وسالونيك ومدينة صوفيا حاضرة الصرب وبلغاريا كما استولى مراد الأول على كل الإمارات الباقية التى قامت على أنقاض الأتراك السلاجقة فى آسيا الصغرى ومنها أنقرة وقونية وقرمان وقرمه سى .

وعندما قتل مراد الأول غدرا على يد أمير صربى خلفه ابنه بايزيد الأول عام ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م ، الذى هزم تحالف الصليبيين من الألمان والفرنسيين والروس بقيادة ملك المجر سيجموند ، ذلك التحالف الذى تشكل بهدف طرد العثمانيين المسلمين ، كما أن تيمورلنك بدأ الإغارة على أطراف الدولة فى الأناضول واستولى على بعض بلادها حتى وفاة بايزيد الأول عام ١٤٠٣ م .

وبوفاة بايزيد الأول خلفه ابنه محمد الأول الذى قضى عشر سنوات يقضى على الفتن الداخلية سواء تلك التى حدثت بين أخوته للوصول إلى الحكم أو الدرأيش أذعياء التصوف حيث ارتقى الحكم فى عام ٨١٦هـ / ١٤١٣م وإن لقى بعض الهزائم فى بحر إيجه على يد أسطول البندقية أو أمام صلاية أهل المجر ، وقد توفى عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م .

وخلفه مراد الثانى الذى قضى مدة حكمه فى القضاء على ثورة القرمانيين بآسيا الصغرى ، وفى محاربة أمراء الصرب والبشناق والأفلاق والمجر بزعامة القائد المجرى الشهير «هونيات» تلك الحرب التى انتهت عام ١٤٤٨م بخضوع الصرب كلها للسلطان العثمانى ، كما حارب مراد الثانى الألبان بزعامة قائدهم اسكندر بك الذى ظل يقاتل العثمانيين فى عهد كل من مراد الثانى ومحمد الثانى .

وكان محمد الثانى المشهور باسم الفاتح قد خلف أبوه مراد الثانى الذى مات ودفن بأدرنة عام ١٤٥١م ، وقد انصرف إلى القضاء على فتنة القرمانيين بأسيا الصغرى التى لم تكن قد خمدت نهائيا فى عهد مراد الثانى، كما أنه عزم على فتح القسطنطينية ليتخلص من مؤامرات الإمبراطور البيزنطى، وقد استطاعت الجيوش العثمانية دخول المدينة من فتحة بالسور وتحولت كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد ، وأطلق عليها اسم «إسلام بول» أى مدينة الإسلام ورفع عليها العلم التركى ذو الهلال . كما نجح محمد الثانى فى إخضاع بلاد المورة وبلاد الصرب وألبانيا، كما سلمت له كل جزر الأرخبيل اليونانى واهتم بأعمال العمران والعلم والفن حتى توفى عام ١٤٨١م .

وبعد وفاة محمد الثانى خلفه ابنه بايزيد الثانى ، وكانت أهم الأحداث فى عهده تأزم العلاقات بينه وبين سلاطين المماليك فى مصر والشام بسبب التجاء «جم» أخ بايزيد الثانى إلى مصر ، وقيام الأسطول العثمانى بقيادة «كمال ريس» بنجدة مسلمى غرناطة الفارين بدينهم من ملاحقة الأسبان الكاثوليك المتعصبين والدخول فى حرب مع أساطيل البندقية وأسبانيا والبابوية .

وفى أوائل القرن السادس عشر الميلادى قفز سليم بن بايزيد إلى الحكم بعد أن خلع والده من عرش السلطنة العثمانية ، وكانت أهم أحداث عهده ما يلى:

١- تعقب معتنقى المذهب الشيعى فى أملاك الدولة الشرقية وقضى عليهم .

٢- تخلص من منافسيه على الحكم : إخوته وأمراء الأسرة .

٣- شن حرب ضد الشاه اسماعيل الصفوى شاه فارس الشيعى عام ١٥١٤م وهزيمة الأخير فى موقعة «جالديران» وهربه أمام تقدم سليم الأول إلى العاصمة الفارسية تبريز ، ثم العودة إلى استانبول .

٤- شن حرب ضد سلطنة المماليك بالاستيلاء على الشام عام ١٥١٦م ومقتل قانصوه القورى سلطان المماليك فى مرج دابق قرب حلب، ثم التقدم إلى مصر والاستيلاء عليها عام ١٥١٧م، وشنق السلطان طومان باى .

وبعد وفاة سليم الأول خلفه فى السلطنة ابنه سليمان عام ٩٢٦هـ ١٥٢٠م ، وقد شهدت الدولة فى عهده عدة أحداث أهمها الاستيلاء على جزيرة رودس وطرد محتليها فرسان القديس

يوحنا ، واقتحام مدينة بلغراد عاصمة الصرب والاستيلاء على مدينة فينا عاصمة النمسا بعد أن هزم النمساويين عام ١٥٢٩م، ولكنه فشل . إلى جانب تأييد عمليات الجهاد البحري الإسلامى ضد الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى الحوض الغربى للبحر المتوسط بقيادة بابا عروج وخير الدين باباروسا وسانن باشا وطرغود باشا وغيرهم ، بالإضافة إلى إرسال سفن حربية عثمانية لمساعدة مسلمى الهند ضد البرتغاليين . كما يرجع الفضل إلى سليمان فى وضع نظام حكم للدولة بتقسيمها إلى ولايات ، ومن ثم عرف بالقانونى أو المشرع .

وتوفى سليمان القانونى فى ٥ أغسطس عام ١٥٦٦ م أثناء معاركه مع المجرين فخلفه ابنه سليم الثانى الذى تم فى عهده الاستيلاء على جزيرة قبرص بعد هزيمة أساطيل أسبانيا والبندقية والبابوية ، وإن اتسم عهده بالضعف حتى ترك لليهود فرصة التحكم فى الأمور الاقتصادية .

وجاء بعد سليم الثانى ابنه مراد الثالث الذى رغم استمرار مظاهر ضعف الحكم فى عهده إلا أن الجيش العثمانى حقق انتصارات على الفرس بعد اختراق القوقاز والاستيلاء على تغليس ، مما اضطر الشاه عباس الكبير إلى التنازل للعثمانيين عن أذربيجان والكرج والكف عن مهاجمة الخلفاء الراشدين الثلاثة أبوبكر وعمر وعثمان فى بلاده .

وخلف مراد الثانى سلاطين ضعاف لم يسجل لهم التاريخ أحداثا مهمة مثل محمد الثالث ، وأحمد الأول ، وعثمان الثانى ، ومصطفى الأول .

ثم تولى الأمر السلطان مراد الرابع الذى قضى على ثورة لجنه الانكشارية واسترد بغداد من الفرس وقضى على ثورة الأمير فخر الدين المعنى الدرزى ببلبنان وتوفى عام ١٦٤٠م ، وبعده عاشت الدولة عصرا من الهزائم بسبب ضعف السلاطين أمثال إبراهيم ، ومحمد الرابع ، وسليمان الثانى ، ومصطفى الثانى . وقد هبأ الله لسلاطين آل عثمان الضعاف هؤلاء أسرة ألبانية عرف رجالها بالكفاية والحزم والذكاء هى أسرة كوبرلى «التي تولت زمام الأمور فى استانبول فى منصب الصدارة العظمى لمدة ٥٠ سنة من عام ١٦٤٠م إلى عام ١٦٩١م، وقد استطاع أفراد هذه الأسرة الحفاظ على كثير من مكاسب الدولة فى حروب متصلة مع فارس ومع الدول الأوربية .

ويظهر السلطان مصطفى الثالث عام ١١٧١هـ / ١٧٥٧م يستمر الصراع العثمانى مع روسيا وفارس وفيه خسر الأتراك العثمانيون كثيرا من ممتلكاتهم فى أوربا لصالح روسيا-

مثل القرم- وإقرار الامتيازات الأجنبية للروس فى الدولة العثمانية واستمر هذا الوضع فى عهد السلطان عبد الحميد الأول الذى حدث فى عهده عقد معاهدة « كجوك قينارجه » بين الدولة وروسيا بعد هزيمة العثمانيين ، وذلك عام ١٧٧٤ م .

وقد بدأ عصر الإصلاح فى الدولة العثمانية المعروفة باسم التنظيمات وبدأ الأخذ بهذه التنظيمات فى عهد السلطان سليم الثالث وفى عهد السلطان محمود الثانى الذى خلف سليم الثالث الذى قضى على ثورة الانكشارية ، واستقلت فى عهده كل من صربيا واليونان ، ورغب محمد على الاستقلال بمصر بعد تدمير الأسطولين المصرى والعثمانى فى حرب المورة عام ١٨٢٧ م ، وحدثت فى عهده ما عرفت باسم حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا .

وفى عهد السلطان عبد العزيز عام ١٨٦١م استقلت رومانيا عن الدولة وحصل إسماعيل باشا حاكم مصر على لقب خديوى وبعض الامتيازات التى ميزته عن بقية باشوات الدولة .

وعندما تولى الحكم السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٨٧٦م كلف وزيره مدحت باشا بإعداد دستور لحكم البلاد ولكنه مالبت أن عزل الوزير وألغى الدستور ، كما فقدت الدولة فى عهده أراضى كثيرة من البلقان والقوقاز ، وبدأ الغزو الاستعمارى لأملاك الدولة فاحتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١م بعد استيلائها على الجزائر عام ١٨٣٠م واحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢م ، وحتى حدثت ثورة حزب تركيا الفتاة عام ١٩٠٨ م وأرغموا السلطان عبد الحميد الثانى على إعادة الدستور ، ثم مالبت أن عزل عام ١٩٠٩ م .

تم اختيار السلطان محمد رشاد الخامس خلفا للسلطان عبد الحميد الثانى ، وفى عهده ثارت شعوب البلقان ضد الدولة من جديد حيث لحقت هزائم بالدولة لولا وقوف قادة تركيا الفتاة أمثال أنور باشا ومصطفى كمال ، كما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا حيث خرجت منهزمة لتفقد بقية ممتلكاتها فى المشرق العربى إلى جانب فقدها لولاية طرابلس الغرب بموجب معاهدة لوازن عام ١٩١٢ م .

وبعد الحرب العالمية الأولى تولى السلطان محمد وحيد الدين مقاليد الأمور فى الدولة العثمانية خلفا للسلطان محمد رشاد وفى عهده خاض قادة تركيا الفتاة النضال ضد غزاة بلادهم الفرنسىين والروس وإيطاليا ، وذلك بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٢٣ م ، حيث استطاعوا انتزاع أراضيهم واعتراف الجميع بذلك فى معاهدة لوازن عام ١٩٢٣ م حيث تم جلاء اليونان والحلفاء عن استانبول وتراقيا الشرقية ، وألغيت الامتيازات الأجنبية التى كان يتمتع بها

الأجانب . وفى مارس ١٩٢٤ م اتخذت الجمعية الوطنية التركية قرارا بإلغاء الخلافة وإخراج السلطان عبد المجيد خان آخر الخلفاء من البلاد، وقد أثار إلغاء الخلافة الإسلامية موجة من السخط والغضب فى البلاد الإسلامية ، كما ثار الأكراد بأراضى تركيا الشرقية ولكن قضى على ثورتهم .

ويذكر البعض أن الضعف حل بالدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر الميلادى عندما بدأ الغزو الأوروبى الاستعمارى لممتلكات الدولة فى أفريقيا وآسيا أى فى الوقت الذى أطلق فيه الكتاب الأوروبيون صفة «رجل أوروبا المريض» على الدولة العثمانية .

ويذكر البعض الآن أن الدولة العثمانية ظهر ضعفها واضحا فى القرن الثامن عشر الميلادى عندما بدأت تظهر حركات استقلالية فى ولايات الدولة فى البلقان وفى الأقطار العربية ، مثل حركة على بك الكبير فى مصر وحركة ظاهر العمر فى فلسطين وحكم الماليك فى العراق، وحكم الأسرة القرمانية فى ليبيا (ولاية طرابلس الغرب العثمانية) ، وحكم الأسرة الحسينية فى تونس وهكذا .

والواقع أن الضعف حل بالدولة العثمانية اعتبارا من النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى وخاصة بعد وفاة السلطان سليمان المشرع عام ٩٧٤هـ الموافق لعام ١٥٦٦م حيث بدأ عصر الضعف والتفكك والمنافسات الداخلية التى ساهمت فى ضعف الدولة العثمانية وتدهور الأوضاع فيها حتى أصبحت مستهدفة لأعدائها فى الداخل والخارج وأصبحت فى موقف الدفاع بعد أن كانت فى موقف الهجوم .

فقد تفتشت فى الإدارة مظاهر الفساد وعدم الانضباط ، وقادة الجيش العثماني يشتركون فى حياكة المؤامرات الداخلية وتنصيب سلطان وعزل آخر ، بعد أن كان الجيش هو الذى فتح أقطار أوروبية تحت راية الجهاد الإسلامى. وبعد أن كان العامل الدينى هو المحرك الأول للفتوحات العثمانية فى أوروبا لم يعد كما كان حيث أصبح رجال الدولة من سادة وضباط مهتمون بجمع المال والسعى إلى المناصب والملاذات ، وأصبح النفوذ السلطاني فى أيدي نساء القصر ، وزادت أطماع الدول الأجنبية فى أملاك الدولة^(١).

كما أن بعض السلاطين العثمانيين قاموا بقتل إخوانهم ومنافسيهم على العرش وازدياد سلطة القادة العسكريين ، والقضاء على محاولات الإصلاح التى حاول أن يقوم بها بعض

السلطين ، ففى عام ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م قتل السلطان وزيره الصدر الأعظم، وشهد عام ١٠٥٨هـ / ١٦٤٨م إعدام السلطان إبراهيم وتولية ابنه الصغير محمد الرابع . وخلال الثمانى سنوات التالية عانت الدولة من ترمد فرق الانكشارية والسباهية (١).

ونتيجة للأمور الداخلية السيئة فى الدولة العثمانية تمكن أهل مدينة البندقية الإيطالية من التحكم فى شواطئ البحر المتوسط . وحاصروا المضائق وساحل بحر إيجه وموانى شبه جزيرة المورة واستطاعوا هزيمة الأسطول العثمانى وأستولوا على بعض جزر الحوض الشرقى للبحر المتوسط مثل «كريت» و«تيندوس» و«ليمنوس» وهددوا خطوط الملاحة الموصلة بين موانى الدولة العثمانية وبين مصر (٢).

كما كان من نتيجة الضعف الذى حل بالدولة العثمانية فى النصف الثانى من القرن السادس عشر حدوث ثورة أمير ترسلفانيا «راكوزى» ضد السلطان العثمانى عام ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م . وثورة حسن أباطة فى سوريا والأناضول ضد السلطان العثمانى عام ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م، وإذا كانت الدولة قد استطاعت بفضل الله ثم بفضل الصدر الأعظم محمد كوبريللى القضاء على هذه الثورات وغيرها إلى حين ، فإن الأمور لم تستقر تماما للسلطنة العثمانية (٣).

ومع ذلك فلا يمكن إنكار الدور الحضارى للدولة العثمانية ، وكانت اللغة العربية سواء قبل الفتح العثمانى للبلاد العربية أو بعده هى لغة الثقافة والأدب عند العثمانيين كتبوا بها كل شئ من كتب الفقه أو الفتاوى أو الدين اصطلاحات العلوم العثمانية كانت كلها عربية ، كما كتبوا بها التراجم مثل الشقائق النعمانية لطاشكبرى زاده وكتبوا بها التاريخ مثل جامع الدول لمنجم باش أحمد دده ، وتاريخ : العيلم الزاخر فى علوم الأوائل والأواخر للعالم التركى جنابى، وكتبوا بها المقامات مثل مقامات عبيدى (٤).

١- د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج١ ص ٢١٠ .

٢- د. جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية فى العصور الحديثة ، ص ٤٣٨ .

٣- اسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٧٠ .

٤- د. محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، ص ٣١٢ .

تركيا المعاصرة

انهزمت الدولة العثمانية أمام اتحاد الشعوب البلقانية ، وفقدت طرابلس الغرب (ليبيا) قبيل قيام الحرب العالمية الأولى مباشرة . فكان من المنطقي والحالة هذه ، أن تبقى الدولة بعيدة عن تلك الحرب، تضمد جراحها ، وتعيد بناء قواتها ، وتحاول إيجاد الحلول لمشاكلها الداخلية . وقد تغلب جانب التعقل في أول الأمر ، فأعلنت الدولة عند بداية الحرب بأنها ستلزم جانب الحياد ، وتقف بمنأى عن هذا الصراع الدولي الرهيب .

ولكن سرعان ما تغير موقف الدولة العثمانية بعد شهرين من بدء الحرب وذلك لعدة عوامل ، منها التقارب بينها وبين الألمان منذ أواخر القرن التاسع عشر، وعدم وجود أطماع للألمان في ممتلكات الدولة العثمانية ، فألمانيا هي الدولة الكبرى الوحيدة التي لم تأخذ شيئا من ممتلكاتها .

هذا بالإضافة إلى تأثير البعثة العسكرية الألمانية ، التي تشرف على تدريب وتنظيم الجيش العثماني وعلى كبار رجال الحرب من المسئولين في الدولة ، مثل أنور باشا .

كانت الدولة العثمانية تحتفظ بالضباط الألمان ، وسفنتين حريتين ألمانيتين في أسطولها البحري . وحدث في ذلك الوقت أن انقضت السفينتان الألمانيتان على الأسطول الروسي في مياه البحر الأسود ، فتورطت الدولة العثمانية في هذا الأمر . واستغل أنصار الحرب هذا الحادث وطالبوا بدخول الدولة الحرب إلى جانب صديقتها ألمانيا ضد عدوتها التقليدية روسيا .

ومهما يكن من شيء فقد وجدت الدولة العثمانية نفسها مدفوعة لخوض حرب عالمية لم تكن على استعداد لها، ولم تعد نفسها أي إعداد لمثل تلك الحرب الطويلة خصوصا وأن الدولة العثمانية كانت محاطة بالأعداء من كل جانب، فلها جبهة مع روسيا في القوقاز ، ومع إنجلترا وفرنسا في مصر وقناة السويس ، وفي العراق على الخليج العربي . هذا بالإضافة إلى تهديد أساطيل الحلفاء لشواطئها المتراصة ، مع ضعفها وعجزها في الناحية البحرية .

ولقد منيت الدولة بهزائم متكررة في ميدان القوقاز ضد روسيا ، وفي العراق ثم لم تلبث الدولة أن واجهت خطرا جديدا لم يكن في الحسبان ، ألا وهو انضمام العرب إلى جانب إنجلترا في الحرب، فواجهت الدولة ثورة عارمة في الحجاز والشام، وخرجت قواتهم مع القوات الإنجليزية تحت قيادة آللنبي ، وقضت على القوات العثمانية في الشام بعد فشلها في مهاجمة الانجليز في قناة السويس .

وإزاء تلك الهزائم المتعددة لم تجد الدولة مناصا من إنهاء الحرب، وقبول هدنة جزيرة مدروس Mudros في سنة ١٩١٨ .

كانت ممتلكات الدولة العثمانية قد قسمت بين الحلفاء وأوار الحرب ما زالت مستمرة ، ففي سنة ١٩١٥ وقعت اتفاقية سرية في لندن بين إنجلترا وفرنسا وروسيا ، تعترف فيها بأن تكون منطقة المضائق وما يحيط بها من أراض من نصيب روسيا بعد نهاية الحرب، وذلك ترغيبا لها على مواصلة القتال إلى جانب الحلفاء .

وفي مايو سنة ١٩١٦ عقد الحلفاء معاهدة سرية ثانية ، وهي التي عرفت باسم معاهدة سايكس بيكو . أخذت روسيا بمقتضاها معظم بلاد أرمينيا ، وفرنسا سوريا ولبنان ، وإنجلترا العراق وفلسطين توضع تحت إشراف دولي .

وعندما دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب الحلفاء منحوها ميناء أزمير وجزءا كبيرا من ساحل الأناضول الغربي، علاوة على مجموعة جزر الدوديكانيز . ثم أكملت بريطانيا هذه السلسلة من اتفاقيات التقسيم باصدار وعد بلفور لليهود في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

ومن حسن حظ الدولة العثمانية ، أن قامت الثورة البلشفية في روسيا في مارس سنة ١٩١٧ ، وأعلن القائمون على أمرها بأن العهد الجديد في روسيا قد نفذ يده من كل المعاهدات العدوانية التي عقدتها روسيا القيصرية مع غيرها من الدول الأجنبية وأن هذا العهد إنما يريد أن يقيم علاقاته مع سائر الدول على أساس المساواة والتعاون المثمر بين الشعوب ، واستنكار اغتصاب الدول الكبرى لأراضي الدول الصغرى .

تنازلت إذن روسيا عن نصيبها في ممتلكات الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة لندن السرية في سنة ١٩١٥ . وانفردت إنجلترا وفرنسا بالتقسيم .

وفي معاهدة سيفر أغسطس سنة ١٩٢٠ مزقت أوصال الدولة العثمانية أيما تمزيق ، فقد وضعت منطقة المضائق بما فيها العاصمة الأستانة تحت إشراف لجنة دولية . أما إيطاليا فقد حصلت على نصيبها في الغنيمة بالاستيلاء على جزر الدوديكانيز وأصاليا واحتلت اليونان تراقيا وجزر الأرخبيل وميناء أزمير مدة ٥ سنوات . كما منحت أرمينيا وكردستان الاستقلال، وحصلت فرنسا على منطقة كيليكيا . وتألقت لجنة دولية للإشراف المالي على البلاد . أما عن الولايات العربية ، فقد استقلت الحجاز ونجد واليمن، وانفصلت الولايات العربية الباقية عن الدولة العثمانية وبذلك نجحت الدول الأوروبية أخيرا في تحقيق الحلم الذي راودها سنين طويلة في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية .

استاء المناضلون الأتراك لاستسلام السلطان العثماني لشروط الحلفاء ، وقرروا القيام بحركة مقاومة لتحرير البلاد من قوات الاحتلال. انبعثت حركة المقاومة من قلب الهضبة (هضبة آسيا الصغرى) تحت زعامة مصطفى كمال ، الذي أخذ على عاتقه توحيد صفوف المناضلين والساحطين على ما وصلت إليه الدولة من العزلة والاستكانة . فأخذ ينادى بالقومية التركية ، وبالتفاف الأتراك حول رايته ثم دعا إلى عقد مجلس فى مدينة أنقرة ، سُمى بالمجلس القومى فى سنة ١٩١٩ ، أقر «الميثاق القومى» الذى نص على بذل الجهود لتأمين سلامة الدولة وطرده المعتدين .

وعندما علم السلطان العثماني محمد السادس بنياً هذه الحركة ، أعلن معارضتها ومنافاتها لتعاليم الدين الإسلامى. والحقيقة أن السلطان العثماني لم يشأ أن يدخل فى صراع جديد مع الدول الأوروبية ، فى الوقت الذى تحتل فيه كل منها جزءاً من أرض بلاده هذا بالإضافة إلى اعتقاده بعدم جدوى الحركة وفشلها فى نهاية الأمر ولهذا لم يحاول مقاومة حركة مصطفى كمال الداعية لإقامة الجمهورية التركية .

واصلت قوات حكومة الجمهورية تقدمها نحو منطقة الدردنيل التى كانت خاضعة لإشراف دولى بموجب معاهدة سيفر ، وكانت ترابط فيها حامية فرنسية وإنجليزية . ولما كانت فرنسا لا ترغب فى الحرب مع الأتراك ، وقد سلمت لهم من قبل منطقة كيليكيا ، فقد آثرت عدم الاحتكاك بهم . ووجدت إنجلترا نفسها فى مركز دقيق بعد تخلى فرنسا ونظراً لرفض دول الدومنيون الدخول فى حرب ضد الأتراك ، رضخت إنجلترا للأمر الواقع ، فاحتلت قوات مصطفى كمال استانبول وفر السلطان هارباً .

استتب لحكومة الجمهورية التركية الأمر فى الأناضول نتيجة عزوف كل من فرنسا وإيطاليا فى الحرب ، لاعتقادها بأن نتيجتها ستكون لصالح إنجلترا وحدها ، ولهذا أثمرتا التسليم بالأمر الواقع ، وحل النزاع بالطرق السلمية .

وفى معاهدة ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣ توقع حكومة الجمهورية التركية معاهدة لوزان مع الدول الكبرى لتحل محل معاهدة سيفر السابقة ، وبمقتضاها أصبح للجمهورية الجديدة السيادة الكاملة على شبه جزيرة الأناضول بعد طرد الفرنسيين من كيليكيا والإيطاليين من أضاليا واليونانيين من أزمير ، واستعادة سيادتها على استانبول كما استردت تراقيا الشرقية بما فى ذلك مدينة أدرنة . وكذلك جزيرتى امبروس Imbros وتينيدوس Tenedos اللتين

تحميان مدخل منطقة المضائق ليتيسر للحكومة التركية تأمين سلامتها. أما البنود الأخرى من معاهدة سيفر ، وهى الخاصة بوضع البلاد العربية ويجزر بحر إيجه ، فلم يتناولها أى تعديل .

ومما تجب الإشارة إليه أثناء عقد مؤتمر لوزان أن تدعى دول الحلفاء روسيا التى لم تكن بينها وبين هذه الدول فى ذلك الوقت أية علاقات سياسية أو اقتصادية لإبداء رأيها فى مشكلة المضائق . فحضر ممثلها المؤتمر وكان من أقوى المدافعين عن مصالح تركيا ضد الحلفاء .

وفى خلال المؤتمر نادى انجلترا بنظرية جديدة تغاير تلك التى سخرت جهودها من أجل تحقيقها طوال القرن التاسع عشر . فانجلترا التى نادى بحق السلطان العثمانى فى إغلاق المضائق أمام جميع السفن الحربية ، لتمنع بذلك الأسطول الروسى من النزول إلى مياه البحر المتوسط وتهديد مصالحها فيه جاءت إلى المؤتمر لتنادى بعكس ذلك، ولتطلب بقوة إقرار مبدأ حرية الملاحة فى البحار والمضائق ، وتحرم تحصينها أو تسليحها لتظل منطقة محايدة حرة .

لم يكن هذا فى صالح تركيا بأى حال من الأحوال ، كما أنه - فى نفس الوقت- يهدد روسيا تهديدا خطيرا . فمنع تركيا من تحصينها يعرضها لهجوم أعدائها فى نقطة حساسة وهامة من أراضيها ، وخصوصا من قبل انجلترا وحليفاتها. ويسهل فى نفس الوقت لهذه القوات المعادية من الوصول إلى البحر الأسود وضرب روسيا .

ورغم معارضة المندوب الروسى لهذا المبدأ ، إلا أنه لم ينجح فى زحزحة انجلترا عنه. كما أن تركيا لم تشأ التشبث بهذا الطلب بعد أن حققت الكثير من أهدافها ولكنها استطاعت - مع موافقتها على حيدة المضائق - أن تحصل على موافقة أعضاء المؤتمر على حقها فى تحصين استانبول واتخاذها قاعدة بحرية تتولى الدفاع عنها قوة عسكرية قوامها ١٢,٠٠٠ جندى .

وقد ساعد موقف المندوب الروسى من تركيا على استمرار العلاقة الودية بين الدولتين ، فى وقت كانت دول الغرب تقاطع روسيا مقاطعة تامة خوفا من خطر الثورة الشيوعية .

كذلك مما يجب التنويه عنه أثناء انعقاد المؤتمر ، موقف تركيا من البلاد العربية، التى انتزعت منها، فلم يطالبوا بها، بل لم يهتموا بمصيرها أو مصير العالم الإسلامى. لقد كانت فى نفوس الأتراك مرارة من موقف العرب من دولتهم خلال الحرب العالمية الأولى، وما دروا هؤلاء أن هذا الموقف من صنع أيديهم ، فالعرب لم ينضموا إلى جانب خصومهم إلا بعد أ

يتسوا كلية من الوصول إلى تفاهم مع الأتراك يحقق مصلحة الطرفين . وظلت الدولة العثمانية تتمسك بحق سيادة الأتراك على غيرهم من العناصر حتى فى ظل الحكم النيابى .

على أى حال ، صمم المستولون الأتراك على أن ينفذوا أيديهم كلية من مشاكل العرب وأن يتخلصوا من عبء الخلافة الإسلامية التى لم يكن لها من أثر سوى عداء الدول الغربية لهم . أى أنهم قرروا انتهاج سياسة جديدة لاتعتمد على السياسة التقليدية الرجعية التى سار عليها السلاطين من قبل . ولهذا أداروا ظهورهم لسياسة الجامعة الإسلامية ، وأخذوا يفكرون فى تقرير مصير الخلافة العثمانية الإسلامية .

لم يكن هذا بالأمر الهين على العالم الإسلامى ، الذى كان يسوده القلق على مصير السلطنة العثمانية والخلافة بعد الحرب العالمية الأولى . ولم يكن المسلمون يتصورون أن يكتب لعالمهم البقاء إذا دالت دولة العثمانيين أو قضى على الخلافة . وخصوصا مسلمو الهند الذين كانوا يخشون على الخلافة من انتصار الحلفاء .

وإذا كانت السلطنة العثمانية والخلافة قد لجت من عبث الحلفاء ، فإنها لم تنج من يد الكماليين (أنصار مصطفى كمال) . فيما أنهم أصبحوا أصحاب السيادة الحقيقية فى البلاد ، فلم يعد إذن لبقاء السلطنة أى مبرر فالغيت فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، واختيار مصطفى كمال قائد الجيش ، وزعيم حركة التحرير أول رئيس للجمهورية .

وفى ٣ مارس سنة ١٩٢٤ ألغى المجلس الوطنى الكبير الخلافة ، فهى لم تعد تمثل قوة حقيقية ، كما أن بقاءها على هذا النحو لم يعد ملائما للنظام الجمهورى ، بل بات وجودها مصدر متاعب للحكومة الجديدة لاقبل لها بها .

وإذا كان الكماليون ألغوا الخلافة عام ١٩٢٤م ، فقد سبق ذلك التاريخ عدة خطوات أدت إلى إلغاء الخلافة كانت على النحو الآتى :

أولا : نزع السلطنة عن الخلافة وتحويل الخليفة إلى مجرد رمز لايمثل سلطة وليس له أدنى تأثير رسمى أو روحى .

ثانيا : الفصل بين السلطنة والخلافة ، حيث ألغى مصطفى كمال السلطنة العثمانية عام ١٩٢٢م وخلع السلطان محمد وحيد الدين ونفيه .

ثالثا : المناذاة بابن أخى السلطان وحيد الدين ، وهو عبد المجيد خليفة للمسلمين ولكنه خليفة مجرد من كل سلطان ونفوذ حيث ألغيت جميع مظاهر الأبهة التى تمتع بها الخلفاء ، وتخفيض راتبه إلى الحد الأدنى .

رابعا : فى ٣ مارس ١٩٢٤ م تقدم مصطفى كمال أتاتورك إلى الجمعية العمومية بمرسوم يقضى بإلغاء الخلافة وطرد الخليفة وفصل الدين عن الدولة ، ومن ثم خلع الخليفة عبد المجيد إذانا بنقل السلطة من آل عثمان إلى مصطفى كمال أتاتورك (١).

ويجب أن نشير إلى دور يهود الدوغة (٢) فى إسقاط الخلافة الإسلامية فى تركيا المعاصرة لأن الذين قاموا بمؤامرة بيع الخلافة الإسلامية فى عواصم أوروبا هم جماعة الاتحاد والترقى ، وقد ظهر ذلك واضحا فى مؤتمر الصلح الذى انعقد بمدينة لوزان السويسرية ، وقد مثل تركيا فيه كل من الحاخام «ناحوم» اليهودى المعروف باسم «قره صو» رئيس الوفد ، وهو نفسه الذى قدم للسلطان عبد الحميد الثانى قرار عزله وبشاركه العضوية كل من «رضا نور» وعصمت أيونو» ويعترف رضا نور فى كتابه (حياتى وذكرياتى) بأنه هو الذى أعلن علمانية تركيا فى مؤتمر الصلح بقوله : لقد أصبحت تركيا علمانية ، ولقد انفصل الدين عن الدولة وإذا تم الصلح فإننا سنقوم بوضع القوانين المدنية (٣).

ولقد قام نزاع بين تركيا والمجلترا بشأن منطقة الموصل التى احتلتها الأخيرة منذ عام ١٩١٨ ، وذلك لأن تركيا قد وافقت فى معاهدة لوزان على التنازل عن الولايات العربية ، فى مقابل احتفاظها بالعناصر غير العربية المسلمة فى منطقة الموصل ويقصد بالذات العناصر الكردية التى منحت بمقتضى معاهدة سيفر التى لم يقدر لها النفاذ ، حق الاستقلال عن الدولة العثمانية .

رفضت المجلترا أن تجلو عنها بعد أن ضمتها لحدود دولة العراق ، وعرض هذا النزاع على مجلس عصبة الأمم للنظر فيه . فكلفت العصبة لجنة دولية لبحث الموضوع وتقديم توصياتها

١- د. محمد محمد زغروت : دور يهود الدوغة فى إسقاط الخلافة العثمانية . القاهرة ، ص ١١٧ .

٢- دوغة كلمة تركية مركبة من جزئين : «دو» بمعنى اثنين ، و«وغة» بمعنى نوع ومعنى الكلمة كلها الفرقة القائمة على نوعين من الأصول : النوع اليهودى ، والنوع الإسلامى ، وقد أطلقها الأتراك على اليهود الذين هاجروا من أسبانيا إلى تركيا بعد اضطهادهم وطردهم على أيدى محاكم التفتيش الأسبانية . المرجع السابق ، ص ٩ .

٣- نفس المرجع ، ص ١١٦ .

بخصوصه . وبناء على توصيات اللجنة قررت العصابة ضم الموصل إلى العراق . وكان لخذلان تركيا أثر سئ على نفوس الأتراك ، فأشاحوا بوجوههم عن دول الغرب .

وقد صادف فشل الأتراك على يد الدول الأوروبية هوى فى نفوس الروس الذين أسرعوا إلى مد يد الصداقة إلى تركيا وعقدوا معها محالفة جديدة فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ تنص على أن يلتزم كل منهما جانب الحياد المشوب بالعطف إذا هاجم أحدهما دولة أو عدة دول أجنبية . على أن يقبل الطرفان تسوية مشكلاتهما بطريق المفاوضات .

وبناء على تلك المعاهدة اطمأنت تركيا على مستقبلها ، وأخذت تتفرغ بكليتها إلى تنفيذ برامجها الاصلاحية ، وجعل مبدأ « تركيا للأتراك » حقيقة واقعة .

سياسة كمال أتاتورك الداخلية :

فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٢٤ فرغ المجلس الوطنى الكبير من وضع دستور الدولة الجمهورية الديمقراطية الذى نص على الحرية الفردية وحرية الرأى والعقيدة والصحافة والغاء الفوارق بين الطبقات ، والتسامح الدينى .

والمجلس الوطنى الكبير له سلطات تشريعية وتنفيذية ، ومدة العضوية فيه أربع سنوات ، وله حق انتخاب رئيس الجمهورية ووضعت السلطة التنفيذية فى يد رئيس الجمهورية والوزارة ، وهى مسئولة أمام البرلمان . ولقد حاول الدستور الجديد أن يبنى تركيا على أساس فكرة القومية التركية ، ونبذ سياسة التوسع والفتح ، لما جرت على الدولة من خسارة فادحة .

أنشأ الكماليون حزب الشعب رمزا لحركتهم فى سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، وألقى على كاهله إعادة بناء تركيا الحديثة . وحاول هذا الحزب الجديد الاستفادة من أخطاء حزب الاتحاد والترقى القديم ، كما أنه أنتج سياسة جديدة تتمشى مع طبيعة التطور الحديث . فلم تحبذ فكرة الجامعة الإسلامية التى جرت على الدولة العثمانية من المشاكل أكثر مما أفادتها . كذلك لم يرحب الحزب بالمضى فى حركة الجامعة الطورانية حتى لا يشير غضب روسيا التى كانت تحكم إقليم تركستان ، وكانت الحركة تدعو إلى ضمه إلى الوطن الأم تركيا .

لقد نادى حزب الشعب بمبادئ ستة ، عمل على تحقيقها بكل الوسائل وهى :

أولا : العمل على قيام جمهورية قومية على أساس المواطنة لا على أساس الجنس أو الدين .

ثانيا : المساواة أمام القانون .

ثالثا : إشراف الدولة على الاقتصاد القومى .

رابعا : استبعاد العنصر الدينى .

خامسا : القضاء على الفوارق الاجتماعية .

سادسا : الثورة .

كان الهدف من تلك الاصلاحات جعل تركيا دولة غربية حديثة فى كل مظاهر حياتها السياسية، والاجتماعية والثقافية . وذلك عن طريق الاقتباس من النظم الغربية ، والاهتمام بالشئون المالية والاقتصادية وأمور التصنيع .

كان من أهم العوامل التى ساعدت على تثبيت دعائم حكم الكماليين نجاحهم فى تحرير بلادهم من الاحتلال الأجنبى، وخصوصا الاحتلال اليونانى الذى كانت تسانده إنجلترا . ولم تحاول الدول الأوروبية بعد انتهاء تلك الحرب أن تتدخل فى شئون تركيا نظرا لانقسامها على نفسها فيما يتعلق بشئون الشرق الأدنى .

مبدأ تركيا للأتراك :

كان مبدأ تركيا للأتراك من أهم المبادئ التى سعى مصطفى كمال إلى تحقيقها وجعلها حقيقة ملموسة ، لامجرد شعارات تقال وتردها الجماهير فالدولة العثمانية لم تلق احترام الدول الأوروبية عندما تطرق إليها الضعف والانحلال وعندما أصبح السلطان العثمانى ألعوبة فى أيدى تلك الدول. فالدولة العثمانية كانت آخر امبراطوريات الشرق الأدنى التى كانت تحكم شعوبا متعددة الأجناس واللغات ، لم تحقق لهم الوحدة القومية التى ينشدونها والتى تعتبر عنصرا هاما من عناصر الدولة الحديثة .

كان لابد إذن لهذه الإمبراطورية أن تسقط إذا أرادت أن تصبح دولة قومية بمعنى الكلمة تضم العناصر التركىة فحسب ، بعد أن تتخلص من العناصر غير التركىة . وهذا ما حدث بالفعل فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

قامت الإمبراطورية العثمانية على أساس محاربة النزعات القومية حربا لاهوادة فيها . ولكن ما أن بدأ القرن التاسع عشر إلا وأخذت دول البلقان تنسلخ عن الدولة الواحدة تلو الأخرى، واضطر الأتراك الذين كانوا يقيمون فى تلك البلاد أن يغادروها إلى موطنهم الأصلي.

وإذا كانت بعض أجزاء الدولة العثمانية لاتعرف وحدة فى الجنس ، فإن شبه جزيرة الأناضول بما تضمه من غالبية تركية كانت تصلح لأن تكون نواة الدولة القومية الحديثة . ولكننا لاننسى فى نفس الوقت أن شبه الجزيرة كان يضم عناصر أخرى غير تركية مثل اليونانيين والأرمن والأكراد ، وهؤلاء جعلوا تحقيق مبدأ « تركيا للأتراك » تواجهه صعوبات خطيرة ، لاسيما وأن كلا من اليونانيين والأرمن كانوا يرغبون فى إقامة وطن قومى لهم فى الأناضول ، وكانت هذه الرغبة تلقى تأييداً من بعض دول أوروبا ، وخاصة بعد سنة ١٩١٨ .

وإذا رجعنا إلى الورا بضع قرون نجد أن شبه جزيرة الأناضول قد تنازعتها أجناس متعددة ومختلفة منذ الغزو التركى لها . هذا الغزو الذى صبغها بالصبغة التركية لغة ودينا . وبما لاشك فيه أنه رغم فتح تلك البلاد بحد السيف ، فلم يقض الأتراك على سكانها الأصليين أو يرغموهم على اعتناق الإسلام . ولم يكن من الضرورى أن تقترن اللغة التركية بالإسلام ، فكثيرون من اليونانيين والأرمن قد تركوا لغتهم الأصلية وتكلموا التركية بحكم الإقامة فى هذا المحيط التركى ولكنهم ظلوا على ديانتهم الأصلية وهى المسيحية . وإذا نظرنا إلى سكان جزيرة كريت نجد أنه رغم إسلامهم فهم لايتكلمون - فى وقت من الأوقات - غير اللغة اليونانية . أما مسلمو البوسنة فكانوا يتكلمون التركية فقط . وفى شبه جزيرة الأناضول - باستثناء الأكراد - كان جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم يتكلمون اللغة التركية . ومن هذا نرى أن شبه جزيرة الأناضول كانت أصلح الأمكنة لقيام دولة قومية جديدة .

ومنذ حصل اليونانيون على استقلالهم زاد شعورهم بالقومية وبدأوا يطالبون بقيام دولة يونانية تشمل اليونانيين داخل شبه جزيرة البلقان السفلى ، واليونانيين المقيمين خارجها فى الأناضول ، على أن تكون استانبول عاصمة الدولة المقترحة .

كانت هذه المشروعات تهدد كيان الدولة العثمانية تهديداً خطيراً ، ولهذا فثورات اليونانيين كانت الدولة تنظر إليها على أنها عمل عدائى من أعداء أجانب بينما كانت تنظر إلى حركات الأرمن الوطنيين على أنها ترمد على سياسة الدولة . وهذا ما دفع الدولة فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى طرد عدد كبير من الأرمن من قلب الأناضول ، فى نفس الوقت الذى أبقت فيه على اليونانيين وكانت مقاومة الأرمن بالذات للغة والعادات والتقاليد التركية مبرراً لفرضها بالقوة من قبل الدولة ، وترتب على ذلك ما سسمى فى التاريخ « بمذابح الأرمن » . وإن كان الكثيرون من الكتاب قد هاجموا الأتراك لارتكابهم هذ

العمل، ولكن مما لاشك فيه أن الأرمن كانوا يعملون على تحطيم الدولة العثمانية والقضاء عليها .

كانت القومية التركية آخر القوميات العثمانية ظهورا بين شعوب الإمبراطورية العثمانية، وهذا راجع إلى أن الطبقة العثمانية الراقية كانت تأنف من أن يطلقوا على أنفسهم لفظ «الترك» لأن هذا اللفظ يطلق على الفلاحين البسطاء من أهالي الأناضول ولم تكن الطبقة الأرستقراطية العثمانية ترضى بأن تكون فى مستوى واحد مع هؤلاء الفلاحين .

وعندما أخذت الحركة القومية التركية فى الظهور فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، اضطرت الطبقة الأرستقراطية الحاكمة أن تنزل إلى مستوى الفلاحين ، وأن يصبح هؤلاء فخورين ومؤمنين بقوميتهم التركية .

ومنذ بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر ظهر عدد من المثقفين العثمانيين الذين أخذوا يرددون فى أقوالهم وكتاباتهم اعتزازهم بتركيتهم ، ولكن مما يؤسف له أن هذه الفئة لم يكن لها نفوذ سياسى ، كما أنهم لم يكونوا يمثلون ميول غالبية العثمانيين الأتراك . ولم تلبث الدعوة إلى التركية أن اتسع نطاقها ، واتسع مدلولها فتطورات إلى حركة الجامعة الطورانية التى نادى باعتبار كل من يتكلمون التركية شعب واحد مهما اختلفت أوطانهم .

ولكن هذه الفكرة القومية لم تنتشر كثيرا بين الأتراك العثمانيين ، ذلك لتمسك هؤلاء بالتقاليد الإسلامية وهى عالمية لاتعترف بالقوميات . أما الدافع الرئيسى لنشأة الحركة القومية التركية هو شعور القلة المثقفة من الأتراك العثمانيين بأن القومية التركية هى الرباط الوحيد الذى يستطيع لم شمل الأجزاء المفككة وتعمل على تقوية الدولة فى مواجهة الخطر الأوروبى . وكان هدف الحركة القومية إقامة حكومة دستورية تحقيقا للعدالة بين الأجناس المختلفة فى الدولة .

ولم تستطع الحركة القومية التركية أن تجد طريقها إلى الظهور فى يسر وسهولة بعد انقلاب سنة ١٩٠٨ لوجود اتجاهات عملت الحكومة الجديدة على السير فيها فى وقت واحد مع تعارضها مع بعضها البعض . فقد حاولوا الدعوة إلى حركة الجامعة الطورانية ، وحركة الجامعة الإسلامية مع اختلاف كل منهما فى الهدف والغاية . ولهذا يمكننا القول بأن جيل ثورة سنة ١٩٠٨ لم يكن يفهم القومية التركية بمدلولها الحقيقى .

وقد حارب السلطان عبد الحميد الحركة القومية التركية ، كما حارب الحركات القومية الأخرى، ثم اضطر بعد فترة من الزمن أن يؤيد حركة الجامعة التركية ورغم محاولته منع تسرب الأفكار الغربية إلى بلاده ، فإن محاولته لم تنجح لدخول النظم الغربية فى الجيش العثماني، هذه النظم التى خلقت طبقة من العسكريين الشبان المتشبعين بالثقافة الغربية والمتحمسين لها. ومن هؤلاء كمال أتاتورك وعصمت إينونو وعدد من قادة الفكر والرأى فى الدولة . وقد عاصر كمال أتاتورك بالذات - وهو لم يزل ضابطا صغيرا - اتصال بلاده بالغرب فى عهد السلطان عبد الحميد ، ووجدت الآراء والأفكار الغربية طريقها إلى نفسه ، فانفعل بها .

وتعتبر هزيمة الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى، هزيمة للثقافة والمثل العليا لهذه الدولة . وقد أسهم مصطفى كمال فى بناء المثل التى نادى بها أعضاء تركيا الفتاة ، ولكنه لم يسهم فى النشاط السياسى للحزب ، فلم يتلوث كما تلوث زملاؤه الذين انغمسوا فى الأساليب الحزبية ومناوراتها ووسائلها . كما أنه لم يكن أقل من زملائه كفاءة من الناحية العسكرية . هذا بالإضافة إلى قوة شخصيته وعمق ثقافته ، وإمامه التام بظروف بلاده وبمشكلاتها .

ثار مصطفى كمال ثورته المشهورة ونجح فى تخليص بلاده من الاحتلال الأجنبي، وتحقيق مبدأ تركيا للأتراك . ومن أجل تحقيق الوحدة القومية، استبعد كل العناصر غير المسلمة من بلاده . وبذلك أصبحت تركيا خالصة للأتراك المسلمين ، فيما عدا قلة من الأكراد المسلمين ، وأقلية أخرى غير مسلمة تخلفت عن الخروج . ويمكننا القول بأن ٩٨٪ من سكان تركيا يدينون بالإسلام ، ٩٠٪ منهم يتكلمون اللغة التركية ، وأن شبه جزيرة الأناضول قد باتت تضم قوما موحدين ديناً ولغة .

ولما كان مبدأ تركيا للأتراك قد خلق دولة موحدة ، إلا أنها لم تكن وحدة كاملة ، نظراً للفوارق الواسعة التى كانت تفصل بين القلة العثمانية المتعلمة، التى تعتبر نفسها طبقة أرستقراطية حاكمة ، وبين الأغلبية الساحقة من الفلاحين الجهلة المتأخرين من سكان الأناضول المسلمين . وهذه الظاهرة جعلت بعض المفكرين لا يعتبرون تركيا دولة حديثة موحدة، رغم كل ما لها من مقومات . فلايكفى أن تصبح تركيا للأتراك بل لا بد من العمل على خلق شعب تركى جديد ، متحد المشارب ، قادر على منح تركيا الجديدة الحياة . وكانت هذه المشكلة بالذات هى التى شغلت كل تفكير مصطفى كمال طوال فترة حكمه .

وما من شك فى أن مصطفى كمال نجح فى خلق جيل جديد من الأتراك ، جعلوا تركيا تعيش فى القرن العشرين ، ولكن هذا النجاح لم يرق إلى مرتبة النجاح الذى أحرزه فى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك . فخلق جيل جديد كانت مسألة على جانب كبير من الصعوبة ومن التعقيد، وتحتاج فى نفس الوقت إلى وقت طويل ، كى تصبح حقيقة واقعة ملموسة .

ومن هنا أخذ خصوم مصطفى كمال يوجهون إلى جهوده فى خلق جيل جديد مصبوغ بالصبغة الغربية نقدا شديدا ، ويتهمونه بالقصور ، وبأنه لم يفعل شيئا سوى تغيير بعض المظاهر السطحية للشعب التركى ، بينما ظلت الخصائص الجوهرية للتفكير والحياة دون أن تمس أو أن يتناولها أى تغيير أو تطوير . ويدللون على صدق أقوالهم بأنه عند موت مصطفى كمال سنة ١٩٣٨ كانت أغلبية الفلاحين مازالت تعيش فى نفس المستوى القديم، رغم كل ما بذل من جهود . ويرى أنصار مصطفى كمال للرد على هؤلاء أن جهود مصطفى كمال نجحت فى أن تخلق طبقة عثمانية راقية تفهم الحياة الغربية ، وبأن فلاحى الأناضول يسبرون فى نفس الطريق ، وإن كان بشئ غير قليل من البطء .

وإذا نظرنا إلى دعوى الفريقين نظرة محايدة منصفة واضعين فى اعتبارنا ظروف البيئة التركىة ، وخصائص المجتمع التركى ، نجد أن محاولة مصطفى كمال فرض الثقافة الغربية والروح القومية فى وقت واحد ، على كل أفراد الشعب التركى من القمة إلى القاعدة ، قد نجحت فى أن تحول طبقة المثقفين إلى الحياة الجديدة. وقد لعب التعليم دورا إيجابيا فى هذا التحويل . كما أن سرعة انتشار التعليم أدت إلى زيادة عدد المثقفين، وبالتالي إلى نقص عدد الجهلة الذين يتمسكون بالقديم .

وفى نفس الوقت لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن الظروف الجديدة قد أتاحت لطبقة الفلاحين فرصة جديدة وإمكانيات واسعة لم تكن متاحة لهم قبل ذلك . ولكن بالرغم من ذلك ظل الفارق كبيرا بين هذه الطبقة وغيرها من الطبقات الأخرى. ولايعنى ذلك أن طبقات المجتمع التركى لاترتبط برابطة قومية واحدة . فجميع هؤلاء يدنون بالاخلاص والولاء لوطنهم وقوميتهم ولكن بدرجات متفاوتة . فالفلاحون أكثر إخلاصا لإقليمهم من إخلاصهم للوطن جميعه . والقومية التركىة اليقظة لاتتوافر إلا لدى المسلمين من الطبقة المثقفة .

وبناء على ذلك يمكننا القول بأن دعوى الطرفين مغالى فيها وأن الأمر الوسيط ، هو الحكم الصحيح القائم على عدم التحيز لأحد الطرفين . فمصطفى كمال لم ينجح كل النجاح فى

تحويل المجتمع تحويلا جذريا إلى الحياة الغربية ، كما أن جهوده كانت بعيدة كل البعد عن الفشل .

لقد بذل كمال أتاتورك جهودا جبارة واستخدم كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة فى سبيل تغيير الحياة التى ألفها الأتراك تغييرا كاملا . فلم يكن هؤلاء الأتراك يتصورون فى يوم من الأيام أن تعزل الأسرة العثمانية الحاكمة وأن يفصل بين الدين والدولة كنظام حكم، وأن تطفى الخلافة الإسلامية ، وأن يباعد بين الشعب وبين مظاهر الحياة الإسلامية ، لتحل محلها المظاهر الغربية .

وفى سبيل تنفيذ تلك النظم الغربية ربط مصطفى كمال بينها وبين القومية التركية ، فمن لا يؤمن بهذه النظم يعد خارجا عن القومية ، غير مؤمن بها . وأحل القومية محل الدين الإسلامى فى كل مظاهر الحياة . وترتب على ذلك حل جميع الهيئات الدينية بحجة أنها مراكز رجعية ، لا تتفق مع روح ومقتضيات الحياة فى العصر الحديث .

وبهذا لا يصحح الدين الإسلامى أساس الحياة فى عصر مصطفى كمال ، كما كان الشأن فى عهد سلاطين آل عثمان . وانحصر الدين الإسلامى فى نطاق ضيق محدود لا يعدو أن يكون عقيدة شخصية لدى الطبقة المثقفة ولكنه مازال لدى الفلاحين عقيدة راسخة الجذور ، وإن كان قد تطرق إليه الضعف نتيجة لسياسة الحكومة اللادينية .

وترتب على إهمال الدين الإسلامى والعمل على إضعافه إلى خلق جيل جديد لا يهتم بالقيم الأخلاقية العليا التى كان يربعاها الإسلام ، بصورة لفتت أنظار المفكرين الحديثين إلى خطورة هذه المظاهر على الدولة، وأوضحوا بأن علاج هذه الحالة ، يتطلب الرجوع إلى إحياء الروح الإسلامية فى نفوس الناس ، على ألا يمتد أثره إلى شئون الدولة . والواقع أن الدين قد فقد تأثيره على نفوس الطبقة الراقية بصفة خاصة ، وأن وجوده يستند على أنه الركن الثانى بعد اللغة فى كيان القومية التركية.

أما الأقلية غير المسلمة فليس لوجودها أى أثر فى حاضر الدولة أو مستقبلها ، ورغم أن القانون لا يفرق بينهم وبين المسلمين فى المعاملة ، إلا أن واقع الأمر شئ آخر . فلأزال هؤلاء يتعرضون لأنواع من المضايقات لا يمكن القضاء عليها إلا باتخاذ أحد حلين لاثالث لهما: فإما الهجرة ومغادرة البلاد، وهذا الأمر غير مطلق ، بل مقيد بشروط منها عدم السماح له بنقل كل ثروته . وإما الاندماج الكامل فى الجماعة التركية لغة ودينا .

وهناك أقلية مسلمة، هي الأقلية الكردية ، ويبلغ عددهم $\frac{1}{3}$ من مجموع السكان وهؤلاء يشتغلون بالرعى ويقطنون الجبال ، وهم شديداً المراس ولا يتكلمون التركية وهذا الحاجز اللغوي جعلهم لا يندمجون مع الأتراك، ولو أنهم لا يشعرون بأن لهم قومية تختلف عن القومية التركية. ورغم ما يشيره هؤلاء من متاعب للدولة ، فلم تحاول الحكومة التخلص منهم، وإنما اتبعت حيالهم سياسة بناءة ، الهدف منها تحطيم الحواجز التي تفصلهم عن المجتمع الذي يعيشون فيه، وإدماجهم مع الأتراك في وحدة واحدة . ومن هذه الخطوات التي اتخذتها الحكومة في هذا السبيل القضاء على النظام القبلي للأكراد والتخلص من رؤساء القبائل وتشجيع الشباب الكردي على الالتحاق بالجيش على قدم المساواة مع إخوانهم من الأتراك . وقد أتاحت لهم هذه الفرصة تعلم اللغة التركية وإجادتها . وبذلك زال الحاجز الذي كان يفصلهم عن الأتراك المسلمين ولم يعد هناك حائل بينهم وبين الاندماج الكلي وإن كان الأكراد الآن يمثلون شوكة في جنب الحكومة التركية .

استهدف مصطفى كمال من الحركة القومية التركية على أساس المبالغة في الناحية التاريخية من فكرة الجامعة الطورانية . وتركز حول دعائمين الأولى نظرية القومية التاريخية، والثانية نظرية لغة الشمس . ومضمون هاتين النظريتين أن الأتراك أصل التاريخ ، وأصل النوع البشري، وأنهم مبعث كل حضارات العالم . بهذا التعصب الأعمى لفكرة العنصرية ربط كمال أتاتورك بين ماضي الأتراك في أواسط آسيا وحاضرهم ، وأثار في نفوسهم العزة والثقة. وصيغ التعليم في الدولة بهاتين النظريتين .

ولاشك في أن مصطفى كمال قد نجح نجاحاً كبيراً في فرض القومية على تركيا الحديثة، وفي توجيه أنظار مواطنيه نحو أوروبا ، وقد وجد في هذا الأمر معارضة شديدة من قبل الشعب، بذل كل طاقته في تذليلها والتغلب عليها . وسر نجاحه يرجع إلى أنه لم يكشف عن خطته كاملة منذ أول الأمر ، وإلا وجد معارضة من أقرب الناس إليه . وقد استطاع إقامة جمهورية أساسها العلم والثقافة بسرعة كبيرة .

ويمكننا أن ندرك مدى نجاح هذه التجربة بمقدار ما حققه من أهداف فمن ناحية التعليم وفقت إلى حد بعيد في اكتساب الثقافة الغربية ، ومن ناحية إرساء قواعد الحياة النيابية في البلاد ، فهذا أمر لاشك فيه وناحية التركيز على النزعة القومية ، فلجادل في أن القومية قد تغلغت في الطبقات العليا من الشعب وبدأت تمد جذورها إلى الطبقات الدنيا بنسب متفاوتة.

وخلاصة القول فإن تركيا الحديثة قد اتخذت القومية التركية قوة دافعة لبناء الدولة من جديد واستغلتها إلى أبعد الحدود .

دور الأتراك العثمانيون فى خدمة الحضارة الإسلامية :

تعرضت الدولة العثمانية لهجوم من البعض، واتهموها بأنها سبب تخلف الأقطار العربية ، وسبب ضعفها حتى استطاعت الدول الأوروبية السيطرة على الأقطار العربية دون أن تستطيع المقاومة، ومن هنا كان لا بد أن نسجل دور الدولة العثمانية فى خدمة الحضارة الإسلامية.

ورث الأتراك العثمانيون منطقة آسيا الصغرى التى عاش فيها أجدادهم (سلاجقة الروم) والذين كان لهم الفضل فى إرساء مجموعة من النظم الحضارية فى شتى جوانب الحضارة وكان على الأتراك العثمانيين الذين ترامت أطراف دولتهم لتشمل ثلاث قارات عالمية (آسيا وأوروبا وأفريقيا)^(١). أن يكملوا هذا الدور الحضارى خاصة وأنهم قد ورثوا بحكم توسعهم فى ربوع هذه القارات مجموعة كبيرة من حضارات هذه الدولة مثل الحضارة المملوكية فى مصر والشام والعراق وفى غيرها من البلدان الأخرى^(٢).

فمثلا بالنسبة لنظم الحكم استمر السلطان هو القوة المؤثرة الأولى سياسياً وعسكرياً ، وفى البداية تبع الأمراء العثمانيون سلاطين قونية من السلاجقة^(٣).

وما لبث أن استقل سلاطين بنى عثمان بدولتهم ففسروا السكة وخُطب لهم على منابر بلادهم وكان هذا النظام امتداداً لنظم الحكم فى دولة سلاجقة الروم.

ولقد حافظ الأتراك العثمانيون على بعض التقاليد العربية فقد تلقبوا بالسلاطين بعد موافقة الخليفة العباسى فى القاهرة بصفة رسمية وهذا دليل على ولائهم للخلافة واستمر هذا اللقب متداولاً حتى أواخر عصر الدولة.

وكان الوزير الذى يساعد السلطان فى أعماله الذى أطلق عليه العثمانيون الصدر الأعظم، هو استمرار لهذا المنصب منذ أن بدأت الحضارة الإسلامية ، كما عرف العثمانيون نظام ولاية

١- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج١، ص٢٠ . وأبى السرور البكرى : نضرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان . تحقيق د/ يوسف الثقفى، مكة المكرمة ، مطابع الصفا ، ص٢٠ .

٢- ربيع حامد خليفة : أثر الفن والعمارة العثمانية على مصر والبلاد العربية. عين شمس، بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى الأدب والتاريخ التركى المصرى، دار الفكر العربى ١٩٨٩، ص١٧٧ .

٣- على حسون : الدولة العثمانية، بيروت ، المكتب الإسلامى ط٣ ، ١٩٨٣ ، ص٣٢٩ .

العهد فولوا عهدهم لأولادهم^(١). كما عرف العثمانيون الأوائل نظام الديوان الذي تحول إلى ما يشبه المجلس الوزاري وكان السلطان فى البداية يرأس جلسات هذا الديوان^(٢).

ولقد ساهمت الدولة العثمانية مساهمة كبيرة فى تكامل الحضارة الإسلامية لأنها دولة دينية قامت على أساس دينى فقد كان للهيئة الإسلامية فيها وضع معترف به، ومركز مرموق وكان يطلق على رئيسها المفتى أو شيخ الإسلام وكان هذا المفتى يُصدر فتوى تُجيز الحرب التى تخوضها الدولة دفاعاً أو هجوماً إلى جانب عقد الصلح ، وكانت الدولة تقوم بنشر التعبئة الروحية بين أفراد قواتها وإثارة عاطفتهم الدينية قبل خوض المعارك^(٣).

وكان هذا امتداداً للدعوة الإسلامية منذ بدأت ، ولم يقتصر دورهم على هذا فقط ، بل أنشأ العديد من سلاطين هذه الدولة الكثير من المساجد الكبرى التى غدت رمزاً مجسداً للفن المعماري العثماني .

ولم يقتصر دورهم على هذا فقط بل قاموا ببناء المساجد فى البلدان الأخرى وليست العاصمة فقط، حيث كان سلاطين بنى عثمان يعهدون إلى ولاتهم بإصلاح وتجديد المساجد وعلى رأسها الجامع الأزهر بالقاهرة^(٤).

كما حافظت الدولة العثمانية على التقاليد الإسلامية، فلم تكن تسمح لأحد بانتهاك حرمة شهر رمضان، ولذلك لم يكن يجرز أحد مهما كان مركزه سواء أكان مسلماً أو غير مسلم على أن يأكل أو يشرب فى ميدان عام أثناء النهار، فقد كانوا يوقعون عليه عقوبة التجريس^(٥).

كما توالى قوافلهم الرسمية لأداء الحج بحيث اعتبرت الدولة هذا العمل واجباً يقع على عاتقها ، كما أنشأت الآبار على طول الطرق إلى الحجاز وأقامت حصون لحراستها ، وكانت

١- على حسون: المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

٢- على حسون : المرجع نفسه، ص ٣٣١ .

٣- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية. مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤ .

٤- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية . ج ١، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ص ٢٩٥-٢٩٨ .

٥- كان التجريس عقوبة مقررة ومعترف بها، فكانوا يحلقون نصف لحية المذنب ونصف شاربه ثم يضعونه على ظهر حمار ووجهه متجه إلى ذيل الحمار ويممون هذا الشخص بأمعاء ذهبية ويضعون على كتفه جلدها، ويظفون على هذه الصورة المنكرة الشوارع والطرق ورجال أشداء يصفعونه ويضربونه بالنعال، عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٧ .

تتحرك كل سنة أربعة قوافل حج رئيسية من كافة أنحاء الدولة فى مواعيد محددة ووفق نظام مرتب وفى رفقة قوة عسكرية^(١). يقودها أحد كبار العسكريين يسمى أمير الحج . ولقد شجع سلاطين الدولة العثمانية ظاهرة التصوف التى كانت قد انتشرت فى العالم الإسلامى كله قبل ظهورهم^(٢).

والى جانب الطرق الصوفية وجد فى الدولة نظام الفتوة الذى كان الطابع الإسلامى للفروسية العربية ، وكان هذا النظام موجوداً فى الأناضول قبل قيام الدولة العثمانية وأخذ مظهراً جديداً على يد الأتراك العثمانيين ، وعُرف باسم الأجلة الفتيان الذين كانوا مثلاً فريداً فى الشهامة والكرم وقضاء الحوائج^(٣).

ولم يكتف سلاطين الدولة العثمانية بذلك بل اختاروا اسماً إسلامياً للقسطنطينية هو أسلامبول، وهى كلمة تركية معناها دار الإسلام، ولا يخفى المغزى الدينى لهذا الاسم الإسلامى الذى أطلقه السلطان محمد الفاتح فى ٢٩ مايو ١٤٥٣م على عاصمة دينية وسياسية ظلت قروناً طويلة عاصمة ومقرراً للكنيسة الشرقية الأرثوذكسية^(٤).

كما اهتموا اهتماماً كبيراً ببلاد الحجاز حتى حملوا لقبين دينيين هما حامى حرمى الحرمين الشريفين أو خادم الحرمين وهى ألقاب كانت موجودة فى الحضارة الإسلامية عند سلاطين السلاجقة وسلاطين المماليك من قبل ، أما اللقب الثانى فهو لقب خليفة حيث جدد بنو عثمان نظام الخلافة الذى عرفته الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول « صلى الله عليه وسلم » واتخذوا من الخلافة وإحياء مجدها واسترداد ما كان لها من هيبة ونفوذ وسيلة للضغط على أعدائهم^(٥).

١- على حسن : المرجع السابق، ص ٣٠٥ ، ص ص ٣١٤-٣١٥ .

٢- محمد فؤاد كوبرلى: قيام الدولة العثمانية. ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٩٥، ص ٢٠٠ .

٣- ابن بطرطه : تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطرطه، بيروت، دار صادر، ١٩٦٤ ، ص ١٥٦ ، ص ١٦٦ ، ومحمد فؤاد كوبرلى : مرجع سابق، ص ٢٠١ .

٤- كان هذا العمل امتداداً لنظام المحاضرات الإسلامية منذ بداية الإسلام.

٥- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة / نبيه فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، دار العلم، ١٩٨٤ ، ص ١٠٤ ؛ عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية . مرجع سابق، ج ١ ، ص ص ٦٣-٧٥ .

كما كان للأتراك أيضاً دور في تكامل الحضارة الإسلامية من الناحية الاقتصادية حيث ورثوا وضموا الكثير من الأراضي الزراعية كما ورثوا الكثير من النظم الزراعية والاقتصادية التي كانت موجودة قبلهم ، ويأتى على رأس هذه النظم النظام الإقطاعي^(١) الذي انبث عنه نظام الالتزام والذي طبقتته الدولة العثمانية في الأقاليم التي لم تخضع لنظام الإقطاع العسكري ولم تكن الدولة العثمانية مبتكرة لنظام الالتزام ، فقد وجدته معمولاً به في بعض الأقاليم التي خضعت لها خاصة في الأناضول وشمال العراق وهو ما يُعرف في عهد خلفاء الدولة العباسية بنظام التضمين أو القبالات^(٢).

ويعتضى هذا النظام كانت الدولة تعهد إلى شخص من ذوى النفوذ والثراء بجباية الضرائب المربوطة على الأراضي الزراعية والمقررة على الفلاحين في قرية أو أكثر في مدة زمينة محددة وكان يُطلق على هذا الشخص اسم الملتزم والذي مارس سلطاته عن طريق مزاد يرسو على من يعرض أكبر مبلغ من المتزايدين^(٣) . وكان يساعده أعوان هم شيخ البلد والمباشر الذي ينفذ أوامر شيخ البلد والشاهد والصراف والمساح والوكيل والخولي والكلاف والساقى وغيرها من الوظائف^(٤).

ولكن هذا النظام تدهور في كثير من الولايات نظراً لتعسف الملتزمين مع الفلاحين .

ولم يقتصر هذا التكامل الذي أحدثه العثمانيون في الحضارة الإسلامية على هذه النواحي فقط بل شمل أيضاً فن العمارة الذي أكمل فيه الأتراك ما بدأه غيرهم من المسلمين من بناء المساجد والمدارس والأضرحة والتكايا التي كانت تلحق غالباً بالمساجد ويقيم فيها دراويش الصوفية^(٥).

١- اختلف النظام الإقطاعي الإسلامي عن النظام الإقطاعي الأوروبي الذي وجدته الأتراك في أوروبا عند فتحها ، فقد كان الإقطاع الإسلامي استغلالاً للأرض بعكس الإقطاع الأوروبي الذي كان استغلالاً للأرض ومن عليها وكان يرث .

٢- كان من وسائل حياته المخرج خلال العصر السلجوقي وهو يعنى ضمان الأراضي أو حاصلاتها في بلد من البلاد وهو ما يعرف فيما بعد بنظام الالتزام والذي عمسه العثمانيون في كل البلاد التي استولوا عليها .
راجع : إبراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ٤٧٦ .

٣- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٧ .

٤- المرجع نفسه، ص ص ١٤٥-١٨١ .

٥- انظر : على حسون: المرجع السابق، ص ٣٠٥ .

كما بنوا العديد من القصور ذات الامتداد الواسع والحدائق المزينة بآيات القرآن الكريم علي شواطئ نهر البسفور وكان بناء القصور امتداداً لحلقة إسلامية بدأت منذ القرن الأول الهجري في العصر الأموي^(١).

ونظراً لأن الدولة العثمانية دولة عسكرية الطابع فقد كان عليها أن تكمل الدور الذي بدأه حكام الدولة الإسلامية في حماية بلادهم من غارات الأعداء ، فبنت القلاع والحصون واهتمت بالشغور، وكانت القلاع التركية بمثابة درع يقي العالم الإسلامي من الشمال والغرب فضلاً عن كونها قواعد انطلاق لنشر الإسلام في الأناضول غرباً وشبه جزيرة القرم شمالاً^(٢).

ولقد تأثر الأتراك بالحضارة الإسلامية وروافدها خاصة في مجال المعاهد العلمية التي اقتصرت على المساجد في البداية وتحولت في عهد السلاجقة إلى أكاديميات وعُرفت بالمدارس النظامية التي اهتم بها حكام السلاجقة ومن بعدهم العثمانيون، فأوقفوا عليها الأحباس (الأوقاف) ، كما حرصوا على توفير الجو العلمي اللازم للدرس والتحصيل وعلى تطوير العلوم بها، فكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة ديوانه ولها مكاناً لاقامة الطلبة وآخر للإداريين والأساتذة وقاعة للمكتبة^(٣).

وقد ورث العثمانيون الهيكل التنظيمي لهذه المعاهد العلمية وكانت تسمى في عهدهم بالمدرسة أيضاً ، وقد حافظت على بقائها طوال العصر العثماني، فكانت تدرس فيها العلوم العقلية كالرياضة والفلك إلى جانب العلوم الدينية^(٤).

كما كان للمدارس التي أكثر من بنائها سلاطين الدولة العثمانية والتي قامت على أسس المدارس النظامية التي أوجدها السلاجقة في آسيا الصغرى الأثر الأكبر في نشر التعليم إلى جانب الكتاتيب ومدارس تعليم القرآن^(٥).

١- نبيه عاقل : خلافة بنى أمية، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص١٣٤ .

٢- محمد عبد اللطيف هريدي : مرجع سابق، ص١٩ .

٣- يحيى الخشاب : نظام الملك والمدارس النظامية ، بحث مستخرج من مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، الرياض ، جامعة الإمام، العدد الخامس ٩٩٥هـ / ١٩٧٥م صص٧٥-٧٦ .

٤- محمد عبد اللطيف هريدي: المرجع السابق، صص٣٢-٣٣ .

٥- علي حسون : المرجع السابق، ص٣١٨ . ومحمد عبد اللطيف هريدي : المرجع السابق، ص

وقد اشتهرت بعض الفنون فى العصر العثمانى مثل الخط الذى أبدع فيه الأتراك وهو خط الطغراء أو الطغرى، والذى أصبح مادة لكتابة كتبهم ورسائلهم والذى عرف بالخط الهمايونى أو العثمانى.

ولم يقتصر دورهم فى هذا التكامل على المجال الدينى فقط بل أمتد أيضاً إلى المجال العسكرى ، فقد اشتهر الأتراك منذ القدم بأنهم فرسان بارعين ، ولهذا اهتموا بالجيش وتنظيمه وفرقه وتدريبه وانتقاء قواده وعناصره ، كما اهتموا بالأسطول وسفنه التى كان لها الفضل فى الكثير من الانتصارات على شواطئ بحر إيجه والبحر المتوسط والبحر الأسود.

ومن الناحية الاجتماعية فقد ورث العثمانيون النظام الطبقي الذى كانت عليه الدولة السلجوقية، فقد كانت هذه الدول والدولة العثمانية تضم أفراداً من العبيد أو الأرقاء وأفراداً من الأحرار، وكانت الهيئة الحاكمة العثمانية بأكملها من أصغر فرد فيها إلى الصدر الأعظم- ما عدا أفراد الأسرة السلطانية- عبيداً للسلطان ، ويطلق عليهم جميعاً المصطلح التركى قولار (العبد)، وكان هؤلاء الأفراد يوصفون فى أوراق الدولة الرسمية بصفة العبد وكانوا لا يشعرون بغضاضة فى إلصاق هذه الصفة بهم ، بل كانوا فخورين بها ^(١).

وهذا الوضع الطبقي ورثته الدولة العثمانية من سلاجقة الروم، بل كان فى دماء الأتراك أنفسهم الذين وفدوا من بيئة اتسمت بعدم الخضوع للغير مهما كان . وهكذا لعب الأتراك دوراً فى تكامل الحضارة الإسلامية التى ورثوها من غيرهم فأمدوها وأمدتهم فيما يُعرف بمظاهر الحضارة الإسلامية فى العصر العثمانى .

مظاهر الحضارة الإسلامية في الدولة العثمانية

هذه المظاهر شملت جميع جوانب الحضارة سواء الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والعلمية، وسوف نتناول باختصار كلا من النظم السياسية للدولة العثمانية، والنظام الإداري، والنظام الحربي، والوظائف المدنية.

أولاً : النظم السياسية:

أ- السلطنة (السلطان) (١).

وهو ما يُعنيه هذا اللقب من معاني القوة حيث ورث العثمانيون في آسيا الصغرى نظم حكم سلاجقة الروم وبحكم التركيبة لكلا الدولتين كانت تمجد من شخص الحاكم، فالسلطان لقب تلقب به حكام السلاجقة بصفة عامة (٢). وهو لقب يدل على القوة والانفراد (٣). وكان السلطان العثماني رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات العثمانية ورئيس الهيئة الحاكمة - القولا - وفي ذات الوقت رئيس الهيئة الدينية الحاكمة وله الهيمنة على رؤساء الممل المختلفة غير الإسلامية في الدولة، وكان رئيس حكام الولايات والمقاطعات، وحامي ومنفذ الشريعة الإسلامية وله هيمنة على جميع موارد الدولة (٤).

١- السلطان : كلمة سريانية الأصل ، تعنى المتحكم تُقال لحكام المسلمين السنيين وحتى عهد السلطان محمد الفاتح كان يطلق على العاهل العثماني لقب (بيلك) كما أطلق لقب (سلطان) على أمراء وأميرات والدادات وأخوات السلاطين في الدولة العثمانية. وقد خلع الخليفة العباسي في القاهرة هذا اللقب على بلديزم بايزيد. بعد انتصاره في إحدى المعارك ، وبذلك يكون بايزيد هو أول من حمل هذا اللقب من سلاطين آل عثمان .

انظر: Medhat Sertoglu . Resmli Osmanli Tarihi Ansiklopedisi, ISTANPUL, 1958 , S. 298 / 1 .

٢- حسين أمين: نظم الحكم في العصر السلجوقي. مقال منشور بمجلة سومر، بغداد ، ١٩٦٤ ، العدد العشرون، ص٢١١ .

٣- حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار. القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ ، صص١٠٣-١٠٦ .

٤- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص٩٣ . وعبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها. مرجع سابق، ج ١ ، صص٣٤٣-٣٤٤ .

ولم تقتصر سلطات السلطان العثماني على ذلك ، بل تعدتها إلى أنه كان له نفوذ مطلق على رعاياه أكثر مما كان لأي حاكم معاصر له في أوروبا^(١).

ويمكن تفسير هذه السلطات المطلقة التي مارسها السلطان العثماني بالبيئة التي نشأ فيها الأتراك؛ والتي وفدوا منها، وهي بيئة حربية تنظر إلى القائد بإجلال وتقديس^(٢). كما ترجع هذه السلطات إلى بعض العادات والتقاليد التي درج عليها العثمانيون ومن قبلهم السلاجقة من حيث الطاعة العمياء للرئيس أو القائد، مما ترتب عليه وجود سلطة مطلقة لاتقبل جدلاً أو نقاشاً^(٣).

ب- ألقاب السلطان :

كانت تطلق على السلطان العثماني عدة ألقاب منها خنكار أو خندكار^(٤)، أو بادشاه^(٥) أو باد شاه الإسلام، أو باد شاه آل عثمان . وبعد أن استولى السلطان مراد الأول (٧٦١هـ- ٧٩١هـ) على مدينة أدرنة سنة ١٣٦٠م^(٥) . واتخذ منها عاصمة للدولة العثمانية سنة ١٣٦٦م . تلقب بلقب خليفة الله^(٦).

١- كارل بروكلمان : المرجع نفسه ، ص٩٤ .

٢- سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية . الاسكندرية ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، العدد العاشر، ديسمبر ١٩٥٦ ، ص ص٣٢-٣٤ .

٣- عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية. مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٤٤ . ويوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان . تحقيق بسام عبد الوهاب الجاهي، دمشق ، دار البصائر ، ط٣ ، ١٩٨٥ ، ص ص١٣-١٩ .

٤- ابن ابياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور (المعروف بتاريخ مصر) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج٥ ، ١٩٨٢ ، ص ص٢٣٣-٢٣٤ .

٥- باد شاه : كلمة فارسية الأصل ، تعني الملك أو المحارس أو صاحب العرش، وقد خلع هذا اللقب على سلاطين آل عثمان ، فكانت هذه الكلمة تتردد على أسنة العوام فحسب ، واللقب الرسمي الذي كان يُطلق على حكام آل عثمان ه : سلطان، خان وخنكار.

انظر: . 2-1 / 260 . Resimli Osmanli Tarihi Anciklopedisi, S. Medhat SERTOGLU

٦- يوسف أصاف : المرجع السابق ، ص ص٣٥-٣٦ .

٧- تلقب حكام الدولة العثمانية بلقب خليفة رغم علمهم بأن الخلافة واحدة يجب ألا تتمتعده وكان هذا اللقب اسمي وظيفي في الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وسلم» ، حسن الباشا : المرجع السابق، ص ص٨٠-٨١ .

ولما فتح السلطان محمد الثانى (الفتاح) (١٥٥٥هـ - ١٨٨٦هـ) مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وجعلها عاصمة للدولة اتخذ لنفسه لقب (سلطان البرين والبحرين) (١١). ولما بسط السلطان سليم الأول السيادة العثمانية على إقليم الحجاز وأصبح هذا الاقليم ولاية عثمانية أضاف إلى ألقابه العديدة لقباً جديداً اعتز به هو وخلفاؤه من بعده، وهو لقب حامى حى الحرمين الشريفين، وكان السلاطين يُلقون أهمية كبرى على هذا اللقب لأنه يؤكد ويُدعم رعايتهم للعالم الإسلامى (١٢).

ثم تمسكوا بلقب خليفة وخاصة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نظراً للظروف السياسية التى عاشت فيها الدولة (١٣).

ج- ولاية العهد :

كان للسلطان العثمانى الحق فى أن يختار من يخلفه من بين أبنائه أو من أخوته دون أن يتقيد باختيار الابن الأكبر، أى أنه لم يكن هناك قانون يُحدد نظام وراثه العرش فى الدولة العثمانية، وكانت الحرية التى مارسها السلاطين لاختيار ولى العهد هى الباب الذى نُفذت منه المؤامرات لإبعاد شخص وتقريب آخر وكانت معظم هذه المؤامرات تأتى فى الغالب من جانب زوجات السلاطين اللاتى أمجن أولاداً- وكُن يُلقبن قاديئات (١٤)- ولقد كانت كل زوجة تحرص على أن يكون ابنها ولياً للعهد مما خلق مراكز قوى داخل الدولة، حيث كان كل ابن من أبناء السلطان يرى أنه الأحق بالحكم وارتقاء عرش أبيه (١٥).

١- يوسف أصاف : المرجع السابق، ص ٥٦-٦٣ .

٢- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية . مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٤٥ . ومحمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية. بيروت ، دار الجليل ، ١٩٧٧ ، ص ٦٢-٦٣ .

٣- راجع : على حسن، المرجع السابق.

٤- القاديئات : هن الحریم السلطانى اللاتى كان لهن مراكز قوى داخل القصور العثمانية نظراً لتعدد زوجات السلاطين من أجنبيات ولقد لعبن دوراً خطيراً فى الدولة. وكانت هذه عادة فى خلفاء الدول السابقة، عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية ، ج ١ ، المرجع السابق، ص ٥٢٢ .

٥- انظر : أبى السرور البكرى، المصدر السابق، ص ٥٩-٦٠ . ويوسف أصاف : المرجع السابق،

د- الوزارة (الصدر الأعظم) (١).

عُرف نظام الوزارة قبل الإسلام وبعده فى كل الدول التى قامت فى ظله ، وكان لمنصب الوزير أهمية خاصة فى أول عهد الدولة العثمانية ، فقد كان بمثابة المستشار الأول للسلطان. فى عهد السلاطين الأوائل لم يطلق عليه لقب سلطان بل أطلق عليه برفان (٢) . وكانت اختصاصاته تنفيذ أوامر السلطان، ولما اتسعت الدولة اتساعاً كبيراً إزدادت أهمية الوزير وسيطر على إدارات الحكومة ، وانشأ منصب الوزير الأوب (٣) . ثم استبدلت الدولة بهذا اللفظ مصطلحاً جديداً هو الوزير الأعظم تمييزاً له عن حكام الولايات الأخرى، وهذا المصطلح يعنى أنه أعظم كبار الموظفين فى الدولة العثمانية .

فهو مطلق الصلاحية ، يفصل فى جميع شئون الدولة ويحمل أختام السلطان ومفاتيح الخزانة السرية والخزن العامة للمحفوظات وغيرها من الأعمال ، مثل هيئته على شئون الجيش وقيادة المعارك بنفسه ، وحمل راية النبي «صلى الله عليه وسلم» فى الحرب، بل له رئاسة المحكمة العليا ورئاسة الفيالق العثمانية وشرطة المدينة (٤).

ثانيا : النظام الإدارى :

أعطى السلطان سليم الأول (٩١٨هـ - ٩٢٦هـ) الدولة العثمانية نظاماً إدارياً طبقته على جميع ولاياتها التابعة لها، وهذا النظام يُعتبر من أهم الأنظمة الموجودة سواء فى الدولة العثمانية أو فى غيرها ، ثم جاء السلطان سليمان القانونى ووضع قانون «نامه» الذى سارت عليه الولايات العثمانية بما فيها مصر (٥).

١- الصدر الأعظم : هو رئيس الحكومة فى عهد الدولة العثمانية وهو يلى السلطان فى منزلته ويدون ما يصدر عن السلطان من قرارات، وهو يرأس الديوان السلطانى، وكان الصدر الأعظم حين يخرج على رأس الجيوش العثمانية يُسمى (سردار أكرم) ويطلق على ديوانه اسم باب الباشا .

انظر: , Osman Tarihi Lugati . Medhat SERTOGLU

٢- برقان : مصطلح فارسى اقتبسه العثمانيون من سلاجقة الروم وهو يعنى الوزير الأكبر، عبد النعيم حسانين : سلاجقة ايران والعراق، مرجع سابق، ص ١٣٢ .

٣- يوسف أصف : مرجع سابق، ص ١٣٦-١٤٤ .

٤- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية . مرجع سابق، ج ١، ص ٣٥٦-٣٦٥ .

٥- عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر ، ط ١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ٦١ .

ويتكون النظام الإدارى من :

١- الكاخيا بك: وهو من الموظفين الهامين التابعين للوزير الأعظم^(١).

٢- الوزراء: وهو لقب تلقب به مجموعة من موظفى الدولة فى استانبول الذين نابوا عن الصدر الأعظم أثناء غيابه أو غياب السلطان، وهم من يطلق عليهم وزراء القبة^(٢).

٣- القيزلر أغاس^(٣): وتتعلق وظيفته بالإشراف على الحرم السلطانى، وقد قويت سلطته فى القرن الثامن عشر حين أوكلت إليه إدارة أوقاف الحرمين الشريفين، وأيضاً بسبب ازدياد تسلطه على الحرم والسلطان العثمانى^(٤).

ومن أهم الوظائف الإدارية فى الدولة العثمانية :

أ- الديوان :

استخدمت كلمة الديوان عند العثمانيين للدلالة على الاجتماع الرسمى الذى كان يرأسه السلطان، كما أطلق أيضاً على اجتماعات الأشخاص الرسيين .

واستمر السلاطين يظهرون علناً فى الديوان حتى عهد السلطان محمد الفاتح من عام ١٤٥١ : ١٤٨١ م الذى خلع الحق فى رئاسة جلسات الديوان على الصدر الأعظم^(٥).

وكان الديوان يعقد اجتماعات دورية أربع مرات فى الأسبوع ويحضر الاجتماعات أشخاص معينون مثل الوزراء والدفتردار وأغا الإنكشارية وشيخ الإسلام، وتناقش فى هذه الاجتماعات شئون الإدارة والحكم فى السلطنة ولاياتها^(٦).

١- أحمد جودت : تاريخ جودت ، ج ١ ، ترجمة / عبد القادر الدنا، بيروت ، ١٣٠٨ هـ . ص ٩٠ .

وليلى عبد اللطيف : الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٥-٦ .

٢- ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ٥ .

٣- هو رئيس الخصيان السود فى القصر السلطانى ورتبته كانت تعادل رتبة الصدر الأعظم، ولقبه الرسمى هو (دار السعادة الشريفة) .

انظر: Medhat Sertoglu . Resimli Osmanli Tarihi Ansiklopedisi A, 177 /1-2.

وانظر كذلك: حسين مجيب المصرى: معجم الدولة العثمانية . القاهرة ، الأنجلو المصرية . د . ت . ص ٢٥ .

٤- هاملتون جب ، هارولد برون: المجتمع الإسلامى والغرب . ترجمة د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠ ، ص ٥٤ .

٥- هاملتون جب، هارولد برون: المرجع نفسه، ص ١٦٦ . ويوسف أصاف : مرجع سابق، ص ٨٦ .

٦- ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٦ .

ب- الدفترخانة:

وهي إدارة استانبول ، تعنى بشئون المقاطعات وُسْمَى رئيسها (بالدفتر أميني أو أمين الدفتر) وكانت الدفترخانة مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : يختص بالوثائق التي ترسم حدود الولايات .

القسم الثاني: يختص بوثائق مشابهة فيما يتعلق بالملكيات الخاصة.

القسم الثالث: يختص بالتعديلات التي تجرى في ملكية الاقطاعات. أما إدارة الشئون المالية، فقد عُرفت بالدفتردارية ، ويرأسها موظف يُسمى بالدفتردار ويعنى بحساب واردات ومصروفات الدولة والوقف (١).

ج- الباشا أو الوالي:

وهو الذي كانت ترسله الدولة العثمانية إلى إحدى ولاياتها لحكمها نيابة عن السلطان مثل ولاية مصر وغيرها ، فهو يمثل السلطان ونائبه في الحكم والإدارة (٢). وكان من حق السلطان عزل الباشا ومحاسبته ، خاصة عند اعتلاء سلطان جديد أو نظراً لسوء تصرفات الباشا أو لمؤامرة الحاميات العسكرية ضده (٣).

د- القائمقام :

وهو من معاوني الباشا الذي كان يحل محله خلال فترة خلو منصب الباشوية نظراً لعزل الباشا أو وفاته أو قدوم باشا جديد (٤).

هـ- الكتبخدا (٥):

كلمة فارسية الأصل تعنى وكيل أو نائب معتمد، ويعينه السلطان ويلتزم الباشا ملازمة دائمة (٦).

١- ليلي عبد اللطيف : المرجع نفسه، ص ٧ .

٢- أحمد جليبي عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن ولي مصر من الرزراء والباشات . تقديم وتحقيق وتعليق د/ فؤاد محمد الماري، القاهرة ، دار الأنصار، ١٩٧٧ ، ص ص ١٧٦-١٧٧ .

٣- ليلي عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ص ١٠١-١٠٦ .

٤- الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ١ ، بولاق ، ١٢٩٧ هـ ، ص ٣٧ .

٥- انظر : Midhat Sertoglu . Resimi Osmanki Tarihi Ansiklopedisi, S. 173 / 2 .

٦- ليلي عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ١١٥ .

إلى جانب مجموعة وظائف إدارية أخرى ساعدت السلطان والباشا مثل: كاتب الديوان والسنجق دار أى حامل علم الباشا فى مواكبه، والغازندار المختص بالعناية بخزينة الدولة^(١).

ثالثاً : النظام الحربى :

اعتبر الجيش عماد السلطنة، وبما أن العثمانيين محاربون من الطراز الأول، فقد اهتموا اهتماماً كبيراً بالجيش والأسطول، وكان الجيش العثمانى ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- الجنود الاقطاعيون :

أى الفرسان وهم الذين يُمنحون إقطاعات من أراضى الدولة مقابل خدمتهم فى الجيش وتجهيز جنود تابعين لهم^(٢).

٢- الإنكشارية :

وهى كلمة تركية تعنى الجند الجديد، وهى اسم أُطلق على الجيش المنظم الذى استحدثه الأمير أورخان غازى فى القرن ١٤م ، وكان هذا الجيش يتألف من الأسرى النصرى الذين ينشئون تنشئة إسلامية ، ويُعلمون اللغة التركية، وقد كان لهذا الجيش دور عظيم فيما حققته الدولة العثمانية إبان ازدهارها من انتصارات عسكرية. ثم فسد نظام الإنكشارية وكثرت تمرداتهم واعتداءتهم على السلطان وأجهزة الدولة. وفشلت كل محاولات إصلاحهم ، فأبادهم السلطان محمود الثانى سنة ١٨٢٦م فيما عُرف (بالواقعة الخيرية)^(٣).

٣- الجند المرتزقة :

الذين كانت الدولة تعتمد عليهم من البلدان الأخرى مقابل أجر^(٤).

وقد اهتمت الدولة العثمانية بالجيش وأسلحته اهتماماً كبيراً لأنها دولة عسكرية جهادية . ففى عام ١٧٠٠م كانت المدفعية العثمانية أقوى مدفعية فى العالم، بل إننا نجد أنه فى عهد محمد الفاتح أن الطبخانة... وهى تعنى المدفع المتحرك يُنقل على ١٢٠٠٠ جمل يتحرك من

١- لمزيد من التفاصيل : راجع : المرجع نفسه ، ص ١١٩-١٢٢ .

٢- عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر . المرجع السابق، ص ٦٣-٦٤ .

٣- انظر : المرجع السابق - 1 / 341 . Midhet Sertogu. Resimli Osmanli Tarihi Ansikopedisi, S. 341 / 1 . 2 - 432 / 1 .

٤- ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ١٠ .

استانبول حتى ألبانيا ، وقد استخدم محمد الفاتح مدافع الهاون لأول مرة فى التاريخ لفتح القسطنطينية^(١).

وبالنسبة للأسطول فلقد اهتم به سلاطين الدولة العثمانية حيث كان فى زمنهم أقوى أسطول فى العالم نظراً لكثرة بناء الترسانات فى الموانئ مثل السويس والبوسفور وبحر إيجه وغيرها^(٢). حتى أن السلطان العثمانى كان يُلقب بسلطان البر والبحر^(٣).

رابعاً : الوظائف المدنية :

جمعت الدولة العثمانية بين مجموعة كبيرة من ممثلى الهيئة الإسلامية.

١- المفتى أو شيخ الإسلام :

وهو صاحب أعلى رتبة علمية فى أوائل عهد الدولة العثمانية إذ كان يُسمى قاضى العسكر . وفى عهد السلطان محمد الفاتح كان يُعرف بالمفتى، وظل يُعرف بهذا اللقب حتى أواخر القرن ١٧م . ثم أصبح يُعرف بشيخ الإسلام^(٤).

وقد اعتمدت عليه الدولة فى إعلان الحرب، وعقد المعاهدات بل كان له الحق فى إصدار فتوى بعزل السلطان نفسه^(٥).

٢- القاضى: ويُعرف بقاضى عسكر أفندى لمرافقته للجيش العثمانى، وكان من أهم الوظائف فى جهاز الدولة ويعين القضاة فى الولايات الأخرى^(٦).

٣- الإمامان : كان هناك الإمامان للسلطان، يؤم كل منها السلطان فى صلاته سواء فى داخل القصر أو المساجد السلطانية^(٧).

٤- نقيب الأشراف : وهم أشراف البيت النبوى . وكان لنقيب الأشراف فى استانبول سلطة على نقباء الأشراف فى الولايات، وكان يستمر فى منصبه مدى الحياة، ويتمتع بامتيازات كثيرة ويحمل لقب سيد^(٨).

١- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧ .

٢- المرجع نفسه، ص ٣٠٧ .

٣- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤٤-٣٤٥ .

٤- انظر : مرجع سابق S. 304 ، Tarıhi Ansiklopedisi ، Resimli Osmainli ، Midhat . Sertoglu .
1304 / 2 .

٥- عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية . المرجع السابق، ج ١، ص ٣٩٧ .

٦- انظر : المرجع نفسه ، ص ٣٢١-٣٣٤ .

٧- يوسف أضاف : المرجع السابق، ص ١٣٢ . وعبد العزيز الشناوى: المرجع نفسه، ص ٤٣٥ .

٨- ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ١١ .

الفصل الثانى

إيران

مقدمة - إيران عبر التاريخ - الشيعة فى إيران: أولا :
الشيعة الإثنا عشرية ، ثانيا : الدولة الشيعية - العلاقات
الإيرانية العربية - علاقات إيران بالدول الأجنبية .

كانت هضبة إيران يسكنها الفرس الذين يمثلون عدة مجموعات قبلية هى : الميدى Medes والفرس أو الإيرانيين Persian والبارثيان Parthians والبختباريان Bakgtarians والسوغديان Soghdins والسياسان Sacian والسيثيان Sythian ، وقد شكل الفرس عبر القرون الأربعة التالية للقرن الأول قبل الميلاد نواة القوة داخل مناطق معينة ، وامتصوا النفوذ الحضارى للحضارات الموجودة ، وقد تمكنوا من تكوين أول امبراطورية (١).

وشغل الفرس الأجزاء الشمالية الغربية من النطاق الغربى لإيران وجزءا فقط من الجنوب ، بينما تشغل العناصر الأخرى باقى الجهات الإيرانية ، وتتميز حياتهم فى القرى بأنها لم تتغير إلا قليلا عما كانت عليه فى العصور الوسطى، على حين تتقدم حياة المدن بخطى واسعة (٢).

وهناك عناصر أخرى تسكن فى إيران هم الشاهسفان Shahsevan الذين يشكلون جماعات قبلية فى إيران بعضهم يعمل بالزراعة والبعض الآخر مازال يمارس حياة البداوة ، وكذلك البختاريون Bakhtari ويتميزون بخاصيتين البداوة والقبلية (٣).

وحدود إيران الحالية تمتد من جبال القوقاز وبحر قزوين ونهر سيحون شمالا ومن الجنوب يحدها الخليج العربى والمحيط الهندى، ومن الشرق جبال الهندكوش والسند ، ومن الغرب وادى دجلة والفرات .

١- السيد خالد المطرى : دراسات فى سكان العالم الإسلامى : ص ٣٢٥ / ٣٢٦ .

٢- نفس المرجع ، ص ٣٢٦ .

ولفظة إيران - وهو الاسم الذي تعرف به هذه البلاد اليوم والذي اتخذته أسرة بهلوى إسمًا رسميًا لهذا القطر - كانت شائعة في الزمن القديم كذلك وتذكر بعض المصادر التاريخية بأنها مشتقة من لفظ «آريا» وتعنى الشريف، أو هي نسبة إلى قبائل الرعاة الذين كانوا يعرفون باسم «إيريان»^(١).

ويتحدث أهل مقاطعة فارس اللغة الفارسية ، وتكتب اللغة الفارسية كشكل معدل للغة العربية ، وتكتب بحروف عربية، مع إضافة بعض الحروف التي لا توجد في اللغة العربية مثل حروف « G . Z . C . P » .

وقد نشأت اللغة الفارسية الحديثة كلغة للأدب في عام ٩٠٠م، وفي إقليم فارس أخذت الشكل الذي سمي بالفارسي ، وهو الاسم الذي لا يزال يطلق عليها في إيران الحديثة، أما في شرق هضبة إيران فقد أخذت شكلا آخر عرف باسم داري Dari أو لغة «قصر البلاط» وهو شكل أكثر قدما وأقل زخرفة ، كما أن اللغة العربية أقل تسربا فيه ، وقد فقد هذا الشكل أهميته الأدبية منذ القرن السابع الميلادي^(٢).

وتنتشر اللغة الفارسية بين الطبقات الوسطى والدوائر الرسمية الإيرانية ، وتكتسب أهميتها وشعبيتها من كونها لغة التعليم الإلجباري ومن برامج التنمية الإقليمية الحكومية التي تتم بواسطتها ، ولذلك فإنها تعتبر لغة الأدب والثقافة والإدارة والتجارة في إيران كما تعتبر اللغة الرسمية في البلاد^(٣).

إيران عبر التاريخ

عاشت إيران في التاريخ القديم تحت حكم الآشوريين والبابليين حتى ظهرت فيها الدولة الأكمينية «وكانت تعرف أيضا باسم «الهخمانشية» بزعامة الملك كورش ، ويعدده ابنه قمبيز الذي توسع في الشام ومصر وآسيا الصغرى، وقد انتهت هذه الدولة في عهد الملك دارا الثالث الذي هزمه الإسكندر الأكبر المقدوني . حتى استطاع الساسانيون بعد خمسة قرون من

١- د. أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٧ .

٢- نفس المرجع ، ص ٤٥٩ .

٣- المرجع السابق، ص ٤٦٠ .

سقوط دولة الأكمينيين «إقامة دولة لهم في إيران جعلوا من «المدائن» على نهر دجلة عاصمة للملكهم^(١).

وفي عهد الدولة الساسانية ازدهرت الديانة الزمنية التي تنتسب إلى «زرادشت» بعد أن كان الإسكندر الأكبر قد ألحق بها ضربات كبيرة ، كما ظهر مصلح ديني فارسي كبير يدعى «مانى» دعى الفرس لاعتناق مبادئ وضعها لخدمتهم ، كما ظهر داعية آخر يدعى «مزدك» يبشر بالمساواة وينتقد الطبقة التي دعا إليها مانى .

وبعد عهد كسرى الأول «أنوشروان» أزهى عهود الدولة الساسانية ، ففضى على فتنة «مزدوك» وقد دخل في حروب متصلة مع الروم ومع الترك ، حتى وصلت حدود دولته إلى اليمن التي كانت تخضع آنذاك للأحباش ، وفي عهد كسرى الثاني «برويز» بعث محمد بن عبدالله نبيا ورسولا في مكة . وفي عهد يزيدجر الثالث دخل المسلمون فارس واستولوا عليها بعد هزيمة الفرس في واقعة القادسية ، حيث انتهى عهد الدولة الساسانية وسارع الفرس يدخلون دين الله أفواجا^(٢).

عاشت إيران في ظل الدولة الإسلامية إقليبا من أقاليمها ، حتى إذا بدأ الضعف يدب في أوصال دولة الخلافة العباسية خاصة في عهدها الثاني ، ظهرت دويلات إسلامية هناك مثل الدولة الطاهرية التي تنسب إلى طاهر بن الحسين في خراسان التي حكمت قرابة قرن ونصف قرن من عام ١٩٥هـ / ٨١٠م والدولة الصفارية ومؤسسها يعقوب بن الليث الصفار ابتداء من منتصف القرن الثالث الهجرى . والدولة السامانية أول دولة فارسية كبيرة حكمت إيران ، وكانت عاصمتها في بخارى ببلاد ما وراء النهر ، وكان في حوزتهم خراسان وسجستان وجرجان والرى وطبرستان ، وفي عهد السامانيين نجح البويهيون في إقامة دولة لهم في غرب إيران - وكانوا شيعة- وصار لهم نفوذ عظيم في بغداد نفسها في الفترة الممتدة من عام ٣٣٤-٤٤٧هـ^(٣).

١- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق، ص ١٢٧-١٥٨.

٢- نفس المرجع ، ص ١٣٨ - ١٤٠.

٣- المرجع السابق، ص ١٤١-١٤٣.

وحكم إيران بعد السامانيين الترك الغزنويون الذين اتخذوا من مدينتغزنة ببلاد الأفغان عاصمة لهم ، وكان أعظم حكامهم السلطان محمود الذى حارب فرق القرامطة والباطنية وغيرهم من أعداء السنة، وتوسع فى الفتوحات باسم الإسلام فى شبه القارة الهندية .

وبعد الغزنويين خلفهم فى حكم إيران الأتراك السلاجقة الذين بسطوا نفوذهم على كافة الأراضى الممتدة من حدود الهند حتى الشام وحدود بلاد الروم وكانت عاصمتهم نيسابور بخراسان ، وفى عهدهم ظهرت طائفة الحشاشين أتباع حسن الصباح الملاحدة من الباطنية حتى إذاضعف أمر السلاجقة دخلت إيران فى حوزة سلاطين خوارزم حتى مجئ المغول بزعامة جنكيز خان .

فقد تعرضت الدولة الإسلامية فى المشرق لهجمات المغول بقيادة زعيمهم جنكيز خان فاستولى ودمر بلاد ما وراء النهر وهى بخارى وسمرقند وخوارزم ثم إيران ، وفى عهد هولاکو استمر الغزو المغولى لبلاد إيران حيث تم القضاء نهائيا على طائفة الحشاشين ، ثم دخول بغداد عاصمة الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م . واستمروا فى زحفهم حتى هزمهم المماليك فى « عين جالوت » بفلسطين بعد ذلك بعامين . وظل المغول يحكمون إيران حتى عام ٧٥٦هـ / ١٣٥٨م ولئن بدأ عهد المغول- إلا بلخانيين أبناء وأحفاد هولاکو - وثنيا فإنهم مالبتوا أن اعتنقوا الإسلام وصاروا من دعاة وعاملين على نهضته الثقافية (١).

وحين ضعفت دولة المغول فى وسط آسيا نجح زعيم تركى يدعى تيمور لنگ فى الاستيلاء على كل أقاليم إيران ابتداء من عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م . ثم استولى على العراق وانتصر على العثمانيين فى آسيا الصغرى وأسر سلطانهم بايزيد الثانى، كما اجتاحت الأراضى الروسية حتى بلغ موسكو، كما مد ملكه حتى ضفاف نهر الكنج فى الهند ، وقد اتخذ من سمرقند عاصمة الدولة المعروفة بالتيمورية ، وكان الإسلام دين الدولة الرسمى .

وعندما ضعفت الدولة التيمورية تغلب التركمان بقيادة زعيمهم «أوزون حسن» على كل نفوذ للتيموريين فى معظم إيران . وفى أواخر القرن التاسع الهجرى / آخر القرن الخامس عشر الميلادى ظهر زعيم قوى ينتمى إلى القبائل التركية ويقول بامتداد نسبه إلى الإمام على من

جهة وإلى يزدجر الساساني من جهة أخرى ، ذلك هو الشاه إسماعيل الصفوى ، الذى أسس دولة شيعية فى إيران من عام ١٥٠٠م حتى انتهت عام ١٧٣٥م على يد نادرشاه^(١) .

وينتسب الشاه إسماعيل الصفوى إلى الشيخ صفى الدين صاحب طريقة صوفية فى أردبيل بأذربيجان ، من بين عدة طرق صوفية انتشرت هناك أثناء الاضطراب الذى عم إيران والعراق عقب سقوط دولة المغول الكبرى، وقد أصبح لهذه الحركة قوات عسكرية تتخذ لباسا للرأس عبارة عن تاج أحمر ذا اثني عشر ذؤابة كناية عن الإثني عشر إماما ، ولهذا أطلق عليهم العثمانيون « قزل باش » أى الرؤس الحمراء^(٢) .

اتخذ الشاه إسماعيل الصفوى سياسة عنيفة لإرغام الناس قسرا على التشيع ، كما أنه دخل فى حروب متصلة مع العثمانيين عند الحدود الغربية لبلاده، ومع الأوزبك عند الحدود الشمالية لإيران ، وكانت حروب الصفويين مع العثمانيين ومع مسلمى وسط آسيا فرصة لإضعاف الجانب الإسلامى لمصلحة الدول الأوربية ، حيث كانت قد اتسعت ممتلكات العثمانيين المسلمين فى أوروبا كما اتسعت ممتلكات الأوزبك إلى مناطق كثيرة فى روسيا .

ولقد لقي الشاه إسماعيل الهزيمة فى جالد يران عام ١٥١٤م بإيران على يد السلطان سليم الأول العثمانى، الذى واصل تقدمه حتى دخل تبريز عاصمة الشاه واستولى على كنوز الشاه ونسائه ، ثم عاد إلى دولته . ورغم انتصار العثمانيين على الصفويين عام ١٥١٤م فإن ذلك لم ينه العداء بين الفريقين بل استمر طويلا ، وكان العراق ميدانا للصراع والمعارك بين الطرفين، مما جعل العراق موزعا توزيعا متوازنا بين السنة والشيعية^(٣) .

وعندما ضعفت الدولة الصفوية التى شهدت عصرا من القوة والإزدهار الحضارى فى عهد الشاه عباس الكبير وفى عهد خلفائه استولى على الحكم أحد قادة الجيش الصفوى هو نادر شاه عام ١١٤٩هـ / ١٧٣٥م . وقد شهد عهده انتصارات على العثمانيين فى العراق وعلى الروس واستولى على بلاد بخارى وخيوة ومنها إلى الهند حيث انتصر على الدولة المغولية القائمة هناك وكان سلاطينها من سلالة تيمورلنك .

١- المرجع السابق، ص ١٥٢ .

٢- د. محمد أنيس : المرجع السابق، ص .

٣- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق، ص ٦٣-٦٤ .

وعندما قتل نادر ميرزا عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م بتدبير من ملوك الزند ثم القاجاريين فى جيشه . بدأ حكم القاجاريين الوراى وكان القاجاريون أعظم القبائل الإيرانية التركية التى ساندت الدولة الصفوية . ودخل زعيم القاجاريين «أقا محمد خان» العاصمة طهران عام ١٧٧٩م . وأمسك بزمام الأمور فى إيران بيد قوية . حيث أخضع جميع القبائل الإيرانية فى الشمال والجنوب لسيطرته^(١) .

وتوالى على حكم إيران شاهات من الأسرة القاجارية طوال القرن التاسع عشر الميلادى اتصفوا بالضعف مما جعل إيران مسرحا للتنافس الدولى الفرنسى- زمن نابليون - وبريطانيا وروسيا ، حيث صارت هناك امتيازات بريطانية روسية فى إيران فى عهد كل من «فتح على شاه» و«ناصر الدين شاه» الذى حكم فترة طويلة امتدت من عام ١٨٤٨ إلى عام ١٨٩٦م ، وفى عهد «الشاه مظهر الدين» الذى حكم فى الفترة من ١٨٩٧ إلى عام ١٩٠٦م ، وعهد خلفه محمد على شاه الذى شهد ثورة شعبية ضده . كما شهدت المنطقة معارك الحرب العالمية الأولى، التى أسفرت فى إيران عن سقوط حكم الأسرة القاجارية وظهور الأسرة البهلوية بدما بالشاه رضا شاه بهلوى .

وتمثل النفوذ الأجنبى فى إيران خلال القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن العشرين حتى سنوات الحرب العالمية الأولى فى احتكار بريطانيا لتجارة الدخان (الطباق) ثم للبترول الإيرانى من خلال شركة البترول الفارسية الإنجليزية ، والاستيلاء على أراضى من إيران مجاورة للمستعمرة البريطانية فى بلوخرستان . أما الروس فقد استولوا على مساحات من الأرض الإيرانية فى الشمال مجاورة لبلادهم .

كما شهدت إيران حركة لادينية تسمى بالبابية يتزعمها من يدعى «ميرزا على محمد» الذى كان يتلقب بالباب ، إشارة إلى أنه الباب إلى الحياة الروحية الخالصة بزعمه ، وتعرف هذه الدعوة أيضا بالبهائية ، وهى دعوة لاتعترف بدين من الأديان بل تزعم أنها ترمى إلى توحيد أصحاب العقائد جميعا تحت رايتها وقد قضى على كثير من أتباع هذه الحركة وزعيمهم ميرزا عام ١٩٥٠م حيث قتل منهم أربعون ألفا^(٢) .

١- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق ، ص١٥٣-١٥٥ .

٢- المرجع السابق ، ص١٥٦ .

أولا : الشيعة الإثنا عشرية

تعتبر إيران المعقل الرئيسي للشيعة في آسيا الإسلامية ، وقد اكتسب المذهب الشيعي فيها شعبية كبيرة بسبب مضمونه القومي ، إذ أنه يفرق الإيرانيين عن العرب . وهنا يؤمن الشيعة بالحظ الكامل للأئمة الإثنا عشر وهم يتبعون تعاليم جعفر الصادق الإمام السادس أو تعاليم المذهب الإثنا عشرى أو الجعفرى من مذاهب الشيعة .

وفي المذهب الإثنا عشرى تتوالى الإمامة بين اثني عشر إماماً من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب . وقد أصبح التشيع المذهب الرسمي للدولة في إيران منذ عام ١٥٠٠م على يد الدولة الصفوية بزعامة الشاه اسماعيل الصفوى، وبشكل الشيعة في إيران حوالى ٩٣٪ من إجمالي المسلمين فيها ، ويتركز الشيعة في شمال إيران ووسطها (١).

وكان التشيع في العقود الأولى من تاريخ الإسلام اتجاهها سياسياً فظهر ما عرف بشيعة علي - بمعنى حزب أو فرقة علي- وهكذا ، ويعرف الشهرستاني (٢) التشيع بقوله : إن الشيعة جماعة انضموا إلى علي بن أبي طالب صهر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، واعترفوا له بالحق المطلق في الإمامة والخلافة ، ويعتقد أهل التشيع في أن حق الإمامة منحصر في أخلاف علي وفاطمة الزهراء ولايتبعدهم ، كما يعتقدون في أن حق الإمامة لا يرتبط بفرق هذا الشخص أو ذاك. بل يتعلق أساساً بالوراثة ، وأن ماهية الدين والإيمان وجوهرهما قائم على ذلك (٣).

والإمامة الاثني عشرية تعتمد اثنا عشر إماماً هم على النحو الآتى -

- ١- علي بن أبي طالب المرتضى وقتل عام ٤١هـ
- ٢- الحسن بن علي وتوفى عام ٤٩هـ
- ٣- الحسين بن علي الشهيد وقتل عام ٦١هـ .
- ٤- علي زين العابدين بن الحسين وتوفى عام ٩٦هـ
- ٥- محمد الباقر وتوفى عام ١١٤هـ .

١- د. أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق، ص ٥١٤ .

٢- الشهرستاني ، أبو الفتح : الملل والنحل ، بحاشية ابن حزم ، مصر ١٣١٧ هـ .

٣- بطروشوفسكى ، الإسلام في إيران ترجمة وتعليق د. السباعى محمد السباعى ، القاهرة ، ص ١٨٧ .

- ٦- جعفر الصادق وتوفى عام ١٤٨ هـ .
 ٧- موسى الكاظم وتوفى فى السجن عام ١٨٣ هـ .
 ٨- على بن موسى الرضا توفى عام ٢٠٣ هـ .
 ٩- محمد التقى (الجواد) توفى عام ٢٢١ هـ .
 ١٠- على النقى وتوفى فى السجن عام ٢٥٨ هـ .
 ١١- حسن العسكرى وتوفى عام ٢٦٠ هـ (١) .
 ١٢- محمد المهدي واختفى بين عام ٢٦١ هـ وعام ٢٦٥ هـ .

واسم الإمام الثانى عشر بالكامل هو محمد بن حسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وتروى المصادر أنه ولد قبل وفاة والده بأربعة أو خمسة أعوام ، وقد اختفى هذا الطفل الذى نال مقام الإمامة حين بلغ السادس من عمره . وهنا روايات مختلفة عن ظروف اختفاء وأحوال غيبته فتذكر إحدى الروايات أنه اختفى فى سرداب منزله .

وعلى أية حال فلم يعد للأئمة وجود ظاهرى بعد ذلك . ويعتقد بعض أتباع مذهب الإمامة الاثنى عشرية أن الدنيا لا يمكن أن تظل دون إمام ، وإذا لم يوجد الإمام الظاهر يكون هناك الإمام المستتر . الذى يحفظه الله ، وأنه يدير أمور جماعة الشيعة ويحفظ مصيرها وهو غائب عنها ، وحين يعود فإنه المهدي .

ويعتقد الشيعة الاثنى عشرية بالإمام الغائب محمد المهدي بن الحسن العسكرى وهذا الإمام الغائب هو الإمام الثانى عشر الذى اختفى ، ويطلقون عليه ألقابا متعددة مثل : الحجة ، والمهدي المنتظر ، وصاحب الزمان (٢) . وبعد مضي مايزيد عن ستين عاما من اختفاء الإمام

١- اسم الحسن العسكرى مشتق من اسم مدينة سامرا التى أمضى فيها الكثير من عمره، وكانوا يسمون مدينة سامرا غالبا باسم العسكر وتحمل معنى الجند أو المعسكر، لأن جند الخليفة كانوا مستقرين بها ، ومن هنا أتت كلمة العسكرى التى لقب بها الإمام. وقد ولد عام ٢٣٢ هـ وتوفى عام ٢٦٠ هـ ولم يكن عمره آنذاك قد تجاوز سبعة وعشرين عاما، وتعدده الروايات الشيعة من الشهداء ، كذلك يقولون أنه قد دس له السم بأمر من الخليفة المعتمد العباسى ، وقد أنجب ابنه محمد المهدي من جارية تسمى نرجس .

الثاني عشر حتى عام ٣٢٩ هـ- ترأس جماعة الشيعة الإثنا عشرية خلفاء سمي كل واحد منهم باسم النائب الخاص، الذي كان نائباً عن الإمام الغائب في عصر الغيبة الكبرى التي أعقبت اختفاء الإمام الثاني عشر، ومنذ ذلك التاريخ لم يرأس جماعة الشيعة الإثنا عشرية رئيس ظاهر قوى يقبله جميع الشيعة الإثنا عشرية^(١).

ويمكن أن نحدد أسس الإمامة الاثني عشرية السائدة في إيران فيما يلي :-

١- التقية : عقيدة دينية عند الإمامة الاثني عشرية تبيح لأتباعها التظاهر بغير ما يبطنون فينخدع سليم القلب من أهل السنة بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ولا يرضون به ولا يعملون له .

٢- اعتبار جميع الحكومات الإسلامية من يوم وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى هذه الساعة عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب ، حكومات غير شرعية ، ولا يجوز لشيعة أن يدين لها بالولاء والإخلاص عن صميم قلبه ، وأن الحكام الشرعيين هم الأئمة الاثني عشر وخدمهم ، وغيرهم مفتصبون .

٣- المحقد علي أبي بكر وعمر وعثمان ولعنهم هم وكل من حكم الدولة الإسلامية عدا علي ابن أبي طالب ، وأطلقوا على أبي بكر وعمر بن الخطاب «المجبت» و«الطاغوت» . ويدعون بدعاء يقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وألعن صنمى قریش وجبتيهما وطاغوتيها وابنتيهما .. الخ ، ويريدون بابنتيهما أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ، وأم المؤمنين حفصة بنت عمر الفاروق رضی الله عن الجميع .

٤- عقيدة الرجعة من عقائد الشيعة الإثنا عشرية الأساسية ، إذ يؤمنون برجعة الإمام الثاني عشر^(٢).

٥- أن الإمامة من أركان عقيدة الشيعة الاثنا عشرية ، بل أنها أهم ما يميز الشيعة الاثنا عشرية عن غيرها من فرق الشيعة الأخرى، حيث يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى لا يخلو الأرض من حجة على العباد من نبي أو وصى ظاهر مشهور أو غائب مستور ، وأن الإمامة استمرت بالنص من علي بن طالب حتى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر .

١- نفس المرجع ، ص ٢١٥ .

٢- السيد محب الدين الخطيب : المخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، الدوحة- قطر ، ١٣٨٦ هـ ، ص ٨-١٨ .

٦- اعتمد المذهب الشيعي الاثنى عشر على التقليد الواجب على الأتباع ، بحيث يبطل عمل الفرد إذا أصدر من غير تقليد لأحد الفقهاء المعروفين الأحياء أو حتى الأموات . وقد أكد مبدأ التقليد على دور المرجعية الفقهية أى الرجوع لأحد الفقهاء المعترف بهم كمراجع دينية . والمرجع يتعلم فى «الحوزة العلمية» بمدينة «قم» الإيرانية ، وهى أشبه ما تكون بالأزهر كمؤسسة دينية وإن اختلفت عن الأزهر فى ترتيب الدرجات الفقهية ، لخريجيتها من طالب مبتدى إلى ثقة الإسلام ، إلى آية الله عندما يجوز له الاجتهاد ، إلى آية الله العظمى عندما يؤسس قاعدة^(١) شعبية فى الحوزة .

٧- أن النبى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم عهد بالخلافة إلى على بن أبى طالب بنصوص ظاهرة وأخرى مستترة . واستندوا فى النصوص الظاهرة إلى حديث «غدیر خم» الذى يتلخص فى نزول النبى فى «غدیر خم» فى السنة العاشرة للهجرة وسأل من كان معه : ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فأخذ بيد على بن أبى طالب وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه .

وحيث «غدیر خم» من وجهة نظر الشيعة الإمامية وصية واضحة لم ينفذها الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من يبايعنى على روحه وهو وصى وولى هذا الأمر بعدى ؟ فلم يبايعنى إلا على . وهذا فى رأى الشيعة الإمامية تأكيد بأن على بن أبى طالب هو الذى يخلف النبى صلى الله عليه وسلم^(٢) .

ثانيا : الدولة الشيعية :

يعتبر الشاه إسماعيل الصفوى مؤسس الدولة الشيعية فى إيران ، وقد أسس أسرة وراثية حكمت إيران أكثر من قرنين من الزمان واتخذت من المذهب الشيعى الاثنا عشرى مذهباً رسمياً للدولة ، وعمل شاهات الأسرة على نشر المذهب الشيعى بين الإيرانيين بالقوة والفرص .

والشاه إسماعيل حفيد للشيخ صفى الدين أبواسحاق الأردبيلى الذى ولد عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م وتوفى عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م ودفن بمدينة أردبيل بشمال غرب إيران حيث تقوم

١- د. أمال السبكي : التيارات الدينية فى الثورة الإيرانية ١٩٧٧-١٩٨٩ ، القاهرة ١٩٩٢ ،

مقبرته إلى اليوم^(١). وكان شيخا صوفيا أسس فرقة الدراويش التي قامت بنشر أفكار الشيعة في إيران، وكان الشيخ صفى الدين سنى المظهر على مذهب الإمام الشافعى ، شيعى المخبر على مذهب الإمام جعفر الصادق خامس الأئمة الشيعة الإثنا عشرية ، وجهر بالدعوة الشيعية^(٢).

وحينما استقرت الأسرة الصفوية على عرش إيران عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٠م نسبت نفسها إلى سلسلة السادات وبالتالي إلى العرب وادعت نسب الشيخ صفى الدين إلى الإمام السابع للشيعة الإمام موسى الكاظم عبر واحد وعشرين رجلا ، وقد ثبت الآن أن هذه خرافة، وظهر بعد ذلك أن تاريخ الأسرة الصفوية يرجع إلى ما بعد أواسط القرن التاسع الهجرى والغالب أن الأسرة الصفوية كانت من الأكراد أصلا، وأنهم كانوا يميلون إلى التركية ، ولغتهم الأم هى الأذربيجانية ، التى كان الشاه اسماعيل يكتب بها^(٣).

وكان عمر الشاه اسماعيل ١٤ سنة فقط عندما تسلّم فى عام ١٤٩٩ قيادة القزلباش^(٤) وفى عام ١٥٠٠-١٥٠١م دخل فى معارك ضد أمراء المقاطعات القريبة من مدينة باكو الحالية وأزاح قوات الأتق قونيلو واستولى على جنوب أذربيجان واحتل مدينة تبريز التى اتخذها عاصمة له، واتخذ فى عام ١٥٠١م لقب شاهنشاه إيران. وإصدار عملة باسمه وظهور كيان سياسى مستقل وفرض المذهب الشيعى كمذهب رسمى فى إيران ووحيد كأساس للسياسة الصفوية . وكان وراء كل ذلك دوافع سياسية للمحافظة على كيان الدولة الصفوية ، ودوافع قومية يسعى من خلالها لصهر السكان فى بوتقة وطنية واحدة ، ودوافع خارجية يسعى من خلالها للوقوف ضد خطر العثمانيين والأوزبك .

وقد أسس الشاه إسماعيل الصفوى دولة كبرى وقوية ، حيث دخل فى صراع عسكرى مع القوى المجاورة ، حيث جرد جيوشه على عراق العجم وقاتل مراد بيك الأتق قونيلو ، واستولى

١- د. محمد علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام ، القاهرة ، ص ٦٣٩ .

٢- د. أحمد الحولى : الدولة الصفوية : تاريخها السياسى والاجتماعى ، القاهرة ، ص ٣٧ .

٣- الإسلام فى إيران : المرجع السابق ، ص ٣٦١ .

٤- سى مريدو الشيخ صفى الدين وبخاصة القبائل الصحراوية باسم «القرل باش» باللغة الأذربيجانية أى الرأس أو القلنسوة الحمراء . وكان القرل باشيون يحلقون لحاهم ويطلقون شواربهم متيقنين خصلة من شعر رأسهم الحليق ، عدد القبائل القرل باش تسعة يربط بينها أنهم من مريدى الأسرة الصفوية وأنهم تعاملوا مع الشاه إسماعيل باعتباره مرشدا كاملا .

على مدينة شيراز ، وفارس وكرمان والعراق العربي والحويزة وخوزستان ، إلى جانب إقليم خراسان من الأوزبك عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م وقلعة مرو. وبعد فتح مرو من الوقائع الهامة لآسيا الوسطى لأن من هذا الوقت انتهت فتنة عظمى كانت تتهدد إيران والهند من جانب الأتراك ، ونجا مذهب التشيع من خطر عظيم (١).

واستمرت معارك الشاه إسماعيل الصفوي في مناطق ما وراء النهر، ودخل في حرب مع الدولة العثمانية عام ١٥١٤م على عهد السلطان العثماني سليم الأول حيث خسر الشاه إسماعيل الحرب لأول مرة بهزيمة في جالديران أمام السلطان سليم الذي دخل العاصمة الصفوية تبريز وخربها ، ثم عاد إلى بلاده ، ليعود الشاه إسماعيل إلى عاصمة ملكه ليستكمل سياسة بناء الدولة والمذهب الشيعي حتى توفي في ١٩ رجب عام ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م ولم يكن قد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره وحكم ٢٤ سنة ، ودفن بمقبرة الشيخ صفى الدين في مدينة أردبيل.

ومما تجب ملاحظته أن الصفويين كانوا سنة ثم تحولوا منذ عام ١٥٠١م على يد الشاه إسماعيل الصفوي ، وأخذ قادة الصفويين يدعون أنهم خلفاء الله في الأرض عبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإمام علي بن أبي طالب إلى الأئمة الشيعة الاثني عشرية ، وقد اعتمد الشاه إسماعيل ومن بعده الشاه طهماسب نفسيهما بأنهما من القداصة لدى الشيعة ، حتى أطلق على كل منهما «ظل الله في الأرض» وعليهم إعداد القوة لمواجهة القوى السنية سواء في الشرق بوسط آسيا أو في الغرب في الدولة العثمانية السنية (٢).

وبعد وفاة الشاه إسماعيل تولى عرش الشاه ابنه طهماسب الأول الذي ولد في ٢٤ رجب ٩١٩هـ / ١٥١٣م وتسلم الحكم وعمره ١٣ سنة عام ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م مما جعل كبار القادة يستأثرون بالسلطة ، وقد واجهته ثورات وحروب متعددة مع الأوزبك في الفترة من ٩٣٠ إلى ٩٤٠هـ / ١٥٢٣-١٥٣٣م . وثورة أخيه القاصي ميرزا من عام ٩٤٤ - ٩٥٣هـ / ١٥٣٧ - ١٥٤٦م . ثم حاول التصالح مع السلطان العثماني سليمان القانوني، وتوفى طهماسب في ١٥ صفر ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م (٣).

وتوالى على حكم إيران الشاهات إسماعيل الثاني من عام ٩٨٤-٩٨٥هـ الموافق لعام ١٥٧٦-١٥٧٧م ، وسلطان محمد خدابنده من عام ٩٨٥-٩٩٦هـ الموافق ١٥٧٧-١٥٨٧م ،

١- د. محمد علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام المرجع السابق ، ص ٦٤١-٦٤٣ .

٢- Michael M. J. Fischer : Iran , London , 1980 , pp. 28-29 .

٣- د. محمد علاء الدين منصور : المرجع السابق، ص ٦٤٨-٦٥٢ .

والشاه عباس الكبير من عام ٩٩٦-١٠٣٨ هـ الموافق ١٥٨٧-١٦٢٨ م والذي شهد عصره الحرب مع الأوزبك وهزمهم هزيمة منكرة عام ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م . وفتح البحرين وهرمز وقشم . واستمرت شاهات الأسرة الصفوية يحكمون إيران بعد عباس الكبير ، كان منهم الشاه صفى من عام ١٠٣٨-١٠٥٢ هـ / ١٦٢٨-١٦٤٢ م ، والشاه عباس الثانى من عام ١٠٥٢-١٠٧٧ هـ / ١٦٤٢-١٦٦٦ م ، والشاه سليمان من عام ١٠٧٧-١١٠٦ هـ الموافق ١٦٦٦-١٦٩٤ م ، والشاه سلطان حسين من عام ١١٠٦-١١٢٥ هـ / ١٦٩٤-١٧١٣ م ، من عام ١١٤٤-١١٤٨ هـ / ١٧٣١-١٧٣٥ م . حيث سقطت الأسرة الصفوية .

تسلط على الحكم فى إيران نادر شاه من قبيلة أفشار وهم جماعة من التركمان الذين استوطنوا أذربيجان ، وهو من قادة الصفويين مكونا أسرة وراثية ، حكم نادرشاه إيران من عام ١١٤٨-١١٦٠ هـ / ١٧٣٥-١٧٤٧ م ، وعادل شاه وإبراهيم شاه ولدا أخى نادر وحكما فى الفترة من عام ١١٦٠-١١٦١ هـ / ١٧٤٧-١٧٤٨ م ، شاهرخ شاه من عام ١١٦١-١١٦٠ هـ / ١٧٤٨-١٧٤٧ م ، ونادر ميرزا من ١٢١٠-١٢١٨ هـ / ١٧٩٥-١٨٠٣ م .

وجاء بعدهم ملوك الزند الذين حكموا فى المدة من ١١٦٣-١٢٠٩ هـ / ١٧٤٩-١٧٩٤ م أولهم كريم خان الزند . وبعدهم جاء الفاجاريون لحكم إيران كان أولهم أغا محمد خان فى ١١ جمادى الآخرة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م حيث تم تتويجه فى طهران حتى مقتله فى عام ١٢١١ هـ ، الموافق لعام ١٧٩٦ م . ثم فتح على شاه الذى حكم فى الفترة من ١٢١٢-١٢٥٠ هـ / ١٧٩٧-١٨٣٤ م ، ثم محمود شاه من ١٢٥٠-١٢٦٤ هـ / ١٧٩٧-١٨٤٧ م ، وناصر الدين شاه الذى حكم فى الفترة بين ١٢٦٤-١٣١٣ هـ / ١٨٤٧-١٨٩٥ م ، ثم مظفر الدين شاه من ١٣١٣-١٣٢٤ هـ / ١٨٩٥-١٩٠٦ م ، ثم محمد على شاه من ١٣٢٤-١٣٢٧ هـ / ١٩٠٦-١٩٠٩ م ، ثم أحمد شاه من ١٣٢٧-١٣٤٣ هـ / ١٩٠٩-١٩٢٤ م ، ثم جاءت الأسرة البهلوية: رضا بهلوى، ومحمد رضا بهلوى حتى حدوث الثورة الإسلامية عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .

وفى كل هذه العصور كان التشيع هو المذهب الرسمى للدولة فى إيران .

العلاقات الإيرانية العربية

شهد التاريخ الحديث أحداثا متلاحقة بين الأقطار العربية وفارس (إيران) منذ تأسست الدولة الصفوية عام ١٥٠٠ م فى فارس حتى مجئ الأسرة البهلوية إلى الحكم عام ١٩٢٥ م . كما شهد التاريخ المعاصر أحداثا متسارعة بين الطرفين فى عهد الأسرة البهلوية من ١٩٢٥ إلى عام ١٩٧٩ م ، وفى عهد الثورة الإسلامية الخمينية من ١٩٧٩ م حتى الآن .

أولا : العلاقات من ١٥٠٠-١٩٢٥ م :

تمتد هذه الفترة بين قيام الدولة الصفوية الشيعية المذهب في فارس عام ١٥٠٠ م ، وتنتهى بانتهاء الأسرة القاجارية في حكم فارس لتقوم الأسرة البهلوية . وعلى الجانب الآخر كانت الأقطار العربية في الهلال الخصيب ومصر وجزء من منطقة الخليج واليمن والحجاز تحت السيادة العثمانية منذ عام ١٥١٤ حتى قيام الحرب العالمية الأولى وانتهاء الوجود العثماني في كل الأقطار العربية .

ومن ثم فإن علاقات فارس في تلك الفترة تركزت أساسا مع الدولة العثمانية ، فمنذ أن ضم الشاه اسماعيل الصفوى العراق عام ١٥٠٨ م وتلامست حدود الدولتين الصفوية والعثمانية بدأ الصراع بين الطرفين كانت أراضى العراق ميدانا لهذا الصراع الذى استمر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . والذى حاول أثنائها شاهات فارس الإستعانة بملوك الفرنجة ضد العثمانيين .

وبالنسبة للخليج ، فقد تعرضت مشيخاته العربيات للغزو البرتغالى أوائل القرن الحادى عشر ، وقد تعاون العرب والفرس مع قوات شركة الهند الشرقية البريطانية في تحرير مملكة هرمز العربية من أبدي البرتغاليين ، ولكن ليعضها شاه فارس تحت سيادته عام ١٦٢٢م فكانت بذلك أول أرض عربية تفقد هويتها لصالح التوسع الفارسى فى الخليج ، تلتها احتلال القوات الفارسية جزر البحرين بينما كان حاكمها العربى يؤدى فريضة الحج عام ١٧٣٦م ، ثم تطلعت فارس إلى ضم عُمان . حيث استطاع الفرس السيطرة على بقاع واسعة فى عُمان ، ولكن ظهور أطماع شركة الهند الشرقية البريطانية من ناحية وقيام دولة البوسعيد فى عمان أنهيا السيطرة الفارسية على البحرين وبلاد سلطنة عمان^(١).

وكانت الاتفاقيات المانعة التى عقدتها بريطانيا مع مشيخات الخليج بدءا من عام ١٨٢٠م سدا أمام الأطماع الفارسية فى الساحل العربى للخليج ، واكتفت فارس بتقديم الاحتجاج بدعوى أن تلك المشيخات من ممتلكاتها ، وبعد الاتفاقيات المانعة عقدت معاهدات حماية بريطانية مع كل من سلطنة عمان ومشيخات الساحل العماني وقطر والبحرين والكويت ، فى الوقت الذى قامت فيه دولة عربية قوية فى نجد بزعامة آل سعود على أساس المذهب السلفى السنى ، والذى واجه عداء سافرا من نظام الحكم الفارسى الشيعى المعادى .

١- أ . د . عبد العزيز نوار : الصراع العثماني الفارسى والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى - مجلد العلاقات العربية الإيرانية ١٩٩٣ ، ص ٥٦-٥٠ .

وفى خلال القرن التاسع عشر كان العراق ميدان صراع بين الفرس والعثمانيين وعقدت عدة اتفاقيات لتحديد الحدود بين العراق العثماني وبين فارس منها معاهدة أرضروم الأولى فى أغسطس ١٨٢٣ م ، ومعاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٤٧ م ، وبروتوكول الأستانة عام ١٩١٣ م ، وكانت نتائج هذه الاتفاقيات العثمانية الفارسية تحديد المشكلات بين الطرفين فى مسألة الحدود بين العراق العثماني وفارس ، وزيادة عدد الشيعة فى العراق حتى كاد العدد يصل إلى نصف عدد سكان العراق .

ثانيا : العلاقات من ١٩٢٥-١٩٧٩ م :

تمتد هذه الفترة منذ أصبح رضا شاه بهلوى امبراطورا على إيران وأثناء حكم ابنه محمد رضا بهلوى لإيران حتى سقوطه وقيام الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩ م . وعلى الجانب العربى حصلت مصر على استقلالها بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ م وخضعت كل من سوريا ولبنان للانتداب الفرنسى حتى استقلتا عام ١٩٤٦ م ، وخضعت كل من العراق وفلسطين للانتداب البريطانى حتى استقلت العراق بموجب معاهدة ١٩٣٠ م ، وقامت على أرض فلسطين دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ م ، وقامت المملكة العربية السعودية التى امتدت أراضيها من الخليج حتى البحر الأحمر ، وازدادت سيطرة بريطانيا على إمارات الخليج العربية خاصة بعد ظهور النفط حتى حصلت تلك الإمارات على استقلالها بدما بالكويت عام ١٩٦١ م ثم بقية الإمارات عام ١٩٧١ م . وفى الوقت الذى انكفأت فيه تركيا الحديثة العلمانية على نفسها وألغت الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ م لتدير ظهرها للأقطار العربية وتتجه بكليتها للدول الأوروبية .

أ- مصر :

وبالنسبة لمصر وإيران فقد كانت فارس الدولة الشرقية الوحيدة التى لها وجود تمثيلى فى مصر قبل صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ م ، وكان هذا التمثيل على مستوى القنصل العام والمعتمد السياسى، وتغيرت وضعية هذا التمثيل بعد استقلال مصر، وأصبح لفارس تمثيل دبلوماسى بدرجة وزير مفوض . وبالمقابل فإن أول دولة شرقية أنشأت مصر فيها تمثيلا دبلوماسيا كانت إيران وذلك انطلاقا من مبدأ تمثيل بتمثيل .

وفى أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين كانت هناك خطوة أخرى للتقارب بين مصر وإيران عندما وصل إلى القاهرة فى صيف عام ١٩٣٨ م وفد إيراني عالى المستوى برئاسة رئيس وزراء إيران يحملون طلبا من الامبراطور الإيراني يتقدم به لخطوبة الأميرة فوزية شقيقة الملك

فاروق لولى عهد إيران الأمير محمد رضا ، ورغم وجود فوارق مذهبية وأسرية حيث كان العريس شيعى المذهب بينما كانت العروس سنية المذهب ، وحيث أن العروس كانت من أسرة ذات تاريخ طويل فى الحكم ، بينما العريس ابن ضابط وصل للحكم بانقلاب ولاينتمى لأسرة مالكة عريقة (١).

رغم كل ذلك فقد تم الزواج (فوزية ومحمد رضا بهلوى) فى ربيع عام ١٩٣٩م ، وفى سبتمبر ١٩٤١م تنازل الإمبراطور رضا شاه بهلوى عن العرش لولى العهد محمد رضا شاه بهلوى ليصبح امبراطورا على إيران وتصبح عروسه المصرية الإمبراطورة فوزية ، ولكن هذه الزيجة لم تعمر طويلا حيث تم الطلاق فى نوفمبر ١٩٤٨م بسبب عدم تقبل الإيرانيين خاصة أعضاء الأسرة الإمبراطورية لفوزية . واستمرت العلاقات المصرية الإيرانية غير مستقرة بسبب تأييد مصر لفكرة القومية العربية وضغطها للتخلص من القواعد الأجنبية فى المنطقة ومن النفوذ الأجنبى - الغربى - الذى تمثل فى مشروعات الدفاع الغربية مثل مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ، وحلف بغداد الذى كانت إيران عضوا فيه .

ب- العراق :

وعن العلاقات بين إيران وكل من العراق والخليج ، فقد استمرت العلاقات الإيرانية العراقية متوترة بسبب مشكلة شط العرب والحدود بين الطرفين التى حسمتها إلى حد ما اتفاقية عام ١٩٣٧م ، التى رفضتها حكومة الشاه بعد ذلك وقيامها بدفع أكراد شمال العراق بالشورة ضد حكومة العراق حتى تم الاتفاق بين الشاه وبين صدام حسين - نائب رئيس الجمهورية العراقية إذ ذاك عام ١٩٧٥م فى الجزائر على اعتراف العراق بمناصفة كيان شط العرب بين إيران والعراق فى مقابل توقف إيران عن دعم ثورة أكراد العراق ، حتى قيام الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨١م ، حتى عام ١٩٨٨م .

وفى نفس الفترة أى من عام ١٩٢٥م حتى عام ١٩٧٩م استمرت الإدعاءات الإيرانية على البحرين ولم تسقط هذه الادعاءات إلا بعد أن احتلت جزيرتى طناب الكبرى وطناب الصغرى وجزيرة أبوموسى ، وهذه الجزر الثلاث تابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة .

١- د. يونان لبيب : العلاقات الإيرانية بمصر والعراق على عهد الأسرة البهلوية ١٩٢٥-١٩٧٩م ، مجلد

وقد حدث غزو إيراني لإمارة عربستان العربية الواقعة فى الجنوب الإيرانى التى استمرت دور الدولة الحاضرة بين أراضى كل من الدولة الفارسية والسلطنة العثمانية ، ولكن أطماع رضا شاه بهلوى فى ضم إمارة عربستان قد دفعه بارسال جيش قوى إلى إمارة عربستان العربية استولى عليها فى أبريل ١٩٢٥م من حاكمها العربى الشيخ خزعل ، ولعل هذا الإنجاز كان من بين الأسباب التى أدت إلى تمهيد الطريق أمام رضا خان للجلوس على عرش الطاووس (١).

ج- السعودية وأقطار الخليج العربية :

بدأت العلاقات الإيرانية السعودية بحضور مندوب من شاه إيران رضا بهلوى المؤتمر الإسلامى الذى دعا لعقده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بمكة المكرمة فى شهر ذى القعدة ١٣٤٤هـ يونيو ١٩٢٦م . وجاء حضور ممثل إيران أول علاقات بين البلدين المملكة العربية السعودية والإمبراطورية الإيرانية. وإن توترت العلاقات لفترة بعد توقيع معاهدة جدة عام ١٩٢٧م المملكة العربية السعودية وبريطانيا التى نصت على إقامة علاقات حسن الجوار مع إمارات الكويت والبحرين وقطر وإمارات الساحل العمانى، فى الوقت الذى كانت لإيران ادعاءات بالسيادة على البحرين بصفة خاصة .

ولكن الاتصالات بين الطرفين مالبثت أن عادت إلى سابق عهدها منذ منتصف عام ١٩٢٨م بوصول حبيب الله خان إلى جدة موفدا من حكومة طهران حاملا رسالة من شاه إيران ، أعقبها وصول وفد سعودى رفيع المستوى إلى طهران برئاسة الشيخ عبدالله الفضل فى ١٢ أغسطس ١٩٢٩ م ، وعلى أثر هذه الزيارة تم عقد معاهدة صداقة وحسن جوار واعتراف بين البلدين فى ٢٤ أغسطس ١٩٢٩م . وزيارة الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى طهران فى يوليو عام ١٩٣٢م ، التى عملت على تأكيد الصداقة وحسن الجوار بين البلدين (٢).

وقد ظلت مسألة السيادة الإيرانية على البحرين مشار خلاف شديد بين المملكة العربية السعودية وإيران ، إذ تدعى إيران بأن جزر البحرين ملك لها ، بينما تقف المملكة العربية السعودية ضد هذا الادعاء . وأن البحرين إمارة تحت حكم آل خليفة، كما أن تصرفات الحجاج

١- المرجع السابق، ص ١١٧ .

٢- أمل ابراهيم الزباني : علاقات المملكة العربية السعودية فى النطاق الإقليمى ، القاهرة ١٩٨٩ ،

الإيرانيين فى موسم عام ١٩٤٣م، أوصلت العلاقات الدبلوماسية بين إيران والسعودية إلى قطيعة ، وأكدها الخلاف المذهبى بين أهل المملكة السنة وأهل إيران الشيعة . ولم تستأنف العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وإيران حتى عام ١٩٥١م ، وكانت خلال فترة التوقف تدار هذه العلاقات من السفارة الإيرانية بالقاهرة (١).

ونظرا لتمسك السعودية ومصر وبقية الأقطار العربية بعروية الخليج ثارت الخلافات بين إيران والعرب حول تسمية الخليج . هل يسمى بالخليج العربى أو الخليج الفارسى ، وهذه التسمية أثبتت على مستوى العديد من الدراسات العربية والإيرانية والأجنبية . خاصة أن إيران سعت لغرس النفوذ الإيرانى فى أقطار الخليج العربية حتى بعد استقلالها لها بارسال أعداد كبيرة من الإيرانيين للإقامة والعمل فى تلك الأقطار العربية الخليجية حتى وصل بعضهم إلى مناصب قيادية فى تلك الأقطار .

ومنذ أواخر عام ١٩٦٨م بدأت الأمور تشير إلى تقارب إيراني مع كل من السعودية والكويت، حتى أن الشاه قبل دعوة وجهت إليه من الملك فيصل بن عبد العزيز فى عاصمته بالرياض ، غير أن الوضع لم يسلم من حدوث بعض الأزمات الدبلوماسية التى اتسمت بقدر كبير من الهدوء والاعتدال ، وقد لعبت وساطة الملك الحسن الثانى عاهل المملكة المغربية فى نوفمبر ١٩٦٨م دورا كبيرا فى عودة التقارب بين المملكة العربية السعودية وإيران (٢) إلى جانب الدور الأمريكى باعتبار استقرار منطقة الخليج وأمنها فى مواجهة التهديد السوفيتى فى أفغانستان مسئولية مشتركة بين السعودية وإيران خاصة بعد الانسحاب البريطانى من الخليج، ومن هنا ظهر التعاون السعودى الإيرانى ضد الاتجاهات اليسارية فى المنطقة مثل ثوار ظفار بسلطنة عمان ، واليمن الجنوبية فى عدن، هذا التعاون الذى باركته الولايات المتحدة الأمريكية وزودت الطرفين السعودية وإيران بكميات هائلة من الأسلحة .

١- أمل الزينانى : المرجع السابق، ص ١١٥ .

٢- د. جمال زكريا : العلاقات الإيرانية بالسعودية والخليج العربى على عهد الأسرة البهلوية

١٩٢٥-١٩٧٩م ، مجلد العلاقات العربية الإيرانية ، ص ١٤٧-١٥٢ .

ثالثا : العلاقات فى ظل الثورة الإيرانية :

اجتمعت عدة أسباب أدت فى النهاية إلى انتهاء حكم الأسرة البهلوية التى حكمت إيران لأكثر من نصف قرن (١٩٢٥-١٩٧٩م) كان من بين هذه الأسباب الاضطرابات العنيفة التى قام بها العمال والشباب فى أنحاء إيران ، وكان منها تخلى الجيش الإيرانى عن الإمبراطور محمد رضا رغم ما أهدقه على قيادات الجيش من دلائل التكريم والترقى وعلى وحدات الجيش من أسلحة متطورة وكثيرة ، ومن الأسباب أيضا تخلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عن الشاه صديقه بعد أن أدركت رغبة الشعب الإيرانى فى التغيير ولم تسانده كما فعلت أيام أزمة حكومة الدكتور محمد مصدق (١٩٥١-١٩٥٣م) .

كان رد فعل الإمبراطور محمد رضا بهلوى هو محاولة امتصاص غضب الشعب الإيرانى، فاختر سياسيا معتدلا هو شاهبور بختيار رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٧٩م ، وأعد الشاه نفسه للتخلى عن سلطته إلى مجلس وصاية على العرش والاستعداد لمغادرة إيران ، وقد باركت الحكومة الأمريكية هذه الخطوات وشجعت على الرحيل ، ومن ثم غادر إيران لآخر مرة فى ١٦ يناير ١٩٧٩م ، لتبدأ أحداث الثورة الإسلامية فى إيران بزعامة آية الله الخومينى الذى عاد إلى طهران فى الأول من فبراير ١٩٧٩م بعد نفى فى العراق وفى فرنسا استمر من عام ١٩٦٤م ، وأعلن أول شهر أبريل ١٩٧٩م يوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية^(١).

وبالنسبة للعلاقات الإيرانية العربية فى ظل الثورة الإسلامية ، فقد كانت عدائية مع العراق التى دخلت معها فى حرب استمرت حوالى ثمانى سنوات من عام ١٩٨١م حتى عام ١٩٨٨م ، اعتمدت فيها العراق على مؤازرة الأقطار العربية خاصة المملكة العربية السعودية والكويت وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والبحرين ، ومصر أيضا التى دعمت العراق بالأسلحة التى تنتجها المصانع الحربية المصرية، بينما دعمت السعودية وأقطار الخليج العراق بالأموال لشراء الأسلحة وتعمير ما خربته الحرب مع إيران .

وبالنسبة للعلاقات الإيرانية مع السعودية فقد تحسنت فى عهد حكومة مهدى باذرجان المعتدل والذى أظهر روح التعاون وحسن الجوار ، الذى قطع العلاقات مع إسرائيل التى أقامها

الشاه منذ عام ١٩٦٠م ، ومن ثم أرسلت الحكومة السعودية رسالة تهنته لحكومة مهدي باذرجان ، ويرقية تهنته بمناسبة الإعلان عن قيام الجمهورية الإسلامية في إيران .

إلا أن سقوط حكومة مهدي باذرجان المعتدلة دفع بالمتطرفين الإيرانيين إلى تسلّم السلطة في إيران وإظهار روح السيطرة والرغبة في فرض هيمنة إيران على منطقة الخليج مما دفع المملكة العربية السعودية تتخذ موقفا متشددا من الادعاءات الإيرانية المتجددة على البحرين، بل وتدبير محاولة لقلب نظام الحكم في البحرين لصالح الشيعة البحرينيين الموالين لإيران ومن ثم يقوم مجلس التعاون لدول الخليج العربية في عام ١٩٨١م الذي يضم ست دول هي المملكة العربية السعودية ودولة الكويت ودولة قطر ودولة البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان .

ومن مظاهر تطرف المستوليين الإيرانيين بدفع عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين إلى بيوت الله الحرام للقيام بمظاهرات صاخبة ضد حكومة المملكة العربية السعودية وإشادة بحكومة الثورة الإيرانية الإسلامية تلك المظاهرات التي واجهتها حكومة المملكة العربية السعودية بكل حزم حتى التزمت الحكومة الإيرانية بأداب مناسك الحج ومراعاة حرمة المسجد الحرام وحجاج بين الله الحرام .

وقد نظرت حكومة طهران الإسلامية إلى قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية نظرة عدا . لأنها اعتبرت قيام هذا المجلس حجرة عثرة في طريق فرض هيمنتها على منطقة الخليج العربية ، وسدا منيعا أمام محاولات ثورة وسياسة الخوميني في تصدير الثورة إلى أقطار المجلس ، ومازالت حتى الآن تنظر إلى هذا المجلس نظرة عدائية .

وبالنسبة لعلاقات إيران الثورة بكل من سوريا ولبنان ، فإنها تتسم بروح المودة وعدم العدا ، وذلك لأن الحكم في دمشق ينتسب إلى العلويين إحدى فرق الشيعة ، ولذلك كانت سوريا أثناء الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨م) هي الدول العربية الأكثر تعاونا وتأييدا لإيران ضد العراق ، ومازالت العلاقات ودية جدا بين إيران وسوريا . أما لبنان فأن علاقات إيران معها ودية أيضا نظرا لوجود عدد لا بأس به من السكان شيعة ، إلى جانب جماعة حزب الله الشيعية الموالية لإيران والتي تعمل في الجنوب اللبناني ضد إسرائيل .

وبالنسبة لعلاقات إيران الثورة مع مصر ، فقد توترت وقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين نظرا لعقد مصر اتفاقية كامب ديفيد وتأييد مصر قيام مجلس التعاون الخليجي، ودعم

مصر للعراق بالأسلحة في حربه مع إيران ، وإعلان مصر أن أمن الخليج وأقطاره العربية هو أمن لمصر، ومن هنا استمرت حملة إعلامية إيرانية ضد مصر . وقد بذلت محاولات عدة لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإيران ، ولكن مصر طلبت أن تعلن إيران التخلي عن سياسة فرض الهيمنة الإيرانية على أقطار الخليج العربية، وإعلائها عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، وتنظر إيران إلى هذه المطالب المصرية والعربية على أنها تعنى التخلي عن سياسة تصدير الثورة الإسلامية والتخلي عن ادعائها على أجزاء من الخليج العربي. كما تطالب مصر إيران بالتخلي عن سياسة تدعيم الجماعات الإرهابية التي تسعى لزعزعة الأمن في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية باسم الإسلام والإسلام منها براء .

العلاقات الإيرانية مع الدول الأجنبية

تمثل الدول الأجنبية التي كانت لها علاقات إيجابية أو سلبية في الاتحاد السوفيتي في الشمال وكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص . وتمثل علاقات إيران بالاتحاد السوفيتي منذ عهد روسيا القيصرية عندما بدأ الغزو الروسي لمنطقة وسط آسيا الإسلامية ولاامت الحدود الروسية الحدود الإيرانية، وكان العدو المشترك للطرفين الدولة العثمانية ، ومن ثم تبادل الجانبان السفارات مثل سفارة الشاه عباس إلى القيصر الروسي بورسيل في السادس من شهر رجب ٩٩٨ هـ ، وسفارة أخرى برئاسة حاج خسرو إلى موسكو عام ١٠٠٢ هـ الموافق ١٥٩٣ م ، وسفارة روسية إلى البلاط الإيراني عام ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م ، وسفارة إيرانية أخرى عام ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م . وكل هذه السفارات كانت تحمل روح المودة بين الطرفين والرغبة في التعاون المشترك وحسن الجوار .

وقد استمرت العلاقات الطيبة بين إيران وروسيا القيصرية في عهد القيصر ميخائيل أول قيصر من أسرة رومانوف، وتعددت السفارات بين إيران وروسيا وكلها تحمل روح الود والرغبة في التعاون لما فيه مصلحة الطرفين ، وكان القياصرة الروس يحبذون استمرار الخصومة العثمانية الإيرانية .

وعندما نجحت الثورة البلشفية في روسيا وعمل الاتحاد السوفيتي على إحكام قبضته على وسط آسيا ، بدأت العلاقات بين الطرفين تسير نحو التأزم بسبب أطماع الاتحاد السوفيتي في الوصول بنفوذه إلى منطقة الخليج العربي عبر إيران وقد ظهرت هذه الأطماع في مذكرة أرسلها الاتحاد السوفيتي إلى برلين في ٢٧ نوفمبر ١٩٤٠م على اعتراف دول المحور بأن المنطقة

الواقعة جنوبي باطوم وبأكو ، فى اتجاه الخليج هى مركز مطامع السوفيت وآمالهم التوسعية بغية ضمها إلى الاتحاد السوفيتي^(١).

وعندما هاجم هتلر أراضى الاتحاد السوفيتي، اضطر الإمبراطور رضا شاه بهلوى إلى إعلان حياد إيران ، وعادت السياسة الإيرانية إلى إعلان حيادها فى ٢٢ يونيو ١٩٤١م، مما جعل الروس يتمسكون بعزل الشاه ، وبالفعل تنازل عن العرش لابنه محمد رضا فى صيف ١٩٤١م، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهرت مطامع السوفيت فى شمال غرب إيران حيث أقيمت حكومات شيوعية عميلة لموسكو ولكنها انهارت بسبب موقف الولايات المتحدة الأمريكية المعادية لمطامع السوفيت الذين أخذوا يشجعون على إقامة حزب شيوعى فى إيران ، فكان ذلك فى الأحداث التى أدت إلى الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩م .

وبالنسبة لعلاقات إيران بالولايات المتحدة الأمريكية ، فقد استمرت جيدة طوال حكم الأسرة البهلوية ، واعتبرت الولايات المتحدة إيران شريكة فى الوقوف ضد الأطماع السوفيتية فى إيران ذاتها وفى منطقة الخليج حيث الاستثمارات البترولية الهائلة للولايات المتحدة ولحلفائها خاصة بريطانيا . فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة اعترفت بعد الحرب العالمية الثانية بالنفوذ الأعلى لبريطانيا فى إيران بسبب شركة البترول الإنجليزية الفارسية ، إلا أن الولايات المتحدة أسهمت فى إسقاط حكومة الدكتور محمد مصدق (١٩٥١-١٩٥٣م) الذى كان قد أمم بترول إيران لصالح إيران ومن ثم اقتسمت امتيازات البترول الإيرانية مع بريطانيا وغيرها عام ١٩٥٣م .

ونتيجة لوجود مصالح بترولية أمريكية فى إيران وفى شركة بترول العراق وفى المملكة العربية السعودية ، فقد دعمت الولايات المتحدة الحكم فى إيران بالتسليح والتأييد السياسى لمواجهة «الخطر» السوفيتى الشيوعى ، ومن ثم أمدت الحكومة الأمريكية بالأسلحة المتطورة والكثيرة الجيش الإيرانية، كما أمدته بالخبراء الأمريكين فى مجال التسليح ومجال التصنيع .

كما ضمت الولايات المتحدة الأمريكية إيران إلى حلف بغداد عام ١٩٥٥م الذى تحول إلى ما عرف بالحلف المركزى بعد خروج العراق منه بعد ثورة عام ١٩٥٨م، ويضم تركيا وإيران والباكستان هدفه العسكرى الوقوف ضد أطماع الاتحاد السوفيتى باقامة شبكة من اتفاقيات

الدفاع والقواعد العسكرية ، وهدفه السياسى الوقوف ضد امتداد فكرة القومية العربية من مصر إلى منطقة الخليج العربى .

أما العلاقات الإيرانية البريطانية فقد تدعمت منذ أوائل القرن العشرين حيث حصلت بريطانيا على احتكار الطباق الإيرانى ، كما حصلت على امتياز استخراج النفط الإيرانى من جنوب إيران . والذى كان منطقة نفوذ بريطانية لإشرافها على مياه الخليج طريق التجارة والمواصلات بين الهند درة التاج البريطانى وبين بريطانيا وأوروبا ، وكانت بريطانيا عضوا مع إيران فى حلف بغداد (المركزى بعد عام ١٩٥٨م) وكانت بريطانيا تؤيد حكم الأسرة البهلوية فى إيران، إلى أن أعلنت بريطانيا عن رغبتها فى الانسحاب من منطقة الخليج بحلول عام ١٩٧١م فأعلنت إيران أنها تنوى احتلال البحرين ، ولكن بريطانيا نجحت فى إنهاء ادعاءات إيران على البحرين مقابل احتلال إيران لجزر أبوموسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى وهى تابعة للإمارات العربية . وانتهى الدور البريطانى السياسى ليحل محله الدور الأمريكى .

الفصل الثالث

أقطار وسط آسيا

أولا : جغرافية وتاريخ المنطقة

ثانيا : الجمهوريات المستقلة

ثالثا : العالم التركي

أولا الجغرافيا

تعرف أقاليم آسيا الوسطى باسم بلاد ما وراء النهر- نهر جيحون- وتعرف أيضا باسم تركستان الغربية تمييزاً لها عن تركستان الشرقية التي صارت تحت السيطرة الصينية ، وهذه الأقاليم تضم أحواض نهري سيحون وجيحون وبحر آرال الذي كان يعرف أيضا باسم بحر خوارزم .

وتضم هذه الأقاليم ست مناطق هي :

١- فرغانة وقصبتها أخسكيت .

٢- أسبيجاب ومركزها أسبيجاب .

٣- الشاش وهي في الأغلب اسم مدينة طشقند وقصبتها بنكث أو طاشقند .

٤- أشروسنة وقصبتها بنجكث .

٥- الصفد وقصبتها سمرقند .

٦- بخارى وقصبتها بخارى (١).

وتشكل أرض تركستان (آسيا الوسطى) شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهملايا ومن الجنوب الغربي هضبة البامير ومن الغرب جبال تيان شان ومن الشمال جبال الألتاي وبابلونوى وستانوفورى ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور . وتبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالي ستة ملايين كيلو متر مربع ، وإذا استثنينا الصينيين الذين يسكنون آسيا الوسطى أمكن القول بأن العنصرين اللذين يعمران تلك المناطق هما العنصر التركي والعنصر المغولي (٢).

١- محمود شاعر : تركستان ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٢٦ .

٢- د. بارتولد المستشرق الروسي : ترجمة أحمد السعيد سليمان : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٩ .

وهي - أي أرض تركستان أو آسيا الوسطى - إلى جانب الأقاليم الستة تضم جزءا كبيرا من خراسان . وهي الواقعة في جمهورية تركمانستان ، التي تحدها غربا إيران وجنوبا أفغانستان ، وشرقا أوزبكستان ، وشمالا الجزء الشمالي الغربي من قازاخستان وبحر الخزر أو قزوين (١).

وهذه المنطقة - منطقة وسط آسيا - تنتشر فيها بعض الأودية وتحدها سلسلة جبلية مثل تيان شان وألتاي ، ومن أهم الأنهار التي تسير فيها سيحون وجيحون وأترك والميرغاب ، وتسكنها عدة قبائل هي :

أ- القازاق أو القرغيز : والكلمة تعني الفرسان ، ويسكنون في المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى جبال تيان شان . وهم فريق من الأوزبك انشقوا على قومهم وسما من أجل ذلك قازاق ، وكان البدو يطلقون هذا الاسم على الجماعات التي تنشق على أقوامها ومحاربيها (٢).

ب- القلمق : وينتشرون في المنطقة الواقعة بين نهر الفولجا وأنهار أمبا ، وأور ، وأرال . ج- التركمان : مجموعة من القبائل مغولية الأصل تنتشر في المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى الحدود الإيرانية الشرقية ، ولم تتمكن من إقامة دولة خاصة بهم ، ومع ذلك خرج منهم مؤسسو أكبر امبراطوريتين تركيتين وهما الإمبراطورية السلجوقية والإمبراطورية العثمانية . ومنذ القرن السادس عشر كان بعض أقسام التركمان يخضع للأوزبك في خوارزم وبعضهم للقجاريين وبعضهم للفرس وكانوا في أثناء الحروب التي تقوم بين هذه الدول ينضمون أحيانا إلى هؤلاء وأحيانا إلى هؤلاء وأحيانا يحارب بعضهم بعضا . ولكنهم مع هذا كانوا يغلبون أعداءهم ، وكان التركمان أشد الناس مقاومة للروس وآية هذا أن جيوش الروس لم تفقد العلم والمدافع إلا في حربيها مع التركمان عام ١٨٨٠م (٣).

د- الأوزبك : أمتد وجودهم ما بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا حتى بحر آرال ، كما امتد نفوذهم إلى بخارى وطشقند وسمرقند وخيوه وخوقند (٤).

١- د. محمد علي البار: المسلمون. في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، جلة ٣/ ١٤٠هـ / ١٩٨٣، ص ٣٤٣.

٢- و. بارتولد: المرجع السابق، ص ٢٤١.

٣- نفس المرجع: ص ٢٤٦-٢٤٧.

٤- د. محمد حسن العيلة: أوسط آسيا الإسلامية بين الانقضاء الروسي والحذر البريطاني، الدوحة،

وتتضمن منطقة وسط آسيا أربعة عشر مجموعة سلافية هي :

١- الشعوب المتحدثة بالتركية : والمعتقد أن الموطن الأصلي لهم هو القطاع الشرقي من السهل الأوراسي . والوضع الحالي للأتراك وانتشارهم جاء نتيجة لمجموعة الهجرات التي خرجت من الموطن الأصلي، وكان أهم هذه الهجرات تلك التي تسلت داخل الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوروبا وأحدثت تأثيرا هاما في تاريخ العالم فهي الهجرات الأربعة : الهون - الأتراك - الأتروس - الكيشاك - المغول .

٢- التتار Tatars وتعنى رامى السهام ، والاسم أعطاه الروس لمجموعة متنوعة من الشعوب المتحدثة بالتركية وغيرها قبل وصول الإسلام بوقت طويل . وبعد وصول الإسلام مال الروس إلى تسمية كل المسلمين باسم التتار ، وهم يعيشون في حوض الفولجا - كاما وأوزبكستان وقازاخستان ، وتتاريا ، وبشكيريا ، إلى جانب انتشارهم في سيبيريا وأوكرانيا .

٣- الأيجور Aigur : ويعيشون في إقليم سينكيانج المتمتع بالحكم الذاتي في الصين ، وفي الصين ، وفي أوزبكستان وقرغيزيا وطشقند .

٤- الأيزرى Azeri : وهم الأذربيجانيون ويعيشون في إيران وفيما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتي إلى جانب العراق جنوب منطقة كردستان . وحضارتهم الأصلية فارسية أكثر منها تركية (١) .

٥- الباشكير Bashkir : وبلادهم هي باشكيريا إحدى الجمهوريات السوفيتية السابقة وهم ينتشرون خارجها أيضا في قازاخستان وأوزبكستان وطاجكستان وأوكرانيا وغيرها .

٦- الأوزبك Uzbek : وقد تحدثنا عنهم كقبيلة تسكن وسط آسيا . ومنتشرون الآن إلى جانب أوزبكستان في كل من قازاخستان وأقلية بشمال أفغانستان ، والجزء الغربي من تركستان الشرقية ويعتبرون أكبر جماعة تركية في الاتحاد السوفيتي السابق . والثانية من حيث الكبر في العالم بعد أتراك تركيا .

١- د . السيد خالد المطرى : دراسات في سكان العالم الإسلامي ص ٣٠٠-٣٠٣ .

٧- القازاق Kazakh : وموطنهم التقليدي الذي يمتد من بحر قزوين في الغرب إلى بحيرة بلكاش في الشرق ، وتحده الضفة اليسرى من نهر سرداريا في الجنوب وغابة التايجا الروسية في الشمال. ومعظمهم في جمهورية قازاخستان ، وتوجد أقليات منهم في تركستان الشرقية الصينية ، وفي أفغانستان، وفي جمهورية منغوليا الشعبية وغيرها.

٨- التركمان : وقد تحدثنا عنهم كقبيلة لم تكون دولة في تاريخهم، وهم مسلمون سنيون على المذهب الحنفي، ويعيشون في تركمانستان وفي العراق وسوريا وتركيا كأقليات^(١).

٩- الطاجيك Tajik : ويعتبرون أقدم الجماعات السلافية في آسيا الوسطى وينتسبون بدرجة قوية إلى الإيرانيين والأفغان في الجنوب ، ويعيش نصفهم الآن في جمهورية طاجيكستان ، والنصف الآخر في جمهوريات وسط آسيا الأربع ، أوزبكستان ، قازاخستان، قرغيزيا ، تركمانستان . بالإضافة إلى أقلية تعيش في تركستان الشرقية.

١٠- القرغيز Kirgiz : وتكلمنا عنهم كقبيلة ، وهم من الناحية السلافية منغول ، يتكلمون لهجة تركية شمالية غربية ويسكن ٩٠٪ من القرغيز الآن في جمهورية قرغيزيا ، وتوجد أقليات قرغيزية في جمهوريات أوزبكستان ، طاجيكستان ، قازاخستان وغيرها ، ويوجد خلط في استخدام كلمة القرغيز ، حيث كان الروس يشيرون إلى كل من القرغيز والقازاق باعتبارهم قرغيزا ، ويلحقون الصفة كارا Kara أي الأسود - بالقرغيز فيسمونهم كارزاك Karsak . وقد حدث ذلك بسبب وجود بعض التشابه في استخدام الكلمات قازاخ Kazakh وكازاك Kazak وتعني في الروسية قازاخ Kazakh وكاساك Cassck^(٢).

١١- الكاراكالباك Karakalpak : يرجع الاسم في أصوله إلى الشعب التركي الذي عاش على رافد من نهر الدنيبر في القرن الثاني عشر الميلادي ، وتعني هذه التسمية «لابس القبعة السوداء» وينتسبون بدرجة قوية إلى كل من القازاق والأزويك وبخاصة إلى القازاق ويعيشون متفرقين في تركيا وإيران وأفغانستان ، وتركمانستان وأوزبكستان ، وقازاخستان ، إلى جانب وجودهم في أو بالقرب من واحات كاراكالباك .

١- المرجع السابق، ص ٣٠٤-٣٠٦ .

٢- المرجع السابق ، ص ٣٠٧-٣٠٩ .

١٢- العناصر القوقازية Ibero - Caucasian : وهم مسلمون يعيشون فى المنطقة الممتدة بين البحر الأسود وبحر قزوين ، ويطلق عليهم اسم القوقازيين ، ويسكنون الأودية الجبلية المرتفعة المشهورة فى السفوح الشمالية ، وقد هاجرت أعداد كبيرة من القوقازيين من موطنهم الأصلي ليعيشوا فى جيوب منعزلة عبر آسيا الجنوبية الغربية ، بينما لاتزال الأغلبية الساحقة تعيش فى المنطقة التى نظمتها الحكومة السوفيتية عام ١٩٢١م كجمهورية مستقلة ذاتيا داخل الاتحاد السوفيتى السابق هى «جورسكايا» ، ثم انقسمت هذه الجمهورية إلى وحدات سياسية عديدة تغيرت حدودها باستمرار بحيث أصبح القوقازيون المسلمون يقسمون إلى ثلاثة أنواع :

أ- الداغستانيون : يتكون من ٣٢ جنسية مستقلة على طول الشاطئ الغربى لبحر قزوين .
 ب- الشاشان / المنجوش : غرب داغستان ، وكانوا دائمي الثورة ضد الروس .
 ج- الشركش / الأبخاز ، الأباز أو الأبخاز يعيشون فى إقليم قرتشاي / شركس ، والشركس يعيشون على الشاطئ الشمالى الشرقى للبحر الأسود ، وسفوح التلال الشمالية للقوقاز (١).

١٣- القرتشاي Karachay : وهم جماعة قوقازية من ناحية السلالة ويسكنون سفوح التلال الشمالية لجبال القوقاز ، وأصلهم مختلط وينتمون تاريخيا إلى الهون والبلغار والحازار والكيشاك .

١٤- الفجر Gypsies ، أو النور Nawar ، وهم منتشرون فى كثير من دول الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والقوقاز ، وأفريقيا الشمالية وجنوب البلقان والقطاع الشمالى الغربى من شبه القارة الهندية .

واقليم القوقاز مجموعة من المرتفعات والسهول تنقسم جغرافيا إلى :

١- مرتفعات القوقاز العظمى فى شمال الإقليم وهى الممتدة من شبه جزيرة تامان الواقعة بين البحر الأسود إلى بحر آزوف وإلى بحر قزوين . وتعتبر مرتفعات القوقاز العظمى هذه وخط تقسيم المياه بها هما الحد الفاصل بين قارتي أوروبا وآسيا .

٢- مرتفعات القوقاز الصغرى وتمتد بين منخفض «كولخيدا» فى الغرب ومنخفض «كورا» فى الشرق ، وهذه المرتفعات يحدها نهر «كورا» الذى يجرى إلى شمالها ، ورافده نهر «أراكس» الذى يمتد إلى جنوبها وكأنها تمتد بين أحضان هذين النهرين .

وتحدث سكان آسيا الوسطى عدة لغات أهمها اللغة التركية ، وتنتشر بلجاتها العديدة فى الوقت الحاضر فى آسيا الوسطى من شمال غرب الصين عبر الاتحاد السوفيتى السابق إلى إيران، إلى جانب آسيا الصغرى وأجزاء من أوروبا الشرقية ، وتنقسم اللغة التركية إلى عدة فروع هى العثمانية والأزيرية فى جنوب غرب المنطقة ، والأزبكية والتركية فى جنوبها الشرقى، والقازاقية والناجاي Nagai والفولجاترتار فى شمالها الغربى، والأبجورية والباقونية فى الشمال الشرقى .

ومن فروع اللغة التركية كذلك ، اللغة الأزرية وهى اللغة الرئيسية لجمهورية أذربيجان والمقاطعات الشمالية الغربية من إيران ، كما تستخدم لغة قومية فى شرق ما وراء القوقاز وجنوب داغستان . واللغة التركمانية التى تنتمى إلى المجموعة الجنوبية الغربية من اللغات التركية أو لغة الأيجور ، ولغة الأوزبك التى تعتبر اللغة الرئيسية لجمهورية أوزبكستان الروسية . وتشكل ثانى أكبر اللغات التركية بعد التركية الأناضولية .

وهناك قروء أخرى أقل أهمية مثل اللغة الأبجورية ، واللغة الفرغيزية ، ولغة الكاراكالباك ، والقازاقية ، والتتارية ، والباشكيرية ، ومما يلاحظ على كل فروع اللغة التركية أنها تأثرت فى أبجديتها باللغات الفارسية والعربية ، وبعضها تستخدم الأبجدية العربية ، مثل التركية الأناضولية (العثمانية) إلى جانب الفارسية^(١).

ويدين معظم سكان وسط آسيا بالدين الإسلامى، منذ أن تم فتح تلك الديار فى عهد الخليفة عثمان بن عفان وفى عهد الخلافة الأموية ، وتقسّم المسلمون هناك إلى سنة وشيعة وتبلغ نسبة المسلمين فى وسط آسيا بالنسبة لعدد السكان فى تلك الأقاليم ٧٥٪ وشكل الشيعة أغلبية فى بعض جمهوريات آسيا الوسطى ، حيث تبلغ نسبتهم فى طاجيكستان ٩٨٪ من عدد المسلمين ، وفى أذربيجان يمثلون نسبة هامة من المسلمين ، إلى جانب أقلية كبيرة من الطائفة الإسماعيلية الذين يدينون بالزعامة الروحية لأغاخان وخلفائه وهم شيعة يسكنون فى هضبة البامير^(٢).

١- المرجع السابق ، ص٤٦٨-٤٧١ .

٢- نفس المرجع ، ص٥١٢-٥١٦ .

ثانيا : تاريخ المنطقة

يبدأ التاريخ الحديث لآسيا الوسطى بانهيار دولة المغول الكبرى وظهور دول وطنية خلفت دولة المغول سواء في إيران أو في الأقطار التي تقع إلى الشمال منها، ولكن يهمنا أن نتحدث عن النقاط الآتية :

١- إسلام أهل المنطقة .

٢- المغول .

٣- دول المنطقة بعد المغول .

٤- المنطقة في مواجهة الغزو الروسي .

٥- الصراع الروسي البريطاني حول المنطقة .

أولا : إسلام أهل المنطقة .

بدأ دخول الإسلام إلى تلك المنطقة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، على يد القائد العربي والصحابي الجليل حذيفة بن اليمان سنة ١٨هـ / ٦٣٨م، ثم على يد قائده عتبة بن فرقد السلمي الذي صالحه أهالي هذه البلاد التي عرفت باسم بلاد ما وراء النهر، إلى جانب القائد العربي الأحنف بن قيس الذي فتح إقليم خراسان وأراضى الديلم وطبرستان .

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان توطلدت الفتوح السابقة ووسعت لتشمل شمال أفغانستان الحالية، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية استمرت الفتوحات الإسلامية . حيث عبر الصحابي الجليل الحكم بن عمرو الغفاري عام ٥٠هـ ، ٦٧٠م نهر جيحون وفتح بلاد الصغانيان ، وفتح القائد العربي عبيدالله بن زياد بخارى وبيكند عام ٥٥هـ / ٦٧٤م، وفتح سعيد بن عثمان سمرقند وقد استشهد أثناء معركتها قثم بن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

استمرت الفتوحات الإسلامية في وسط آسيا في عهد الدولة الأموية حيث فتح موسى بن عبدالله بن خازم بلدة ترمذ . موطن الإمام أبي عيسى الترمذى- وذلك عام ٧٠هـ / ٦٨٩م .

ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلي الذي يعتبر بحق فاتح بلاد ما وراء النهر، ووطد الإسلام في تلك البقاع من عام ٨٨-٩٦ هـ / ٧٠٦ - ٧١٤ م ، ووصلت جيوشه إلى حدود الصين ، وخضع له إمبراطور الصين وبعث له الجزية ، وفتح كاشغر ، ووطد أركان الدولة الإسلامية فيما يعرف اليوم بتركستان الغربية ، أي أوزبكستان وتركمانستان ، وطادجيسكتان ، وقيرغيزيا (١).

وهذه المناطق عرفت باسم «تركستان» وقد ظهرت فيها مراكز حضارية إسلامية وذلك خلال عهد الخلافة العباسية ، حيث ظهرت مدينة «مرو» عاصمة خراسان ومركز الدولة الطاهرية ، ومدينة «غزنة» وكانت مركزا للدولة الغزنوية وتقع في بلاد الأفغان جنوب كابل ، ومدينة «بخارى» وكانت مركزا للدولة السامانية ، ومدينة «سمرقند» عاصمة بلاد الصفد وحاضرة تيمورلنك ، وقد نبغ من علماء هذه المناطق كل من الإمام البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ والإمام مسلم المتوفى عام ٢٦١ هـ «والترمذى» المتوفى عام ٢٧٩ هـ «والنسائي» المتوفى عام ٣٠٣ هـ ، والبيهقي المتوفى عام ٥٦٥ هـ وكل هؤلاء من أئمة الحديث إلى جانب «الطبري» المتوفى عام ٣١٠ هـ المؤرخ والمفسر الذي عاش في بخارى في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وأبي دلف مسعد بن المهلهل الخزرجي الذي اشتهر كرحالة وجغرافي وشاعر (٢) ، «والخوارزمي» المتوفى عام ٤٢٨ هـ المؤرخ والشاعر ، وابن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ الطبيب الفيلسوف ، والغزالي صاحب كتاب إحياء علوم الدين والمتوفى في عام ٥٠٥ هـ والزمخشري المتوفى عام ٥٣٨ هـ وهو من أئمة التفسير . وأكثر أشراف تلك المناطق يدعون أنهم من أصل عربي وأن آبائهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك ، وهم يفتخرون بذلك (٣) .

وقد ظلت تلك المناطق خاضعة للدويلات الإسلامية بالشرق حتى اجتاحتها «جنكيز خان» أوائل القرن الثالث عشر الميلادي الموافق للقرن السابع الهجري، ثم خلفه في زعامة المغول هولكو حفيد جفتاي ابن جنكيز خان الذي وصل في زحفه إلى بغداد فخرّبها ثم إلى الشام فهزّمه سلاطين المماليك في مصر في موقعة عين جالوت بفلسطين عام ١٢٦٠ م / ٦٥٨ هـ،

١- نفس المرجع ، ص٣٧-٣٨ .

٢- د. محمد منير مرسى : أبودلف ورسائله الثانية ، مجلة الخليج الجديدة عدد ٤٤ ، أكتوبر ١٩٧٩ .

٣- لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض : حاضر العالم الإسلامي ، ص٨٨ .

ومنذ ذلك الوقت تجزأت دولة المغول الكبرى حتى ورثها التتار على يد تيمور لنگ^(١) الذى مد سلطته حتى روسيا وحرص على إقامة الشعائر الإسلامية حتى مات عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م .

استمر حكم الدولة العربية الإسلامية سواء الخلافة الأموية أو الخلافة العباسية لبلاد ما وراء النهر ما يقرب من قرنين من الزمان حتى حكمها السامانيون عام ٢٦١هـ / ٨٧٤م ، وكانت هذه البلاد تابعة لولاية خراسان ، وقد ظل الحكم العربى فى تلك البلاد يتعرض للفتن والاضطرابات طوال قرنين بسبب بعد تلك البلاد عن مركز الخلافة فى دمشق أو فى بغداد - إلى جانب ميل السكان الفطرى إلى الحروب ومناصرة كل ثائر وأشهرهم المنع الخراسانى الذى ادعى النبوة^(٢) .

ومن الإنصاف القول بأنه بعد حركة الفتوحات الإسلامية الأولى لبلاد ما وراء النهر ، فقد انتشر الإسلام هناك على يد الدعاة إلى الله من المسلمين وعلى يد التجار الذين نشطوا على طول طريق الحرير الممتد من البحر الأسود غربا إلى الصين شرقا ، وكانوا نماذج حقيقية للمسلمين الملتزمين .

بدأ ظهور السامانيين بدخولهم مدينة بخارى فى رمضان عام ٢٦١هـ / ٨٧٤م وامتد ليشمل خوارزم وكل بلاد ما وراء النهر فى عهد اسماعيل بن أحمد السامانى ويجعل دولته قوية بعد أن كانت مجرد إقليم يتبع إمارة خراسان . واتخذ من بخارى عاصمة له بدلا من سمرقند ، حيث ازدهرت فيها حركة العلم والعمران ، وفيها عاش إمام المحدثين أبو عبد الله البخارى صاحب جامع الصحيح .

وعند موت إسماعيل السامانى عام ٢٩٥هـ / ٩٠٧م أخذ الضعف يدب فى أوصال دولة السامانيين حتى انتهت عام ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م على يد دول تركية ظهرت فى وسط آسيا مثل الزباريون فى جرجان وطبرستان والبويهيون فى العراق ، والغزنويون فى غزنة ، والأويغوريون فى التركستان الشرقية وعند سفوح جبال تيان شان ، ثم السلاجقة .

ثانيا : الحكم المغولى :

وحين ظهر الزعيم المغولى جنكيز خان بوسط آسيا إلى الغرب من الصين أخضع لسلطانه أغلب القبائل التركية المجاورة حتى أصبحت دولته تضم خوارزم وبخارى وسمرقند وخرها ، ثم

١- تيمور لنگ تعنى تيمور الأعرج .

٢- د . أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدولة الإسلامية فى آسيا وحضارتها . ص ١٧٤ .

جاء هولاكو حفيد جمعتاي ابن جنكيزخان ليتولى الزحف غربا فحرب معاقل الإسماعيلية الشيعة في إيران ، ثم دخل بغداد فخرىها وأنزل بأهلها القتل والاعتصاب كعادة المغول ، كما قتل الخليفة العباسي المعتصم بالله عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، وحاول هولاكو الاستيلاء على بلاد الشام لولا وقفة سلاطين المماليك في مصر والشام الذين هزموا المغول في عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م .

وكان الغزو المغولي لوسط آسيا قد فتح الباب على مصراعيه أمام النفوذ التركي بسبب استخدام زعماء المغول للقبائل التركية هناك في قواتهم المحاربة وفي تسيير أمور الدولة. وعلى الرغم من أن الحكم المغولي استمر حوالي قرنين من الزمان ، فقد خلفه الحكم التيموري التركي ثقافة وأصلا والذي بدأ بتيمورلنك في الفترة من ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م إلى وفاته عام ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م ، وبعد أن نجح في الاستيلاء على كل وسط آسيا ودخل موسكو عاصمة روسيا وأحرقها عام ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م، إلى جانب إيران والعراق وشمال الشام .

ثالثا : دول المنطقة بعد حكم المغول :

وتوالى على حكم وسط آسيا حكام جدد بعد التيموريين الذين استمروا في حكم تلك المناطق حوالي قرن من الزمان ، أمثال أوزبك والأمراء الذين خلفوه وعرفوا باسمه كما عرفت المنطقة التي عاشوا فيها باسم أوزبكستان ، كما ظهر أيضا الأمير شيبان وخلفائه الذين عرفوا بالشيبانيين وكان أمراء الأوزبك وأمراء الشيبانيين كالتيموريين يدينون بالإسلام ويهتمون بالحضارة الإسلامية ، وقد حكم الأوزبك والشيبانيون في الفترة من ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م إلى عام ١٠٠٦هـ / ١٥٩٧م أي حوالي قرن من الزمان .

وتوالى على حكم المنطقة قبائل تركية أو مغولية مثل الاشراخانيون الذين استمر حكمهم لما يقرب من قرن من الزمان من ١٠٠٦هـ / ١٥٩٧م إلى ١٠٩٩هـ / ١٦٨٩م، والمنغيتيون الأوزبك الذين خلفوا سبحانهقلی خان الذي خلف الاشراخانيين ، واستمر حكم المنغيتيون وأميرهم معصوم في الفترة من ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م إلى عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م . ثم الأمير مظفر الدين الذي حكم في الفترة من عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م إلى عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م الذي اصطدم بالغزو الروسي لوسط آسيا .

رابعاً : الغزو الروسى :

عندما تفككت امبراطورية التيموريين وخلفائهم الإسلامية ظهرت دولة روسيا المستقلة وعاصمتها موسكو عام ١٤٨٠م التى أخذت تنتقم من المسلمين فى كل بقعة تتوسع فيها ، فعلى سبيل المثال فقد طرد الروس من مدينة « كازان » التى استولوا عليها عام ١٥٥٢م جميع أهلها المسلمين وذلك ليحلوا مكانهم أبناء جلدتهم من الروس ، ولكن أثناء نزوح هؤلاء المسلمين انتشر الإسلام على أيديهم طوال الطريق التى سلكوها وبين جميع القبائل التى جاورها^(١).

أخذ الروس يتوسعون على حساب الملوك والخانات المجاورين لهم وكانوا يضطهدون المسلمين فى كل بلد يجدونهم فيها ، وفى عام ١٥٨٠م استولى الروس على مدينة « سبير »^(٢) عاصمة التتار ، وفى عام ١٧٢٢م استولى بطرس الأكبر قيصر روسيا على « الدرند »^(٣) وسائر سواحل بحر قزوين الغربية ، وفشل شاهات إيران فى إزاحة الروس من هذه المناطق ، حتى انتهى الأمر عام ١٨١٣ بتنازل الإيرانيين عن كل ادعاء لهم فى هذه المناطق^(٤).

وكانت إيران قد وقعت عدة معاهدات مع روسيا لإنهاء الحرب التى دارت أثناء الغزو الروسى لمناطق تركستان والقوقاز أهمها معاهدة « كلستان » التى عقدت بعد حروب لا طائل من ورائها استمرت عشر سنوات من ١٨٠٣-١٨١٣م عقدت بوساطة الإنجليزية فى معسكر « كلستان » بمنطقة « قراباغ » والتى نصت على تطبيق اصطلاح القانون الدولى : الوضع الراهن Status Quo بمعنى أن المناطق التى كانت تحت سيطرة حكومة إيران حتى ذلك التاريخ تبقى تابعة لروسيا . ونتيجة لمعاهدة كلستان عام ١٨١٣م ضمت روسيا إليها نهائياً كرجستان (جورجيا) وشيروان وشكن وكنجة وقراباغ ومغان وقسما من طالش ودرند وبأكو^(٥) . كما فقدت « نجوان » فى معاهدة تركمان جاي التى عقدت بين روسيا وإيران عام ١٨٢٨م ونجوان تعرف الآن باسم ريفان عاصمة أرمينيا .

١- محمود شاکر : تركستان ، ص ٣٨-٣٩ .

٢- أطلق الروس اسم سيبيريا على كل البلاد التى تقع إلى الشرق من جبل الأورال وهى مشتقة من اسم عاصمة التتار .

٣- الدرند منطقة تقع بالقرب من بحر قزوين فى آسيا الوسطى .

٤- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

٥- تاريخ إيران ترجمة آقأى سيد محمد تقى فخر داعى كيلانى ص ٤٩٢ .

ومما يلاحظ أنه في الوقت الذي وقع فيه إقليم تركستان الغربية في قبضة الروس استعداد إقليم شرق تركستان استقلاله لمدة قصيرة ، ولم تكن الحرب بين تركستان الشرقية بين سكانها وبين الصينيين فقط ولكنها كانت تشتعل بين السكان أنفسهم وبعض لغير غاية ولغير سبب . وبقيت تركستان الشرقية تابعة للصين حتى بعد سقوط أباطرة المانشو وقيام الجمهورية الصينية (١).

سارت روسيا في التوسع على حساب امبراطورية التتار الإسلامية ، فاستولت أيضا على منطقة «القرم» عام ١٧٧٧م ، وإقليم «جورجيا» عام ١٨٠١م ، ومنطقة القوقاز أو «قفقاسيا» عام ١٨٦٤م والتي عرفها العرب باسم «القبق» والتي تشمل جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية وتنحصر بين بحر قزوين والبحر الأسود والتي دخلها الإسلام منذ عهد الخلفاء الأمويين حتى أخذها جنكيز خان بعد أن بلغت عدد سنوات حكم العرب لها حسب رأى البعض ٤٦٣ سنة ، ونتيجة لبطش «جنكيز خان» و«تيمورلنك» بأهل القوقاز هرب كثير منهم إلى مصر والعراق حيث قامت دول المماليك الجراكسة .

وحاول أهل البلاد المقاومة أمام الغزو الروسى للقوقاز ، وظهر زعماء مسلمون تصدوا لقيادة المقاومة من أشهرهم الشيخ شامل الذى كان عالما مسلما فهم الإسلام دولة فكان رئيسا للحكومة ، وفهمه سياسة فاستطاع أن يفتنم الفرص المناسبة ، ويعتمد على مزيديه فى مناطق نفوذ أعدائه ، وفهمه إصلاحا فأسس المحاكم وأقام العدل ، وفهمه قوة فأوجد المصانع الحربية (٢) . وقد نجح الشيخ شامل خلال الفترة من ١٨٤٣ إلى ١٨٥٩ م فى التصدى للروس فى القوقاز حيث اتخذ من بلاد الطاجكستان مركزا لعملياته الحربية حتى تمكنت روسيا من البلاد ، واستسلم الشيخ شامل فى ٦ سبتمبر ١٨٥٩م (٣).

وحتى ذلك الحين عاشت اللغة العربية فى القوقاز حياة كاملة لافى الكتابة فقط بل وفى الحديث أيضا ، بل إن قوة تيار التراث العربى القديم فى القوقاز استطاعت أن تحمل حتى

١- و . بارتولد : المرجع السابق ص ٢٥٤ .

٢- محمود شاکر : قفقاسيا ، ص ٢٦ .

٣- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق، ص ١٩١ .

أيامنا اللغة العربية الفصحى التي لا تستخدم في التخاطب العام في موطنها في البلاد العربية^(١).

وهكذا نجحت روسيا القيصرية في السيطرة على أقاليم وسط آسيا التي انتشر بها الإسلام واللغة العربية ، وعمل الروس على إبقاء المجموعات الإسلامية في تلك المناطق غير موحدة دينيا ولاسياسيا ، فكان القيصر يعين مفتى روسيا الداخلية ومفتى القرم (المناطق الغربية) ، ولم يكن لآسيا الوسطى مفتى واحد وإنما عدد من المفتين ، أما على الصعيد السياسي فكان المسلمون يشكلون جزءا من روسيا كسائر شعوب الإمبراطورية وكانوا خاضعين لأنظمتها إلا في المحميات (إمارة بخارى وخانية خيوة) ، وكان مسلمو تركستان ومركزها طاشقند والسهوب يخضعون للحكام العامين ، أما سكان القفقاس (القوقاز) فيخضعون لنائب الملك، وترك القبائل الرحل يخضعون لعاداتهم وتقاليدهم مثل «القيرغيز» و«القوزاق». وظل الاستعمار الروسى عسكريا فى جوهره لم يهتم إلا ببناء الحصون والمنشآت العسكرية بينما أهمل المناطق الإسلامية إهمالا لا يعادله إهمال آخر^(٢).

وحيث استطاعت روسيا منذ القرن الثامن عشر استخلاص مناطق آسيا الوسطى من يد أصحابها حتى استوى مركزها هناك عام ١٨٨٤م باستسلام «مرو» إليها عن رضا وطيب نفس^(٣) فإن السياسة للإسلامية التي اتبعتها الروس فى حكم المسلمين كانت من الأسباب التى دعت إلى تذمر المسلمين من ناحية وتهيئتهم للشورة على الحكم الروسى كما دعت فى نفس الوقت إلى التمسك أكثر بالدين الإسلامى ، وإن كانت القيود التى وضعتها الإدارة الروسية على المسلمين قد أوقفت نشاطهم فى نشر الدين الإسلامى بين غير المسلمين .

وعندما قامت الشورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ تفاعل المسلمون الخاضعون للسيطرة الروسية خاصة عندما عرضت الحكومة الشيوعية فى موسكو على الشعوب التى خضعت

١- كراتشكوفسكى تعريب د. محمد منير مرسى : مع المخطوطات العربية- المراقب الملازم لشامل فى كالوجا ، ص١٨٩-١٩٧ .

٢- محمود شاکر : تركستان ، ص٤٦-٤٧ .

٣- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٦٧٠ .

للقياصرة بحد السيف الاختيار بين البقاء تحت إدارة الحكم الجديد أو الاستقلال، وكان أهالي بلاد القوقاز أجمعين ممن أعلنوا استقلالهم التام فتألفت جمهورية في كرجستان (بلاد الكرج أو جورجيا) ، وأخرى في الطاجكستان ، والثالثة في أذربيجان ، والرابعة في أريفان الأرمينية ، وأوفدت كل من الجمهوريات الأربع وفودها إلى الأستانة لمفاوضة الأتراك والألمان في الاعتراف بهذه الجمهوريات الأربع ، وصار الحديث في ارتباطها ببعضها ببعض بشكل حلفي^(١) . ولكن هزيمة الأتراك والألمان في الحرب العالمية الأولى واحتلال الإنجليز للقوقاز قد أوقف مشروعات جمهوريات القوقاز الإسلامية حتى إذا استعاد الروس القوقاز قبضوا بيد من حديد على هذه الجمهوريات وقضوا بشدة على الثوار الوطنيين فيها .

وفي تركستان قامت ثورة ضد الحكم الروسى منذ عام ١٩١٩ ، وقد قام بدور فيها القائد التركى المعروف أنور باشا والذى عمل وزيرا للحرية في حكومة الاتحاديين ثم ترك تركيا عقب إعلان الهدنة وقاد ثورة تركستان حيث استشهد عام ١٩٢٢ م بعد كفاح دام أحد عشر شهرا كاملا^(٢) . وبعد أن هاجم عساكر البلاشفة في مواطن عديدة وظفر بهم ، وغنم منهم مدافع وأعتادا حربية ، نشرت الجرائد الأوروبية أخبار غزواته وفتوحاته ، وفرح بها أحبابه والمسلمون جميعا^(٣) .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية حاولت حكومة الاتحاد السوفيتى استرضاء المسلمين الخاضعين لها فسمحت بإنشاء مراكز إسلامية ، ولكن ما كادت الحرب تنتهى حتى عادت الحكومة السوفيتية إلى اتباع أسلوب القسوة والاضطهاد بل والإبادة مع المسلمين خاصة أنها نغمت انضمام كثير من المسلمين المضطهدين إلى الألمان أثناء معارك الحرب العالمية ضد الروس، ونتج عن هذا الأسلوب القضاء على مظاهر الإيمان عند المسلمين بمعنى عدم الجهر به خوفا وتقية، ولكنه لم يستطع أن يمس حقيقة الإيمان في نفوس المسلمين الذين قاوموا الإلحاد .

١- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق، ج٢ ، ص١٩١ .

٢- محمود شاكر: تركستان ، ص٥٣ .

٣- لوثرروب ستودارد : المرجع السابق ، ج٤ ، ص٣٧٢ .

ثانياً :الجمهوريات المستقلة

جمهوريات تركستان

إن تسعة أعشار المسلمين الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى إنما هم من الأتراك ، كما أن معظم هؤلاء المسلمين إنما هم من أتباع السنة، كما يعيش حوالى ثلاثة ملايين من الشيعة أغلبهم فى جمهورية طاجكستان ، كما يوجد مائة ألف إسماعيلى فى هضبة البامير وهم من أتباع آغا خان ولهم اتصال بالهند^(١) . وقد عمدت الحكومة السوفيتية إلى تقسيم المسلمين وذلك لتجزئتهم .

جمهوريات تركستان :

١- جمهورية كازخستان وهى جمهورية إسلامية وعدد سكانها ١٢ مليون نسمة وعاصمتها مدينة «ألمأ أضا» أى بلد التفاح ، ثم صارت العاصمة أخيراً مدينة «أستانا» .

٢- جمهورية أوزبكستان وعدد سكانها ثمانية ملايين نسمة وقد شملت كلا من جمهورية «كاراكالباكيا» وجزء من إمارة بخارى، وقسما من خانية خوارزم ومناطق أخرى وعاصمتها مدينة «طاشقند» وأهم مدنها «سمرقند» و«خبوة» و«بخارى» .

٣- جمهورية تركمانستان وعدد سكانها لايتجاوز المليون والنصف فقط رغم اتساع مساحتها وعاصمتها مدينة «عشق أباد» وتقع جنوب البلاد بالقرب من حدود إيران .

٤- جمهورية «قيرغيزيا» وعدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة، ولكن نتيجة لسياسة الاتحاد السوفيتى المناهضة للوطنيين تناقص العدد وزاد عدد الوافدين من الروس والعاصمة «فرونزى» نسبة إلى القائد الروسى ميخائيل فرونزى، مما يدل على سيطرة الروس على القيرغيز .

٥- جمهورية طاجيكستان : ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من المليونين وهم من أصل إيرانى ومركزها مدينة «ستالين أباد» .

٦- جمهورية باشكيريا : وتقع فى السفوح الغربية لجبال أورال وسكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة وعاصمتها مدينة «أوفا» التى ظلت حتى القرن الحالى مركزا إسلاميا كبيرا .

٧- جمهورية تاتاريا وتشارك مع جمهورية باشكيريا فى حدودها الشرقية وعاصمتها مدينة كازان التى اشتهرت بوجود عدد كبير من المساجد مما يدل على وجود عدد كبير من المسلمين .

٨- شبه جزيرة القرم التى قامت بها دولة إسلامية عقب الحرب العالمية الأولى ولكن الشيوعيين فى موسكو قضوا على هذه البلاد حتى الآن وحاربوا الوجود الإسلامى .
وهذه الجمهوريات السبع إلى جانب القرم مناطق إسلامية وكلها تعرف بتركستان الغربية فى الوقت الذى توجد فيه تركستان الصينية أو الشرقية .

ثالثا : العالم التركى

عندما تفكك الاتحاد السوفيتى رسميا فى ديسمبر ١٩٩١م وعادت إلى الوجود جمهوريات وسط آسيا المستقلة (تركستان) وجمهوريات القوقاز ، أعلنت الجمهورية التركية أن العالم التركى قد استعاد مكانته على الخريطة السياسية والثقافية ، انطلاقا من أن أتراك الجمهورية التركية ينتمون إلى أتراك وسط آسيا . وكما ذكرنا فإن أتراك الجمهورية يرجع أصلهم إلى تركمانستان ، وهم الذين هاجروا إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى وأسسوا الإمبراطورية العثمانية وأصبحوا من عام ١٢٩٩م حتى سقوط الدولة العثمانية عام ١٩٢٤م يعرفون باسم الأتراك العثمانيين .

وتواكب وجود قبيلة الأتراك العثمانيين بزعامة أرطغرل فى آسيا الصغرى مع إسلام قبيلة «التون أوردا» أى القبيلة الذهبية المغولية ، عندما أسلم خان هذه القبيلة وهو من أحفاد جوجى بن جنكيزخان ويدعى «بركة خان» الذى عقد علاقات ودية مع الظاهر بيبرس سلطان المماليك فى مصر والشام الذى تزوج ابنته لتوحيد أواصر الصداقة بين الطرفين ، كما سبق أن ذكرنا .

وفى حوالى عام ٦٨٠هـ / ١٢٨٠م أسلم شقيق أباخان ابن هولكو من الأسرة الالغانية وسمى نفسه أحمد ، وأسلم أتباعه بإسلامه ، وتوالى إسلام المغول ، حتى استطاع الإيلخانيون إسقاط دولة سلاجقة الروم فى قونية عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م ، وأدخلوا شبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول) تحت نفوذهم وفرضوا الضرائب على الإمارات التركمانية هناك ومنها إمارة آل عثمان .

١- محمود شاکر : قفقاş ، ص ٤٦ .

٢- محمود شاکر : نفس المرجع ، ص ٤٧ وما بعدها .

ومع نهاية حكم التيموريين - بعد وفاة تيمورلنك - عام ١٤٠٤م / ٨٠٧هـ وفتح القسطنطينية على يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م / ٨٥٧هـ لتصبح عاصمة لهم باسم «إسلام بول» أصبحت قبلة أتراك ممالك ما وراء النهر وخراسان والقوقاز وباعتبارها مركز الخلافة الإسلامية وسلطانها هو خليفة العالم الإسلامي السنّي وحامى الحرمين الشريفين .

ولكن قيام الدولة الصفوية عام ١٥٠٠م / ٩٠٦هـ فى تبريز التى جعلت من نفسها حامية للمذهب الشيعى فى المنطقة التى تفصل شرقى الأناضول عن ممالك وسط آسيا ، قطع الطريق الذى عبره الأتراك السلاجقة فى فتوحاتهم الأولى ، واجتازه تيمورلنك متوجها إلى أفقرة ، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر على علاقة ممالك ماوراء النهر وخراسان والقوقاز بالدولة العثمانية. ومنذ ظهور الدولة الصفوية لم تتوقف عن محاولات نشر المذهب الشيعى فى شرقى الأناضول وجنوب القوقاز غربا وفى خراسان وممالك ما وراء النهر شرقا ، الأمر الذى جعلها -الدولة الصفوية- تخوض حروبا متصلة فى الشرق مع خانات آسيا الوسطى وفى الغرب مع سلاطين الأتراك العثمانيين .

وفى الوقت الذى كانت فيه دولة القبيلة الذهبية- التون أودا- الإسلامية فى شمال غرب آسيا تتجه نحو الإنهيار عام ١٤٨٠م كان أمير موسكو «إيفان الكبير» الذى حكم فى الفترة من ١٤٦٢-١٥٠٥م - يحاول بسط سيطرته على المناطق المجاورة له حيث ضم كافة الإمارات الإسلامية المستقلة التى كانت تحيط بإمارة موسكو ، ومنذ ذلك الوقت بدأت سياسة روسيا التوسع على حساب الممالك الإسلامية فى القوقاز ووسط آسيا ، مما أدخل دولة الأتراك العثمانيين فى الصراع ضد الاعتداءات الروسية على ممالك الأتراك فى وسط آسيا .

وكانت الدولة العثمانية قد نجحت فى أن تلعب دورا هاما فى المنطقة الشمالية بناء على طلب حاكم القرم «حاجى كراى خان» وتقيم علاقات مباشرة مع خانات القبجاق ، وفى عهد «منكلى كراى خان» ١٤٧٨-١٥١٤م توطد النفوذ العثمانى فى بلاد القرم وتوفير الحماية العثمانية لها ضد مملكة «التون أودا» التى كانت تسعى لاستعادة القرم ، وإمارة موسكو التى كان لها أطباع فى أملاك «التون أودا» وقد خرج خان القرم «إسلام كراى» على الدولة العثمانية وأعلن استقلاله عنها عام ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م .

وقد اتخذ الصراع بين العثمانيين والروس ميدانا له مملكة القرم ، حيث كان الروس ينتهزون فرص خروج بعض خانات القرم على نفوذ الدولة العثمانية لبسط نفوذهم على المناطق الشمالية، وخاصة القازان ١٥٥٢م واستراخان عام ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م، وبذلك فتحت أمام

الروس أبواب آسيا ، وبدأ يضعون الخطط للسيطرة على كل نواحي القوقاز حتى بحر الخزر (قزوين) شرقا . ورغم أن الدولة العثمانية استمالت إلى جانبها جماعات الجركس فى القوقاز ، وجماعات كيجى نوغاي فى سهول القبجاق ، إلا أن الروس نجحوا فى استقطاب جماعات من القازان والجركس استخدموا فى الغزو الروسى لسواحل البحر الأسود .

ويمكن القول أن عصر قوة العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى ظهرت بعد امتلاك الدولة العثمانية لأقطار العراق والشام ومصر والحجاز ، وبعد أن أصبح السلطان العثمانى حامى الحرمين الشريفين وخليفة المسلمين ، وبعد أن قامت فى فارس دولة شيعية تحاول نشره شرقا وغربا على حساب العالم الإسلامى السنى الذى تتزعمه الدولة العثمانية ، وقد ساعد كل ذلك على التقارب بين الدولة العثمانية وبين خانات آسيا الوسطى والقوقاز والممالك السنية هناك التى كانت تتجه صوب إسلامبول فى مواجهة الخطر الصفوى الشيعى ، مثل خانات الأوزيك من الأسرة الشيبانية فى بخارى وسمرقند ، وفى الوقت نفسه كانت إسلام بول ترسل مساعدات عسكرية إلى خانات الأوزيك فيما وراء النهر .

وقد حاولت الدولة العثمانية تأمين مواصلاتها مع ممالك آسيا الوسطى ، عن طريق إعداد حملة عثمانية على « كرجستان » وإيران وشمال القوقاز لتوفير الإمدادات اللازمة للحملة ، وزادت أهمية القيام بهذه الحملة بعد استيلاء الروس على مركز مملكة القبيلة الذهبية- التون أوردا- فى استراخان ، حيث قطعوا ارتباط مسلمى آسيا الوسطى بالدولة العثمانية من شمال بحر الخزر وحالوا دون توجه المسلمين فى تلك المناطق إلى الحجاز وسعوا لمد نفوذهم إلى القوقاز وآسيا الوسطى ورجبوا فى السيطرة على مركز التجارة الدولية على بحر « أزاك » ولكن هذا المشروع لم يتحقق بسبب تحالف روسيا مع خان القرم ومع الصفويين فى فارس وبسبب الخلافات داخل البلاط العثمانى ، وبسبب تحطيم الأسطول العثمانى عام ١٥٧١م عند عودته من حملته عند قبرص . وكان هذا المشروع العثمانى يتشمل فى إنشاء قناة تربط نهري الدون والقوقاز حتى يمكن شن حملة شاملة على استراخان لوقف الزحف الروسى فى تلك الجهات .

وفى هذا الإطار استمر التحالف بين العثمانيين والأوزيك السنة فى مواجهة الخطر الفارسى الشيعى والمتحالف مع الروس ، حيث رأينا خلال القرن السابع عشر الميلادى علاقات وطيدة ومشاركة سياسية وعسكرية واسعة بين الدولة العثمانية وممالك وسط آسيا الإسلامية كان لها أعظم الأثر فى إلحاق ضربات متتالية أضعفت الحكم الشيعى فى فارس ، وإن كان هذا الضعف لصالح الروس .

وكانت المراسلات المتبادلة بين سلاطين الدولة العثمانية وبين خانات ممالك آسيا الوسطى تبرز لنا النموذج السامى من تلك العلاقات بين الطرفين والقائمة على رابطة الإسلام ، إذ كان السلاطين العثمانيين يحيطون خانات آسيا الوسطى علما بنشاطهم العسكرى والسياسى فى المناطق الشرقية ويطلبون منهم المشاركة الجدية فى تنفيذ السياسة العثمانية فى المنطقة ، كما كان خانات تلك المناطق يبعثون بسفرائهم إلى إسلام بول بصفة دائمة محملين بالهدايا القيمة والرسائل التى تحييط السلاطين العثمانيين علما بآخر التطورات السياسية والعسكرية والاقتصادية فى المنطقة ، وإلى أى درجة يمكن التنسيق بين الطرفين .

وكما كانت للدولة العثمانية علاقات وطيدة مع خانات ما وراء ، فقد كانت لها علاقات وطيدة أيضا مع خانات خوارزم منذ أواسط القرن السادس عشر الميلادى الموافق للقرن العاشر الهجرى . وكل هذا يؤكد النموذج من العلاقات بين ممالك آسيا الوسطى والدولة العثمانية على بقظة روح الأخوة الإسلامية ، والتفاف المسلمين فى كل مكان حول شعار خلافتهم الإسلامية .

ولكن أمور الدولة العثمانية والمسلمين فى الهند ووسط آسيا وفارس عاشت عصرا من التفكك والضعف فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر الميلادى، فى الوقت الذى كانت فيه روسيا القيصرية تحقق انتصارات متتالية على الدولة العثمانية شمالى القرم وفى البلقان ، إلى جانب انتصارات امبراطورية النمسا والمجر على العثمانيين الذين اضطروا إلى التنازل عن بلاد المجر ، بينما كان الإنجليز والفرنسيون يتطلعون للاستيلاء على ممتلكاتهم رجل أوروبا المريض أى الدولة العثمانية كما أطلقوا عليها ، وذلك فى الأقطار العربية .

وكانت روسيا أسبق الدول الأوروبية فى معاداة الدولة العثمانية ، وفى السيطرة على المناطق الإسلامية فى القوقاز وتركستان ، من ذلك أنها انتهزت فرصة اضطراب القيادتين العثمانية والقرمية المشتركة فى القرم وبدأت فى بسط سيطرتها على مملكة «التون أوردا» فى استراخان ، ومنها إلى شبه جزيرة القرم مستغلة الخلافات داخل الأسرة الحاكمة فى القرم والخلاف بين بعض أفراد هذه الأسرة مع الدولة العثمانية ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية - كما ذكرنا - تعاني من اعتداءات الدول المجاورة مثل امبراطورية النمسا والمجر .

وفى الربع الأخير من القرن الثامن عشر نجحت روسيا بالتآمر وعن طريق معاهدة «كوجك قينارجة» عام ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤م فى إرغام الدولة العثمانية على التنازل عن أراضى شاسعة

أغلب سكانها من المسلمين السنة ، وكان أن دخل الجيش الروسى القرم عام ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م وبعد خمس سنوات (١٧٨٣م) اعتبرت القرم ولاية من الولايات الروسية ولاقى سكانها المسلمون الاضطهادات والعنت من الروس ، مما اضطر الكثيرين منهم إلى الهجرة إلى أراضى الدولة العثمانية .

وستقوط القرم فى يد الروس أصبح الطريق مفتوحا أمام الروس لاحتلال القوقاز ، وكانوا قد أرسلوا حملة إلى هناك عام ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م، ومنذ ذلك الوقت أخذ الروس يوطدون علاقاتهم مع المجموعات النصرانية هناك كالأرمن والكرج فعقدوا تحالف معهم ضد الدولة العثمانية وضد فارس ، ثم سقط فى يد الروس الشاطىء الغربى لبحر الخزر (قزوين) ومينائه فى «دريند» فى عام ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م ، ثم احتلوا مدينة «باكو» بعد عامين (١٧٢٤م) ، هذا فى الوقت الذى رحب فيه الشاه «طهما سب» شاه فارس باحتلال الروس لمدن «دريند» و «باكو» وتعهد بالتنازل لروسيا عن جيلان ومازندران واستراهاد بشرط مساعدته فى البقاء على عرش إيران .

ونتيجة للضعف الذى أصاب الدولة العثمانية ، أواخر القرن الثامن عشر تنازلت لروسيا عن «قباارتاي» شمالى القوقاز بموجب معاهدة كوجك قينارجة المشار إليها ، وفشلت قوات الدولة فى مساندة كفاح مسلمى القوقاز ضد الفنزو الروسى، الذى تمكن عام ١٧٩١م / ١٢٠٥هـ من احتلال «أناها» ، ثم تمكن الروس من هزيمة القوات العثمانية فى شمال القوقاز خلال معارك حربية عام ١٨٢٨ - ١٨٢٩م / ١٢٤٤هـ وسطوا نفوذهم على قسم كبير من القوقاز .

ونتيجة لحركة الشيخ شامل فى الشيشان والقوقاز ضد روسيا ونتيجة لحرب القرم الأوروبية عام ١٨٥٦م فشلت الدولة العثمانية فى المحافظة على ممتلكاتها فى القوقاز ، حيث انسحبت القوات العثمانية من المناطق التى استعادتها من روسيا أثناء حرب القرم ، كما اعتبرت روسيا جميع أراضى القوقاز - بعد القضاء على ثورة الشيخ شامل عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م مركز الروس العسكرى فى المنطقة للإتطلاق إلى ممالك آسيا الوسطى^(١).

١- كانت الدولة العثمانية قد استطاعت أن تمد حدودها الشرقية إلى سواحل بحر الخزر خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى/ القرن العاشر الهجرى على أثر انهيار دولة «التون أودا» ، حيث =

وعندما حاولت الدولة العثمانية تقديم المساعدات للثورة الإسلامية التي كان يقودها الشيخ شامل في القوقاز ، أعاق الإنجليز والفرنسيون وصول هذه المساعدات بالتفاهم مع الروس ، باعتبار أن الأول كان يهمهم انشغال روسيا بتوسعاتها في القوقاز ووسط آسيا حتى لا تتجه بأطماعها إلى أوروبا أو الشرق العربي .

ونتيجة لهذه السياسة الاستعمارية استطاعت روسيا القيصرية الاستيلاء على بقية ممالك القوقاز ثم على خانات وسط آسيا الواحدة تلو الأخرى . فسقطت خانبة «خوقند» في يد الروس أخيرا في عام ١٨٧٦م، وكل من «سمرقند» و«بخارى» و«طاشقند» و«خيو» ثم «عشق أباد» و «مرو» و«سرخس» الواحدة تلو الأخرى ، في الوقت الذي انشغلت فيه الدولة العثمانية بمواجهة مؤامرات المحتلرا وفرنسا للاستيلاء على ممتلكاتها في البلقان والأقطار العربية في شمال أفريقيا والشرق العربي .

ونتيجة للسيطرة الروسية على القرم وممالك القوقاز وآسيا الوسطى والاضطهاد الذي لاقاه المسلمون في تلك البلاد على يد الروس الذين فرضوا عليهم التنصير أو الإبادة ، هاجر كثير من مسلمي تلك البلاد إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى في الأناضول والروميلى ، حيث بدأت هجرة أهل القرم منذ ضمها ضمنا مباشرا إلى روسيا عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م، وبلغ عدد المهاجرين من القرم في الفترة من ١٨٥٦ و ١٨٦٤ م ٥٥٠ ألف مسلم ، كما بدأت هجرة أهل القوقاز الجماعية عقب فشل حركة الشيخ شامل هروبا بدينهم من محاولات التنصير الروسية منذ عام ١٨٦٢م واستمرت حتى سنوات الحرب العالمية الأولى. وتبلغ جملة الهجرات الإسلامية من القرم والقوقاز وغيرها إلى الأراضى العثمانية حوالى ثلاثة ملايين مسلم، وفي

= ضمت كل هذه المناطق بما فيها القوقاز ، إلا أن الدولة اضطرت في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى للتنازل عن قسم من هذه المناطق لإيران وقيمت القوقاز الغربية فقط تخضع للحكم العثمانى ، حيث تشكلت في المناطق العثمانية هناك ثلاث إمارات هي : آجيق باس ، ومينجرة لى - دادابنده، وكوريل . وكانت هذه الإمارات الكورجية الثلاثة يشرف عليها والى «جيلدر» العثمانى ، وتدير شؤونها الداخلية بصفة مستقلة . وكانت الدولة العثمانية قد أقامت على سواحل البحر الأسود الشرقية من ناحية القوقاز عدة قلاع لحمايتها من تعديات الروس .

د . سيد محمد السيد : لمحات من تاريخ العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية بحث من أبحاث مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز جامعة الأزهر .

المقابل هاجر من الدولة العثمانية إلى الأراضي الروسية حوالي ١٥٠ ألف من الأرمن و ٧٠ ألف من البلغار .

وعندما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م حاولت استمالة مسلمى القرم والقوقاز ووسط آسيا من باب فضح النظام القيصرى وتعربة سياسته لتبرير قيام البلشفيك بالثورة ضد القيصرية ، فأعلن كل من لينين وستالين الإعلان التالى : « أيها المسلمون فى روسيا القيصرية، يا تثار سواحل الفولجا والقرم ، يا قيرغيز وصغد سيبيريا وتركستان ، أيها الترك والتتار فى نواحى القوقاز يا ججن القوقاز ، أيها الداغستانيون ، يامن هدمت مساجدهم ومنابرههم بيد ظلمة قياصرة الروس ، يا من سحقتم أديانهم وعاداتهم نتوجه إليكم جميعا بالخطاب ، إننا نعلن من الآن أن عقائدكم وعاداتكم وجميع مؤسساتكم القومية والمدنية حرة ومصونة من كل تعدى وتجاوز ، قوموا وأقيموا حياتكم القومية بحرية وبدون أى اعتراض ، ولكم حق فى ذلك ، واعلموا أن حقوقكم وحقوق كل الأمم التى تعيش فى روسيا تحميها قوى الثورة البلشفية والسوفيت من ممثلى العمال والجنود والفلاحين الذين هم أعضاء فى هذه الثورة، فقدموا يد العون للثورة البلشفية وللحكومة البلشفية^(١) .

فهل حقق الاتحاد السوفيتى هذه الادعاءات وأعطى شعوب القرم والقوقاز وسيبيريا وتركستان الغربية ما وعد به قادته من وعود براقه ؟ لقد سجل التاريخ أن الحكم الشيوعى فى موسكو أساء إلى الإسلام والمسلمين فى تلك البلاد التى خضعت على فترات فى ظل الحكومة القيصرية ، ويدعم هذا الرأى أن النظرية الماركسية لاتعترف بالأديان السماوية ومن ثم لاتعترف للمسلمين بحق إقامة العقيدة الإسلامية وبحق إنشاء المساجد والمراكز والمعاهد الإسلامية فى بلادهم ، وقد لاقى المسلمون كل عنت واضطهاد من الحكام السوفييت ، بل دفع هؤلاء الحكام بمجموعات كبيرة من الروس اللادينيين للإقامة فى وسط هذه البلاد المسلمة فى تركستان وسيبيريا والقوقاز والقرم وغيرها حتى يذوب المسلمون فى وسط هؤلاء الروس .

هذا فى الوقت الذى سيطر على الحكم فى تركيا جماعة الاتحاد والترقى الذين أنهوا الخلافة الإسلامية من إسلام بول ونقلوا العاصمة إلى مدينة أنقرة بالأناضول وألغوا كتابة اللغة التركية بالحروف العربية وألغوا الزى المرتبط بالإسلام وبعبادات المسلمين علمانية بعد أن كان نظام

١- المرجع السابق . و د. محمود متولى : المسلمون والحكم الشيوعى السوفيتى دراسة تاريخية مؤتمّر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز . جامعة الأزهر .

الحكم يقرر أن الإسلام دين الدولة . ومن ثم لم يهتم الحكم الجديد فى تركيا بما يحدث للمسلمين فى القرم والقوقاز وتركستان وغيرها على يد السوفييت ، وإن ظل العداء السياسى قائما بين الاتحاد السوفيتى وتركيا وانضمام تركيا - ومازالت- للمعسكر الغربى كعضو فى حلف الأطلنطى وفى حلف بغداد أو الحلف المركزى .

وعندما تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م تطلعت الشعوب الإسلامية فى القوقاز والقرم وتركستان إلى تركيا الحديثة التى تطلعت هى الأخرى إلى هذه الشعوب ليظهر تعبير العالم التركى ، ولكن ابتعاد تركيا الحديثة عن الإسلام كدين رسمى أو جد لدى شعوب هذا العالم التركى فى وسط آسيا رغبة أكبر فى التعاون مع الأقطار العربية وعلى رأسها مصر حيث الجامع الأزهر والمملكة العربية السعودية حيث يوجد الحرمين الشريفان المقدسان .

الباب الخامس

الأقطار العربية الآسيوية

- مقدمة .

الفصل الأول : أقطار الهلال الخصيب والمربع

العربي

الفصل الثاني : قضية المياه بين تركيا وكل

من سوريا والعراق .

الفصل الأول

أقطار الهلال الخصيب والمربع العربي

- مقدمة - أولا : بلاد الشام - ثانيا : العراق - ثالثا : الأردن- رابعا : المملكة العربية السعودية - خامسا :
أقطار الخليج العربية - سادسا : اليمن.

مقدمة

تتمثل الأقطار العربية في آسيا في سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية وأقطار الخليج العربية واليمن ، وبعض هذه الدول كانت جزءا من الدولة العثمانية مثل سوريا ولبنان وفلسطين والأردن المعروفة ببلاد الشام، إلى جانب العراق ، تلك الأقطار التي ظلت خاضعة للحكم العثماني مدة أربعة قرون من عام ١٥١٤م إلى عام ١٩١٧م، بينما لم تخضع نجد للسلطنة العثمانية وإن خضعت مشيخات الكويت وقطر والأحساء بعض الزمن للسيادة العثمانية وكذلك اليمن ، في الوقت الذي ظلت فيه مشيخات البحرين والساحل العماني وسلطنة مسقط وعمان بعيدة عن السيطرة العثمانية وإن خضعت لنفوذ بريطانيا صاحبة المستعمرة البريطانية في الهند .

وحيث أنه تمت معالجة تاريخ هذه الأقطار جميعا في كتب متعددة^(١) فسوف نعالجها باختصار شديد باعتبارها أقطارا أسيوية فيما يلي :

أولا : بلاد الشام :

كانت بلاد الشام تخضع لحكم سلاطين المماليك في مصر حتى احتلها العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول عام ١٥١٦م وطبقا للتنظيمات العثمانية لأقاليم الدولة فقد انقسمت بلاد الشام إلى ثلاث ولايات هي :

١- ولاية حلب : وتضم مناطق شمال بلاد الشام.

١- كتب : في تاريخ العرب الحديث ، العرب : دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، تاريخ العرب الحديث وجهاد الأتدلسيين، التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية ، تاريخ العرب المعاصر .

٢- ولاية طرابلس : وتشمل ساحل الشام .

٣- ولاية دمشق أو الشام : وتضم البلاد الجنوبية ، من سورية وكل فلسطين .

وقد ظل هذا التقسيم سارى المفعول حتى عام ١٦٦٠ م حيث أعيد تقسيم بلاد الشام إلى أربع ولايات بإضافة ولاية صيدا التى ضمت المناطق الساحلية لبلاد الشام، وكان الدافع أمام الدولة العثمانية لإنشاء هذه الولاية الرابعة هو مراقبة كل من الدروز والموارنة فى لبنان وضمان عدم تجدد الثورات من قبل هؤلاء ، أو أولئك بعد التجربة المريرة التى مرت بها الدولة العثمانية فى إخماد ثورة أمراء الأسرة المعنية الدرزية^(١).

ظل الحكم العثمانى فى بلاد الشام قويا طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر تبعا لقوة الدولة العثمانية فى هذين القرنين فلما دب الضعف فيها ظهرت عصبية محلية فى بلاد الشام طمعت فى الوصول إلى الحكم تحت السيادة العثمانية ، فألّى جانب محاولات الأسرة المعنية والأسرة الشهابية ثم الأسرة الجنبلاطية وهى أسر درزية تطلعت إلى السيطرة على جبل لبنان ، فقد حكمت أسرة العظم فى ولاية دمشق وامتد حكمها إلى ولايات حلب وطرابلس فى بعض الفترات خلال القرن الثامن عشر، وبالتحديد لمدة ٦٠ سنة من عام ١٧٢٤ م حتى عام ١٧٨٦ م .

كما حاول الزعيم العربى ظاهر العمر الزيدانى التوسع بالتزامه فى صفد بفلسطين لتكوين إمارة عربية ثم الباشوية ابتداء من عام ١٧٣٣ وظل فى صراع مع الدولة العثمانية متحالفا مع على بك الكبير فى مصر حتى مقتله عام ١٧٧٥ م .

وشهدت بلاد الشام ما عرف بحروب الشام بين محمد على والدولة العثمانية فى الفترة الممتدة من عام ١٨٣١م وحتى عام ١٨٤٠ . وحتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م استمرت بلاد الشام تخضع للحكم العثمانى المباشر بمساوئه التى أدت إلى ثورات أهل البلاد، وأثناء معارك الحرب العالمية الأولى كانت بلاد الشام ميدانا للقتال بين الدولة العثمانية من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة ثانية انتهت باخراج العثمانيين منها وفرض ما عرف بالانتداب البريطانى على فلسطين والعراق ومع فلسطين والأردن ، والانتداب الفرنسى على سوريا ولبنان . وهنا تبدأ صفحات التاريخ المعاصر .

١- د. رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين القاهرة ، ١٩٩٢م، ص ١٢٥ .

ثانيا : العراق :

خضع العراق لحكم الصفويين الشيعة في فارس منذ عام ١٥٠٨م ثم أصبح منذ عام ١٥١٤م ميدانا للصراع بين الصفويين والعثمانيين، ذلك الصراع الذي استمر طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر مما دفع بالدولة العثمانية للموافقة على بقاء أحد الولاة واسمه حسن باشا حاكما للعراق منذ عام ١٧٠٤م مكونا أسرة وراثية ، وقد نجح حسن باشا في إخضاع القبائل العربية المتمردة - إلى جانب الوقوف أمام خطر الصفويين الشيعة- حتى لم يعد في استطاعة الباب العالي أن يستغنى عن خدماته (١).

وبعد وفاة حسن باشا عام ١٧٣٤م تولى ابنه أحمد الباشوية في بغداد حتى إذا توفى عام ١٧٤٧م ، تولى زوج ابنته وكبير مماليكه سليمان أغا الباشوية على العراق عام ١٧٤٩م لتبدأ سلسلة الباشوات المالكية حتى آخرهم داود باشا عام ١٨٣١ م ، ليعود الحكم العثماني المباشر حتى الحرب العالمية الأولى عندما أنهى الغزوالبريطاني للعراق عام ١٩١٤م الوجود العثماني نهائيا هناك ، ليخضع العراق للانتداب البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى، حيث تبدأ صفحات التاريخ المعاصر (٢) للعراق الملكي تحت حكم الأسرة الهاشمية من عام ١٩٢٠م رغم الانتداب البريطاني .

ثالثا : الأردن :

لم تكن شرقي الأردن قبل عام ١٩٢٠م سوى تعبير جغرافي يطلق على البلاد الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن ، وكانت تابعة في إدارتها للحكومة العثمانية بصفة تكاد اسميه . ثم انتقلت إدارتها ابتداء من عام ١٩١٨ إلى حكومة فيصل العربية بدمشق (٣).

وكانت دول الوفاق قد رأت أن تستولى على تلك البلاد ، لقطع الطريق أمام جيش تركيا المتجه إلى مصر ، فدخل الكولونيل البريطاني «لورنس» مدينة العقبة ١٩١٧م، وفي العام التالي نقل الأمير فيصل بن الحسين - وكان يقود جيشا يمثل الثورة العربية- إلى العقبة وتمكن مع أعوانه من احتلال قسم كبير من الأرض الأردنية ، وذلك بعد معارك عديدة منها تخريب

١- د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٥٠ .

٢- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق، ص٦٥ .

٣- جورج كيرك : تاريخ الشرق الأوسط ٢٤٧ .

الخط الحجازى ، وزحف الإنجليز للفتك بالجيش التركى حتى احتلوا الأردن فى ٩ ديسمبر ١٩١٩ (١).

وفى مؤتمر سان ريمو المنعقد فى أبريل عام ١٩٢٠م جعلت منطقة شرقى الأردن من نصيب بريطانيا كجزء من دائرة الوصاية على فلسطين مع الاحتفاظ بشرط أساسى هو أنه فى الأراضى الواقعة بين نهر الأردن والحدود الشرقية لفلسطين حسب تحديدها النهائى يكون للدولة المنتدبة - إنجلترا - الحق بموافقة مجلس عصبة الأمم فى تأجيل أو وقف تنفيذ شروط الانتداب التى ترى سريانها غير ملائم للظروف المحلية بهذه الجهات ، وأن تعد تدابير الحكم التى تراها ملائمة لهذه الظروف (٢).

وعندما وصل الأمير عبدالله بن الحسين إلى معان يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٠م قادما من مكة، وفى نيته التقدم نحو عمان ، ومن معان بعث لأهل سوريا بمنشور هاجم فيه الغزو الفرنسى وبعضد السوريين فى كفاحهم ضد الفرنسيين . وعندما وصل إلى عمان رحبت به المجالس المحلية التى أقامها الإنجليز والتى سيطر عليها الموظفون الإنجليز ، وقد عبر المندوب الإنجليزى لرؤساء القبائل وشيوخ الشعب الأردنى، حين زار مدينة السلط بقوله : تسألونى عن نوع المساعدة التى تريد إنجلترا أن تقدمها لكم فأجيبكم بأنها لاتريد أن تضمامكم إلى الإدارة الموجودة الآن بفلسطين بل تنشئ لكم إدارة منفردة تساعدكم على أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم (٣).

وتحقيقا لنصوص الانتداب الذى صدر فى مؤتمر سان ريمو فقد اتفق الأمير عبدالله مع تشرشل وزير الخارجية البريطانية عندما اجتمعا فى القدس على الأسس التى تقوم عليها إدارة شرق الأردن ، وهى إقامة حكومة عربية وطنية هناك برئاسة الأمير عبدالله تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً إدارياً ومع الاسترشاد برأى مندوب سامى بريطانى فى عمان وأن يتعهد الأمير بالمحافظة على حدود سوريا وفلسطين من كل اعتداء على أن تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الأمير وبين سلطات الاحتلال الفرنسى فى سوريا ، وأن تنشئ بريطانيا قاعدتين للطيران فى عمان والكرك .

١- د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : المرجع السابق، ص ٤٥٨-٤٥٩ .

٢- جورج كيرك : المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

٣- د. عزت عبد الكريم وآخرون : المرجع السابق، ص ٤٦٢ .

ورغم اشتغال قرار الانتداب على شرق الأردن إلى جانب فلسطين ، فقد استثنت بريطانيا شرق الأردن من التزامات الوطن القومي لليهود في فلسطين بحصولها على هذا الاستثناء من عصبة الأمم في سبتمبر ١٩٢٢م ثم اعتزمت المجتريا في العام التالي - ١٩٢٣م - بقيام حكومة مستقلة في شرقي الأردن يرأسها الأمير عبدالله تحت الانتداب الإنجليزي .

لقد أقامت المجتريا إمارة شرق الأردن تحقيقا لمآرب سياسية واستراتيجية تخصها من أهمها تأمين القطاع العربي في الطريق البري إلى الهند ، فيما بين الخليج والبحر المتوسط خاصة بعد أن أثبتت وسائل المواصلات السريعة أهمية الوطن العربي بالنسبة لاتصالات المجتريا بالهند ، وأيضا إنشاء قاعدة لنفوذها السياسي والاستراتيجي في هذه المنطقة تشرف منها على بقية أجزاء الوطن العربي خاصة الشرقية وخاصة بعد ظهور البترول وازدياد المصالح البريطانية في أقطار الوطن العربي .

واهتمت الحكومة البريطانية بتحديد كيان مستقل لإمارة شرق الأردن فحثت الأمير عبدالله على أن يطلب من أبيه الملك حسين في الحجاز ضم عمان والعقبة إلى إمارته وكانتا تابعتين للحجاز ، كما استطاعت نفس الحكومة أن تقنع الملك عبد العزيز آل سعود بعد استيلائه على الحجاز بقبول الوضع القائم بهما ، وأقنعتة بالتنازل عن ممر أرضي من شمالي نجد يعضم إلى إمارة شرق الأردن يصل بينها وبين العراق ويفصل بين نجد وسوريا وحققت بريطانيا بذلك الوحدة الاستراتيجية التي تنشدها في منطقة انتدابها في البلاد العربية ، وأصبح إشرافها على الطريق البري بين الخليج والبحر المتوسط تاما كاملا^(١) .

وقد طلب الأمير عبدالله في ٦ يناير عام ١٩٤٢م من بريطانيا أن ترفع عنه الانتداب حتى يصبح مثل الدول الأخرى وليكون قادرا على تحقيق وحدة الأردن وسوريا^(٢) . ولكن بريطانيا ردت بأنها مشغولة بالعمليات الحربية ، ولكن الأمير عبدالله ظل يرسل المذكرات للحكومة البريطانية لكي يحصل على الاستقلال ، وبالفعل تم التوقيع على معاهدة للتتحالف بين الأردن وبريطانيا في ٢٢ مارس ١٩٤٦م اعترفت فيها بريطانيا باستقلال الأردن . وبعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨م . أعلنت الأردن ضم الضفة الغربية لنهر الأردن الفلسطينية إلى شرقي الأردن لتصبح عام ١٩٤٩م المملكة الأردنية الهاشمية وظلت كذلك حتى احتلت إسرائيل الضفة الغربية عام ١٩٦٧م .

رابعاً : السعودية :

يبدأ التاريخ الحديث للسعودية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ عام ١١٥٣ هـ الموافق لعام ١٧٤٠م، وكان رحيله إلى الدرعية مقر آل سعود عام ١١٥٧ هـ / ١٧٤٣م بداية لمرحلة جديدة وحاسمة لنشر الدعوة ، حيث كان التحالف بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود بداية لنشر الدعوة في بقية بلاد نجد وأنحاء شبه الجزيرة العربية .

وما قرب القرن الثاني الهجرى من الزوال حتى أصبحت الدرعية عاصمة دينية وسياسية وحرية ، وفي سنوات قليلة انتشرت الدعوة مع الحكم السعودي في بلاد نجد كالعارض والوشم وسدير وحائل والخرج والأفلاج والحريق ووصلت ثلاثتها إلى الأحساء وعمان وبادية الحجاز وعسير واليمن، وسمع بها أهل البلدان العربية خارج الجزيرة^(١).

وقد مرت الدولة السعودية رابعة دعوة التوحيد الإصلاحية السلفية بثلاث مراحل ، بدأت المرحلة الأولى بالتحالف بين الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود وبدأت المرحلة الثانية بتولية الإمام تركى بن عبد الله وابنه من بعده فيصل بن تركى ، وذلك عام ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م، باعتبار الإمام تركى بن عبد الله الزعيم الساعى لاسترداد إمارة آل سعود^(٢)، ثم خلفه ابنه فيصل فى زعامة الدولة السعودية عام ١٢٥٦هـ / ١٨٣٣م، حتى وفاته عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٦م .

وبدأت المرحلة الثالثة للدولة السعودية رابعة دعوة الإصلاح السلفى بخروج عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود من الكويت عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١م ومعه سبع وأربعون رجلاً حيث دخل الرياض واستردها من آل رشيد ، وبذلك بدأ تكوين الدولة السعودية الحديثة بزعامة عبد العزيز الذى امتد حكمه حتى وفاته عام ١٢٧٣هـ / ١٩٥٣م .

وفى هذه المرحلة الثالثة تم توحيد شبه الجزيرة العربية من الخليج العربى حتى البحر الأحمر ومن الحدود الشمالية مع الأردن والعراق إلى الحدود الجنوبية مع اليمن وعمان السلطنة والساحل كما تم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وبناء الدولة بناءً عصرياً فى مجال الزراعة والصناعة والتعليم والصحة .. الخ . وبدأت علاقاتها الخارجية تستقر باتفاقيات مع الأقطار العربية ومع الأقطار الأجنبية كما تهيأت سبل الأمن والاستقرار لحجاج بيت الله الحرام .

وبقيام المملكة العربية السعودية - وهو الاسم الذى أطلقه عليها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، دخلت فى تاريخها المعاصر الممتد حتى الآن ..

١- د. حسن سليمان محمود : المملكة العربية السعودية ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٦٥ .

٢- حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٢٢٣ .

خامسا : أقطار الخليج والجنوب العربي :

أخذ الإنجليز منذ أواخر القرن الثامن عشر يمارسون أنواعا من التدخل فى شؤون إمارات الخليج. وجعلوا من مكافحة عمليات الجهاد البحرى وسيلة لعقد معاهدات مع شيوخ المقاطعات هناك، وأهم ما يذكر فيها أنهم لا يتنازلون عن شبر من أرضهم لأية دولة كانت ولا يسمحون بإعطاء أي حق فى أراضيهم لأحد ماعدا بريطانيا^(١). ومن أمثلة تلك المعاهدات المعاهدتين اللتين وقعتهما إنجلترا مع سلطان بن أحمد صاحب مسقط فى أكتوبر ١٧٩٨م، ويناير ١٨٠٠م اللتين نصتا على إنشاء وكالة تجارية فى بندر عباس (وكانت تابعة لحاكم مسقط) ، وتخلي مسقط عن أي اتصال بالفرنسيين أو السماح لهم أو لسفنهم بالنزول فيها فى حالة نشوب الحرب بين فرنسا وإنجلترا ، وسمح سلطان بن أحمد للإنجليز بإرسال وكيل سياسى لهم فى مسقط ، وعلى هذا يكون سلطان بن أحمد أول أمير عربى يدخل فى معاهدة مع الإنجليز^(٢).

وقد اتخذ الإنجليز فى الخليج سياسة عنيفة لمقاومة عمليات الجهاد البحرى العربية هناك ضد السفن الأوروبية ، ومن أمثلة ذلك إرسال حملة بحرية إلى الخليج أجبرت القواسم فى رأس الخيمة على توقيع معاهدة مجحفة بهم فى ٦ فبراير ١٨٠٦م تضمنت عدم مهاجمتهم للسفن الإنجليزية ، ومن أمثلة ذلك أيضا الحملة البريطانية التى هدفت إلى تدمير رأس الخيمة والقضاء كليا على نشاط القواسم فى مياه الخليج عام ١٨٠٩م وحملة عام ١٨١٨م على رأس الخيمة وكان هدفها القضاء على عمليات الجهاد البحرى أولا فى الظاهر ثم مراقبة التحركات المصرية فى الباطن ، وإبرام معاهدة عام ١٨٢٠م مع رأس الخيمة وغيرها من موانئ الخليج ، ثم أعقب ذلك توقيع الهدنة البحرية وغيرها فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وكل ذلك دليل على خشية الإنجليز من الخطر المصرى فى الجزيرة^(٣).

وطوال القرن التاسع عشر أخذ النفوذ البريطانى يتدعم فى الخليج فى ثلاثة صور هى : محاربة عمليات الجهاد البحرى التى كانت القواسم تمارسها من الساحل الداخلى لعمان ، ومحاربة تجارة الرقيق التى وجدت لها سوقا رائجة فى شبه الجزيرة العربية ، وفرض الحماية

١- د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : دراسات تاريخية ، ص ٢٦٥ .

٢- د. أحمد مصطفى أبوحاكمه : تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة ، ص ١٨١ .

٣- نفس المرجع ، ص ١٩٠ .

البريطانية على أهم المشيخات العربية فى الخليج وهى مسقط والبحرين والكويت . فبدأت مشروعات إنجلترا الاستعمارية مع مسقط منذ عام ١٨٥٤م بحصولها من سعيد بن سلطان حاكم مسقط على جزائر كوربا موربا ، ولم يأت عام ١٨٩٨م حتى وقعت المعاهدة المشهورة التى حددت بشكل نهائى الحماية البريطانية على مسقط وعمان ، وتعرف بمعاهدة الصداقة والتجارة والملاحة ، وهى تنص صراحة على أن يلتزم حاكم مسقط - فيصل بن تركى - وهو وخلفاؤه بعدم التنازل عن أى أرض من أملاك مسقط إلا للحكومة البريطانية^(١) .

وكانت المشيخة الثانية التى خضعت للحماية هى البحرين التى شاركت منذ عام ١٨٢٠م مع إنجلترا فى عقد معاهدات لمحاربة تجارة الرقيق وأعمال الجهاد البحرى ، وأمام رغبة تركيا فى ضم البحرين عام ١٨٧١م بعد استيلائها على الأحساء أعلن الإنجليز فرض الحماية على البحرين ، وتم توقيع معاهدين مع الشيخ عيسى آل خليفة فى عامى ١٨٨٠م ، ١٨٩٢م تضع البحرين بمقتضاها تحت الحماية الإنجليزية بحيث تعهد الشيخ بالامتناع عن عقد معاهدات مع أية دولة أخرى إلا بموافقة الحكومة البريطانية ، وألا يتنازل عن أية أرض فى البحرين إلا للحكومة البريطانية .

وكانت المشيخة الثالثة التى فرضت إنجلترا عليها حمايتها هى الكويت، التى وصل إليها آل الصباح لأول مرة عام ١٧٥٠م قادمين من الجنوب بعد أن أمضوا على شاطئ الخليج بقطر والأحساء نحو نصف قرن^(٢) . ولقد كان لآل صباح علاقة طيبة مع الإنجليز من ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليز الذين استفادوا من الكويت منذ عام ١٧٧٥م فى إرسال واستلام مراسلات الشركة ، واستمرت العلاقات طيبة حتى نقلت وكالة الشركة من البصرة إلى الكويت، وساعدت الشركة آل صباح فى صد غارات الوهابيين على الكويت وأظهر شيخ الكويت استعداداه للمشاركة مع الإنجليز فى حملاتهم ضد القواسم .

واتساقا مع هذه العلاقات عرض الشيخ مبارك آل صباح منذ أن وصل إلى السلطة فى الكويت عام ١٨٩٦م أن يدخل فى حماية إنجلترا ورغم تردد إنجلترا فى قبول هذا العرض حرصا على علاقتها مع تركيا ، إلا أنها سارعت عام ١٨٩٩م إلى عقد معاهدة مع أمير

١- د. أنيس . د . حراز : الشرق العربى ، ص ١٠٩ .

٢- د. أحمد أبوحاكمة : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

الكويت على نفس نسق المعاهدات مع كل من مسقط والبحرين تضع الكويت تحت حماية إنجلترا ، وجاءت هذه المسارعة الانجليزية بسبب ظهور نشاط روسى فى الخليج عام ١٨٩٨م لمد خط حديدى من البحر المتوسط إلى الخليج ، وبناء محطة للفحم وميناء فى الكويت .

كان لظهور النشاط الألمانى فى العراق وتوقع امتداده إلى الخليج ، والمتمثل فى الإمتياز الذى حصلت عليه ألمانيا من الدولة العثمانية بمد خط حديدى من برلين إلى بغداد فالبصرة ، كان لذلك أثره فى تدعيم الوجود الإنجليزى فى الخليج والعراق ، فعقدت إنجلترا مع الكويت عدة اتفاقيات أحكمت النفوذ الإنجليزى هناك نظير اعتراف إنجلترا بإمارة الكويت بحدودها الحالية . وفى نفس العام فرضت الحماية البريطانية على مشيخات الساحل العماني التى ظلت كذلك حتى أنهت بريطانيا معاهدات الحماية مع هذه المشيخات فى عام ١٩٧١م حيث اعترفت باستقلالها تحت اسم دولة الإمارات العربية المتحدة برئاسة الشيخ زايد آل نهيان أمير أبوظبي .

ويجب أن نذكر أن سلطنة عمان كانت على الرغم من معاهدة الحماية البريطانية تتمتع بشئ من الاستقلال أكثر من مشيخات الخليج الأخرى ، وفى عام ١٩٧١م تمت تنحية السلطان سعيد بن تيمور لصالح ابنه السلطان قابوس بن سعيد الذى أنهى عزلة وانغلاق بلاده لتشهد نهضة وتطورا كبيرا .

كما يجب أن نلاحظ أن أقطار الخليج العربى الخمسة : الكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنةعمان بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية كوتت تنظيميا إقليميا تحت اسم مجلس التعاون الخليجى منذ عام ١٩٨١م، وهو تنظيم ينسق العلاقات الأمنية والثقافية واقتصادية لمصلحة تلك الأقطار ، وهو بهذا إضافة لليقظة العربية .

وبالنسبة للجنوب العربى فقد كان لوجود الجيش المصرى فى اليمن منذ عام ١٩٦٣ م لمساندة الثورة فى صنعاء أن تشجعت الحركة الوطنية فى عدن والجنوب فى مقاومة الوجود البريطانى ولقيت كل مساعدة من الجمهورية العربية اليمنية ومن مصر اضطرت إنجلترا إلى الجلاء عن عدن وإعلان استقلالها مع مشيخات الجنوب تحت اسم جمهورية اليمن الجنوبية - فى نوفمبر عام ١٩٦٧م . ثم أعلنت الوحدة بين شطرى اليمن فى عام ١٩٩٠م تحت اسم جمهورية اليمن وعاصمتها صنعاء .

سادسا : اليمن :

لليمن تاريخ طويل وقديم حيث عرف فى التاريخ القديم باسم بلاد العرب السعيدة لما تميزت به من حضارة وازدهار فى ذلك العصر، ومع بداية العصور الحديثة انقسم سكان اليمن من:

حيث المذاهب الدينية الإسلامية إلى أتباع المذهب الزيدى وهو أقرب المذاهب الشيعية إلى السنة والذين سكنوا جبال اليمن ، وأتباع المذهب الشافعى - الذين عرفوا بالشوافع - السننى الذين سكنوا السهول الساحلية .

وقد اصطلح الأئمة الزيديون بقوى داخلية متمثلة فى القبائل والأئمة الخارجين على الحاكم ، كما اصطلح بقوى خارجية كان منها الأتراك الذين حاولوا السيطرة على اليمن منذ القرن السابع عشر حتى انتهت محاولات السيطرة التركية على اليمن بعقد معاهدة «درعا» فى عام ١٩١١ ، وكان منها البريطانيون الذين نجحوا فى عام ١٨٣٩ م فى احتلال عدن ومنها امتد نفوذهم على قبائل الجنوب العربى .

ونتيجة لظهور جماعات من الشباب اليمنى المثقف قامت عدة محاولات ضد الأئمة لاغتيالهم بعضها نجح حيث تم اغتيال الإمام يحيى حميد الدين عام ١٩٤٨ م وإن تم القضاء على الثورة وتولى ابنه أحمد بن يحيى الذى تعرض هو الآخر لمحاولة انقلابية عام ١٩٥٥ م كان للمثقفين فيها دور رئيسى وإن فشلت هى الأخرى .

وفى العام التالى ١٩٥٦ دخلت اليمن مع كل من مصر والمملكة العربية السعودية فيما عرف بميثاق أمن جدة وهو ميثاق دفاعى عسكري مضاد للنفوذ البريطانى فى البوريمى والخليج والجنوب العربى ، كما انضمت إلى الجمهورية العربية المتحدة فيما عرف باسم ميثاق اتحاد الدول العربية فى مارس ١٩٥٨ م .

وكان للاتفتاح المحدود الذى شهده اليمن فى الخمسينات من القرن العشرين أثره فى تطلع المثقفين اليمنيين للتخلص من حكم الأئمة باعتبارهم عقبة فى سبيل تطور اليمن وتقدمه ، وحدث شبه تحالف بين المثقفين وضباط من جيش اليمن، حتى أنه عندما توفى الإمام أحمد فجأة فى ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ م قام أحد الضباط اليمنيين وهو عبد الله السلال بانقلاب عسكري ضد الإمام البدر الذى فر إلى السعودية ، وقد أعلن النظام الجمهورى وألغى النظام الملكى ، وانفتح اليمن على العالم وساهمت كل من الكويت والمملكة العربية السعودية ومصر فى تقدم اليمن وتحضره .

الفصل الثاني

قضية المياه بين تركيا وكل من سوريا والعراق

تمهيد- المبحث الأول : وجهة النظر التركية: - مبررات الجانب التركي لقطع مياه الفرات ومشروعاته الطموحة- سد أتاتورك- السياسة التركية وخطة المراحل الثلاث- المبحث الثاني : وجهة النظر السورية - سوريا ونهر الفرات - نتائج المباحثات المائية - السياسة السورية ومحاولات الضغط على تركيا- المبحث الثالث : وجهة نظر العراق: - نظام الري في العراق- السياسة العراقية والمشاريع التركية- العراق والمخطة الثلاثية التركية- التنسيق العراقي السوري - المبحث الرابع موقف جامعة الدول العربية .

تمهيد :

يتناول هذا الفصل العلاقة الجدلية بين مواقف كل من العراق وسوريا وجامعة الدول العربية من مشروعات المياه التركية. فبالنسبة إلى تركيا نجدها وقد شرعت في رسم سياستها الخارجية لدعم دورها الإقليمي في الشرق الأوسط الجديد المزمع صياغته في السنوات الأخيرة ويبدو أن مصالح تركيا التي كانت منصبة حول الشؤون الأوروبية ، تغيرت بعد انهيار جدار برلين، وأخذت تركيا تفكر جددا في إعداد نفسها لدور اقتصادي وسياسي أكبر في المنطقة، وأخذت توظف سلاح المياه في تدعيم دورها الإقليمي حين باشرت بتطوير سدودها على نهري دجلة والفرات في مشروع جنوب شرق الأناضول . وفي هذه الحالة فإن منسوب مياه الفرات بالذات سينخفض ، وهذا يعني أن سوريا ستخسر ٤٠٪ من مياه النهر المتدفقة إليها . أما خسائر العراق فستصل إلى ٨٠٪ وفي هذا ما يكفي بالتنبؤ بما سيصيب حواضر الفرات في بلاد الرافدين والتي تمتد وجودها إلى آلاف السنين^(١).

١- حسن على بن علي : الأمن المائي العربي حقائق وأرقام «دراسة استراتيجية لطبيعة مشاكل المياه في

الوطن العربي . دمشق، دار البraq، ب.ت ، ص ص ٨٧-٨٨ .

وفيما يتعلق بتصورات تركيا تجاه قضية المياه مع سوريا والعراق، فإنها تنظر إليها من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية كالآتي :

أولها : الجانب السياسي باستخدام المياه كسلاح سياسي وورقة ضغط ضد سوريا لوقف دعمها للاتفصاليين الأكراد والأترك وقضية ترسيم الحدود بينهما نهائيا ، وأيضا إلى إمكانية لعب تركيا لدور سياسي فى محادثات السلام بين العرب والإسرائيليين باستخدام مشروع أنابيب مياه السلام.

وعلى الجانب الاجتماعى والاقتصادى باستخدام المياه كمورد اقتصادى عبر إنشاء مشروع الأناضول الكبير « غاب »^(١).

وتراقب كل من سوريا والعراق بقلق تطور مشروع جنوب شرق الأناضول . ويبقى الموضوع على درجة عالية من الحساسية، كما أثبتت ذلك الاستجابات العنيفة، وردود الأفعال فى مرتين خلال العامين / ١٩٩٠ و ١٩٩١ الذى يبدو أنه يمثل مذاقا أوليا باهتا لمشاكل الآتى من الأيام^(٢).

وهكذا فسوريا والعراق كلاهما ينتابه القلق من مشروع الأناضول الكبير « غاب » على نهر الفرات ، وحل هذا القلق على الجانب السورى بحده ، من حيث حقيقة أن الفرات هو النهر الوحيد ذو الحجم الهام الذى يجرى مخترقا سوريا ، فإذا استولت العراق على دجلة الذى ينبع من تركيا، تكون هى أيضا قد انتفعت من تطوير الفرات .

تبعا لذلك فمن المبرر الحديث عن التعبير عن هذا القلق فى الموقف السورى والعراقى وسط هذا الانسجام التركى ، إن العرب لم ينقطعوا عن الاحتجاج وعن الالاحاق فى تذكير تركيا بأنهم غير راغبين فى رؤية أراضيهم الحصبة تتحول إلى صحراء من جراء خطط تركيا الطموحة على

١- أشرف محمود سنجر : الدور الإقليمى لتركيا فى منطقة الشرق الأوسط «دراسة فى فترة الرئيس تورجوت أوزال (١٩٨٣-١٩٩٣) . رسالة ماجستير غير منشورة فى العلوم السياسية بتجارة بورسعيد جامعة قناتة السويس، ١٩٩٩، ص ١٦٧ .

٢- حسن شلى وطارق مجذوب : « تركيا ومياه الفرات والقانون الدولي العام فى المياه فى الشرق الأوسط » إلماحات قانونية وسياسية واقتصادية . ترجمة محمد أسامة القوتلى، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٧، ص ٢٦٠ .

نهر الفرات لتحويل مياه أعلى النهر لمنفعتها الخاصة. ومن طرفها ضاعفت الشخصيات التركية الرسمية وغير الرسمية من تصريحاتها الصحفية محاولة إيضاح الموقف التركي بالنسبة لقضية مياه الفرات على خلفية اجتماعات لم تُسفر عن شيء بين البلدان المتشاطئة الثلاثة^(١).

في ضوء الاعتبارات السابقة سنحاول هنا أن نضع ملامح الجدل السابق في سياق المباحث الأربعة القادمة وهي كالتالي :

المبحث الأول : وجهة النظر التركية .

المبحث الثاني : وجهة النظر السورية .

المبحث الثالث : وجهة النظر العراقية .

المبحث الرابع : موقف جامعة الدول العربية .

المبحث الأول : وجهة النظر التركية :

يقوم الموقف التركي على عدد من النقاط أبرزها ما يلي:

- ١- اعتبار نهري الفرات ودجلة نهريين عابرين للحدود، وليساً نهريين دوليين .
- ٢- ضرورة اعتبار حوض الفرات ودجلة حوضاً واحداً ، وإمكانية نقل مياه دجلة إلى حوض الفرات عن طريق مشروع منخفض الثرثاري شمال بغداد بالعراق .
- ٣- رفض مبدأ تقاسم المياه وقبول مبدأ استخدام المياه .
- ٤- ضرورة تقييم فني- اقتصادي لجميع المشاريع في البلدان الثلاثة.
- ٥- ضرورة تصنيف أراضي المشاريع بالتفصيل ، وتحديد الدورات الزراعية والمقننات المائية، واحتياجات المشاريع إلى المياه في البلدان الثلاثة وفق أسس موحدة، وذلك عن طريق لجان فرعية متخصصة وربط ترشيد استخدام المياه بدراسات تفصيلية ، ومكتبية في حوض النهرين في البلدان الثلاثة.

والواقع أن تركيا ترى أن نهري دجلة والفرات يشكلان ثروة طبيعية خاضعة لسيادة الدولة التركية، ينطبق عليها وصف المياه العابرة للحدود- ويعنى هذا من وجهة النظر التركية-

أن لها مطلق الحق فى التصرف بمياهها على اعتبار أن الفرات ودجلة وروافدهما هى ملك لتركيا إلى الحدود مع هذين البلدين، وأن تركيا يمكنها أن تستخدمهما مثلما تريد^(١).

وعلى هذا الأساس راحت تركيا تعارض فكرة الحقوق المكتسبة التى تتمسك بها سوريا والعراق، لأنه من وجهة نظرهما إدعاء يستخدم لحمل تركيا على تصريف كمية أكبر من المياه، ولحملها على تقبل مثل هذه الأسلوب فى التفكير.

ويرى العديد من الباحثين أن نظرية الحقوق المكتسبة « وحدها ليس لها أهمية كبيرة، فالبروفيسور ستيفن ك. ماكفرى الذى كان مقرراً للجنة القانون الدولي منذ عام ١٩٨٥ يذكر أن :

دولة المصب للمجرى المائى التى بدأت أولاً بتطوير خواردها المائية، لا يمكن أن تحول دون قيام دولة على أعالي النهر بتطويرها فى وقت لاحق، إذا أثبتت أن ذلك التطوير اللاحق قد يسبب لها ضرراً.

فوفقاً لمبدأ الانتفاع المنصف فإن سبق دولة أدنى إلى مصب النهر إلى التطوير - وبالتالي سبقها إلى استخدامات من الممكن أن تتأثر سلبياً باستخدامات جديدة تقوم بها دولة أعالي النهر - يمكن أن تكون أحد العوامل التى تؤخذ فى الاعتبار عند التوصل إلى تخصيص عادل لاستخدامات المجرى المائى والانتفاع به^(٢).

وتدل ملاحظة ستيفن ك. ماكفرى على أن الحقوق المكتسبة لا يمكن التعلل بها للحد من استخدام المياه بواسطة دول أعالي النهر المشاطئة له.

ويعنى آخر، فإن الحقوق التاريخية والمكتسبة التى تطالب بها سوريا، وعلى وجه الخصوص العراق، غير كافية. إذ أن الاستخدامات المسبقة للمياه من قبل الدول الأدنى إلى مصب النهر

١- محمد عبدالله الدورى : الوضع القانونى لنهرى دجلة والفرات فى ضوء أحكام القانون الدولي فى: ندوة المشكلات المائية فى الوطن العربى، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩-٣١ أكتوبر ١٩٩٤ ص ٣٦.

٢- Stephen C. Mecaffrey, "The Law of International Water Courses Some recent developments and Unanswered questions " Denver Journal of international Law and Policy, Spring 1991, p. 509.

يمثل فقط أحد العوامل التي تؤخذ في الاعتبار عند التوصل إلى تحديد الاستخدام العادل للنهر العابر للحدود.

إن فكرة اقتسام الموارد المشتركة من خلال «معادلة رياضية» تقدم بها العراق حتى يضمن استخدام المياه في مشاريعه، وقد ساندت سوريا هذه الفكرة من خلال أسلوب مماثل . ويتناقض مفهوم اقتسام الموارد المشتركة من خلال معادلة رياضية تناقضاً كاملاً مع مبدأ الانتفاع المنصف الذي هو جوهر عملية التقنين في هذا المجال، ومن ناحية أخرى فإن فكرة اعتبار المجرى المائي العابر للحدود «مورداً مشتركاً ليس مفهوماً يلقى تأييداً واسعاً في عملية التقنين في مجال المجاري المائية العابرة للحدود، ونتيجة لاعتراض العديد من الأعضاء رؤى حذف عبارة «الموارد الطبيعية المشتركة من تقرير لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة إلى الجمعية العامة عن أعمال دورتها التاسعة والثلاثين التي عقدت عام ١٩٨٧م»^(١).

ويشدد المسؤولون الأتراك على أن المياه أضحت مادة خاماً وأن لها أهمية استراتيجية ودور اقتصادي تؤديه يزداد بروزاً حيث أن المياه هنا (في الشرق الأوسط) أشد شحاً من النفط وسيتعاطم شحها . ويلخص ميزوه أنبك مدير عام الأشغال العامة المائية الهيدروليكية- ملاحظاته بالقول : إن المياه لا تجري مجاناً وأن على العرب أن يدركوا ذلك وبشرح كمران إينان «بأننا نحن الأتراك إذا ابتعنا منطقتهم (أي منطقتهم العرب) فسندعى نفس الحقوق في نفطهم كما يدعون الحقوق في مياهنا . إن هذين النهرين (دجلة والفرات) ينبعان من تركيا . فإن كانت لهم حقوق مدعاة في شئ ينبثق من أرضنا . عندئذ يكون لنا حق في شئ ينبثق من أراضيهم ...» ويتابع الإدعاء بأنه عندما يجتمع اللجنة الثلاثية المؤلفة من تركيا وسوريا والعراق فإن جيراننا يصرون دوماً على بحث مسألة المشاركة في المصادر المائية، إلا أننا نشرح لهم بأننا حالياً نتوزع المياه معهم، وأنه لهذا السبب فلا وجود لأي مشكلة بالإضافة إلى أننا نتقاسم المياه دون أي إلزام قانوني يحملنا على ذلك^(٢).

وتؤكد تركيا حق التصرف بمياه النهرين ضمن حدودها السياسية كما تشاء ، وعلى الرغم من إقرار تركيا بأحد مبادئ القانون الدولي ألا وهو مبدأ عدم الأضرار بالغير، فهي تصر على

١- نبيل السمان : المياه وسلام الشرق الأوسط. مرجع سابق، ص ٧٤ .

٢- حسن شلبي وطارق مجنوب: المرجع السابق، ص ٢٦٦ .

أن دجلة والفرات تركيان لأنهما ينبعان من الأراضي التركية، وأكد الرئيس ديميريل في حفل تدشين سد أتاتورك أنه على العراق وسوريا ألا يقلقا بسبب تنفيذ المشروعات التركية، ولكن الفرات ودجلة وروافدهما هي ملك لتركيا من الحدود مع هذين البلدين ، وأن تركيا يمكنها أن تستخدمها مثلما تريده .

ويلقى مبدأ عدم إحداث ضرر بالغ أيضاً تأييداً واسعاً ، ويجب طبقاً لهذا المبدأ أن تمتنع الدول المتشاطئة لمجرى مائى عابر الحدود بصورة متبادلة عن إحداث الأثر البالغ فى استخدامها له، ولم تنظر تركيا أبداً إلى مياه حوض الفرات ودجلة أو تستخدمها كوسيلة للضغط على الدول المشاطئة فى أدنى النهر، بل حرصت تركيا إلى أقصى حد على إطلاق كمية المياه التى التزمت بها من نهر الفرات طبقاً لمبدأ الانتفاع المنصف^(١).

مبررات الجانب التركى لقطع مياه الفرات ومشروعاته الطموحة:

١- عدم وجود اتفاقية دولية مبرمة بين الدول الثلاث ، تحدد حصة كل دولة فى مياه النهر، فليس بين تركيا والعراق فى هذا الخصوص سوى بروتوكول صداقة وحسن جوار عام ١٩٦٤ ، يتضمن حقهما فى استخدام مياه دجلة والفرات ، ولا يتعرض لمسألة تقسيم المياه بينهما، أما سوريا فلم تتفاوض مع تركيا حول مياه الفرات إلا عام ١٩٨٧ حيث بدأت المباحثات بين الجانبين ، ولم تصل إلى إبرام اتفاقية حتى الآن^(٢).

ويشكل حوض نهري دجلة والفرات حوالى ٢٨,٥ ٪ من إجمالى المسطحات المائية التركية الموجودة، نظراً لأنهما يحتلان المكانة الأولى فى الأهمية للمصادر المائية فى تركيا. كما أن ٩٠ ٪ من المياه الموجودة فى نهر الفرات، ٢٢ ٪ من المياه الموجودة فى نهر دجلة تنبع أساساً من تركيا وهى أساساً من نفس حوض النهر .

كما أن الحق الطبيعى لتركيا هو فى استخدام موارد المياه طبقاً لاحتياجاتها وحدود زمامها. ومن خلال هذا الإطار تتضح الأهمية الأساسية لإنشاء السدود من قبل تركيا على نهر الفرات كعملية تنظيم لتدفق المياه، ولتوليد الكهرباء. وهكذا نجد أن سد أتاتورك يقوم أيضاً بدور فى خدمة الزراعة والرعى.

١- وزارة الخارجية التركية ، قضايا المياه بين تركيا وسوريا والعراق: مايو ١٩٩٧ ، ص٢٥-٢٦ .

٢- عبد الرازق بركات : مرجع سابق، ص١٤ .

وأن البلاد التي تقع في اتجاه مجرى النهر سوف تستفيد من عمليات تنظيم المياه التي تقوم بها سدود مشروع غاب، ففي خلال فصل الصيف يقوم نهر الفرات بتصريف مياهه إلى أسفل لكي تصل إلى ٣م١٥٦ في الثانية، بينما بعد الشتاء وعندما يذوب الثلج من الممكن أن يرتفع ذلك الرقم إلى ٣م٥٠٠ / ث .

وهكذا فإن لم يكن هناك سدود فإن ذلك معناه أن البلاد التي في اتجاه مجرى النهر ستكون بدون مياه من خلال الصيف ، ويجعلها تواجه الفيضانات في الربيع، حيث أنه من ١٩٨٩ : ١٩٩١ شهدت البلاد ثلاث سنوات متتابة من الجفاف ، وبالتالي فالفضل يرجع إلى هذه السدود، حيث استمرت كل من سوريا والعراق في الحصول على المياه بصورة منتظمة ، ولم تتأثر بذلك الجفاف، وأن كمية المياه التي تمر من خلال الحدود التركية السورية في سبتمبر ١٩٩١ كانت ٣م٥٠٠ / ث بينما متوسط تصريف الفرات كان أقل من ٣م١٠٠ في الثانية، وهذا الأمر بعد علامة وإشارة قوية للاستفادة من الخزانات والسدود في هذه المنطقة^(١).

وهكذا فلقد أعربت تركيا وستظل مستمرة في التعبير عن بالغ اهتمامها بجعل المياه متوفرة ومن الممكن الحصول عليها بالنسبة لجيرانها من خلال حدودها المسيطرة.
سد أتاتورك :

في يناير ١٩٩٠ وخلال مرحلة التعبئة الأولى لخزان سد أتاتورك لم يتم الخزان بإطلاق هذه المياه لمدة شهر، ولقد تم تفسير هذا الموقف من قبل بعض من الدوائر الإعلامية أنه أمر مقصود واتجاه من أجل حرمان الدول الجيران من المياه ، أو من أجل إحداث تلفيات وخسائر لهذه الدول وهنا فالأرقام توضح وتؤكد أن ذلك بعيد كل البعد عن الحقيقة وتبين أيضاً كيف أن مثل هذه الادعاءات تعد ادعاءات متميزة .

حيث أن حقيقة ما حدث هو أنه في يناير ١٩٩٠ عندما لم يتم إطلاق الماء كان ذلك الأمر يرجع إلى بعض الأمور الفنية ، ومع بداية مراحل هذا المشروع فلقد كانت حقيقة معروفة للجميع ، وهي أنه عندما اكتمل بناء السد ووصل إلى مرحلة تعبئة المياه، انقطعت المياه لفترة

زمنية معينة، ولقد تم اتخاذ جميع الاجراءات والتدابير من أجل التحقق من أن كلاً من سوريا والعراق لن تعاني من مثل هذا السد، ومنذ الفترة التي تراوحت ما بين الثالث والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٨٩ وحتى الثالث عشر من شهر يناير ١٩٩٠، وهي الفترة التي شهدت انغلاق بوابات السد وبدء عملية ملء السد في الثالث عشر من شهر يناير ١٩٩٠، قد تم إطلاق ٣٧٦٨ م^٣ / ث نحو الحدود التركية السورية واستمر انسياب المياه التي تأتي من الروافد التي تلتقي بالفرات فيما بين سد أتاتورك والحدود الدولية السورية إلى سوريا في الفترة من الثالث عشر من شهر يناير، والثاني عشر من شهر فبراير ١٩٩٠ التي تشمل فترة ملء السد وهكذا فإنه حتى في خلال تلك المرحلة والتي تشمل أيضاً الشهر الذي تم خلاله ملء السد تم تنفيذ عملية إطلاق المياه بأكثر من الكمية التي التزمت بها تركيا وهي ٣٥٠٠ م^٣ / ث، وهذا هو ما تم مراقبته من خلال الحدود بين الدول بعضها البعض^(١).

وضعت تركيا نموذج ثابت لروح تعاونها عن طريق مشروع خط أنابيب مياه السلام، إن المغزى الحقيقي لمشروع مياه السلام هو القدرة على الإشارة إلى أن المياه من الممكن أن تكون عنصراً من عناصر التعاون في المنطقة، وأن هدف تركيا من وراء مثل هذه المخاطرة بتقديم تلك التضحية الكبرى، وتقديم جزء من مياهها التي تدخرها لاستعمالها الشخصي، هو أن تتعاون مع جيرانها في مجال المياه، وبهذه الطريقة قد شجعت الاستقرار والسلام الإقليمي، ولمثل هذا السبب أطلق على المشروع : مشروع السلام.

وعندما قامت كل من إسرائيل والفلسطينيين بتوقيع اتفاقية السلام التي أنهت خمسين عاماً من الصراع واقتنع الطرفان بوقف القتال، اعتقدت تركيا أن مثل هذا الاتفاق من الممكن أن يكون مفيداً جداً بالنسبة للسلام والتعاون في المنطقة، وذلك إذا ما قامت جميع الدول المشتركة بعمل تقييم لمشروع مياه السلام^(٢).

وعلى الرغم من أن سوريا تطالب بأكثر من الـ ٣٥٠٠ م^٣ / ث التي تسمح لتركيا بتدفقها إليها فإن المصادر التركية تتحدث عن مرونة سورية في شأن اقتسام المياه وذلك بالمواقفة على مبدأ تقاسم النسب وليس الحصص بما يسمح باقتسام فترات الفائض والعجز بشكل عادل،

١- Ibid , p. 177 .

٢- Ibid , p. 187 .

وتؤكد على أنها لن تستخدم المياه كسلاح سياسى، وهى تدعو إلى عقد قمة دولية لمعالجة هذه القضية بمشاركة سورية تكون جزءاً من عملية أوسع لإقامة تعاون اقتصادى إقليمى شامل مبنى على الاعتماد المتبادل الذى يزيل خطر الحروب من أجل إقامة بنية تحتية لاقتصاد زراعى صناعى يجعل تركيا قوة اقتصادية كبرى فى المنطقة مع بدايات القرن الحادى والعشرين^(١).

وهكذا يرى الأتراك أن الفرات نهر عابر وليس نهراً دولياً فيتوصلون إلى نتيجة تخولهم حق التصرف بالمياه استثماراً فى الزراعة وإنتاج الطاقة الكهربائية. فمهوم النهر الدولى عند الأتراك هو النهر الذى تقع ضفتاه فى أراضى دولتين متقابلتين فقط^(٢).

وتستم الموقف التركى فى هذه المشكلة الشائكة بالحنكة السياسية من ناحية والتصرف من منطلق البقاء للأقوى من الناحية الأخرى.

فلقد انتهزت تركيا وجهة النظر السورية التى تنادى بوجوب توزيع المياه على أساس احتياجات المشاريع القائمة بالفعل قيد التنفيذ ومثلتها المخطط لتنفيذها فى البلدان الثلاثة، وسارعت (أى تركيا) بتخطيط وتنفيذ ما يقرب من ثلث مشروع النهوض بشرق وجنوب شرقى الأناضول وهو مشروع غاب، واستغلال ما تنادى به سوريا من جهة وانطلاقاً من وجهة النظر التركية من جهة أخرى والتى تتمثل فى وجوب اعتبار نهري دجلة والفرات نهريين عابرين للحدود تماماً كنهر العاصى، حيث تشير تركيا موضوع هذا النهر الذى تسببت المشاريع السورية فى شبه جفاف مياهه الواصلة لتركيا وذلك كورقة رابحة لصالح تركيا فى أى من المناقشات والاتفاقيات التى تتم المطالبة بها بشأن دجلة والفرات خاصة أن سوريا وهى بلد على النهر ترفض حتى الآن إجراء أى من الاتفاقيات أو المباحثات مع تركيا وهى دولة أسفل النهر^(٣).

نظراً لتضمن أى اتفاق أو مباحثات بهذا الشأن لاعتراف ضمنى من سوريا بسيادة تركيا على منطقة لواء الاسكندرونة - وفى الواقع فإن تركيا تدرك جيداً أن سوريا تبذل قصارى

١- عرفان نظام الدين: تركيا والعرب خليط الماء والزيت والتاريخ والجغرافيا والعداوات والمصالح الدائمة فى الباحث العربى مركز الدراسات العربية- لندن العدد السابع والعشرين، يوليو، سبتمبر ١٩٩١، ص ١٧.

٢- إبراهيم أحمد سعيد: مرجع سابق، ص ١٢.

٣- خالد محمد عبد الحليم الأصور: حقوق سوريا والعراق دولتين المصب مع تركيا دولة المنبع فى التوزيع العادل لمياه نهري دجلة والفرات. فى المياه العربية وتحديدات القرن الحادى والعشرين، مرجع سابق ص ١٥.

جهودها لعدم إثارة موضوع نهر العاصي^(١). ولذا تصر تركيا على استغلال هذه الورقة الرابحة من وجهة نظرها للتركيز عليها ومناقشة المشاكل المائية ليس فقط مع جيرانها العرب، بل وأيضاً في المحافل الدولية.

وهنا نجد أن تركيا قد عادت مرة أخرى لاستخدام حكمتها السياسية خاصة أن تطبيق مبدأ الاستخدام الأمثل يتطلب تشكيل العديد من اللجان الفنية لدراسة أصناف التربة في كل من البلدان الثلاثة وتحديد أصناف وأنواع المحاصيل الزراعية التي توجب زراعتها دون غيرها على أسس فنية علمية وبالتالي تحديد الاحتياجات المائية، وتهدف تركيا من وراء ذلك إلى الاستثمار بالحصول المائية نظراً لتمتع الأراضي الزراعية التركية بجودة التربة ووسع رقعتها على خلاف المتواجد في كل من سوريا والعراق^(٢).

السياسة التركية وخطة المراحل الثلاث :

تقدمت تركيا إلى كل من سوريا والعراق بخطة تهدف إلى ترشيد استخدام مياه حوضي نهري دجلة والفرات، يطلق على هذه الخطة اسم «خطة المراحل الثلاث للانتفاع الأمثل والمنصف والمعقول للمجارى المائية العابرة للحدود في حوض نهري دجلة والفرات» وقد قدمت لأول مرة خلال الاجتماع الخامس للجنة الفنية المشتركة من الخامس إلى الثامن من شهر نوفمبر ١٩٨٤، وقد كررت تركيا هذا الاقتراح خلال الاجتماعات المتلاحقة للجنة الفنية المشتركة وفي الاجتماع الثلاثي على المستوى الوزاري الذي عقد في السادس والعشرين من شهر يونيو ١٩٩٠، وفي المباحثات الثنائية مع سوريا والعراق في ١٩٩٣. وتضمن هذه الخطة المراحل التالية^(٣).

المرحلة الأولى: دراسة مسحية للمواد المائية.

المرحلة الثانية: دراسة مسحية للأراضي.

المرحلة الثالثة: تقييم موارد المياه والأراضي.

١- طارق المجذوب : التعاون العربي- التركي في مشاريع البنية التحتية والمياه والطاقة الكهرومائية ، بيروت ، مجلة المستقبل العربي العدد ١٨٨، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٠ أكتوبر ١٩٩٤ ، ص ٨١ .

٢- المرجع نفسه .

٣- Gin Kut ، " Burning Waters : the hudropolitics of the Euphrates and Tigris" Pre- spectives on Turkey , No , 9, Isbanbul, fall 1993, pp. 12-13 .

المبحث الثاني : وجهة النظر السورية:

تؤكد سوريا على اعتبار نهر الفرات نهراً دولياً تنطبق عليه مبادئ القانون الدولي من حيث شروط التقاسم لنسب استغلال المياه المعترف بها دولياً ، وهي ترفض الإدعاء التركي بأنه نهر تركي يمر بحدود الغير والتقسيم العادل يقتضى ألا يكون هناك إهدار للمياه من أى جانب وأن الهدر يأتي من إنخفاض المستوى التكنولوجي للاستغلال ، وإذا كانت التكنولوجيا التركية قد سجلت بعض التقدم، فالمفروض فى علاقة الجوار التعاون لتحقيق الأهداف المشتركة برفع المستوى التكنولوجي للبلد الآخر.

وتنظر سوريا إلى أى استثمار لنهرى دجلة والفرات نظرة يشوبها القلق نظراً لاعتقادها الراسخ بأن الوقت الذى ستحرم فيه من المياه آت لا محالة، لذا فقد تحولت مشكلة المياه إلى صراع وصل إلى حد التهديد العسكرى بين تركيا وسوريا ولو بشكل مستتر^(١).

وترى سوريا أن السلوك التركي الراض لتقسيم مياه دجلة والفرات يتناقض مع مبادئ القانون الدولي ، ولاسيما مع مبادئ قانون استخدام المجارى المائية الدولية للأغراض غير الملاحية الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢١ / ٥ / ١٩٩٧ م^(٢).

كما يتناقض مع الاتفاقات التى أبرمتها تركيا نفسها حول استخدام نهر « آراكس الحدودى » مع الاتحاد السوفيتى سابقاً، والتى تقضى بتقاسم المياه مناصفة متبعين فى ذلك خط الحدود الذى يفصل بين تركيا وجمهورية الاتحاد السوفيتى^(٣)، وكذلك أيضاً مع اليونان بشأن استخدام مياه نهر «ماريزا- أبيروس» من عشرات السنين. ثم إن ما تطرحه أنقره حول

١- خالد محمد عبد الحليم الاصور: مرجع سابق ، ص ١٠ .

٢- فقد تمكنت لجنة القانون الدولي من إعداد مشروع اتفاقية دولية عامة تمت الموافقة عليه من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٩٧، ولكن هذه الاتفاقية، لاتصلح لتطبيقها بصورة مباشرة على جميع الأنهار الدولية، لأنها اتفاقية إبطارية تشتمل على المبادئ والقواعد العامة التى ينبغى أن تراعيها الدول حال قيامها بإبرام اتفاقيات ثنائية أو إقليمية فيما بينها من أجل تنظيم الاستخدامات غير الملاحية للمجارى المائية الدولية: انظر: سعيد سالم جويلي: قانون الأنهار الدولية فى: المياه العربية ومحددات القرن الحادى والعشرين. مرجع سابق، ص ١٦ .

٣- خالد العزى : مشكلة الأنهار الحدودية المشتركة بين العراق وإيران، بغداد ، مطبعة شفيق ، ص ٨٦ .

بورصة المياه الدولية يتناقض مع بروتوكول عام ١٩٨٠ بين سوريا وتركيا والعراق الذي شكلت بموجبه اللجنة الفنية المشتركة لمناقشة قضايا المياه المشتركة ووضع أسس اقتسامها بشكل عادل ومعقول، والتفاوض من أجل حل النزاعات المشتركة، والالتزام بتنفيذ الاتفاقيات المبرمة، ولعل دمشق تجد نفسها أمام تحد لا يمكن تجاهله وهو يكبر يوماً بعد يوم وخصوصاً أن أنقره تجاهلت المطالب السورية العراقية، وتترجم هذا التجاهل من خلال استخدامها لورقة المياه كوسيلة ضغط على مصالح سوريا الاقتصادية ومشاريعها الزراعية الحيوية، ومن خلال ذلك ادعائها بالملكية الحصرية لمياه الرافدين تحاول تركيا أن تجد مبرراً قانونياً وأخلاقياً لبيعها الماء المستقطع من حصة سوريا والعراق والمأخوذ من روافد نهر الفرات إلى إسرائيل التي اشترت ١٥٠ مليون متر مكعب من تلك المياه بصفقة تمت خلال زيارة الرئيس التركي ديميريل إلى القدس المحتلة في مايو عام ١٩٩٦م^(١).

وعلى هذا الأساس ترى سوريا أن هذين النهرين يجب أن تقسمهما الدول المشاطئة طبقاً للحصص يتم تحديدها وفقاً لمعادلة رياضية بسيطة تقوم على ما يلي:

- أن يتم حساب إمكانيات كل من النهرين، في كل من الدول المشاطئة .
- إذا لم يتجاوز إجمالي المتطلبات ، كما أعلنتها الدول المشاطئة الثلاث طاقة نهر ما ، فإن الكمية الزائدة يجب أن تطرح بصورة تناسبية من متطلبات كل من الدول المشاطئة.

وتقول سوريا أنه خلال ملء خزان سد أتاتورك ، تصرفت تركيا بما يتعارض مع روح حسن الجوار وتسببت في ضرر بالغ للزراعة السورية ولتوليد القوى المائية والمرافق الخاصة بامدادات المياه^(٢).

وإذا أضفنا أن تركيا هي الدولة الأكثر تمتعاً بالمياه والموارد الاقتصادية الأخرى نسبياً، وأن الجانب التركي كان يستفيد دائماً من الخلاف بين سوريا والعراق، وأنه كان يسعى دائماً لعقد

١- حسن على بن على: المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩ .

٢- Zubeifarrah Abou Dauod, Consultant for Irrigation and Hydraulic structures (syria)

A Round table discussion " the Euphrates water " issue" by arab research center , London , february , 19 th 1990 .

الاجتماعات، على مختلف الأصعدة ، للاستفادة منها من الناحية الإعلامية ولدى مؤسسات التمويل المقرضة، وأنه كان يماطل لكسب الوقت اللازم لتنفيذ مشاريعه المائية الضخمة .
وإذا انطلقنا من :

١- توصيات معهد القانون الدولي فى سالزبورغ عام ١٩٦١ التى تقترح قسمة المياه المشتركة بالتساوى ، أى الثلث لتركيا والثلثين لسورية والعراق.

٢- وساطة البنك الدولي فى عام ١٩٧٥ التى انتهت إلى أن تكون حصة تركيا من مياه نهر الفرات حوالى ثلث واردات النهر.

٣- الاقتراح الذى قدمه الجانب العراقى إلى الجانب التركى فى بداية عام ١٩٩٠ حول قسمة مياه الفرات مثالثة أى الثلث لتركيا والثلثين لسورية والعراق ولم يعقب الجانب التركى عليه أى لم يرفضه من حيث المبدأ.

وإذا أضفنا أن تركيا هى دولة المجرى الأعلى للنهر ، أى دولة المنبع، لكن الغنية بالمياه والمكتفية ذاتياً من الناحية الغذائية ، وأن سورية هى الدولة الأفقر بالموارد المائية والاقتصادية نسبياً ، وأن للعراق حقوقاً مكتسبة لا يمكن نكرانها وأنه غنى بالمياه والموارد البترولية ، فإن مجمل هذه العوامل يجعلنا نرى أن قسمة مياه الفرات بنسبة الثلث لتركيا والثلثين لسورية والعراق مع المحافظة على الاتفاق السورى العراقى فتكون القسمة الأكثر عدلاً ومعقولة مستقبلاً^(١).

وبالنسبة لنهر دجلة فإن وارده المائى للحدود السورية التركىة حوالى ١٨,٥ مليار م٣ سنوياً بينما يبلغ حجم تخزين السدود التركىة ١٨,٥ مليار م٣ أيضاً فى حين لا توجد سدود سورية على دجلة^(٢).

ولقد قدمت الحكومة السورية فى الثالث من شهر فبراير ١٩٩٥ مذكرة احتجاج لدى الأمم المتحدة وأعضاء مجلس الأمن الدولى على السد التركى الجديد «بيره جيك» . وقد اعترضت سوريا على الموافقة على تمويل مشروع على نهر دولى قبل الرجوع إلى الدول المتشاطئة وكانت

١- ماجد داوود : مرجع سابق، ص ٢٣ .

٢- خالد الأصور: مرجع سابق، ص ١٠ .

سوريا قد قدمت احتجاجاً في الثامن عشر من شهر يونيو عام ١٩٩٣، لعدم إبلاغ السلطات السورية، تركيا رغبتها في إقامة السد والتنسيق ليس انطلاقاً من الالتزام بعدم التسبب في ضرر ملموس فحسب، بل أيضاً انطلاقاً من مبدأ المساواة في السيادة بين الدول ومراعاة حسن الجوار والرغبة في تنمية العلاقات الودية^(١).

نتائج المباحثات المائية :

أسفرت المباحثات المائية بين دول حوض الفرات منذ بدأت عام ١٩٦٢ عن النتائج التالية :

١- توقيع اتفاقية التعاون الاقتصادي والغنى بين سوريا وتركيا في يوليو ١٩٨٧ تضم بنداً خاصاً بالمياه الذي تعهدت فيه تركيا بأن يكون تصريف نهر الفرات لا يقل عن ٣٥٠٠ م^٣ / ث . وأهمية هذا الاتفاق أنه أكد على التزام تركيا بواجب التوزيع النهائي لمياه الفرات خلافاً لادعائها بأن هذا التوزيع غير ملزم لها بحجة أن نهر الفرات نهر تركي عابر للحدود .

٢- توقيع اتفاق أبريل ١٩٨٩ بين سوريا والعراق تتقاسم بموجبه الدولتان مياه نهر الفرات بواقع ٥٨٪ للعراق من الوارد السنوي للنهر على الحدود السورية- التركية في الدولتين و٤٢٪ لسورية وذلك حتى التوصل للاتفاق النهائي الثلاثي.

٣- لدى قيام رئيس الوزراء التركي سليمان ديميريل (آنذاك) بزيارة لسوريا في يناير ١٩٩٣، جرى تأكيد التزام تركيا بالتوزيع النهائي لمياه الفرات تأكيداً لاتفاق عام ١٩٨٧ م^(٢).

السياسة السورية ومحاولات التأثير والضغط على تركيا :

تجرى محاولات التأثير والضغط هذه على أكثر من صعيد، كتتنسيق سورية والعراق، ومحاولتهما خلق موقف عربي موحد إزاء تركيا، وتحذيرها من مخاطر التعاون العسكري بين تركيا وإسرائيل، فضلاً عن الموقف السوري من مسألة التمرد الكردي التركي في تركيا.

١- نبيل السمان : المياه وسلام الشرق الأوسط. مرجع سابق، ص ٨٦ .

٢- عبد العزيز المنصور : السياسة السورية تجاه المسألة المائية مع تركيا . دمشق معهد البحوث

والدراسات العدد ٢٨ ديسمبر ١٩٩٧ ، ص ٦٤ .

١- التنسيق السوري العراقي:

وفى الواقع يمكن القول أن التنسيق السوري العراقي يأتي على درجة كبيرة من الأهمية، نظراً لأنه يشكل عنصراً أساسياً في موقف عربي موحد في الحوار مع تركيا، كما أنه بدون هذا التنسيق لا يمكن تصور وجود قسمة عادلة ومنصفة لمياه نهري دجلة والفرات (١).

٢- سورية ومحاولة خلق موقف عربي إزاء تركيا :

تسعى سوريا إلى حشد دعم عربي ضد إجراءات أنقره في مجال المياه، بل ترى ضرورة مبادرة العرب للوقوف معها، كما أن القانون الدولي والتعهدات التركية السابقة والعلاقات العربية التركية، كلها أمور تسمح لسوريا بحشد تأييد عربي ودبلوماسي لدفع أنقره إلى المفاوضات، توصلاً إلى قسمة عادلة لمياه الفرات، حتى لا يبقى الأمر مرهوناً بنيات الحكومة التركية خصوصاً إذا انتهت المشاريع التركية على مجرى الفرات ودجلة.

ومن الملاحظ أن الفترة القصيرة التي شهدت أجواء إيجابية- أو غير متوترة- في مسيرة العلاقات بين البلدين (سوريا وتركيا) كانت في عام ١٩٩٤. عندما كان ثمة أمل في تقدم على المسار السوري- الإسرائيلي. ومع الجمود في المفاوضات عاد التوتر (٢).

ومن منطلق إدراك سوريا لما سيلحق بها وبالعراق من آثار سلبية نتيجة السياسات المائية التركية، عبرت سوريا بوسائل شتى عن قلقها من تلك السياسة، ونظراً لتصلب تركيا في حل مسألة تقاسم مياه نهري الفرات ودجلة، حاولت سوريا ومعها العراق، خلق موقف عربي موحد إزاء تركيا للتأثير على هذه الأخيرة بشأن سياستها المائية، حيث تقدم البلدان للجامعة العربية بمذكرتين منفصلتين عن قضية دجلة والفرات وطالبا الدول العربية بتطبيق أسس خاصة تتعلق بالقروض العربية، سواء من الصناديق العربية أو من الحكومات النفطية لدول العالم العربي، حيث تقتزن القروض العربية بمدى التزام تلك الدول بالحقوق المائية العربية وفق قواعد القانون الدولي (٣).

١- عبد العزيز المنصور : مرجع سابق، ص ٣٦٨.

٢- هيثم الكيلاني: مرجع سابق، ص ٨٢-٨٣.

٣- عبد العزيز المنصور : مرجع سابق، ص ٣٦٩.

المبحث الثالث: وجهة نظر العراق :

يؤكد العراق أن له حقوقاً مكتسبة تتضمن نظام الري التاريخي من نهري الفرات ودجلة، وحيث أن هناك بعدين للحقوق المكتسبة أحدها يرتكز على حقيقة أن تلك الأنهار أعطت الحياة إلى سكان منطقة ما بين النهرين لآلاف السنين مما يجعل لهذا الشعب حقاً مكتسباً فيها، وبالتالي لا يحق لدولة مشاطنة في أعالي النهر أن تنتزع حقوق هؤلاء السكان، وينبع البعد الثاني للحقوق المكتسبة من منشآت المياه والري القائمة . فالعراق لديه ١,٩ مليون هكتار من الأراضي الزراعية في حوض الفرات ، بما في ذلك أنظمة ري تاريخية بقيت من العهد السومري، فوجد فيما بين النهرين بقايا لأعمال الري القديمة من ترع وسدود نهريّة وقد وجد في مقبرة الملكة سميراميس ملكة آشور كتابة : تذكر على لسان الملكة قولها إنني استطعت كبح جماح النهر القوي ليجري وفق رغبتى وسعت ما به لإخصاب الأراضي التي كانت قبل ذلك دوراً غير مسكونة^(١).

وبرى العراق الآتى^(٢):

- أولاً : تأكد كون نهري دجلة والفرات نهرين دوليين استناداً إلى القوانين والأعراف الدولية.
 ثانياً : أن حوض دجلة مستقل عن حوض الفرات من خلال حدود جغرافية وطبيعية .
 ثالثاً : أن هدف اللجنة الفنية المشتركة المؤلفة من الأطراف الثلاثة هو البحث في موضوع قسمة المياه وليس الاستخدام الأمثل للمياه.
 رابعاً : ضرورة تحديد سقف زمني لحسم موضوع قسمة المياه .
 خامساً : تؤكد موضوع نوعية المياه إضافة إلى الكمية .

ويؤكد العراق على أن تدفق المياه خلال فترة الإغلاق بمعدلات منخفضة أدى إلى ظهور الملوحة في المياه لدى العراق، كما زادت نسبة مكونات الأجسام الصلبة في المياه ووصلت إلى ٦٧٪ مع زيادة نسبة الكبريت مما يؤثر في صلاحية المياه بالعراق ليس فقط خلال فترة التدفق

١- مصطفى القاضي: تاريخ الري في مصر والوطن العربي. المؤتمر القروى للمياه جمعوية المهندسين المصريين، القاهرة فبراير ٩٢ ، ص٢٠١ .
 ٢- عايده العلي: دول المثلث ، مرجع سابق ص ٢٨٩ .

المنخفض ولكن في المستقبل عموماً ، كما أن العراق مُضار من البروتوكول الموقع بين سوريا وتركيا عام ١٩٨٧ حيث إن نسبة حصته ٩ مليارات م٣ سنوياً تقريباً . وهذا المقدار يحتل نصف الحد الأدنى للاحتياجات العراقية، مما يترتب عليه عدم صلاحية ١٦٥ ألف هكتار للزراعة، كما أن استنزاف المياه خلف سد القادسية العراقى سيقلل من إنتاجية مشروع الطاقة الكهرومائية للسد، فضلاً عن توقف السد عن العمل كلية خلال شتاء ١٩٩١^(١).

السياسة العراقية والمشاريع التركية:

يقول ممثل وزارة الخارجية العراقية فى اللجنة السورية العراقية لبحث المياه المشتركة إن وارد نهر الفرات للعراق من المياه كان على مدار التاريخ متوسط قدره ٢١ مليار م٣ سنوياً ، ولكن بعد اكتمال السدود التركية، فمن المتوقع انخفاض الوارد للنصف ، وهو ما لن يكفى حاجة العراق، كذلك الحال على نهر دجلة ، فى حين يبلغ عدد سكان جنوب شرق الأناضول التركية حيث تقام هذه المشاريع حوالى ٣ ملايين نسمة حالياً .

ويوضح أن تركيا تحاول إجراء تغييرات سكانية بجنوب شرق الأناضول يجذب سكان مناطق تركية أخرى إليها ليصبح عدد السكان بها نحو ٥ ملايين نسمة، بعد أن كانت منطقة طرد سكاني، وتؤكد أن العراق ليس ضد تنمية تركيا، لكن ضد أن تكون هذه التنمية على حساب حقوقه، لأنه كان من المفروض أن تتشاور تركيا مع سوريا والعراق بشأن المشاريع الجديدة، لأن كل دولة من الدول الثلاث يجب أن تضحي بجزء من مخططاتها المستقبلية لتكون مياه النهر كافية لحاجات هذه الدول باعتبار أن هذا مفهوم الاستخدام المنصف للمياه^(٢).

ويضيف معاون وزير الري العراقى أن مشاريع بعض السدود على نهر الفرات قد أنجزت مثل كيبان وأتاتورك ، لكن بييرة جيك وقراقميش مازالتا تحت التنفيذ ، وهناك خطة لمشاريع جديدة على دجلة، حيث دعت تركيا لتنفيذ مشروع سد دجلة الرئيسى فى إطار خطط تركيا المستمرة.

ويوضح أن الخطورة تكمن فى أنه فور استكمال هذه المشاريع عام ٢٠٠٥م، واستثمار مياه خزانات السدود لرى أراضى جديدة مساحتها ١,٧ مليون هكتار (حوالى ٤ ملايين فدان) فأن

١- عايده العلى: العرب والفرات ، مرجع سابق، ص٦٧ .

٢- خالد الأصور ، مرجع سابق، ص ٨ .

هذه المساحة ستهلك كميات هائلة من المياه ، فضلاً عن أن المشاريع التركية على أساس صرف مياه الصرف الزراعى تجاه الجنوب فى الوديان المتشعبة التى تصب فى العراق وفى سوريا ثم تذهب إلى العراق الذى يكون أكثر تضرراً من سوريا التى تتضرر أيضاً ، حيث يزداد الضرر كلما ذهبنا جنوباً لزيادة تردى نوعية المياه وتلوثها (١).

دعا رئيس الوفد العراقى المشارك فى مؤتمر « مياه العالم تحويل من أجل المستقبل » فى أستانبول - المدير العام فى وزارة الخارجية العراقية أكرم الونزى ، تركيا إلى حل النزاع الطويل بين البلدين على اقتسام المياه ، وأن تدفق المياه ونوعيتها يهددها البرنامج التركى لبناء السدود للرى والطاقة، وأكد أنه فى ظل عدم التوصل إلى اتفاق دائم لاقتسام المياه، يمثل مشروع غاب انتهاكاً واضحاً للقانون الدولى (٢).

فى مقابلة صحفية مع صحيفة الأهرام القاهرية الصادرة بتاريخ السادس عشر من شهر سبتمبر ١٩٩٧ مع السيد سليمان ديميريل رئيس الجمهورية تحدث فيها عن قضايا المياه ومياه دجلة والفرات ، ومواقف تركيا من هذه المواضيع . وقد اعتبر الجانب العراقى أن إجابات الرئيس التركى عن أسئلة الصحيفة أقوالاً مجافية للحقيقة والواقع ، واحتوت على جملة من المغالطات فى العرف والقانون الدولى. لذا ترى وزارة خارجية العراق توضيح الأمور وفق مبادئ القانون والعرف الدولى فى المذكرة العراقية التى قدمها مندوبنا الدائم لدى جامعة الدول العربية فى أول أكتوبر ١٩٩٧ إلى السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، وترد المذكرة على تصريحات الرئيس التركى وتؤكد أن بغداد تتمسك بمبادئ القانون الدولى التى تدعو إلى الاقتسام المنصف لمياه الأنهار الدولية على أن يليه الاستخدام الأمثل والمبدأ الأخير هو الذى يدعو إليه الرئيس التركى لتجنب الاتفاق على حصص نهائية بين الدول الثلاث المشاطنة للنهرين وهى تركيا وسوريا والعراق (٣).

١- خالد الأصور : المرجع السابق والصفحة نفسها .

٢- عائدة العلى : دول المثلث . مرجع سابق، ص ٢٨٤ .

٣- المرجع نفسه ، ص ٢٨٥ .

العراق والخطة الثلاثية التركية :

يفند معاون وزير الري العراقي هذه الخطة ذات المراحل الثلاث- أى مراحل إجراء مسح هيدرولوجي- وتصنيف التربة، والتقويم والاقتصادي- بقوله : إن هذه الخطة تحتاج لوقت طويل للتنفيذ وهو ما تستغله تركيا لتنفيذ مشاريعها وإيجاد أمر واقع ، وأوضح ناقداً الخطة أن مراحلها وهي:

١- إجراء دراسات ومسح للمعلومات الهيدرولوجية لقياس هطول الأمطار وتصريف المياه، ونوعيتها في تركيا وسوريا والعراق عن طريق فرق مشتركة ، وهو ما يحتاج لسنوات طويلة لاعتماد معدلات القياس عليها .

٢- تصنيف التربة فمن المعروف أن أصناف التربة ثمانية وكل صنف له مواصفات إنتاجية، ويتميز الصنف الأول بقبول زراعة كل المحاصيل بانتاجية عالية ، وكلما انخفض الصنف قلت الانتاجية، وتعددت نوعية المحاصيل، والواقع يقول أن أراضي تركيا التي لم تستثمر بطريقة الري هي صنف أول، ونظراً لأنه يزرع منذ زمن طويل فإن تربته ضعفت ، والصنف الأول به قليل ، لذلك لجأ لاستصلاح الأراضي لتحسين صنف التربة.

٣- التقويم الاقتصادي ، أى تحديد أفضلية توظيف المياه، بمعنى أن يكون هناك أولوية للصنف الأفضل من الأراضي على ما يليه ، ويعنى ذلك تخفيض معظم المياه لأراضي الصنف الأول بتركيا، ويتم تحويل المتبقى لسوريا والعراق، وخطورة هذا المنهج إهماله البعد التاريخي، فهناك حضارة وادي الرافدين منذ القدم ، وهناك مجتمع يضم ملايين الأشخاص ، وهناك زراعات واستقرار، لذلك لا يمكن أن نوافق على تخصيص معظم المياه لجانب واحد.

ويستطرد قائلاً : إذا قومنا السياسة المائية لتركيا فإنها تمثل تدخلاً في الشئون الداخلية للدول، فعندما نسال عن السبب في زراعة محصول يستهلك مياهاً كثيرة كالأرز، فهذا يعد تدخلاً في السياسة الزراعية للبلد الآخر، فقد اعتاد العراقيون في محافظة النجف على الفرات زراعة الأرز منذ القدم، فلا يمكن لتركيا- وفق الخطة الثلاثية- أن تطالب بعدم زراعته واستهلاكه مياهاً كثيرة ، إذ أن المفروض حصول العراق على حصته وله حرية التصرف فيها . أما ما تروج له تركيا بشأن أن حوض نهر دجلة وحوض نهر الفرات حوض واحد، ويمكن للعراق استثمار مياه دجلة لتغطية نقص مياه الفرات ، فهذا المنطق لا يمكن قبوله لأنه ليس صحيحاً

من الناحية الطبوغرافية لأن أحواض التغذية بالمياه لكل نهر معزولة عن الأخرى مما يصعب معه نقل المياه من دجلة إلى الفرات^(١).

ويرى العراق أن مفهوم الاستخدام الأمثل للمياه يتضمن التنمية الشاملة للموارد المائية وحمايتها من التلوث بهدف ضمان استثمارها على أفضل وجه وحسن توزيعها ، وبما يتطلبه ذلك من اعتماد أساليب الري الحديثة لتقليل الفواقد ، وزيادة كفاية الري بكميات المياه التي تهدر في البحر ، إضافة إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة التي تحول دون تصريف المياه المتخلفة عن النشاطات الزراعية والصناعية والمدنية إلى الانهار للحد من أسباب التلوث ، ويرى العراق أن الجوانب القانونية والفنية التي يتحدد في ضونها جوهر هذا المفهوم تنبع من حق كل دولة من الدول المتشاطئة في الانتفاع بحصة عادلة ومعقولة من مياه ذلك المجرى لكي تستطيع في ضونها وضع الخطط والسياسات الكفيلة بتحقيق الاستخدام الأمثل .

أن الاتجاه العام في القانون الدولي هو ضد التفسير التركي لهذا المفهوم (خطة المراحل الثلاث) فلا يمكن تحقيق الاستخدام الأمثل إلا بعد الاتفاق على تطبيق مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول الذي تتحدد في ضونه حصة كل دولة من الدول المتشاطئة . وقد انعكس هذا الاتجاه في مواد اتفاق استخدام المجارى المائية في الأغراض غير الملاحية التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في الحادى والعشرين من شهر مايو عام ١٩٩٧م^(٢).

التنسيق العراقى السورى :

عقدت محادثات بين البلدان الثلاث للتوصل إلى تقسيم عادل لمياه الفرات بشكل متقطع في بداية عام ١٩٦٠ ، وفى عام ١٩٦٦ تعهدت تركيا بتزويد كل من سوريا والعراق بـ ٣٣٠٠ م^٣ / ث من المياه ، إلا أن القضية قامت مجدداً بشكل أكثر حدة في بداية السبعينيات ، عندما اقتربت السدود التركية والسورية من مرحلة الاكتمال ، فأعلن العراق وبشكل خاص عن مخاوفه من إمكان فقدانه للمياه، كما أن خلافاته مع سوريا بهذا الشأن أبرزت نقاط الصراع الموجودة من قبل بينهما وعقب بروتوكول ١٩٨٧ المبرم بين تركيا وسوريا ، تبع ذلك الاتفاق

١- خالد الأصور : مرجع سابق ، ص ٩ .

٢- عايده العلى: دول المثلث ، مرجع سابق، ص ٢٨٧ .

المرحلي بين سوريا والعراق الموقع في السابع عشر من شهر أبريل عام ١٩٨٩ والذي أصبح نافذا اعتباراً من السادس عشر من شهر أبريل عام ١٩٩٠، على أنه إدراكاً من الطرفين لضرورة الإسراع بالتوصل لاتفاق ثنائي بينهما تسهيلاً لتحقيق رغبتهما المشتركة بالتوصل لاتفاق ثلاثي كامل نهائي مع الجانب التركي حول اقتسام مياه نهر الفرات، فقد أعلن الجانبان ريشما يتم التوصل للاتفاق النهائي على أن تكون حصة العراق المقررة له على الحدود العراقية السورية بنسبة إجمالية سنوية ثابتة (سنة مائتية) قدرها ٥٨٪ وأن تكون حصة سوريا ٤٢٪^(١).

لاشك أن التعاون والتنسيق بين سوريا والعراق يأتي على درجة كبيرة من الأهمية، سواء في أمور السياسة العربية بصفة عامة، أم بصورة أخص في أمور السياسة، المائية، حيث أن الخلاف السوري-العراقي المحتدم والمستمر حال دون تنسيق المواقف بينهما في مواجهة تركيا^(٢).

وفي الآونة الأخيرة يلاحظ وجود مؤشرات عديدة لاقترب عاقل وهادئ بين سوريا والعراق، كفتح الحدود المشتركة لتصدير سلع وبضائع للعراق بموجب اتفاق «النفط مقابل الغذاء» فضلاً عن استمرار اجتماعات ولقائات الفنيين من البلدين لاتخاذ موقف موحد تجاه المسألة المائية في حوض الفرات، أو رغبة سورية في حضور العراق قمة عربية تسعى إلى إحياء التضامن العربي. هذه المؤشرات قد تسفر عن إيجاد قاسم مشترك يتم اللقاء عليه بين البلدين العربيين^(٣).

واستفادت تركيا من حيث الواقع السياسي في الخمسينيات لتحقيق أهدافها بتحالفها مع العراق وحاولت تركيا، وتحاول حتى الآن أن تلعب على الخلاف السوري-العراقي، الأمر الذي يمكن لمسه من تصريح تركي في عام ١٩٩٩ قال فهي: «لو التزمنا بالحقوق الدولية للعراق وسوريا في مياه الفرات، ما الذي يضمن لنا أن تحصل حصة العراق إليها من سوريا»^(٤).

١- ماجد داوود، مرجع سابق، ص ١٣.

٢- سامر مخيمر، خالد حجازي: مرجع سابق، ص ١١٨.

٣- عبد العزيز المنصور، مرجع سابق، ص ٢٦.

٤- الطاري، مرجع سابق، ص ٢٨٣.

وفى الستين اللتين مرتا على نهاية الحرب بين العراق وإيران (أى حرب الخليج الأولى) وبداية أزمة الخليج، برزت دلالات على أن العلاقات التركية- العراقية لن تكون لطيفة كما كانت فى الماضى القريب، وفى أساس هذا القلق المتجدد شعور فى العراق، على ما يبدو بأنه كان أثناء الحرب شديد الإتكال على تركيا، وقد بات عليه أن يجدد التأكيد على استقلاليتة.

هنالك قضايا جوهرية أدت إلى هذا التغيير الخفى . حيث أنه فى يناير ١٩٩٠ ، برزت قضية المياه بقوة (مع انقطاعها لمدة شهر) مما صعب على العراق أن يغفل مسألة وقف جريان الفرات، واتسمت ردود فعل الكثير من العراقيين بالهقد، اعتقدوا أن تركيا لم تكن تتخذ مثل هذه الخطوة لو أن الحرب لم تضعف العراق، وحيال ذلك أخذت بغداد تشير إلى قضية المياه بقوة بعد ذلك^(١).

ويرى العراق التناقض فى موقف تركيا إزاء مشكلة مياه الفرات بينها وبين العراق وسوريا، حتى أثناء زيارة رئيس الوزراء التركى الراحل «تورجوت أوزال» للعراق فى الفترة من ٣:١ أبريل ١٩٨٨ ومباحثاته مع النائب الأول لرئيس الوزراء العراقى «طه رمضان» ورداً على إثارة مسئول العراق قضية مياه الفرات والاتفاقية المبرمة بشأنها بين تركيا وسوريا ذكر أوزال أن الاتفاقية التى أبرمتها تركيا مع سوريا بناء على طلب العراق تشكل اتفاقية ثنائية مؤقتة ولكن الاتفاقية النهائية ستكون على صعيد ثلاثى والنقص الملاحظ فى المياه التى تصل إلى العراق عبر سوريا مشكلة يجب تسويتها بين العراق وسوريا .

فى حين نشرت صحيفة «دبلي تيموز» فى السابع من شهر أبريل عام ١٩٨٨ أن مباحثات رمضان- أوزال شهدت خلافاً حاداً بين الطرفين فى ظل إصرار أوزال على التوصل إلى حل نهائى لمشكلة مياه الفرات عن طريق الاتفاقات بين الدول الثلاث المعنية، وإصرار رمضان على عدم الحاجة لعقد مثل هذا الاتفاق الثلاثى حيث يمكن لتركيا والعراق أن يبرما اتفاقاً ثنائياً على غرار الاتفاق القائم بين تركيا وسوريا ، ولكن انتهت المساومة بين المسئولين التركى والعراقى إلى الاتفاق على عقد اجتماع بين الوزراء المعنيين فى الدول الثلاث خلال صيف ١٩٨٩ ، وفى حالة موافقة سوريا لوضع أسس تحديد متطلبات سوريا والعراق من مياه الفرات، ويعقبه عقد اجتماعات ثلاثية على المستوى الفنى لتعيين هذه المتطلبات وفقاً لتلك الأسس

والتوصل خلال عام ١٩٨٩ إلى حل نهائي لهذه المشكلة في اجتماع وزارى ثلاثى آخر مع احتفاظ تركيا في كافة هذه الاجتماعات الوزارية والفنية بحق الفيتو^(١).

ورغم مساعى أنقرة وتل أبيب لطمانه سوريا والعراق بصدد قضية المياه . فليس هناك ما هو غير مقلق منذ زيارة الرئيس الإسرائيلي «عزرا وايزمان» لتركيا عام ١٩٩٤ لتشكيل نقلة نوعية في نطاق العلاقات القائمة بين الطرفين منذ عام ١٩٥٢ . وهذه النقطة على صلة واضحة بما يخطط له بشأن الأوضاع المستقبلية في المنطقة، وأوضحت تلك الزيارة أن العلاقة بين الطرفين انطلقت من التعاون الخفى إلى التحالف العلن وكان الرمز الأكبر في هذا الانتقال قضية المياه. فقد أعلن وايزمان خلال تفقده سد أتاتورك أن تركيا وضعت تحت تصرف إسرائيل مياه نهر «مانافجات» الواقع على البحر المتوسط بامكانات تصدير تصل إلى مليار متر مكعب يمكن نقلها ببالونات مائية. ووقوف وايزمان على سد أتاتورك الذى يحبس مياه الفرات ١٢٠ يوماً في العام والأخطر من ذلك دون شك دخول تل أبيب على خط المساعدة لبناء سد أورفة الذى يستطيع أن يحبس المياه لمدة ٦٠٠ يوماً أى تجفيف النهرين عملياً . في حين مازالت ترفض تركيا بأصرار التوصل إلى أى اتفاق حول تقاسم مياه النهر بين الدول الثلاث وما الاتفاقات الفنية القائمة سوى اتفاقات آتية قابلة للإلغاء في أى لحظة رأت فيها أنقرة أنها وصلت إلى الحالة التى تسمح بإعدام النهرين وسوريا والعراق معاً^(٢).

والقضية تتمثل في أن تركيا كانت تستغل قبل المشاريع الجديدة ١٠٪ من مياه الفرات . فقفزت هذه الكمية بعد انشاء العديد من هذه المشاريع إلى ٥٣٪ من أصل صبيب الفرات البالغ ٣١,٥ مليار م^٣ . وبالطبع ستزداد هذه النسبة بتوسع المشاريع وزيادة تعددها.

فسوريا اعتماداً على العرف الدولى الثابت القائم على التوزيع العادل لمياه الأنهار الدولية ما بين الدول المتشاطئة وكذلك على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى الحادى والعشرين من شهر مايو ١٩٩٧ . تطالب بأن تعين الحصص بميزان من حاجات كل بلد للماء، تُقدر على يد لجان فنية مشتركة، تضع جدولاً لحاجات كل من الدول المتشاطئة الثلاثة، ونظراً لأن صبيب

١- خليل إبراهيم الناصرى : مرجع سابق، ص ص١٧٨-١٧٩ .

٢- حسن على بن على : رجوع سابق، ص ص٩٢-٩٣ .

الفرات لن يكفى لسد كل هذه الحاجات ، إذن يجب على كل بلد أن يضحى بقسم من حصته المثلى من أجل الوصول إلى معادلة فيها إنصاف للجميع قائمة على التعاون وحسن الجوار ومبدأ التعاقد المشترك الذى فيه تنازلات مشتركة لبلوغ التوزيع المنصف (١).

المبحث الرابع : موقف جامعة الدول العربية:

يمكن وصف موقف الجامعة العربية من قضية مياه دجلة والفرات، بأنه موقف يتسم بالمسئولية القومية فهو يدعو إلى مساندة سورية والعراق وحقوقهما فى مياه النهرين المذكورين، كما يدعو الجانب التركى - حفاظاً على حسن الجوار والعلاقات التاريخية مع العالم العربى- إلى الاستجابة لعقد اتفاق تقاسم ثلاثى للمياه ، يحقق العدالة من ناحية، ويلبى احتياجات البلدان الثلاثة من ناحية أخرى، هذا فضلاً على دعم البلدين العربيين تجاه ما تقوم به تركيا من إقامة المزيد من مشروعاتها على نهري دجلة والفرات، هذا بالإضافة إلى دعوة الجامعة العربية للمؤسسات المالية الدولية إلى الامتناع عن تقديم القروض للأتراك وشما يتم الاتفاق على اقتسام عادل لمياه النهرين (٢).

ولقد أصدرت جامعة الدول العربية بياناً فى تونس بشأن ملء خزان أتاتورك وقطع المياه عن سوريا والعراق لمدة شهر، قالت فيه : إن قرار الحكومة التركية بلحق الضرر بسوريا والعراق اللذين يمتلكان حقوقاً تاريخية ثابتة فى مياه الفرات ، وفق أحكام القانون الدولى.

وطالبت الجامعة العربية ، الحكومة التركية بأن تعيد النظر فى قرارها بتقليص فترة القطع، وإعادة النظر فى كمية المياه التى تطلقها خلال فترة الملى. كما طالبت بضرورة التوصل إلى اتفاق بين تركيا وسوريا والعراق يستند إلى أحكام القانون الدولى، ويعزز علاقات التعاون والأخوة بين تركيا وسائر الدول العربية(٣).

وأيدت جامعة الدول العربية قلقها واهتمامها عبر بيان وجهته بمناسبة حبس المياه عام

١- رفيق جويجاتى : المسألة المائية فى سوريا فى ندوة المشكلات المائية فى الوطن العربى ، مرجع سابق،

٢- عبد العزيز المنصور : مرجع سابق، ص ٣٦٩ فى ١٨ / ١ / ١٩٩٠ .

٣- عبدالله مرسى العقالى : مرجع سابق، ص ٥٦ .

تقصير فترة الحبس وإلى ضرورة الالتزام بقواعد القانون الدولي الذي لا يجيز لتركيا- مع النهر ينبع من أراضيها - وقف تدفق مياه النهر من جانب واحد. كما يلزمها القانون الدولي بالألا تتخذ أية خطوة تؤثر في منسوب المياه الواصل إلى البلدين قبل التشاور المسبق معها^(١).

وأصدرت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بياناً فى ٣٠ يوليو ١٩٩٢، يتعلق بمياه نهري دجلة والفرات ، وطالبت فيه بما يلي :-

- ضرورة التمسك بمبادئ وأحكام القانون الدولي حول القواعد التي تحكم الأنهار الدولية، وعدم الإضرار بالغير والالتزام بتنفيذ الاتفاقيات الدولية.

- تدعيم العلاقات الأخوية وحسن الجوار والروابط التاريخية بين تركيا وسائر الدول العربية.

- توفير الظروف المناسبة التي تساعد الأطراف المعنية على التوصل إلى الاتفاق المنشود حول مياه نهري الفرات ودجلة سواء على المستويات الثنائية أو الثلاثية منذ عام ١٩٨٢ ، وحتى تاريخه.

وذكر بيان الجامعة العربية أن الأمانة العامة تتابع باهتمام بالغ تطورات الموقف حول مياه نهري دجلة والفرات وترى أن الموقف الحالي فى منطقة الشرق الأوسط يستوجب توفير كل ما من شأنه العمل على إلهام مسيرة السلام وإنهاء كل ما من شأنه خلق أى أزمات فى المنطقة^(٢).

وأكدت جامعة الدول العربية فى تقرير لها عن «الأبعاد السياسية والقانونية لمشكلة المياه» صدر فى مارس ١٩٩٣ ، على أن مخطط تقسيم المياه فى العالم العربى- الذى تحاول إسرائيل فرضه على العرب فى المباحثات متعددة الأطراف- ليس مخططاً إسرائيلياً فحسب، بل يحظى باهتمام أمريكى وأوروبى ، ويتم إضفاء الشرعية الدولية عليه من خلال المؤتمر الإقليمى للسلام. وتوقعت أن تضع إسرائيل شرطاً تفرضه على العرب للموافقة على مشروع أنابيب السلام التركى المقترح. وحذرت من عدم إقدام إسرائيل على أية خطوة للتسوية قبل فرض شروطها للحصول على المياه العربية، خصوصاً مياه جنوب لبنان. وأشار تقرير الجامعة إلى أن السياسة

١- يوسف عبد الحميد : تركيا ، رؤية استراتيجية ، انعكاس وفترة المياه على مستقبلها السياسى والاقتصادى. عمان صامد الاقتصادى، العدد ٨٩ ، ١٩٩٢ ، ص١٧٩ .

٢- عبدالله موسى العقالى: مرجع سابق، ص٥٧ .

الأمريكية تحاول ربط الثقة بين العرب والإسرائيليين بخطوات فنية على الصعيد المائي، لأنها تراها «مسألة حياة أو موت» بالنسبة لإسرائيل وأن انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة رهن بتجاوب العرب بخصوص مسألة حصول إسرائيل على المياه^(١).

كما أن التنسيق السوري-العراقي في هذا الموضوع قد سهل على مجلس الجامعة العربية في دوراته المتعددة، بأن يتخذ القرارات المناسبة والمؤيدة للحقوق السورية والعراقية في مياه نهري دجلة والفرات، إضافة لموافقة المجلس بقراره رقم (٥٦٠٢) في دورته العادية رقم ١٠٦ في الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٩٦، على طلب سوريا بإنشاء مركز الدراسات المائية والأمن المائي العربي وجعل دمشق مقراً لهذا المركز، حيث سيؤدى هذا الأخير دراسات علمية وقانونية وفنية عن المياه لجميع البلدان العربية^(٢).

ويلاحظ في هذا الصدد أن تركيا تدرك أن التحرك السوري والعراقي للحصول على دعم عربي في حقوقهما المائية في نهري دجلة والفرات قد يفضي إلى موقف عربي جماعي تبلوره الجامعة العربية، حيث أنه عندما طرحت سوريا المسألة المائية على جدول أعمال مجلس الجامعة العربية، قام الرئيس التركي سليمان ديميريل بمخاطبة الجامعة، وطالب بحذف الموضوع من جدول الأعمال فهذا يدل على أن الموضوع يقلق الأتراك الذين يخشون أن يتخذ موقفاً عربياً يرتبط في يوم من الأيام بفرض نوع من القسود على التعامل مع تركيا، ولعل ذلك من بين الأسباب التي دعت الرئيس التركي ديميريل بأن يطلب من الرئيس المصري محمد حسني مبارك عدم إثارة موضوع مياه دجلة والفرات عربياً، كي لا تتحول الخلافات على المياه إلى نزاع عربي - تركي، هذا في حين أجرت القاهرة اتصالات مع أنقرة في يناير ١٩٩٦ وحضتها على إجراء حوار مع سوريا والعراق من أجل قسمة عادلة لمياه النهرين في إطار علاقات الجوار والتصالح المتبادلة^(٣). رغم محاولات تركيا منذ مطلع عام ١٩٩٧ على عرقلة إدراج ملف الفرات ومطالب دمشق وبغداد في مياهه على جدول أعمال مجلس الجامعة العربية الخامس بعد المئة لأسباب تتعلق بالتأثيرات السلبية الناجمة عن تبني الجامعة لمثل هذه المطالب.

١- عرنى السباعوي: مرجع سابق، ص ٤٢-٤٣.

٢- عبد العزيز المنصور: مرجع سابق، ص ٣٧٠.

٣- عايذة العلي: العرب والفرات، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

عاد الفرات إلى طاولة النقاش باجتماع مجلس الجامعة العربية المنعقدة بشرم الشيخ الأربعاء الثالث عشر من شهر مايو حتى الاثني عشر من الشهر نفسه عام ١٩٩٧، حيث وافق المجلس بالاجماع على قرار بدعم حقوق سوريا والعراق في مياه نهري دجلة والفرات، كما يدعم جهودهما المبذولة للتوصل إلى اتفاق ثلاثي نهائي وفقاً لأحكام القانون الدولي بشأن الأنهار الدولية.

وجاء القرار على النحو التالي:

مشروع قرار نهري الفرات ودجلة :

أن مجلس الجامعة بعد اطلاعه .

- على مذكرة الجمهورية العربية السورية.

- وعلى مذكرة جمهورية العراق.

- وعلى مذكرة الأمانة العامة.

- وعلى قراراته رقم ٥٢٣٣ د.ع (٩٨) في ١٢ / ٩ / ١٩٩٢ ورقم ٥٢٨٦ د.ع (٩٩)

في ١٩ / ٤ / ١٩٩٣ .

- وحرصاً منه على الحفاظ على علاقات ودية مع الجمهورية التركية.

يقرر :

١- دعم حقوق البلدين العربيين سوريا والعراق في مياه نهري الفرات ودجلة، وتأييد جهودهما المبذولة للتوصل إلى اتفاق ثلاثي نهائي وفقاً لأحكام القانون الدولي بشأن الأنهار الدولية.

٢- دعوة الحكومة التركية للدخول في مفاوضات ثلاثية في أقرب وقت ممكن بين الدول الثلاث (تركيا - سوريا - العراق) تضمن التوصل إلى اتفاق نهائي لقسمة عادلة تضمن حقوق سائر الأطراف المعنية وفقاً لأحكام وقواعد القانون الدولي المنظمة للمياه الدولية، ويساعد على توطيد علاقات حسن الجوار مع تركيا .

٣- مناشدة المؤسسات المالية الدولية لربط تقديم أية مساعدات أو قروض مالية لتمويل المشاريع المقامة على نهري دجلة والفرات في الأراضي التركية بالتوصل لاتفاق مسبق مع الدول المتشاطئة الأخرى وفق أحكام القانون الدولي .

٤- دعوة الحكومة التركية إلى وقف الاجراءات التي اتخذتها والمتعلقة باقامة السدود على مجرى نهري الفرات ودجلة دون التشاور مع الدول المتشاطئة ، كما تقتضى قواعد القانون الدولي، وكذلك وقف تحويل المياه الملوثة إلى سوريا ، وما ينجم عنها من أضرار جسيمة تمس مياه الشرب والرى والبيئة.

٥- تكليف الأمين العام بمتابعة هذا الموضوع مع حكومات البلدان الثلاثة المعنية^(١).

وهكذا نرى أن موقف جامعة الدول العربية يتسم منذ البداية بالحرص على الحفاظ وتعزيز العلاقات الأخوية والروابط التاريخية بين تركيا وسائر الدول العربية وخاصة سوريا والعراق باعتبار هذه العلاقات ذات جذور ممتدة عبر التاريخ والداعية إلى أهمية توفير الظروف المناسبة التي تساعد الأطراف المعنية على التوصل إلى الاتفاق المنشود بينهم- بشأن مشكلة المياه- بالعدل تضمنه الشرعية الدولية من منطلق الحوار والتفاهم وحسن الجوار .

١- عابده العلي: العرب والفرات. مرجع سابق، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

الباب السادس أحداث آسيوية معاصرة

الفصل الأول : دول وسط آسيا والقوقاز المستقلة

الفصل الثاني : مشكلة الشيشان

الفصل الثالث : مشكلة كشمير بين الهند والباكستان

الفصل الرابع : الصين وتايوان

الفصل الخامس : قضية الوحدة الكورية

الفصل الأول

دول وسط آسيا والقوقاز المستقلة

أولاً: تطور السياسة الروسية نحو تركستان الغربية- مقدمة- انهيار الاتحاد السوفيتي- الكومنولت الجديد- ثانياً: جمهوريات وسط آسيا المستقلة- جمهورية قازاقستان- جمهورية أوزبكستان- جمهورية طاجيكستان- جمهورية تركمنستان- جمهورية قرغيزيا- جداول إحصائية- ثالثاً: جمهوريات القوقاز المستقلة- جمهورية أذربيجان- جمهورية جورجيا - جمهورية أرمينيا- رابعاً : مشكلات قوقازية - ناجورنوقراباخ - أبخازيا .

أولاً : تطور السياسة الروسية نحو تركستان :

يمكن عرض السياسة الروسية تجاه أقطار آسيا الوسطى والقوقاز في الفترة الممتدة من عام ١٨٩٠ م ، عام إتمام السيطرة الروسية على هذه الأقطار ، وحتى عام ١٩١٧م الذي قامت فيه الثورة البلشفية، في النقاط الآتية:

- ١- توطين مهاجرين روس في هذه الأقطار الإسلامية وتمكينهم من انتزاع الأراضي الزراعية من أيدي أصحابها .
- ٢- استيلاء المصارف الروسية على أراضي المزارعين من أهالي تلك الأقطار والذين لم يستطيعوا تسديد القروض المجحفة التي حصل عليها هؤلاء المزارعون .
- ٣- نشر الثقافة الروسية بين سكان تركستان والقوقاز للتأثير في الهوية الإسلامية لهؤلاء السكان.
- ٤- إغلاق المدارس الوطنية وفتح المدارس الروسية وفرض التدريس باللغة الروسية، وإصدار صحف تشيد بالحكم الروسي.
- ٥- السعي لفرض التنصير على سكان تلك البلاد على المذهب الأرثوذكسي مذهب الكنيسة الروسية^(١).

١- أحمد محمود الساداتي: تركستان والاستعمار الروسي ملحق بكتاب قاميري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور ص ٥١٠ ، عن كتاب المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج١ إعداد مصطفى دسوقي مجلة الأزهر ص١٤٨-١٤٩ .

وعندما قام الاتحاد السوفيتى بموجب اتفاقية ٣٠ ديسمبر عام ١٩٢٢م ظهرت جمهوريتى أوزبكستان وتركمناستان عام ١٩٢٤م، وجمهورية طاجيكستان عام ١٩٢٩م، وجمهورية قازاقستان وقرغيزيا عام ١٩٣٦م.

كما أنه فى عام ١٩٣٦ تم تقسيم القوقاز إلى جمهوريات مستقلة هى أرمينيا وجورجيا وأذربيجان وجمهوريات ذات حكم ذاتى، وأقاليم ذات حكم ذاتى، وكانت جمهوريات القوقاز قد ظهرت كأمر واقع بالفعل منذ عام ١٩٢٠م، ومنذ ذلك التاريخ تم ضم أربعة أقاليم إلى أرمينيا هى: أرضروم (ارزروم) وترابيزون ، وفان، وتبليس. وفى آخر سنة ١٩٢٢ ، اقتطع إقليم «نخشيفان» من، أرمينيا ، وتم ضمه إلى أذربيجان ليصبح سببا مستديما للتوتر بينهما.

وعندما مات لينين عام ١٩٢٤م شهد الاتحاد السوفيتى صراعا حول السلطة حسمه «جوزيف ستالين» لصالحه ، ومن ثم أعلن عام ١٩٢٩م ضرورة الإسراع بالتحول إلى الشيوعية التى كان قد اعتبرها بمثابة عقيدة أطلق عليها الماركسية- اللينينية، وقد شهدت فترة حكم ستالين التى دامت حتى عام ١٩٥٣م ألوانا من القهر والسخره فى العمل، فقتل عشرات الملايين أو طردوا أو سجنوا أو شردوا ، وتم القضاء على الملكية الفردية ، كما شق مئات الآلاف من أطلق عليهم «أعداء الشعب».

وقد تعرض المسلمون خلال تلك الفترة إلى صنوف القهر والتعذيب والتشريد والتهجير الإجبارى وإلى تقسيم أراضيهم والاقطاع منها، وتهجير الروس والأوكرانيين إليها، بهدف تغيير التكوين «الديموجرافى» والعرقى والدينى لهذه الأقاليم ، وفى عام ١٩٤٣م سلمت بلكار إلى جورجيا بعد اقتطاعها من جمهورية «كباردينو- بلكار» وتم محو اسم «بلكار» كما قسم إقليم «كاراشاى» وتم حل جمهورية «شيشان- أنجوش» وسلمت أجزاء منها إلى جورجيا عام ١٩٤٦م، وفصل جزء عن شبه جزيرة القرم وضمه لأوكرانيا ، وكان تولى المسلمين للمناصب العامة أدنى كثيرا من نسبتهم الحقيقية إلى كل الشعوب السوفيتية^(١).

ومن ناحية أخرى فرضت عليهم اللغة الروسية كلغة رسمية ، وكلغة للتعامل فى كل نواحي الحياة، فانفصل معظم المسلمين عن كتاب الله وسنة رسوله ، وعن كتب الفقه التى لم تكن مكتوبة باللغة الروسية، وصار من بقى من علماء المسلمين المسنين يعلمون الاسلام لمن تيسر له ذلك سرا.

وقد كانت وطأة «الترويس» وتشتيت المسلمين وتذبيحهم على أشد درجاتها في قازاقستان وقيرغيزيا وبين التتار الذين كانوا يقطنون شبه جزيرة القرم وحوض نهر الفولجا، وشتت معظمهم في كل الاتحاد السوفيتي ، ولاغرو فقد ظلت مقاومة المسلمين لعملية تغيير قيمهم وطريقة حياتهم حتى مطلع ثلاثينيات القرن العشرين، وقد ساعد على تمكن السلطات السوفيتية من السيطرة على بلاد المسلمين في وسط آسيا والقوقاز انضمام بعض المسلمين من تأثروا بالثقافة الروسية وتعلموا في مدارسهم وجامعاتهم لأكثر من ثلاثين عاما انضمامهم إلى الحزب الشيوعي ، ومن ثم تولوا مناصب هامة في بلادهم ، وأصبح ولاؤهم للسلطات السوفيتية^(١).

وعلى الجانب السياسي الإداري كان تقسيم الأراضي الإسلامية إلى جمهوريات وأقاليم ذات حكم ذاتي يقصد به قطع كل صلة بين هذه الشعوب وبين الأمة الإسلامية من ناحية وبينها وبين كل من تركستان وإيران من ناحية أخرى، وبينها وبين بعضها البعض من جهة ثالثة، في إطار سياسة فرق تسد، سياسة حرب الإبادة التي مارسها الروس ضد المسلمين.

انهيار الاتحاد السوفيتي:

عندما تولى الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل جورباتشوف السلطة في الاتحاد السوفيتي في مارس عام ١٩٨٥م انتهج سياسة مختلفة تماما عن سياسة أسلافه ، وذلك عندما رفع شعار «البيروسترويكا» أي إعادة البناء و«الجلاسنوست» أي المصارحة .

وقد أحدثت سياسات جورباتشوف صدى سريعا في دول أوروبا الشرقية التي أسقطت شعوبها الأنظمة الشيوعية وسار معظمها في طريق الانفتاح الاقتصادي على المعسكر الغربي، وتبنت سياسة اقتصاديات السوق ، وقت الوحدة الألمانية وانهار حلف وارسو ، في حين لم يتأثر الاتحاد السوفيتي نفسه كثيرا من سياسة المصارحة والمكاشفة إلا من بعض التغيرات المظهرية .

وقد وافق الرئيس جورباتشوف على سحب وتدمير الأسلحة النووية المتمركزة في دول أوروبا الشرقية وتقليص الترسانة الاستراتيجية السوفيتية إلى أدنى معدل لها في خطوات أجبرت الولايات المتحدة على انتهاج خطوات مماثلة تمثلت في المبادرة التي أعلنها الرئيس الأمريكي جورج بوش لخفض ترسانة الولايات المتحدة من الأسلحة النووية^(١).

١- مجلة الأزهر، المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج١ ، إعداد مصطفى دسوقي، ص١٥١-١٥٤ .

٢- المسلمون في آسيا الوسطى القوقاز ج٢، مجلة الأزهر ، إعداد مصطفى دسوقي ص١٦١ .

وعندما بدأت سياسة «البيروسترويك» تؤتي ثمارها فى الاتحاد السوفيتى واتجه العديد من الجمهوريات (ليتوانيا - استونيا - لاتفيا) الواقعة على بحر البلطيق للاستقلال ، جاء الانقلاب العسكرى الفاشل ضد الرئيس جورباتشوف فى ١٩ أغسطس ١٩٩١ احتجاجا على هذه السياسة التى أدت من وجهة نظر قادة الانقلاب إلى تردى الأوضاع الاقتصادية ، تلا ذلك اعتراف معظم دول العالم باستقلال جمهوريات البلطيق الثلاث ليضطر الرئيس جورباتشوف إلى الموافقة بعد معارضته للاستقلال .

وقد حاول جورباتشوف إنقاذ الاتحاد السوفيتى من خطر التفكك ، فدعا رؤساء الجمهوريات الاثنى عشرة لعقد لقاء للتوصل إلى معاهدة جديدة للاتحاد تراعى الكونفدرالية أو الفيدرالية لدول مستقلة ذات سيادة يكون للسلطة المركزية بموسكو دور واضح فيها^(١).

وفى الوقت الذى كان فيه الرئيس جورباتشوف يستعد لهذا اللقاء أعلنت جمهورية أوكرانيا عن إجراء استفتاء شعبى أسفر عن موافقة مواطنيها على الانفصال وتكوين دولة مستقلة رغم نداءات جورباتشوف لهم بالوحدة ، واستغل بوريس يلتسين هذا الوضع كحجة لعدم الموافقة على عقد معاهدة جديدة للاتحاد .

وهكذا جاء الكومنولث الجديد بين روسيا الاتحادية وأوكرانيا وروسيا البيضاء لينهى عمليا وضع الاتحاد السوفيتى كدولة وليبقى على المستقبل السياسى للرئيس جورباتشوف . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الاتحاد السوفيتى كان يتكون من خمس عشرة جمهورية رئيسية، وبعد انفصال جمهوريات البلطيق الثلاث اقتصر الاتحاد السوفيتى على اثنتى عشرة جمهورية فقط هى: روسيا الاتحادية، أوكرانيا، روسيا البيضاء، جورجيا، أرمينيا، مولدافيا ، بالإضافة إلى ست جمهوريات إسلامية هى: أذربيجان ، قازاقستان ، أوزبكستان، طاجيكستان، قيرغيزيا، تركمنستان. وقبل الأحداث الأخيرة كان الاتحاد السوفيتى يملك نحو ٣٠ ألف رأس نووية تعادل ٥٤ ٪ من القدرة التدميرية لكل الروس النووية فى العالم، ورغم ذلك فإن العجز الاقتصادى مقوما بالسعر العالمى وصل إلى ٤٠ مليار دولاراً ، والديون ٨٤ مليار دولار، وأصبحت المجاعة واقعا عمليا وخطرا يواجه شعوب الاتحاد السوفيتى مما دعا

العديد من الدول إلى إعلان عزمها على إرسال معونات غذائية لموسكو لمواجهة فصل الشتاء القارس^(١).

الكومنولث الجديد :

فى الثامن من شهر ديسمبر ١٩٩١م أعلن رؤساء ثلاث جمهوريات سوفيتية فى خطوة هامة وغير مسبوقه إنشاء كومنولث جديد ونهاية الاتحاد السوفيتى كدولة، واختيار مدينة «مينسك» عاصمة روسيا البيضاء عاصمة للكومنولث الجديد.

وجاء إعلان تشكيل الكومنولث الجديد من جانب رؤساء جمهوريات : روسيا الاتحادية ، روسيا البيضاء ، أوكرانيا، ليضع حداً للمحاولات التى كان يقوم لها الرئيس ميخائيل جورباتشوف لإيجاد تجمع جديد وصيغة جديدة للاتحاد السوفيتى فى محاولة من جانبه للخروج من الأزمات التى يواجهها الاتحاد السوفيتى خاصة الأزمة الاقتصادية التى لم يشهد لها مثيلاً من قبل.

وعقب إعلان الكومنولث الجديد قدم الرئيس جورباتشوف استقالته من منصبه مع نهاية عام ١٩٩١م، وبذلك انتهى رسمياً الاتحاد السوفيتى كدولة، وفى هذا الإطار أصدر الرئيس بوريس يلتسين رئيس جمهورية روسيا الاتحادية عدة قرارات استهدفت الاستيلاء على مبنى الكرملين والإذاعة والتليفزيون ووكالة المخابرات السوفيتية (الكى. جى. بى) وحل وزارة الخارجية السوفيتية وإنزال العلم السوفيتى الأحمر من فوق مبنى البرلمان السوفيتى السابق .

وفى «ألتا» عاصمة جمهورية قازاقستان اجتمع زعماء إحدى عشرة جمهورية ووقعوا على اتفاقية جديدة تعلن قيام كومنولث جديد يضم الجمهوريات الإحدى عشرة بما فيها الجمهوريات الثلاث المؤسسة للكومنولث ، كما تم الاتفاق على إلغاء منصب رئيس الاتحاد السوفيتى^(٢).

١- نشرات متعددة: الهيئة العامة للاستعلامات ، صحيفة الأهرام، صحيفة الحياة الدولية وغيرها من الصحف خلال الفترة محل الدراسة، المرجع السابق: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، ج٢، ص١٦٣ .

٢- المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، المرجع السابق، ص١٦٤ .

ثانياً : جمهوريات وسط آسيا المستقلة:

تشمل جمهوريات وسط آسيا الإسلامية خمس جمهوريات، يمكن دراسة بعض تفاصيل تاريخها منذ استقلالها عام ١٩٩١م حتى الآن ، وهي:

أ- جمهورية قازاقستان :

كان القازاق يمثلون قوة رعوية واسعة في منطقة ممتدة من شمال بحر قزوين غرباً حتى مرتفعات التاي وزنجوريا شرقاً، وقد أصاب قبائل القازاق الضعف نتيجة الصراع مع القبائل الرعوية الأخرى، ثم مع الغزو الروسي لبلادهم خلال القرن التاسع عشر.

وحُدود قازاقستان تشترك مع روسيا الاتحادية في الشمال، ومع كل من جمهورية أوزبكستان وجمهورية قيرغيزيا وجمهورية تركمنستان، فهي دولة إقليمية كبرى بوسط آسيا ، ولها حدود مع إقليم « سنكيانج » تركستان الشرقية الصيني ، وهو إقليم أغلبية سكانه مسلمون، وعدد سكان قازاقستان أكثر من ١٧ مليون نسمة .

واقتصاد قازاقستان متنوع المصادر، ففي الجمهورية ٩٠ نوعاً من المعادن وتقوم بها صناعات متعددة مثل صناعة الحديد والصلب والأسمدة والألياف الصناعية والصناعات الدوائية ، كما تشتهر الجمهورية بإنتاج البترول والغاز الطبيعي ومنتجات اليورانيوم والفحم. وفي الزراعة تجود زراعة القمح الذي يتم تصدير الكثير من كمياته إلى روسيا الاتحادية.

وقازاقستان إحدى الجمهوريات السوفيتية النووية الأربع، ومن أراضيها كانت تطلق سفن الفضاء، حيث بها مركز «بايكونور» للفضاء ، لكنه الآن أصبح مهجوراً ، وتركه العاملون به والخبراء المتخصصون ، وكان بالجمهورية ٤١٤٠٠ عالم وخبير، بما فيهم خبراء في المجال النووي، ومجال الفضاء ، والصواريخ ، بيد أن مصيرهم غير واضح بعد قرار التخلص من ١٠٨٠ صاروخ نووي بعيد المدى في إطار اتفاقية « ستارت »^(١).

١- قررت قازاقستان التوقيع على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية في الوقت الذي وقع فيه رئيسها « نور سلطان نزار باييف » على معاهدة ستارت في ١٩ مايو ١٩٩٢م وصدق البرلمان على هذا: Strategic Arms Treaty (START) .

د. فوزى طایل : بحث آثار تفكك الاتحاد السوفيتي على أمن الأمة الإسلامية، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، ص ٣١٩ .

وتواجه جمهورية قازاقستان عدة مشكلات تتمثل فى الآتى:

١- عدم التجانس العرقى بين سكان الجمهورية حيث لايمثل القازاق سوى حوالى ٤٠٪ بينما يأتى الروس بعدهم فى النسبة، ثم الألمان والأوكرانيون وبعض قوميات جمهوريات وسط آسيا. وقد تحدث مشكلات بين القازاقستانيين والروس بصفة خاصة، لأن الروس يسيطرون على كثير من الإدارات كمديرين خاصة فى النواحي الاقتصادية والمرافق الخدمية ، وحدث مثل هذه المشكلات قد يؤدى إلى نزوح الروس إلى بلادهم مما قد يشير حفيظة موسكو وقد يدعوها للتدخل.

٢- ظهور صحوة إسلامية بعد أن كان الحكم الروسى قد سحقتها ، وهذه الصحوة تدعو إلى إحياء الثقافة القازاقية انطلاقا من فكرة أن المسلمين أرقى ثقافيا من الروس، كما تدعو إلى تقوية الروابط مع سكان إقليم سينكيانج الصينى خاصة القازاق المسلمين من أهل الإقليم، مما يشير توترا مع جمهورية الصين الشعبية^(١).

ب- جمهورية أوزبكستان :

أعلنت هذه الجمهورية ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٤ م ، وهى جمهورية ضمن الاتحاد الروسى حاليا، وحدودها مشتركة مع جمهوريات وسط آسيا المستقلة الأخرى (قازاقستان ، تركمنستان ، قيرغيزيا ، طاجيكستان)، إلى جانب أفغانستان، وعاصمة أوزبكستان مدينة طشقند، وتضم داخلها جمهورية «كارالباك» ذات الحكم الذاتى، التى تقع على الشاطئ الجنوبى لبحر آرال.

وأراضى أوزبكستان تضم المناطق المعروفة فى إقليم نهري جيحون وسيحون ، وهى مناطق زراعية ورعوية، حيث تعد ثالث دولة منتجة للقطن فى العالم، ومن أكثر الدول تربية للأغنام ودود حرير القز ، كما يوجد بها احتياطى كبير من البترول والغاز الطبيعى وبها صناعات تعدين متطورة وصناعات نسيج وصناعة كيماويات^(٢).

١- د. محمود طه أهر العلا : الآثار الاجتماعية والاقتصادية لنهري جيحون وسيحون فى آسيا الوسطى.

مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٣٤ .

٢- د. فوزى طاييل: المرجع السابق.

ويبلغ عدد سكان أوزبكستان أكثر من ٢٠ مليون نسمة معظمهم من الأوزبك الذين يمثلون حوالي ٧٧٪ ، بينما لا يمثل الروس سوى حوالي ٧٪ فقط، إلى جانب جماعات التاتار والطاجيك وغيرهم. ويثل المسلمون في الجمهورية حوالي ٨٠٪ من مجموع السكان ، ومن ثم فإن الجمهورية تتمتع بتجانس ثقافي واضح، وقد ظل كثير من المسلمين في أوزبكستان متمسكين بدينهم . وقد أصدرت حكومة أوزبكستان المستقلة قانونا لحرية العقيدة ، وحق الأهل في تنشئة أبنائهم على أساس ديني، والسماح بطباعة نسخ من القرآن الكريم الذي يتضمن ترجمة باللغة الأوزبكية التي استعادت مكانتها في البلاد.

وتواجه أوزبكستان عدة مشكلات أهمها ظهور التيار الإسلامي القوي في مواجهة سياسة الحكومة العلمانية المتمثلة في استبعاد العقيدة الدينية من مناهج المدارس، وهذا التيار متأثر بمثله القوي في جمهورية طاجيكستان المجاورة ، ويمتنع الأوزبك عن الحديث باللغة الروسية خارج الجامعة والمؤسسات الصناعية ، وإن اتجهت أوزبكستان إلى الاستقلال التام عن روسيا، ودعت إلى التعاون الكامل مع جمهوريات وسط آسيا المستقلة الأخرى^(١).

ج- جمهورية طاجيكستان:

لجمهورية طاجيكستان أطول حدود مع أفغانستان ومع إقليم كشمير الإسلامي، وإقليم سينيكيانج الصيني ، وهي أصغر جمهوريات وسط آسيا ، وأفقر دول الكومنولث الروسى وعاصمتها «دوشنبه» فمساحتها ١٤٣١٠٠ كيلو متر مربع ويزيد عدد سكانها عن خمسة ملايين نسمة قليلا ، يمثل الطاجيك منهم حوالي ٦٠٪ ويليهم الأوزبك ثم الروس. ورغم أن بالجمهورية بعض المعادن مثل الحديد والزنك الزراعى المتواضع ، فإن الدخل القومى لطاجيكستان جعلها تقع في مصاف الدول الفقيرة.

١- يمثل أعلى درجات الأولوية لدى الرئيس الأوزبكي «إسلام كريموف» تجنب عدوى المطالبة بأسلمة الجمهورية القادمة من طاجيكستان ، والرقابة من التدخل الأجنبي الذى يحمل معه مثل هذه الدعوة، لذا فقد تم طرد ٧٠ شيخا سعوديا، وعشرات من الأفغان خلال شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٩٢م، وتم قطع الاتصال البرى والجوى مع طاجيكستان وتنتظر الحكومة بعين الشك لعلاقتها مع إيران.

د. محمود طه أهورالاعلا، د. فوزى طایل، المرجع السابق.

وقد عرفت طاجيكستان اضطرابات شديدة فى فبراير ١٩٩٠م ، حيث هاجم الطاجيك الأقليات العرقية فى بلادهم خاصة الروس والأرمن ، ولأزال الشيوعيون يسيطرون على البرلمان المحلى . . ويتحدث الطاجيك اللغة الفارسية وهم أكثر شعوب المنطقة تمسكا بالإسلام ورغبة فى أن يحكموا بشريعتهم . وقد تكون ما عرف بحزب النهضة الإسلامى الذى يعتبر أكبر الأحزاب الإسلامىة فى طاجيكستان ويلقى دعما كبيرا من أفغانستان وإيران وباكستان .

وقد تأثر الطاجيك المسلمون بنجاح المجاهدين الأفغان فى إخراج القوات السوفيتية من أراضى أفغانستان ، كما تأثروا بالثورة الإسلامىة فى إيران عام ١٩٧٩م ، ومن ثم تمكن حزب النهضة الإسلامى فى مايو ١٩٩٢م من الوصول إلى الحكم وأصبح أحد قادة الحزب السيد/ دولت عثمان نائبا لرئيس الوزراء ، كما حصل الحزب على ثمانية مناصب وزارية كان منها وزارة الدفاع ووزارة التعليم ، كما سيطر على الإذاعة والتليفزيون والبنك المركزى .

ونتيجة لهذه المكاسب للتيار الإسلامى فى طاجيكستان تحرك الشيوعيون بدعم من موسكو واشتعلت حربا أهلية هرب أثناعها الرئيس «رحمن نبيف»^(١) وتم تعيين «بختيار خودببيردييف» المدعوم من موسكو رئيسا للجمهورية ، وقد هرب الكثير من التيار الإسلامى إلى أفغانستان ، وبدأ عدم الاستقرار فى طاجيكستان يؤثر على الأوضاع فى جمهوريات وسط آسيا الأخرى التى يخشى من امتداد التيار الإسلامى من طاجيكستان إلى بلادهم^(٢) .

د- جمهورية تركمنستان:

تقع جمهورية تركمنستان فى الجنوب الغربى لجمهوريات وسط آسيا المستقلة وهى تطل على بحر قزوين وحدودها مشتركة مع كل من قازاقستان ، وأوزبكستان وأفغانستان ، وإيران ، وعاصمتها مدينة «عشق أباد» وعدد سكانها حوالى أربعة ملايين نسمة يمثل التركمان ٧٠ ٪ منهم ، بينما لايمثل الروس سوى ١١ ٪ فقط إلى جانب عرقيات أخرى تتمثل فى الأوزبك والتاتار والقازاق ، وغيرهم .

١- كان «رحمن نبيف» قد انتخب رئيسا للجمهورية فى ٢٤ نوفمبر ١٩٩١ ، لكنه صار أعمىة فى يد الشيوعيين فى بلاده ، ومن ثم فقد تأييد المسلمين ، وتخلى عنه الشيوعيون .

٢- د. فوزى طایل ص ٣٣٢ ، د. محمود طه أهر العلاء: المرجع السابق ، ص ٣٣ .: ود. خليل عبد المجيد أهرزادة : جهود طاجيكستان الإسلامىة ماضيا وحاضرا ، مؤقر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز جامعة الأزهر- المرجع السابق ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٧ .

وأهم النشاط الاقتصادي في تركمنستان يتركز في زراعة القطن واستخراج البترول والغاز الطبيعي والفحم إلى جانب معادن أخرى، كما تزدهر صناعات السجاد والمواد الغذائية والمنسوجات وتوجد بها ثروة حيوانية تعيش على المراعى في المناطق الصحراوية وهي كبيرة تصل إلى حوالى ٩٠٪ من مساحة أراضي الجمهورية وليس لجمهورية تركمنستان مشكلات خارجية أو داخلية، حيث اتبعت سياسة علمانية منذ استقلالها في نوفمبر ١٩٩١م وانتخاب رئيسها «سابار موادنيازوف» في ٢١ نوفمبر ١٩٩٢م وكان أحد القادة البارزين في الحزب الشيوعي، ولا توجد بالجمهورية معارضة تذكر، وتأمل تركمنستان تحقيق ثروة من وراء بيع بترولها والغاز الطبيعي بالأسعار العالمية. وهي من أكبر بلاد العالم إنتاجا للغاز الطبيعي^(١).

هـ- جمهورية فيرغيزيا :

حصلت قيرغيزيا على عضوية الاتحاد السوفيتي كجمهورية مستقلة عام ١٩٣٦م وهي تجاور كلا من قازاقستان والصين الشعبية وأوزبكستان وطاجيكستان ، وأرضها جبلية حيث تقع على جبال «تيان شان» وعاصمتها مدينة «فرونزي» وعدد سكانها حوالى ٤.٥ مليون نسمة معظمهم من المسلمين الأتراك الذين يشكلون حوالى ٥٠٪ يليهم الأوزبك ثم التاتار إلى جانب الأقلية الروسية، وتمثل ثروة قيرغيزيا في وجود معادن متعددة تستخرج من الجبال أهمها الرصاص والفحم والزنك والانتيمون والزنك، كما يوجد بها بترول وغاز طبيعي ولكن بكميات قليلة ، وتقوم فيها بعض الصناعات المعدنية. كما تتمثل ثروة البلاد في وجود ثروة حيوانية وبعض الزراعات الجبلية^(٢).

١- د. فوى طایل : المرجع السابق، ص ٣٢٦ .

٢- د. محمود طه أهر العلا : المرجع السابق، ص ٣٤ .

جداول إحصائية

جدول رقم ١

جمهوريات وسط آسيا - بيانات أساسية

المصادر الطبيعية الرئيسية والصناعة	عضويتها في الاتحاد السوفيتي	النمر الاقتصادي ١٩٨٩/٨٦	Per Capite GNP	المساحة بآلاف الكيلومترات	عدد السكان بالمليون	الجمهوريات
البترويل ، الغاز الطبيعي ، الزنك ، النحاس ، بتروكيمياويات ، سجاد ، الرصاص ، الزئبق .	١٩٢٥	٤.٩	٣٣٧.	٤٨٣	٣.٨	تركمنستان
حديد ، زنك ، نحاس ، ذهب ، يورانيوم ، مواد غذائية ، الرصاص ، الغزل والنسيج ، الغازات .	١٩٢٩	٣.٢	٢٣٤.	١٤٣	٥.٧	تاجيكستان
مواد غذائية ، المعادن ، الماكينات ، البناء ، الغازات .	١٩٣٦	٤.٩	٣.٣.	١٩٨	٤.٦	قيرغيزيا
بترويل - ٢٥ مليون طن ، غاز ٧ مليون متر مكعب ، فحم ١٣٨ مليون طن ، منتجات يورانيوم ، حديد وصلب .	١٩٣٦	١.٩	٣٧٢.	٢٧١٧	١٧.١	قازاقستان
غاز طبيعي ٢١ مليون متر مكعب ، بترويل ٣ مليون طن ، فحم ٦ مليون طن ، ذهب ، مواد بناء ، كيمياويات ، مناجم ، حديد وصلب ، منتجات غذائية ، صناعات .	١٩٢٥	٢.٩	٢٧٥.	٤٤٧	٢١.٦	أوزبكستان

Sources : The World Fact Book , 1992 , CIA, Government of USA. Military Balance 1992, USS, London information on Central Asia, Compiled by Prof. Madhavan K Palat, IIC, New Delhi, 1992, The Middle East, Nov 1992, P. 38 .

جدول رقم ٢

السكان المسلمين فى جمهوريات وسط آسيا فى التسعينيات

المصادر الطبيعية الرئيسية والصناعة	نسبة الروس	عدد السكان بالمليون	الجمهوريات
٩٪ أوزبك ، ٣٪ قازاق ، ١٪ أوكرانيين.	١٠٪	٣.٦	تركمنستان
٥٪ طاجيك ، ٤٪ قازاق .	٨٪	٢٠.٣	أوزبكستان
٢٤٪ أوزبك ، ١٪ تاتار ، ١٪ قرغيز ، ١٪ أوكرانيين.	٨٪	٥.٣	طاجيكستان
١٣٪ أوزبك ، ٣٪ أوكرانيين ، ٢٪ ألمان.	٢٢٪	٤.٤	قيرغيزيا
٦٪ ألمان ، ٥٪ أوكرانيين	٣٨٪	١٦.٧	قازاقستان
٩.٦ مليون روس و ١.٥ مليون قوميات أخرى	-	٤٩.٧	الجملة

Sources : Derived from The Soviet Union's Unequal Parts: Diverse and Restless, The New York Times , Sep. II, 1990, time, Sep. I, 1991 , Statesman's Yearbook, 1990 .

جدول رقم ٣

التكوين العرقى فى جمهوريات وسط آسيا (بالنسبة المتوية)

قازاقستان	أوزبكستان	قيرغيزيا	تركمانيا	طاجيكستان
قازاق ٤٠	أوزبك ٧١	قيرغيز ٥٢	تركمان ٧٢	طاجيك ٦٢
روس ٣٨	روس ٨	روس ٢٢	روس ١٠	أوزبك ٢٤
ألمان ٦	طاجيك ٥	أوزبك ١٣	أوزبك ٩	روس ٨
أوكرانيون ٥	قازاق ٤	أوكرانيون ٣	قازاق ٣	قيرغيز ١
آخرون ١١	آخرون ١٢	ألمان ٢	أوكرانيون ١	أوكرانيون ١
_____	_____	آخرون ٨	آخرون ٥	آخرون ٤

جدول رقم ٤

مجموعات السكان السلاف والإيرانيين والأترك

المجموعات العرقية	ملايين عام ١٩٥٩	السكان عام ١٩٧٩	نسبة النمو ٥٩ / ١٩٧٩
السلاف :			
- الروس	١١٤,١١	١٣٧,٤٠	٢٠,٤
- الأوكرانيون	٣٧,٢٥	٤٢,٤٠	١٣,٧
- الروس البيض	٧,٩١	٩,٤٦	١٩,٥
- العنصر الإيراني التركي:			
- الأوزبك	٦,٠٢	١٢,٤٦	١٠٧,١
- القازاق	٣,٦٢	٦,٥٦	٨١,٠٠
- الطاجيك	١,٤٠	٢,٩٠	١٠٧,٤
- التركمان	١,٠٠	٢,٠٣	١٠٢,٥
- القيرغيز	,٩٧	١,٩١	٩٦,٨

Note; Rasma Karlins Ethnic Relations in the USSR: The Perspective from Below (Allen & Unwin Boston , 1986). p. 231 . Percentage growth are Per-thousand.

جدول رقم ٥

التكوين الوطني للسكان في CAR

النسبة المئوية من ١٩٨٩ / ٥٩	%	١٩٨٩	%	١٩٥٩	الجنسية
٣,٤	٣٣,٦	١٦,٥٢٠,٠٨٠	٢٦,٠	٥,٩٧٣,١٤٧	أوزبك
٢,٨	١٥,٢	٧,٤٧٦,٢٩٦	١٤,١	٣,٢٣٢,٤٠٣	قازاق
٣,٧	٨,٥	٤,١٦٢,٥٢٤	٦,٠٠	١,٣٨٥,٨٣٥	طاجيك
٣,٣	٥,٤	٢,٦٧٢,١٧٤	٤,٣	٩٨٥,٦٤٣	ترجمان
٣,٢	٥,١	٢,٤٨٢,٢١٠	٤,٢	٩٦٢,٠٠١	قيرغيز
١,٤	١٩,٤	٩,٥١٦,٢٢٩	٢٧,٠٠	٦,٢١٣,٨٣٠	روس
٠,٦	٢,٥	١,٢٣٤,٥٥٦	٤,٥	١,٠٣٤,٩٦٥	أوكرانيون
١,٤	٢,٤	١,١٧٨,٦٩٨	٣,٤	٧٧٩,٨٤٠	تاتار
٠,٥	٢,٣	١,١٣٤,٠٩٧	٣,٠٠	٩٨٥,٦٢٣	ألمان
١,٤	٠,٧	٣٢٠,١٨٩	٠,٩	٢١٢,٤٧٢	كوريون
٢,٣	٠,٥	٢٣٩,٧٦٥	٠,٥	١٢١,٥٩٦	روس بيض
٣,٤	٠,٥	٢٥٨,٩٥٢	٠,٤	٩٢,٩٧٤	يوغور
٢,٠	٠,٤	١٨٧,٢٧٣	٠,٤	١٠٢,١٦٩	أذربيجان
٠,٢	٠,٣	١٣٧,٤٤٥	٠,٦	١٤٧,٤٩٥	يهود
٢,٩	٠,٢	١١١,٠٦٤	٠,٢	٤٧,٠٦٦	أرمن

Note: Robert J. Kasier "Nations and Homelands in Soviet Central Asia" in Geographic Perseptivs on Soviet Central Asia ed., Robert lewis, (Routledge, London, 1992) .

جدول رقم ٦
توزيع العرقيات البشرية

١٩٨٣	١٩٧٨	
		جمهورية الصين الشعبية :
١٣,٠٠٠	١٤,٠٠٠	أوزبك
٢٦,٥٠٠	٢٠,٠٠٠	طاجيك
١١٥,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠	قيرغيز
٩٣٠,٠٠٠	٨٤٠,٠٠٠	قازاق
		إيران:
٦٥٠,٠٠٠	٥٥٠,٠٠٠	ترکمان
٦,٢٠٠,٠٠٠	٥,٨٠٠,٠٠٠	أذربيجانيين
٤٤,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	طاجيك
		أفغانستان:
١,٥٠٠,٠٠٠	١,٣٠٠,٠٠٠	أوزبك
٣,٥٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	طاجيك
٥٨,٠٠٠	١٠,٠٠٠	قيرغيز
٢٥٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	ترکمان
١٢٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	ترکيا:
		ترکمان

Note : Lee Schwartz , "The Political Geography of Soviet Central Asia : Integrating the Central Asian Frontier " , in Geographic Perspectives on Soviet Central Asia, Ed. Robert A Lewis (Routledge, London, 1990), p. 48 .

ثالثا : جمهوريات القوقاز

عندما تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م أعلنت عدة جمهوريات استقلالها وإن ظلت ضمن الكومنولث الروسى مع روسيا الاتحادية مثل جمهوريات أذربيجان ، وجورجيا وأرمينيا ، وحاولت بعض جمهوريات ذات حكم ذاتى إعلان الاستقلال مثل الشيشان والأنجوش، الداغستان.

ونسوق فيما يلى معلومات تفصيلية عن الجمهوريات المستقلة فى القوقاز وهى:

أ- جمهورية أذربيجان :

عاصمة جمهورية أذربيجان مدينة «باكو» وقد أعلن استقلالها عام ١٩٣٦ كأحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، ومساحتها ٨٦٦٠٠ كيلو مترا مربعا وتتضمن أذربيجان . جمهورية «ناخيشيفان» ذات الحكم الذاتى ، وإقليم «ناجورنوقراباخ» ذا الحكم الذاتى، وحدودها مشتركة مع كل من إيران فى الجنوب ، وأرمينيا وجورجيا فى الغرب وفى الشرق بحر قزوين . وعدد السكان حوالى ٧ مليون نسمة منهم ٨٧٪ من الآذاريين و ٥٪ من الأرمن و ٨٪ من الروس .

وتعيش أذربيجان منذ عام ١٩٩٠م حالة من التأهب تسودها القلاقل بسبب المواجهات العرقية مع أرمينيا ، وتشتهر الجمهورية بوفرة المياه التى تروى أراضيها الصالحة للزراعة وغاباتها الكثيرة ، وحيواناتها المتنوعة المستأنسة والبرية، ويوجد بها تربية الحيوانات ودود الحرير . إلى جانب الصناعات الثقيلة والكيميائية ، والكهربائية والبلاستيك وغيرها .

وتمسك الآذاريون بأسلامهم حتى فى ظل الاتحاد السوفيتى، ومن ثم قامت المدارس بتدريس القرآن الكريم منذ العام الدراسى ٨٩ / ١٩٩٠م ، كما كانت الجبهة الشعبية ذات الهوية الإسلامية أقوى الحركات السياسية فى أذربيجان ، رغم أنها واجهت قوى محلية وإقليمية ودولية، ويتحدث الآذاريون اللغة التركية ولكنها خاصة بهم، ولهذا فهم مرتبطون بكل من تركيا (لقريا) وإيران (مذهبيا وعرقيا) ولذلك تطلع الآذاريون دائما إلى أبناء عموماتهم فى إيران .

١- تقع جمهورية ناخيشيفيان على الحدود مع تركيا وإيران، وتبلغ مساحتها ٥٥٠٠ كيلو مترا مربعا، وعدد سكانها قرابة ٣٠٠٠٠٠ نسمة معظمهم من الآذاريين ، ويفصل بين هذه الجمهورية وبين الدولة الأم أراضى أرمينيا تحيط بها من الشمال والشرق، ويعمل ٧٠٪ من السكان بالزراعة .

د . أحمد محمد الهوارى : أترك أذربيجان والاحتلال الروس ، مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى القوقاز جامعة الأزهر- المرجع السابق، ص ٢٥٠، ٢٥٥ .

ونتيجة لمشكلة «ناجورنوقراباخ»، بين أذربيجان وأرمينيا، ورغبة الأذاريين فى العودة إلى الإسلام بقوة تحالفت كل من روسيا مع الرئيس الأذارى «حيدار علييف» لإعادة الشيوعية إلى البلاد وتم استبعاد التيار الإسلامى إلى حين، وكان حيدار علييف، السكرتير الأول للحزب الشيوعى فى أذربيجان وقائداً عسكرياً سابقاً ورئيساً للجهاز التابع لإدارة أمن الدولة "K.G.B" فى أذربيجان، وكان جورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتى قد طرده من المكتب السياسى للحزب الشيوعى عام ١٩٨٧م وانتخب رئيساً لبرلمان أذربيجان فى شهر يونيو ١٩٩٣م^(١).

ب- جمهورية جورجيا :

تقع جمهورية جورجيا إلى الشرق من البحر الأسود وتشغل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز، وتشترك حدودها مع كل من روسيا الاتحادية وأرمينيا وأذربيجان وبعض الجمهوريات ذات الحكم الذاتى مثل الشيشان والأبخاز والداغستان، والمسلمون يعرفون باسم «الكرج» وكانت بلادهم تسمى «كرجستان». وعاصمة جورجيا مدينة «تفليس» وأقسامها الإدارية جورجيا وأبخازيا وأجاريا^(٢). والحاصلات الزراعية فى جورجيا تتمثل فى الحبوب والفاكهة، والشاي حيث تنتج أكثر من ٩٠٪ من الشاي المنتج فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية السابق، هذا إلى جانب ثرواتها من المعادن والمراعى. وتضم جورجيا ثلاث جمهوريات تتحد معها فى حكم ذاتى، وهى جمهوريات صغيرة لاتتجاوز مساحة أكبرها بضعة آلاف من الكيلومترات، وهى جمهورية أبخازيا، وجمهورية آجاريا، وجمهورية أوسيتيا الجنوبية التى انفصلت عن أوسيتيا الشمالية زمن الحكم السوفيتى^(٣).

ج- جمهورية أرمينيا:

تقع جمهورية أرمينيا فى الجزء الجنوبي من القوقاز ولها حدود مشتركة مع كل من تركيا وإيران وأذربيجان وجورجيا وعاصمتها مدينة «يريفان» وعدد سكانها أكثر من ثلاث ملايين

١- د. فوزى طایل: بحث آثار تفكك الاتحاد السوفيتى.. المرجع السابق، ص ٣٣٥ : ود. سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية فى آسيا استراليا، ص ٣٤٧-٣٥٢ .

٢- فوزى طایل: المرجع السابق ص ٣٣٥ .

٣- محمود شاکر : قفقاسيا ، ص ٧١ .

ونصف نسمة يمثل المسلمين فيهم حوالي ١٢٪ من عدد السكان. والمدلول الجغرافي لأرمينيا يقصد به المنطقة الأكثر ارتفاعا في غرب قارة آسيا، تحدها آسيا الصغرى من الغرب، وهضبة أذربيجان من الشرق والجنوب الشرقي، وجبال القوقاز من الشمال، وبلاد حانيق ولازستان الواقعة على البحر الأسود من الشمال الغربي وأرض الجزيرة بين دجلة والفرات من الجنوب. والأرمن مقسمون حاليا بين ثلاث دول: قسم يتبع تركيا، والقسم الثاني يتبع إيران، والقسم الثالث هو جمهورية أرمينيا التي كانت عضوا بالاتحاد السوفيتي قبل الاستقلال^(١).

وأراضي جمهورية أرمينيا جبلية في جملتها يفصلها نهر كورا في الشمال عن جبال القوقاز، ونهر راس يفصلها من ناحية الجنوب عن إيران وتركيا، وأعلى جبال أرمينيا جبل أارات، وارتفاعه ٤٠٩٠ متر، وقد عرف عند الجغرافيين العرب باسم الحارث^(٢).

ويمكن تفصيل أحوال جمهوريات وسط آسيا المستقلة على النحو الآتي:

أولا : جمهورية كازاخستان :

يحد كازاخستان من الغرب بحر قزوين وجمهورية روسيا الاتحادية، ومن الشرق الصين، ومن الشمال روسيا الاتحادية، ومن الجنوب أوزبكستان وقرغيزستان، وهي أكبر جمهوريات وسط آسيا في المساحة التي تبلغ ٣٠٠,٧٠٧,٢ كم^٢، ويبلغ عدد سكانها أكثر من ١٧ مليون نسمة ينتمون لعرقيات مختلفة أهمهم الكازاخ والروس والأوكرانيون.

وتتمثل ثروة كازاخستان في الانتاج الزراعي والثروة الحيوانية والثروة المعدنية والصناعة، فتزرع كازاخستان القطن والتبغ والفاكهة وغيرها من المحاصيل، وذلك في مساحة ٧٤ مليون فدان صالحة للزراعة في شمال ووسط الجمهورية، وفي مناطق الأودية الجبلية اعتمادا على مياه الأنهار والأمطار والآبار، ويعمل بالزراعة حوالي ٥٠٪ من مجموع سكان كازاخستان^(٣).

١- دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٢.

٢- جبل أارات هو الجبل الذي تذكر المصادر أنه الذي هبطت عليه سفينة النبي نوح بعد الفيضان، ولذلك يقسمه الأرمن.

٣- د. عمر محمد الصادق : اقتصاديات الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا : مؤتمر المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز - المحور الجغرافي .

وتمثل الثروة الحيوانية مصدرا آخر رئيسيا للدخل القومي في كازاخستان ، حيث تشتهر الجمهورية بتربية الخراف التي تنتج أصوافا عالية الجودة، إلى جانب الماشية التي تدر ألبانا ومنتجاتها ، وتقدم اللحوم اللازمة للطعام.

كما تمثل الثروة المعدنية والصناعية مصدرا ثالثا للدخل القومي في كازاخستان، حيث تعتبر الجمهورية غنية جدا بالموارد المعدنية ، حيث أنها تنتج أكثر من ٩٠ نوعا من خامات المعادن أهمها الفحم والتنجستن ، والبترول والغاز الطبيعي، والنحاس والرصاص والزنك والنيكل والكروم والمنجنيز ، والبوكسيت (خام الألمنيوم) ، وقد قامت على هذه المعادن صناعات متعددة ومتطورة ، ومنها صناعات النسيج والصناعات الاستراتيجية ، وبها قاعدة تكنولوجية كبيرة يعمل فيها حوالي مائة وسبعين ألفا.

وكازاخستان إحدى الجمهوريات السوفيتية النووية الأربع ، ومن أراضيها كانت تطلق سفن الفضاء ، حيث بها مركز «بايكونور» للفضاء، لكنه الآن أصبح مهجورا ، وتركه العاملون به، والخبراء المتخصصون ، وبالرغم من أن اللغة الروسية هي اللغة الرسمية الأولى في البلاد فإن ثقافة الكازاخ هي السائدة ، ومن هنا لمجدهم بعد الاستقلال يتطلعون إلى إحياء هويتهم الإسلامية^(١).

وقد أصبحت كازاخستان جمهورية منذ عام ١٩٢٠م بانضمام بعض المقاطعات التي كانت خاضعة للحكم الروسي ، حتى أصبحت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد عام ١٩٢٥م، واختيرت مدينة «ألماتا» عاصمة للجمهورية ، وإن انتقلت العاصمة إلي مدينة أخرى عام ٢٠٠٠م عرفت باسم «أستانا» .

ثانيا : جمهورية أوزبكستان :

تحد جمهورية أوزبكستان من الشمال جمهورية كازاخستان ، ومن الشرق جمهورية قيرغيزستان، ويمثل الأوزبك حوالي ٧٠٪ من سكان الجمهورية إلى جانب بعض العرقيات الأخرى مثل الروس والطاجيك والتتار، ومعظم الأوزبك مسلمون سنيون ، يعيشون في المدن ذات الميراث الحضاري الإسلامي مثل بخارى وسمرقند وطشقند وفرغانة وخوارزم .

١- د. فوزي محمد طایل : آثار تفكك الاتحاد السوفيتي على أمن الأمت الإسلامية، مؤتمر المسلمون في آسيا الوسطى والقرقاز ، المحور السياسي .

وتبلغ مساحة أوزبكستان ٢م٤٤٧٤٠٠ ، وعدد السكان حوالي ٢٠ مليون نسمة ، وكان الشعب الأوزبكي هو الشعب الحاكم لوسط آسيا حتى وصول الروس خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، إن الولايات الأصلية التي كان يحكمها الأوزبكيون أسست في القرن الخامس عشر على بقايا امبراطورية تيمورلنك ، ويتحدث الأوزبكيون لغة الجاجاتاي التي ترتبط باللغة التركية العثمانية والتركية الأذربيجانية (١).

وتضم أوزبكستان أكبر تجمع بشري إسلامي في جمهوريات وسط آسيا ، وأكثرها تجانسا من الناحية العرقية ، حيث أن بقية الأعراق التي تسكن الجمهورية لا يمثلون إلا حوالي ٣٠٪ فقط من مجموع السكان ، وتتمتع بتجانس ثقافي عالي، وقد ظل كثير من المسلمين فيها متمسكون بعقيدتهم وتقاليدهم إلى حد كبير (٢). والعاصمة مدينة طشقند ذات التاريخ كمرکز للتراث الإسلامي.

وتتمثل ثروة أوزبكستان في الزراعة لأراضي مساحتها حوالي ٨ ملايين فدان، تشغل زراعة القطن حوالي ٥٠٪ من هذه المساحة ، إلى جانب الحبوب كالقمح والخضروات والفواكه، وكل ذلك نتيجة توفير المياه من الأنهار حيث أقيمت قنوات للري متعددة كما تتوفر المراعى في غرب أوزبكستان حيث تشتهر بالأغنام ذات الأصواف المتميزة ، وبألوان متعددة ، سوداء وحمراء ، وذهبية ، وببضاء.

كما تمتلك أوزبكستان ثروة كبيرة من المعادن مثل النحاس والزنك والرصاص والمنجنيز والتنجستين والذهب ، إلى جانب الفحم والبتترول والغاز، والحديد ، وقد قامت صناعات كثيرة على هذه المعادن مثل صناعة الجرارات الزراعية وماكينات الحصاد وصناعات الغزل والنسيج والجلود والبلاستيك والورق والأسمدة (٣).

ثالثا: جمهورية تركمنستان :

تقع جمهورية تركمنستان في الجنوب الغربي لمجموعة دول وسط آسيا الإسلامية المستقلة وهي تطل على بحر قزوين ، وتحاور كلا من كازاخستان، وأوزبكستان وأفغانستان وإيران

١- عمر محمد الصادق : المرجع السابق .

٢- فوزى محمد طاهيل : المرجع السابق.

٣- عمر الصادق : نفس المرجع السابق.

وعاصمتها مدينة «عشق آباد» ويبلغ عدد سكانها حوالى أربعة ملايين نسمة الغالبية العظمى منهم مسلمون، وهناك إلى جانب التركمان عرقيات أخرى تتمثل فى الأوزبك والتتار، والكازاخ ، الروس والأوكرانيين والأرمن وجنسيات أخرى ، ومساحة الجمهورية ٢٠٠٠٠٠٠٠ كم^٢ .

وتتمثل الثروة القومية فى تركمنستان فى الزراعة على مياه نهر «أموداريا» والزراعة الحرفية الرئيسية لأهل الجمهورية ، حيث يزرعون القطن والحبوب وهى القمح والذرة، إلى جانب الخضروات والفواكه، كما توجد ثروة حيوانية لا بأس بها مثل الأغنام والماعز والماشية ، حيث تقوم صناعات على أصواف الأغنام وتهتم الجمهورية بتربية الخيول العربية الأصيلة ، وتقوم مصائد الأسماك ببحر قزوين بدور كبير فى النشاط الاقتصادى للسكان^(١).

وبالجمهورية ثروة معدنية تتمثل فى البترول والغاز والفحم والملح والكبريت ، والمعادن النفيسة والمنجنيز ، حيث تقوم صناعات متعددة للبترولوكيماويات والأسمدة والأسمت والحديد والصلب والمنسوجات وغيرها من الصناعات الغذائية ، والسجاد، والرخام، والبوتاسيوم ، وملح الطعام.

وقد أعلنت جمهورية تركمنستان فى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٤م باعتبارها احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى صارت جمهورية مستقلة فى الأول من نوفمبر ١٩٩١ ، واتخذت سياسة علمانية حيث صار أحد القادة البارزين فى الحزب الشيوعى وهو «سابار مواد نيازوف» رئيسا للجمهورية بعد انتخابات جرت فى ٢١ يونيو ١٩٩٢ م^(٢). وتعتبر تركمنستان الأقل بين الجمهوريات السوفيتية السابقة معانة من التغيير، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتى غير «الحزب الشيوعى» اسمه إلى «الحزب الديمقراطى» وفى تركمنستان خمسة أحزاب سياسية، وأقوى هذه الأحزاب هو حزب الفلاحين، والذى يلي مباشرة الحزب الديمقراطى الذى يترأسه «نيازوف» رئيس الجمهورية ، وقد تفرقت عدة أمور تفتح الطريق لمزيد من الحرية للأهالى لممارسة شعائرهم الدينية^(٣).

١- عمر محمد الصادق: المرجع السابق.

٢- فوزى محمد طایل : المرجع الاسبق.

٣- عبد العزيز محمد عرض الله : بين التركمان ، دراسة انثروبولوجية وتاريخية لتركمان آسيا الوسطى الإسلامية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، مؤتمرك المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر، المحور التاريخى .

رابعاً : جمهورية قيرغيزستان:

تجاور جمهورية قيرغيزستان أو قرغيزيا كلا من كازاخستان والصين الشعبية وأوزبكستان، وطاجيكستان وأرضها جبلية تقع على سلسلة جبال « تين شان »، والعاصمة مدينة « فرونزى » ومساحة الجمهورية ١٩٨٥٠٠ كم^٢، ومعظم سكانها من الأتراك المسلمين الذين يمثل القرغيز ٥٠٪ والباقي من الأوزبك والتتار، والروس والأوكرانيين والألمان، ويبلغ عدد السكان حوالى خمسة ملايين نسمة ويتمثل النشاط الاقتصادى فى قيرغيزستان بالزراعة للحبوب مثل القمح والبنجر والأرز والنباتات الطبية والفاكهة والخضروات ، وتربية النحل ودود الحرير ، وبسبب توفر المراعى بالجمهورية نشط الأهالى فى تربية الحيوان كالخراف والماعز والخنازير وتقوم صناعات على كثير من هذه المنتجات الزراعية والحيوانية^(١).

وبالنسبة للثروة المعدنية، فانها تتوفر بكميات أتاحت الفرص لاقامة صناعات حيث توجد معادن الزئبق ، والبترول والغاز والفحم والحديد والاسمنت والسيارات وتكرير السكر والصناعات الجلدية والصوف والمنسوجات والأخشاب والتبغ والصناعات الكهربائية والزجاجية.

وقد صارت قيرغيزستان جمهورية اشتراكية سوفيتية مستقلة داخل الاتحاد السوفيتى عام ١٩٣٦م بعد أن كانت جزءا من جمهورية تركستان السوفيتية، منذ عام ١٩٢٤م. ومع تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م ، صارت قيرغيزستان جمهورية مستقلة^(٢).

وتأخذ جمهورية قيرغيزستان سياسة حيادية بين جاراتها فى وسط آسيا، خاصة وأن جارتها طاجيكستان تشهد حربا أهلية عرقية منذ استقلالها ، وتهتم بالتعليم حيث توجد بها أكاديمية للعلوم وحوالى ٥٠ معهد فنيا، و١٨ معهدا للبحوث، كما تم افتتاح جامعة بها عام ١٩٥١م.

خامسا : جمهورية طاجيكستان :

تحد طاجيكستان من الشمال نهر «أموداريا» وغربا وشمالا تحدها أوزبكستان وقيرغيزيا ومن الشرق تركستان الصينية ، وجنوبا أفغانستان ، وهى أصغر دول وسط آسيا، وأفقر دول الكومنولث ، ومساحتها ١٤٣١٠٠ كم^٢ وعاصمتها مدينة «دوشانبى» وعدد سكان طاجيكستان أكثر قليلا من خمسة ملايين نسمة، وتسكن بالجمهورية إلى جانب الطاجيك عرقييات أخرى مثل الأوزبك والروس والأوكرانيين والأرمن ، ويتحدث الطاجيك باللغة الفارسية، ويتمسكون بالاسلام تمسكا شديدا ، وكثير من مسلمى سكان الجمهورية شيعة.

١- عمر محمد الصادق : المرجع السابق.

٢- فوزى محمد طایل : المرجع السابق.

ونشاط أهل طاجيكستان يعتمد على الزراعة لتوفر مياه الري من نهري «سرداريا» و «أموداريا»، وروافدهما، وهي تصرف مياهها في بحر آرال، وتشمل المزروعات القمح والشعير والأرز والقطن والشرفان، إلى جانب أنواع متعددة من الفاكهة والخضروات وتوجد مراعى غنية بالجمهورية يتم تربية الماشية، والأغنام والماعز والدواجن والخنزير وغيرها.

والصناعات القائمة بطاجيكستان تتمثل في أنشطة التعدين والمشروعات الهندسية والغذائية والنسيج والحزير، وتوجد من المعادن عدة أنواع مثل الفحم الحجري والبتترول والغاز والزنك واليورانيوم والراديوم والزرنيخ وبعض المعادن النفيسة مثل الياقوت والفيروز^(١).

ولقد نشأت جمهورية طاجيكستان السوفيتية الاشتراكية من مناطق بخارى وتركستان حيث كان كل سكانها من الطاجيك، وقد اعترف بها كجمهورية مستقلة ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي في ٥ ديسمبر عام ١٩٢٩م حتى إذا تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م، أصبحت طاجيكستان مستقلة.

وبسبب ملاصقتها لأفغانستان، تشكل حزب سياسي باسم «حزب النهضة الإسلامية» تولى سياسة التشدد ضد الاتجاهات الشيوعية بالجمهورية ومن ثم حدثت حرب أهلية في الجمهورية، ويتلقى هذا الحزب الإسلامي دعما من باكستان وإيران وأفغانستان (جماعة طالبان)، من ثم أصبح هناك توافقا بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية والدول العلمانية بالمنطقة، على ضرورة عدم السماح باقامة دولة إسلامية في طاجيكستان^(٢).

رابعا: مشكلات قوقازية

رغم استقلال الجمهوريات القوقازية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، فقد ظهرت عدة مشكلات تشير الاضطرابات وتؤدي إلى عدم الاستقرار في هذه الجمهوريات المستقلة، مثل مشكلة ناجورنو قراباخ بين أذربيجان وأرمينيا، ومشكلة الأبخاز في جمهورية جورجيا، إلى جانب مشكلة جمهورية الشيشان التي سنعرض لها.

أ- ناجورنو قراباخ :

يقع إقليم ناجورنو قراباخ المتمتع بالحكم الذاتي داخل أراضي جمهورية أذربيجان، وأغلبية سكانه من الأرمن المسيحيين نسبتهم ٧٠٪ من عدد السكان مع وجود عناصر إسلامية أذارية نسبتها ٢٥٪، ومساحته ٤٤٠٠ كيلو مترا مربعا وعاصمته مدينة «ستييا ناكرت» وعدد سكانه حوالي ٢٠٠ ألف نسمة، ويتميز الإقليم بوفرة مياهه وأراضيه الخصبة.

١- عمر محمد الصادق : المرجع السابق.

٢- فوزي محمد طاهل : المرجع السابق .

وعند تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م وإعلان أذربيجان جمهورية مستقلة وكذلك جمهورية أرمينيا، تطلعت جمهورية أذربيجان إلى ضم إقليم ناجورنوقراباخ بينما نادى الأرمن فى الإقليم بالاستقلال عن أذربيجان وإخلائه من الأذاريين الذين يطلقون عليهم الترك. ومن ثم حدثت اضطرابات فى الإقليم وتصاعدت أعمال القتال بين الأذاريين والأرمن، وأصدر برلمان أذربيجان قرارا يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٩١م بضم إقليم ناجورنوقراباخ إلى الوطن الأم، وإلغاء وضع الحكم الذاتى الذى كان يتمتع به .

ونتيجة لتدخل جمهوريات روسيا الاتحادية وأرمينيا وجورجيا تمكن الأرمن فى إقليم ناجورنوقراباخ من استعادة السيطرة على الإقليم وطرد معظم المسلمين الذين كانوا به، وأجروا استفتاء فى شهر يناير ١٩٩٢م كانت نتيجته عودة إقليم ناجورنوقراباخ مستقلا . بيد أن الأذاريين لم يذعنوا لاقتطاع جزء من بلادهم. وباستئناف القتال استولى الأرمن على أراضٍ إدارية جديدة لفتح ممرات من إقليم ناجورنوقراباخ حتى الحدود الأرمينية (١).

وإزاء التدخل الدولى المتمثل فى روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية إلى جانب أرمينيا وجورجيا وتركيا وإيران تمكنت جمهورية أرمينيا من الاستيلاء على مزيد من أراضى جمهورية أذربيجان إلى جانب إقليم ناجورنوقراباخ، بينما فشلت القوات الأذارية فى صد الهجمات الأرمينية، وقد طالبت هيئة الأمم المتحدة فى ٦ أبريل ١٩٩٣م بوقف القتال وانسحاب القوات الأرمينية . ولكن جمهورية أرمينيا لم تستجب لقرار هيئة الأمم المتحدة واستمرت فى غزو الأراضى الأذارية حتى استولت فى شهر يونيو ١٩٩٣م على حوالى ١٦٪ من الأراضى الأذارية.

ورغم هذا لم تتوقف جمهورية أرمينيا عن اعتداءاتها على أراضى جمهورية أذربيجان مما أضطر مجلس الأمن إلى أن يطلب فى أول مايو ١٩٩٣م ضرورة سحب القوات الأرمينية من الأراضى الأذارية، والسماح لوكالات نموث اللاجئين الدولية بالعمل، وبيدء المباحثات بين أطراف النزاع تحت رعاية مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبى (٢).

١- فوزى محمد طابيل: بحث آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية، مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز - جامعة الأزهر، ص ٣٣١ .

ود. سعيد عبد المجيد بكر: الأقليات الإسلامية فى اسيا واستراليا، ص ٣٥٣ .

٢- نفس المرجع السابق، ص ٣٣٥ .

ب- أبخازيا :

جمهورية أبخازيا مساحتها ٨٦٠٠ كيلو مترا مربعا وعاصمتها مدينة سوخومي وعدد سكانها حوالي ٢٥ ألف نسمة ، وبسبب وقوعها على البحر الأسود وشبه جزيرة القرم كانت ميدان غزو ونزاع مستمر. وقد أصبحت جمهورية ذات حكم ذاتي منذ شهر مارس ١٩٢١م، ودخلت الإطار الاتحادي مع جورجيا منذ ١٧ أبريل ١٩٣٠ حينما اقتطعها ستالين الجورجي الأصل من روسيا. ويشكل المسلمون الأبخاز قرابة نصف سكان الجمهورية ، والباقي من الجورجيين والروس^(١).

ويشكل المسلمون في أبخازيا مع باقي مسلمي سواحل البحر الأسود وشبه جزيرة القرم وحدة عرقية وجغرافية ، لذا فلم يكن غريبا أن يشور أهل الإقليم للمطالبة باستقلالهم عن جورجيا منذ مطلع شهر أبريل عام ١٩٨٩م. وأعلنوا في ٢٥ أغسطس ١٩٩٠م استقلال أبخازيا استقلالاً تاماً. فأرسلت جورجيا ميليشيات هاجمت الأبخاز المسلمين اعتباراً من ٢٠ يوليو ١٩٩٢م، ثم اتخذ القتال بعداً دولياً ليس فقط بسبب تدخل روسيا عسكرياً إلى جانب الأبخاز ولا بسبب قيام شعوب شمال القوقاز وهم أكثر من ١٩ شعباً- بإرسال متطوعين عبر الحدود الروسية إلى أبخازيا اعتباراً من منتصف أغسطس ١٩٩٢م للقتال إلى جانب إخوانهم الأبخاز، ولكن أيضاً لأن هيئة الأمم المتحدة قامت بإرسال ٦٠ مراقباً دولياً لمراقبة وقف إطلاق النار كان مفروضاً أن يسرى اعتباراً من ٢٠ مايو ١٩٩٣م، لكن القتال عاد ليتجدد لأن أياً من الجانبين لم يحقق أهدافه ولم يعلن انهزامه .

جاء تأييد روسيا الاتحادية لحركة الأبخاز بالاستقلال عن جورجيا بسبب ارتباط مطالب الأبخاز بالاتصال عن جمهورية جورجيا بالانضمام إلى الاتحاد الروسي . وكان هدف الأبخاز من ذلك هو الانضمام بالتالي إلى باقي مسلمي شمال القوقاز الموجود في إطار الاتحاد الروسي.

وقد اتهمت جمهورية جورجيا روسيا بإرسال قرابة ٢٠٠٠ من قوات الجيش الرابع عشر الروسي المتمركز غرب «مولد وفيا» لدعم الأبخاز، وفي نفس الوقت تتهم حكومة أبخازيا حكومة جورجيا بمحاولة تقسيم جمهوريتهم إلى قسمين أحدهما يخصص للمسلمين^(٢).

١- سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، ص ٣٦٣ .

٢- المرجع السابق، ص ٣٣٦ .

الفصل الثانى مشكلة الشيشان

-نبذة جغرافية- الإسلام فى القوقاز- الروس والقوقاز- مقدمة-
الصراع بين الشيشان والروس فى عهد القيصرية- الصراع فى عهد
الاتحاد السوفيتى- الصراع فى ظل روسيا الاتحادية.

نبذة جغرافية :

تقع جمهورية الشيشان والأنجوش فى الأطراف الشرقية لمرتفعات شمال القوقاز، ويحد
الجمهورية من الشرق والجنوب الشرقى جمهورية داغستان، ومن الجنوب جورجيا ومن الغرب
أوسيتيا الشمالية، وأشهر مدن الجمهورية : جروزنى، كوديرميس، مالكوبيك، أركون^(١).

وعاصمة شيشانيا مدينة «جروزنى» وهى كلمة روسية تعنى الرهيب أو المهدد، وهو لقب
كان يطلق على القيصر «ريفان» الملقب بايفان الرهيب، وهو أحد القيصرية الأوائل الذين أسوا
دعائم روسيا القيصرية ، ومدينة جروزنى بناها القائد الروسى «برملوف» على أنقاض قرية
شيشانية تقع على ضفاف نهر «السولجا» وكان اسم القرية «سولجارغالا» فقام «برملوف»
بهدم هذه القرية وبنى على أنقاضها قلعة ضخمة عام ١٨١٨م وأطلق عليها اسم «جروزنى».

وتتكون جمهورية الشيشان من ١٢ مقاطعة و٤ مدن رئيسية ، وتقع على السفوح الشمالية
لجبال القوقاز التى يصل إرتفاعها إلى ٤٤٩٣ مترا، وكان الروس يقسمون شيشانيا إلى
شيشان الكبرى وشيشان الصغرى، وتقع الكبرى شرق نهر الأرجون والصغرى غربه، وتجربى فى
البلاد عدد من الأنهار الصغيرة العميقة السريعة العديدة التى تنبع من جبال القوقاز .

والشيشان من الشعوب القديمة التى سكنت القوقاز منذ آلاف السنين ويشكلون أحد
الشعوب الأصلية لمنطقة القوقاز التى تشمل أيضا شعوب الشراكسة والآفار (فى الداغستان)
والأنجوش، وشعب أوسيتيا الشمالية والجنوبية إضافة لشعب الكارتفيل، وهو الفرق الأصلية
للشعب الجورجى.

١- د. محمد حرب: معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية، مجلة الأزهر شعبان ١٤١٥هـ ص ١٠٧٥ .

وسكان جمهورية الشيشان والأنجوش والداغستانيون والروس وعناصر أخرى، ويتكلم كل من الشيشان والأنجوش والداغستانيون لغة خاصة بكل منهم ويظهر في لغات هذه الشعوب تأثيرات اللغات العربية والفارسية والتركية والروسية.

واققتصاد جمهورية الشيشان يتركز في إستخراج البترول وتكريره وتصديره عن طريق جمهورية الداغستان في الشرق الواقعة على بحر قزوين، وعن طريق البحر الأسود في الغرب هذا إلى جانب استخراج وتصدير الفحم والغاز الطبيعي.

وتحتل الزراعة مكانة هامة في الدخل القومي بجمهورية شيشانيا، حيث تزدهر زراعة الفواكه وزراعة الدخان، هذا إلى جانب وجود ثروة حيوانية تتطور عددا وإنتاجا ، بالإضافة إلى وجود مساحات كبيرة من الغابات تمثل أخشابها أحد مصادر الدخل القومي وفي الوقت نفسه تمثل ملجأ للشوار الشيشان عبر التاريخ ضد الروس.

ويغلب على الشيشان الطابع الريفي - الجبلي، إذ يعيش ٦٧٪ منهم في المناطق الريفية والجبليية، ورغم ذلك فنسبة التعليم بينهم مرتفعة ، إذ قدرتها آخر الإحصاءات السوفيتية بحوالي ٩٨٪ من إجمالي السكان. والشيشان من أكثر الشعوب في الاتحاد الروسي محافظة على الطابع القومي ، فحوالي ٩٨.٦٪ منهم يعتبرون اللغة الشيشانية اللغة الأم مقابل ١.٣٪ يعتبرون اللغة الروسية لغتهم الأم. كذلك لوحظ في آخر تعدادين للسكان في الاتحاد السوفيتي اتجاه نسبة الروس المقيمين في شيشينيا - أنجوشيا إلى الانخفاض^(١).

الإسلام في القوقاز :

يمكن التأريخ لدخول الإسلام إلى القوقاز بالقرن الأول الهجري الموافق للقرن السابع الميلادي حينما أغرت مناطق القوقاز ذات السهول الخصبة الفاتحين المسلمين القادمين من تركستان (وسط آسيا) ومن بلاد فارس، وقد استطاعوا بعد ذلك السيطرة على كل بلاد القوقاز حتى وصلوا إلى مناطق سيبيريا حيث انتشر الإسلام واعتنقته غالبية سكان تلك البلاد .

١- د. محمد السيد سليم : المشكلة الشيشانية، أصلها وآفاقها. أوراق أسيرية (١) أبريل ١٩٩٥م ،

وقد اعتنق الشيشان الإسلام على يد الدعاة والمبشرين بالدين الإسلامي والتجار قادمين من داغستان التي تقع إلى الشرق من الشيشان ومن بخارى ومن شبه جزيرة القرم التي تقع إلى الغرب من بلاد الشيشان. ومنذ اعتنق أهل الشيشان الإسلام تمسكوا بأسلامهم أشد التمسك خاصة في نضالهم ضد الروس في عهد القيصرية وفي عهد الاتحاد السوفيتي والآن في عهد روسيا الاتحادية.

والشيشان مسلمون يتبعون المذهب الشافعي، وللطرق الصوفية نفوذ كبير في بلاد القوقاز جميعاً، حيث اعتنق الشيشان الإسلام عن طريق الطرق الصوفية مثل الطريقة القادرية والطريقة النقشبندية، وهاتان الطريقتان من أكثر الطرق الصوفية انتشاراً بين الشيشانيين^(١).

ومن المنطلق الإسلامي لشعب الشيشان فقد تصاعدت الصحوة الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ومن ذلك حرص «جوهر دودايف» . عندما اختارته جمهورية الشيشان رئيساً لها، على أن يحلف اليمين على المصحف الشريف أمام مفتي الشيشان الشيخ عبد القادر، كذلك أعلن أنه يرتدى حالياً «الكفن» استعداداً للقتال حتى الموت، كما أعلن أن كتائب إسلامية يجرى تشكيلها، وأن متطوعين إسلاميين انضموا إلى القوات الشيشانية لمواجهة الغزو الروسي، واستعدت لحرب عصابات طويلة، يساعدهم مسلمو العالم، وقد يكون من بينهم آلاف من المسلمين الروس وإخواتهم المسلمين في رابطة الكومنولث^(٢).

الروس والقوقاز :

مقدمة :

من المؤكد أنه لا توجد أية صلات تصل ما بين سكان القوقاز ومنهم الشيشان وبين الروس سواء من الناحية العرقية أو الناحية الدينية أو الناحية الثقافية ولكن رابطة المصلحة هي التي تربط بين روسيا وبلاد القوقاز، حيث اعتبرت روسيا منطقة القوقاز عمقاً استراتيجياً واقتصادياً لها وطريقاً يوصلها إلى وسط آسيا (بلاد التركستان) ذات الموارد الاقتصادية الهائلة، ومن ثم فقد تعرضت بلاد القوقاز للغزو الروسي في التاريخ الحديث، وشهدت بلاد القوقاز صراعاً بين أهل تلك البلاد ومنها الشيشان وبين روسيا في أحقاب متتالية حتى الآن.

١- قاسم ملكي : نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية- مقال مترجم عن اللغة الفارسية منشور في كتاب ندوة أحرار الشيشان والذب الروسي، المركز العربي الدولي ٦ يناير ١٩٩٥ ص١٩٦-١٩٧ .

٢- د. نيفين عبد الخالق مصطفي : الأبعاد الراهنة للمشكلة الشيشانية - أوراق أسبوعية (١) ص١٧ .

الصراع بين الشيشان والروس فى عهد القياصرة:

الصراع بين الشيشان والروس بدأ عندما بدأ الغزو الروسى لأقطار القوقاز وبلاد تركستان (وسط آسيا) وكان صراعا دينيا وقوميا حيث كانت زعامات الشيشان زعامات دينية إسلامية وقومية ومطالبهم دينية وقومية.

فقد أصبحت كل مناطق سيبيريا عام ١٦٠٣م تحت النفوذ الروسى، وتوالى عمليات الاستيلاء الروسى على مناطق القوقاز وتركستان منذ عام ١٦٠٤م حتى عام ١٨٨٤م ضمت كلا من قرغيزيا والقرم وطقشند وبخارى وخيوه وتركمانستان^(١).

وقد لاقت روسيا القيصرية أثناء زحفها على أقطار القوقاز مقاومة عنيفة من قبل الأديج الشركس والشيشان والداغستان، وكانت السياسة التوسعية لروسيا القيصرية فى شمال القوقاز موجهة نحو حصرهم فى الجبال وسلبهم المراعى والمناطق الزراعية، وفى الوقت نفسه فرضت الإدارة القيصرية بالإكراه قواعد جديدة للنظام السياسى والإدارى فى المنطقة، وقضت على الأحكام والمؤسسات الاجتماعية التى تشكلت على مدى قرون لدى هذه الشعوب.

وفى عام ١٧٨٥م ظهر على مسرح الأحداث فى القوقاز الشيخ منصور- وهو من شيشانيا ويتبع الطريقة النقشبندية وقد التف حوله الآلاف من الشيشان وقسم من الأديج والداغستان، وكان شعار الشيخ منصور: تطهير النفس على أسس وقواعد الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الحرية ثم وقع الشيخ منصور فى الأسر وجرى التنكيل بأنصاره على يد المستعمرين الروس.

ثم ظهر من عام ١٨١٨م قائد إسلامى آخر هو الإمام «الغازى مولاي محمد» من داغستان لمواجهة تعسف وسيطرة الجنرال الروسى «ألكس برملوف» وقد قاد الإمام الغازى الداغستانيين والشيشان وخاصة بين عامى ١٨٢٨ و١٨٣٢ لمحاربة المستعمرين الروس، وسار على نهج الشيخ منصور^(٢).

ثم ظهر من عام ١٩٣٤م زعيم شيشانى قوقازى آخر هو الإمام «شامل» الذى يعود إليه الفضل فى إقامة نظام إدارى وسياسى وقانونى توحد فى إطاره أبناء شعوب الداغستان

١- مصطفى دسوقى : الشيشان بين المعنة وواجب المسلمين. مجلة الأزهر ١٤١هـ ص ٦٨ .

٢- مصطفى دسوقى: المرجع السابق، ص ٦٩ .

والشيشان وقسم من غرب القوقاز فى دولة واحدة، وكان لهذه الدولة جيش تراوح عدده بين ٢٠ ألف و٢٥ ألف جندى، وسلطة تمثيلية بشكل مؤتمرات ، وهكذا ترسخت روح الاستقلال وتقاليد الإدارة المستقلة على أساس الشريعة الإسلامية، وأصبحت أساس الدولة التى أقامها الشيخ شامل مما أتاح لشعوب شمال القوقاز الصمود على مدى حوالى ٣٠ سنة أمام قوات القيصر الروسى المتفوقة فى العدد والعدة^(١).

وفى نهاية الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن التاسع عشر وجهت روسيا القيصرية قوات مسلحة قوامها حوالى ٢٠٠ ألف جندى لمقاتلة قوات الشيخ شامل ، حيث عانى شعب الشيشان أكثر من غيره من هذه الحرب غير المتكافئة التى لم تستمر طويلا حيث اضطرت شعوب القوقاز بسبب الظروف القاسية إلى التسليم، حيث استسلم شعب داغستان وشعب شيشانيا فى أغسطس عام ١٨٥٩م، واستسلم شعب الأديج والشركس فى مايو عام ١٨٦٤م وتم طرد الشركاسة من بلادهم فاستقروا فى أراضى الدولة العثمانية.

لم تسع روسيا القيصرية إلى احتلال بلاد القوقاز فقط بل حاولت إجراء تغييرات فى طبيعة شعوب القوقاز : الشيشان والداغستان والأنجوش إلى جانب أذربيجان ، فى الأمور الإسلامية عن طريق تهجير الكثيرين من أهالى تلك البلاد إلى مناطق نائية خاصة سيبيريا وقازاقستان ، كما حاولت تغيير عادات وتقاليد تلك الشعوب الإسلامية ولغاتها ، فقد كانت تلك الشعوب تستخدم الحروف الهجائية العربية فى الكتابة أسوة بما كانت تفعله الدولة العثمانية والدولة الفارسية. وظل الحال على ذلك حتى تسلم الشيوعيون زمام الحكم فى موسكو حيث أحلوا الحروف اللاتينية محل الحروف العربية فى كتابة اللغة المحلية لبلاد القوقاز- وهى فى الأصل لغة تركية بلهجة محلية ثم لم يلبثوا حتى فرضوا اللغة الروسية .

وقد عمل الروس فى عهد القيصرية على تغيير الديانة الإسلامية التى تعتنقها شعوب الشيشان وداغستان وغيرها من شعوب القوقاز، عن طريق إرسال البعثات التنصيرية الأرثوذكسية إلى بلاد القوقاز لنشر الأرثوذكسية مذهب الكنيسة الروسية بين مسلمى القوقاز وقد قاوم المسلمون هذه السياسة ما وسعتهم المقاومة.

١- مصطفى دسوقى : المرجع السابق، ص ٦٩ .

٢- نفس المرجع ، ص ٧٠ .

وإذا كانت مقاومة المسلمين لعمليات التنصير الأرثوذكسى الروسى قد نجحت كثيرا فى التصدى لهذه العمليات ، فإن سياسة روسيا وخاصة فى عهد القيصر «إيفان الرهيب» ومن جاء بعده من قياصرة روسيا المتعصبين ابتداء من منتصف القرن السادس عشر الميلادى قد نجحت إلى حد ما عن طريق الوسائل العنيفة فى تحويل مسلمى كل من «سيبيريا» واستراخان والأورال والقرم وتركستان. وإن كانت شعوب القوقاز قد نجحت فى التصدى لهذه الحملات الروسية حتى سقطت بلادهم فى يد الروس فى منتصف القرن التاسع عشر.

ومنذ ذلك الوقت فرضت روسيا القيصرية على شعوب الشيشان والداغستان وغيرهم من شعوب القوقاز المسلمة أقسى أنواع العذاب والقهر بالقيام بتدمير بلادهم وتهجيرهم إلى بلاد نائية وبعيدة عن بلادهم حتى لا يتمكنوا من العودة إليها أبداً ففى عام ١٨٦٤م تم تهجير نحو ٣ ملايين شركسى من أهل القوقاز إلى نحو ٢٤ دولة منها بلغاريا وأرمينيا وقبرص ورودس وسوريا، كما تم تهجير سكان القسمين الشمالى والشمالى الغربى من القوقاز وحل محلهم روس من القوقاز وغيرهم، وهكذا أصبح الأهالى الأصليون فى تلك البلاد - وهم من الشركس - أقلية بينما أصبحت الغالبية (نحو الثلث) من الروس من خارج البلاد^(١).

الصراع فى عهد الاتحاد السوفيتى:

ظل الشيشان وشعوب القوقاز يقاومون المستعمرين الروس حتى سقط حكم القياصرة وقامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م لبدأ الصراع بين الشيشان والشعوب المسلمة فى جبال القوقاز وتركستان من ناحية وبين الروس الشيوعيين الماركسيين من ناحية أخرى.

وقد حاولت روسيا البلشفية استقطاب شعوب شمال القوقاز فأبقت على كثير من المؤسسات التى استحدثها الإمام شامل بدون تغيير، فأبقت المحاكم الشرعية فى بلاد الشيشان وداغستان حتى عام ١٩٢٦م، حين ألغتها سلطات الحكم الشيوعية، كما سمحت تلك السلطات لأبناء جبال القوقاز بحمل السلاح باعتبار ذلك من مظاهر احترامها لتقاليدهم، وأعفتهم من الخدمة العسكرية الإجبارية وقدمت لهم تسهيلات أخرى، وأرادت السلطات بهذه

١- محمود عبد الرحمن : تاريخ القوقاز ، دار النفائس بيروت ١٩٩٥ ، ص ٥٧ .

الإجراءات كسب مودة أبناء شمال القوقاز ونظرا لعدم ثقتها فى الشعوب القوقازية فإنها أقامت فى بلاد الشيشان وداغستان شبكة من الحصون العسكرية (١).

وفى المقابل أسس مندوبو شعوب شمال القوقاز جمهورية اتحاد أبناء جبال القوقاز فى سبتمبر ١٩١٧م وتشكل لهذه الجمهورية برلمان وحكومة هدفها بناء جمهورية شمال القوقاز الديموقراطية الفيدرالية ضمن الاتحاد الروسى الديمقراطى مستقبلا . ثم تأسست فى مايو عام ١٩١٨م الجمهورية الجبلية المستقلة المتحدة وتضم كل جمهوريات شمال القوقاز التى انضمت إلى الاتحاد السوفيتى فى ٢٠ يناير ١٩٢٠م ، ثم انسلخت منها داغستان عام ١٩٢١م وغيرها من الأقاليم ، حتى لم يأت عام ١٩٢٣م حتى أصبحت هذه الجمهورية المتحدة تضم فقط كلا من أقاليم الشيشان والأنجوش وأوسيتيا الشمالية ، وكلها بدورها أصبحت أقاليم مستقلة .

أخذت حكومة الاتحاد السوفيتى تغير وتبدل وتهجر من وإلى جمهورية الجبل المتحدة وفقا لمصالح ومطامع الحكومة السوفيتية ، مرة تعتبرها أقاليم مستقلة ثم لاتلبث أن تحولها إلى جمهوريات ذات حكم ذاتى. وفى يناير ١٩٣٤م ضمت جماعات الشيشان والأنجوش وكونا إقليميا مستقلا، ثم تطور إلى جمهورية ذات حكم ذاتى، ثم تلى هذه الجمهورية بتهجير الجماعتين إلى أماكن متفرقة ، أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية تهجيرا إجباريا، وتغير اسم الجمهورية إلى إقليم جروزنى بعد ضم الكثير من أراضيها إلى كل من جمهوريتى جورجيا وأوسيتيا المجاورة (٢).

وفى إطار عملية الترحيل الجماعى والبطش الشيوعى بأهل الشيشان والأنجوش فقد تم ترحيل مئات الألوف إلى قازاقستان وقيرغيزيا ، الذين ظلوا بالمنفى حتى رد لهم اعتبارهم عام ١٩٥٧م، بينما تعرض من بقى من الشيشان للكثير من البطش الشيوعى بإعدام الشيوخ والأئمة وإغلاق المساجد. وقد أعادت السلطات السوفيتية الاسم القديم للبلاد عام ١٩٥٧م وهو جمهورية الشيشان والأنجوش.

١- المرجع السابق: عن صحيفة الشرق الأوسط ١٧ ديسمبر ١٩٩٤، ص ١٠١ .

٢- محمود أبو العلا: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى، دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية، القاهرة

واستمرت السياسة التعسفية للاتحاد السوفيتي ضد شعوب القوقاز سواء بتهجير أعداد كبيرة من مسلمي القوقاز إلى مناطق روسية ونقل شعوب روسية إلى مناطق قوقازية بهدف إلغاء الهوية القوقازية عن طريق تذيب شعوب القوقاز المسلمة في الشعب الروسي في ظل الاشتراكية الماركسية اللينينية، وفي إطار هذه المبادئ المعادية للدين فقد تعرض المسلمون - وخاصة علمائهم - للاعتقال مع إغلاق المساجد والمدارس الإسلامية ومصادرة الأوقاف الإسلامية، ومنع التعليم الديني في المدارس ، ومنع المسلمون من إقامة الشعائر الدينية والغاء القضاء الشرعي.

وإمعانا في محاربة الحكم الشيوعي للمسلمين في القوقاز وغيرها، فقد اتهم ستالين الحاكم الدكتاتوري للاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٤م أهالي الشيشان والأنجوش بالتآمر مع الألمان ضد الاتحاد السوفيتي فقام بتهجير حوالي نصف مليون مسلم من أهالي تلك البلاد إلى كل من سيبيريا وقازاقستان ، كما أنه حل جمهورية الشيشان والأنجوش - كما ذكرنا - وقسم أراضيها بين أوسيتيا وداغستان، ولم يسمح للشيشان والأنجوش بالعودة إلى بلادهم إلا بعد موت ستالين ، كما أعيدت جمهورية الشيشان والأنجوش عام ١٩٥٧م، كما سبق أن ذكرنا^(١).

الصراع في ظل روسيا الاتحادية :

ظلت سياسة الاتحاد السوفيتي نحو الشيشان والأنجوش وغيرها من مناطق القوقاز وتركستان الغربية أعضاء الاتحاد السوفيتي التعسفية ضد المسلمين في هذه البلاد حتى تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م وإعلان الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز استقلالها الكامل وانضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة كدول مستقلة ذات سيادة، أما الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي، فقد ظلت تخضع لسيطرة روسيا الاتحادية ورثة الاتحاد السوفيتي.

وعندما حاول الزعيم الشيشاني «جورج دوداييف» رئيس جمهورية الشيشان المستقلة استقلالا ذاتيا، اغتنام فرصة ضعف السلطة في موسكو أعلن استقلال بلاده في نوفمبر عام ١٩٩١م بعد عقد مؤتمر قومي عقد بالعاصمة الشيشانية «جروزني» وأعلن قيام الجمهورية

الإسلامية الشيشانية معتمدا على المادة الثالثة من دستور الاتحاد السوفيتى التى تنص على أنه «إذا خرجت إحدى الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتى، فإنه يحق للجمهوريات الأخرى التى تدخل فى نطاق الجمهورية المنفصلة أن تنفصل هى الأخرى وتستقل». وكانت روسيا نفسها قد انفصلت وأعلنت استقلالها، كما أعلنت قيام الاتحاد الروسى كبديل عن الاتحاد السوفيتى^(١).

إلا أن روسيا الاتحادية رفضت الاعتراف باستقلال جمهورية الشيشان بزعامة «جورج دوداييف» وشنّت حملة عسكرية على هذه الجمهورية الصغيرة فى ٧ يناير ١٩٩٤م ودارت الحرب بين الطرفين استمرت عامين حتى عام ١٩٩٦م، وقد سقط «دوداييف» شهيدا فى هذه الحرب ليخلفه فى قيادة الشيشان «باندراييف» وهو المفكر القومى لحركة الشيشان، ونتيجة لعناد وصلابة الشيشان واستخدامهم لحرب العصابات ضد القوات الروسية، فقد اضطر «يلتسين» زعيم روسيا إلى طلب المفاوضات مع المقاتلين الشيشان، حيث تم الاتفاق على وقف إطلاق النار بين الطرفين والاعتراف للشيشان بحق تقرير المصير بعد إجراء استفتاء عام مع انسحاب الجيش الروسى من الأراضى الشيشانية.

لم يكن الاتفاق الذى اضطر إليه الرئيس الروسى «يلتسين» مع الشيشان سوى هدنة تلتقط فيها روسيا أنفاسها لتبدأ جولة جديدة من الحرب ضد الشيشان، وقد حانت الفرصة لروسيا بعد تدخل حلف الأطلسى فى شبه جزيرة البلقان، حيث انشغلت الولايات المتحدة فى الحرب ضد الصرب بسبب سياسة التطهير العرقى التى يتبعها الصرب ضد المسلمين والكروات فى شبه جزيرة البلقان سواء فى «البوسنة والهرسك» أو فى «كوسوفا».

واستغلت روسيا مسألة التفجيرات داخل موسكو، ومحاولة المسلمين فى داغستان إنهاء السيطرة الروسية، لتتهم الشيشان بأنهم وراء هذه العمليات ولما كان الرئيس يلتسين يعانى من مرض الشيخوخة فقد اختار رجل المخابرات الأول فى روسيا «فلاديمير بوتين» ليرأس الحكومة الروسية تمهيدا لخلافة يلتسين فى رئاسة الدولة، وعهد إليه بالتعامل مع المسألة الشيشانية.

وقد اشتعلت الحرب من جديد بين القوات الروسية والمقاتلين الشيشان الذين يقودهم الزعيم «أصلان مسخادوف»، وهى حرب غير متكافئة، حيث نجح الجيش الروسى فى الاستيلاء على

العاصمة جروزنى وعلى معظم الأراضى الشيشانية بعد معارك طاحنة قتل فيها عشرات الآلاف من الجنود الروس وقتل وأصيب وهرب عشرات الآلاف من النساء والأطفال والشيوخ من الشيشانيين، وانتقلت الحرب من حرب مواجهة إلى حرب عصابات يفقد فيها الجيش الروسى أعدادا متزايدة من القتلى والأسرى على يد المقاتلين الشيشان كل يوم.

وإذا كانت هذه الحرب قد بدأت مع مطلع عام ١٩٩٩م فإنها مازالت مشتتة رغم مآسيها الإنسانية، وترفض روسيا الاستماع لنداء العالم بإيقاف القتال والجلوس لمائدة المفاوضات مع المقاتلين الشيشان بدعوى أن هذه مسألة داخلية، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية تخاطب روسيا على استحياء، فى هذا الأمر، وهى سعيدة بانغماس روسيا فى مستنقع المسألة الشيشانية حتى تستطيع الولايات المتحدة بسط هيمنتها على أوروبا الشرقية التى كانت عمقا استراتيجيا لروسيا.

وكلمة أخيرة عن الزعامة الشيشانية ، فقد كان «جورج دوداييف» متحمسا للإسلام وهو متصوف يتبع الطريقة النقشبندية وملحبه شافعى وهو من الداعين إلى وحدة شمال القوقاز : داغستان - شيشنيا- الأنجوش- أوسيتيا- الكباردين- البلكار، وهو يبحث عن النموذج الإسلامى المعتدل ، ولايميل إلى العنف، وكذلك كان بقية الزعماء الشيشانيين أمثال «باندراييف» و«أصلان مسخادوف».

ويمكن أن نحدد الدوافع الروسية فى حربها ضد المطالب الشيشانية فيما يلى:

١- الحرص على تماسك الدولة الروسية، لأن استقلال الشيشان قد يدفع القوميات الكثيرة الداخلة فى الاتحاد الروسى إلى الاستقلال ، والاتحاد الروسى يضم ١٧ جمهورية متمتعة بالحكم الذاتى علاوة على عشرات الأقاليم والمناطق والمقاطعات المتمتعة بالحكم الذاتى، وكلها تقطنها أغلبية من القوميات الصغيرة.

٢- إشارة وسائل الإعلام الروسية إلى أن أراضى جمهورية الشيشان قد أصبحت مركزا لتهرب المخدرات وتجارة السلاح والجريمة المنظمة عموما فى أراضى روسيا وعدد من دول الكومنولث.

٣- رغبة القادة الروس فى مغازلة المشاعر الوطنية والقومية الجريحة للقوات المسلحة الروسية وقطاعات واسعة من الشعب الروسى نتيجة للتراجع الكبير فى قوة روسيا

واضطرار قواتها المسلحة للانسحاب من أوروبا الشرقية ودول البلطيق ، بما تزامن مع ذلك من تدهور لقوة وامتيازات المؤسسة العسكرية والمجمع العسكرى الصناعى وأوضاع معيشية شديدة السوء للضباط وأسرههم.

٤- أن التحدى الشيشانى لروسيا أمر يصعب لموسكو السكوت عليه، إذ يهز هيبته كدولة كبرى عاجزة عن فرض النظام حتى داخل حدودها (١).

وهناك عدد من الحقائق تتصل بالصراع بين الشيشان والروس نسوقها فيما يلى:

أ- وقوع اعتداء على جمهورية الشيشان ، وأن حجم العنف المستخدم فيه وجد انتقادا من المجتمع الدولى، خاصة فى حالة عدم التكافؤ فى القوى بين الطرفين.

ب- أن جمهورية الشيشان بمفردها لا تملك مقومات الدولة التى تستطيع أن تستقل بأمكاناتها الذاتية فهى محاصرة حدوديا، إلا إذا أخذنا فى الاعتبار تطلع زعماء الشيشان لإقامة اتحاد يجمع مسلمى شمال القوقاز، ومدى ما يمكن أن يشيره هذا من مخاوف لدى الغرب من ظهور تجمع إسلامى فى هذه المنطقة يلتقى مع القوى الإسلامية الأخرى فى آسيا الوسطى أو فى قارة آسيا بصفة عامة.

ج- أن العالم الإسلامى المشغل بهمومه لن يتعدى تأييده للشيشان الإعراب عن القلق والمطالبة بتسوية سلمية أو مبادرات فردية تتمثل فى بعض المتطوعين.

د- أن المسألة فى الشيشان لن تكون مجرد معركة حاسمة وتنتهى، ويرجع كل شىء إلى حاله أو ينتصر شعب الشيشان وتسلم روسيا بالأمر الواقع . فالدلائل تشير إلى أن ثمة حربا طويلة المدى ستستمر فترة من الزمن قبل أن تسلم روسيا بالأمر الواقع، أو قبل أن ينهزم الشيشانيون ويعودوا إلى الإنضواء تحت المظلة الروسية على أية صورة يتفق عليها. وفى جميع الأحوال فان ما حدث ويحدث فى الشيشان سيكون له أثره محليا وإقليميا وعالميا (٢).

١- د. محمد فراج: الغزو الروسى للشيشان، الدوافع والاتمكاسات الإقليمية والدولية، أوراق أسبوعية ، المرجع السابق ص٢١-٣١ .

٢- د. نيثين عبد الخالق مصطفى: الأبعاد الراهنة للمشكلة الشيشانية ، أوراق أسبوعية ، المرجع السابق ص٢١-٢٥ .

الفصل الثالث

مشكلة كشمير بين الهند وباكستان

- مقدمة- تطور مشكلة كشمير- مرحلة الصراع عامى
٤٧-١٩٥٤م- مرحلة صراع عام ١٩٦٥م- مرحلة صراع عام
١٩٧١م- مرحلة الصراع الحالية- مواقف الأطراف من مشكلة
كشمير- موقف الهند- موقف باكستان- موقف سكان كشمير-
موقف الولايات المتحدة الأمريكية- موقف جمهورية الصين
الشعبية- موقف الاتحاد السوفيتى سابقا وروسيا الاتحادية حاليا-
موقف العالم الإسلامى.

مقدمة :

تقع كشمير فى أقصى شمال غربى شبه القارة الهندية، وتحدها باكستان من الجنوب الغربى
وجزاء من الشمال الغربى ، بينما تحدها الهند بحدود تصل إلى حوالى ٣٠٠ كيلومتر من
الجنوب ومن الغرب وتقع أفغانستان عند حدود كشمير فى الشمال الغربى أيضا، وتتصل
حدودها بما عرف باسم تركستان الروسية التى صارت دول وسط آسيا الإسلامية، وتركستان
الصينية فى الشمال والمعروفة حاليا بمقاطعة سنكيانج.

واقليم كشمير جبلى من حيث التضاريس حيث تمتد الجبال فى شكل سلاسل شاهقة فى
معظمها من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى، وأهم هذه السلاسل سلسلة «كراكورم»
و«الهيماالايا» و«السند» وكل هذه السلاسل تقع فى الشمال بينما تشمل السلاسل الجبلية
الجنوبية أرض تخوم البنجاب، و«بيرنجال». ويقع وادى كشمير بين السلاسل الجبلية الشمالية
والسلاسل الجبلية الجنوبية، وتحصر سلاسل جبال كشمير مجارى نهر السند. وتعتبر جبال
«كراكورم» حدا فاصلا وحاميا بين كشمير ومقاطعة تركستان الصينية (سنكيانج) (١).

١- د. جودة حسنين جودة : جغرافية آسيا الإقليمية، الاسكندرية ١٩٩٠، ص ٤٥٩-٤٦١ .

وتبلغ مساحة كشمير الكلية حوالي ٢٢٣ ألف كيلو متر مربع يقسمها خط هدنة تم الاتفاق عليه عام ١٩٧٢م جعل لباكستان مساحة ٣٧٪ من المساحة الكلية أي حوالي ٨٣٨٦,٤٢٩ ألف كيلو متر مربع، بينما جعل للهند مساحة ٦٣٪ من المساحة الكلية لكشمير أي حوالي ١٣٨٩٩٢,٥ كيلو متر مربع ، وبذلك تكون الهند مسيطرة على مساحة أكبر من المساحة الخاضعة لإدارة باكستان .

ويتركز السكان في وادي كشمير ويطون الأودية والسهول المنخفضة ، ويبلغ عدد السكان حسب إحصاء عام ١٩٩١ حوالي ٨ مليون نسمة، ويعتق معظم سكان كشمير الدين الإسلامي وليهم الهندوس ، ثم السيخ وبعدهم المسيحيين وغير ذلك من الأقليات ، وإن كان عدد المسلمين يتناقص بسبب عدم الاستقرار وحركات الإبادة ضد المسلمين في السنوات الأخيرة . ويلاحظ أن المسلمين يمثلون في القسم الخاضع لباكستان نسبة ٩٩.٨٪ ويتوزع الباقي على الهندوس والمسيحيين والقاديانيين^(١).

تطور مشكلة كشمير

دخل الإسلام مقاطعة كشمير منذ القرن الرابع عشر الميلادي على يد الداعية الشيخ عبد الرحمن المعروف باسم «بلبل شاه» عام ١٣٢٥ م . وقد استمر الحكم الإسلامي مدة خمسة قرون حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وقد قسمت هذه الفترة إلى ثلاث مراحل أو عصور هي: عصر حكم السلاطين من عام ١٣٢٠ إلى عام ١٥٨٦م، وعصر حكم المغول التي امتدت من عام ١٥٦٨ إلى عام ١٧٥٣م، وعصر حكم الأفغان التي امتدت من عام ١٧٥٣ إلى عام ١٨١٩م^(٢).

وفي عام ١٨١٩م استولى السيخ على إقليم كشمير بقيادة حاكم البنجاب السيخي «رانجيت سينغ» واستمرت السيطرة السيخية حتى عام ١٨٤٦م، وكان آخر الحكام السيخ هو «شيخ إمام الدين» الذي حكم في الفترة من ١٨٣٤ إلى عام ١٨٤٦م، وفي هذه السنة ١٨٤٦م عقد البريطانيون معاهدة مع حاكم «جامو» عرفت باتفاقية «أمر تسار» بتولى

١- عبد الرحمن حمدي: الهند عقائدها وأساطيرها ، القاهرة د.ت.، ص ٢٢ .

«جولاب سنغ» حكم كشمير مقابل ٧.٥ مليون روية، وبهذا كانت كشمير احدى ولايات شبه القارة الهندية التي سيطر عليها كبار الإقطاعيين، ومنحت حكما ذاتياً من قبل البريطانيين فى الهند، ومن ذلك الوقت تربعت على عرش الحكم فى كشمير أسرة «الدوجرا» . الذين كان آخر حكام هذه الأسرة هو هادى سنغ حتى تاريخ انقسام شبه القارة الهندية (١).

ولقى المسلمون فى كشمير الاضطهاد على يد المهراجا (حاكم الهند) ، ومن ثم ولدت مقاومة إسلامية ظهر فيها زعماء ومؤسسات ، ومن الزعماء أسد كشمير الشيخ عبدالله، والمير واعظ محمد يوسف شاه. وتشودرى غلام باس، ومن المؤسسات تشكيل ما عرف باسم «حزب المؤتمر الإسلامى العام لجامو وكشمير الذى تشكل عام ١٩٣٢م، ثم تغيير اسمه إلى «حزب المؤتمر الوطنى الكشميرى» وتشكيل حزب «مؤتمر مسلمى كشمير» عام ١٩٤١م الذى نادى بتقرير المصير لشعب كشمير . وحكم الأغلبية فى المجلس التشريعى حيث كان للمسلمين ١٥ مقعدا من ٢١ مقعد فى انتخابات عام ١٩٤٧م فى كشمير.

وقد بدأت مشكلة كشمير المتصلة حتى الآن منذ استقلال الهند وقيام دولة الباكستان عام ١٩٤٧م على أساس تقسيم شبه القارة بين الهند والباكستان الإسلامية، وكانت شبه القارة الهندية مقسمة إداريا إلى مجموعتين . كانت المجموعة الأولى تحكم حكما مباشرا بواسطة حكام إنجليز يستمدون سلطاتهم من نائب الملك فى حكم الهند، والمجموعة الثانية ولايات يحكمها أمراء شبه مستقلين عددهم ٢٢ أميرا بعضهم أمراء مسلمين والباقي حكام هندوس منهم كشمير .

وكما ذكرنا كانت أغلبية سكان كشمير مسلمون بينما كان حاكمها هندوسى وقد رفض الانضمام للباكستان عند الاستقلال ، ومن ثم قامت ثورة من المسلمين فى الجزء الأوسط من كشمير انضمت إليها قبائل الباتان الباكستانية ، مما دفع المهراجا حاكم كشمير الهندوسى إلى طلب المساعدة العسكرية من الهند للقضاء على ثورة المسلمين ووقع فى أكتوبر ١٩٤٧م على وثيقة انضمام كشمير للهند التى وافقت بمباركة بريطانية التى اشترطت اجراء استفتاء بين السكان حول وثيقة الانضمام. وبذلك أصبحت القوى السياسية فى كشمير عام ١٩٤٧م متمثلة فى المؤتمر الوطنى بزعامة الشيخ عبدالله الذى يرغب فى الانضمام للهند، وقوى مؤتمر مسلمى كشمير بزعامة تشودرى غلام عباس الذى يسعى للانضمام إلى الباكستان.

وقد مرت مشكلة كشمير بمراحل من الصراع بين الهند والباكستان على النحو الآتى:

١- مرحلة الصراع عام ١٩٤٨م.

٢- مرحلة الصراع عام ١٩٦٥م.

٣- مرحلة الصراع عام ١٩٧١م.

٤- مرحلة الصراع عام ١٩٩٩م.

ونناقش كل مرحلة من هذه المراحل على الوضع التالى:

أولا : مرحلة عامى ٤٧ / ١٩٥٤م :

عندما قررت بريطانيا بسبب ظروفها الاقتصادية والظروف الدولية عقب الحرب العالمية الثانية الانسحاب من شبه القارة الهندية والموافقة على استقلال الهند وقيام دولة الباكستان الإسلامية، تضمن القرار البريطانى ترك الحرية للولايات والمقاطعات الهندية لاختيار الانضمام إلى إحدى الدولتين الهند أو الباكستان، ومن ثم كان على حاكم كشمير منذ ١٥ أغسطس ١٩٤٧م- وهو تاريخ إعلان استقلال الهند وقيام دولة الباكستان. أن يختار الانضمام إلى إحدى دولتى شبه القارة الهندية.

وفى نفس الوقت بدأت كل من الهند والباكستان فى الضغط على المهراجا حاكم كشمير لكى يوافق على الانضمام إلى أيهما، نظرا لموقع كشمير الاستراتيجى المؤثر على أمن كل من الهند والباكستان ، ونتيجة للارتباط الجغرافى الأقوى بين كشمير والباكستان ، وبسبب الارتباط الدينى بين باكستان المسلمة وأغلبية شعب كشمير المسلم. فقد أخذ الزعيم الباكستانى محمد على جناح يمارس ضغوطا قوية ومستمرة على حاكم كشمير الهندوسى، لكى يوافق على الانضمام إلى الباكستان، خاصة أنه كان هناك اتفاق بين الزعيم محمد على جناح والمهراجا عشية الاستقلال وقيام دولة الباكستان الإسلامية، بأن يبقى المهراجا حاكما لكشمير حتى يتقرر مصيرها.

ولكن نتيجة ضغوط باكستان على المهراجا كانت سلبية، حيث لم يتحمس المهراجا لإعلان انضمام بلاده إلى باكستان ، مما دفع زعامة باكستان إلى اتخاذ موقف متشدد منه ، حيث شجعت قبائل شمال كشمير على الثورة ضد المهراجا اعتمادا على الاضطهاد الذى لقيه المسلمون على يد الهندوسى خاصة فى جنوب كشمير، ومن ثم غزت كشمير بعض قبائل

الباتان القاطنة فى منطقة الحدود الشمالية الغربية أواخر أكتوبر ١٩٤٧م بقيادة الجنرال أكبرخان، وأعقب هذا الغزو إعلان قيام حكومة «كشمير الحرة» فى المنطقة التى احتلتها هذه القوات وتولى رئاستها محمد ابراهيم خان أحد زعماء المؤتمر الإسلامى لجامو وكشمير ، وتم هذا الاعلان فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٧م.

وجاء رد فعل المهراجا حاكم كشمير على هذه الأحداث التى اتخذتها باكستان ، وأعلن إنه تقدم بطلب مساعدة عسكرية من الهند لإيقاف تطورات الوضع فى كشمير، وأعلن إن كشمير تتاخم الهند والباكستان ، وأنه كان يود أن يأخذ وقتا كافيا ليقرر فيه انضمام كشمير إلى الهند أو الباكستان أو الاستقلال عنهما مع الاحتفاظ بالعلاقات الودية معهما ، ومن ثم فإنه مع طلب المعونة العسكرية الهندية يعلن موافقته على انضمام كشمير للهند، وكان ذلك يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٤٧م^(١).

رحبت حكومة الهند بتوجه المهراجا وقبله انضمام كشمير للهند، واعتبرت ذلك تحقيقا لمصالحها فى ضم كشمير ذات الموقع الاستراتيجى الهام، ومن ثم دخلت القوات العسكرية الهندية أراضي كشمير بناء على طلب المهراجا ، فاعتبرت حكومة الباكستان دخول القوات الهندية إلى كشمير عدوانا صريحا ترفضه ، ومن ثم بدأ الصراع العسكرى بين الهند والباكستان، إذ طلبت قوات كشمير الحرة المساعدة العسكرية من حكومة باكستان التى وجدتتها هى الأخرى فرصة للتدخل ، ومن ثم اشتعلت الحرب بين قوات كل من الهند والباكستان على أراضي كشمير ، وسيطرت قوات كل طرف على جزء من أراضي كشمير، كان الجزء الخاضع للسيطرة الهندية أكبر من الجزء الخاضع للباكستان^(٢).

وأخذت بعض القوى الدولية تهتم بهذا الصراع، فقام اللورد «مونتباتن» فى نوفمبر ١٩٤٧م بالسعى لإجراء مفاوضات بين الهند والباكستان لإيقاف القتال بين الطرفين وحل المشكلة بالطرق السلمية خاصة إجراء استفتاء بين شعب كشمير ليقرر الانضمام إلى الهند أو الباكستان أو الاستقلال ، ولكن رئيس وزراء الهند «جواهرلال نهرو» رفض فكرة الاستفتاء فى ديسمبر ١٩٤٧م، ولكنه اقترح دعوة مراقبين من هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الوضع فى كشمير حتى تتم الموافقة على فكرة إجراء الاستفتاء ووضعها موضع التنفيذ.

١- أهر الأعلى المودودى : قضية كشمير المسلمة ط٢، الكويت ١٩م، ص٢٤ .

٢- مجلة السياسة الدولية، عدد أبريل ١٩٦٦، ص٣٠ .

وفى يناير عام ١٩٤٨ تقدمت الهند بشكوى إلى هيئة الأمم المتحدة ضد باكستان بدعوى أن الأخيرة اعتدت على أراضي كشمير، وفى نفس الوقت استمرت المعارك الحربية بين الطرفين فى كشمير ، وفى أبريل من نفس العام وافق الطرفان: الهند وباكستان، على اقتراح هيئة الأمم المتحدة القاضى بسحب القوات الباكستانية من أراضي كشمير، وتسحب الهند كذلك قواتها ، ويجرى استفتاء لأهل كشمير لتقرير المصير يشرف عليه مراقب تعينه هيئة الأمم المتحدة وتوافق عليه حكومة كشمير.

وبعد عدة زيارات لمراقبى هيئة الأمم المتحدة قاموا بها لكشمير وخاصة مناطق الصراع بين الهند وباكستان تم اتخاذ عدة قرارات تمثلت فى:

- ١- إيقاف إطلاق النار بين قوات كل من الهند وباكستان فى أول يناير ١٩٤٩م.
- ٢- قبول الطرفين بأشراف مراقبين عسكريين دوليين من هيئة الأمم المتحدة.
- ٣- أن تسحب باكستان قواتها النظامية والقبلية من كشمير .
- ٤- أن تسحب القوات الهندية فور انسحاب القوات الباكستانية.
- ٥- تقوم السلطات المحلية فى كشمير بإدارة الإقليم.
- ٦- أن يعلن الطرفان الالتزام بأن مصير كشمير يتقرر حسب إرادة شعبها.

وعندما رفعت لجنة المراقبة هذه القرارات إلى الهيئة الدولية، اعتمدتها هيئة الأمم المتحدة فى ٥ يناير ١٩٤٩م، وتم اختيار الأمريكى شستر نيتمز مشرفا على عملية الاستفتاء . وقد تم الاتفاق بين الهند وباكستان فى ١٧ يوليو ١٩٤٩م بتحديد مواقع سيطرة كل من الهند وباكستان، وبانها ما عرف بالحرب الأولى بين الهند وباكستان حول كشمير^(١).

ومع كل هذه الاتفاقات فقد تعذر تنفيذها بسبب إصرار كل من الهند وباكستان على تفسير بنود الاتفاقات حسب مصالحها، ونظرا لأن مصالح الطرفين متعارضة ، فقد رفعت اللجنة الدولية تقريرها إلى مجلس الأمن فى ٩ ديسمبر ١٩٤٩م اعترفت فيه بعجزها عن تسوية النزاع بين الطرفين، وألقت بمسئولية فشل اللجنة فى تنفيذ بنود الاتفاقات على عاتق حكومة الهند. وقد بذلت هيئة الأمم المتحدة عدة محاولات لحل المشكلة خلال عام ١٩٥٠م

١- الاستر لامب ترجمة سهيل زكار : كشمير ميراث متنازع عليه ، دمشق ١٩٩٢، ص ١٣٩ .

وعام ١٩٥١م منها تعيين وسيط أو ممثل للهيئة الدولية أو عرض المشكلة للتحكيم الدولي ، ولكن الهند كانت تقابل هذه المحاولات بالرفض لأنها تسيطر على الجزء الأكبر من مساحة كشمير فتجمد الموقف عند هذا التقسيم لكشمير .

ثانيا : مرحلة الصراع لعام ١٩٦٥م:

أدت مرحلة صراع ١٩٤٧ - ١٩٥٤م إلى عدم الاستقرار للأوضاع فى كشمير ، مما أدى إلى صراع جديد بين الهند والباكستان طوال عام ١٩٦٥م حول كشمير، ذلك الصراع الذى أثبت من جديد أن كشمير ستظل بؤرة صراع طويل ومستمر بين الهند والباكستان، وتفصيل هذا الصراع مايلى:

١- هجوم القوات المسلحة الهندية على مواقع باكستانية خلال شهور يناير وأبريل ١٩٦٥م، وصدور مرسوم هندي لربط كشمير أكثر بالهند فى ٢٠ يناير من هذا العام بإنشاء مجلس السلطة يشرف على كشمير ، وقيام الهند باعتقال الشيخ عبدالله فى مايو ١٩٦٥م مما أدى إلى حالة من الثورة والغليان فى كشمير ضد الهند.

٢- هجوم القوات الباكستانية على بعض المواقع الهندية ردا على الهجوم الهندي، فى أبريل ١٩٦٥م، مع تشجيع المسلحين الباكستانيين لمهاجمة «سرينجار» وجنوب غرب كشمير.

٣- دارت حرب بحرية وجوية بين الهند والباكستان خلال شهر سبتمبر ١٩٦٥م تركزت غرب باكستان.

٤- لم تستطع الهند أو باكستان فى هذه المرحلة من الصراع تحقيق الهدف الذى تسعى إليه كل منهما بفرض إرادتها على الطرف الآخر.

٥- تأكد لباكستان أن مشكلة كشمير لن يمكن حلها إلا بالوسائل العسكرية سواء بالحرب المنظمة المباشرة أو عن طريق المسلحين المتسللين إلى المواقع الهندية.

٦- حاول مجلس الأمن إيقاف القتال بين الهند والباكستان ، فأصدر خمسة قرارات خلال سبتمبر ١٩٦٥م، وكلها تدعو الجانبين إلى وقف إطلاق النار والانسحاب من المواقع التى احتلها كل طرف من الأراضى التى كانت خاضعة للطرف الآخر.

٧- أظهرت هذه المرحلة من الصراع بين الهند والباكستان صعوبة التسوية السلمية بين الطرفين حول كشمير، وأن الصراع العسكرى لا بد منه.

٨- أدركت الهند من خلال الصراع فى هذه الفترة مع باكستان صعوبة محو باكستان كدولة مستقلة ، على الرغم من تفوق الهند فى العدد والأسلحة.

٩- أدركت باكستان أن حرب العصابات ضد الهند فى هذه المرحلة لن تؤدى إلى نتيجة حاسمة بالنسبة لباكستان .

ثالثا : مرحلة الصراع لعام ١٩٧١م:

استغلت الهند الخلاف بين باكستان الشرقية بزعامه حزب رابطة عوامى وقائده الشيخ مجيب الرحمن والحكومة المركزية فى كراتشى (باكستان الغربية) ذلك الخلاف الذى حاولت فيه حكومة كراتشى معالجته بالقوة مما أدى إلى تدفق حوالى عشرة ملايين بنغالى من باكستان الشرقية إلى الأراضى الهندية، ودعمت حكومة الهند مطالب باكستان الشرقية بالانفصال عن جمهورية باكستان الإسلامية ، ومن هنا دارت المعارك العسكرية بين القوات الهندية والقوات الباكستانية ، وكان ذلك عام ١٩٧١م، وكانت نتيجة هذا القتال ما يلي:

١- انفصال باكستان الشرقية وإعلانها دولة مستقلة باسم بنجلاديش فى ١٦ ديسمبر ١٩٧١ بمساعدة الهند وتأييدها وحمايتها. وبذلك ضعفت باكستان بشريا وعسكريا واقتصاديا.

٢- أن الصراع بين الهند والباكستان حول كشمير كاد يتحول إلى صراع دولى حيث كانت كل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية تؤيدان باكستان ، بينما كان الاتحاد السوفيتى يزد الهند.

٣- نجح مجلس الأمن فى ديسمبر ١٩٧١ فى اتخاذ قرار لوقف إطلاق النار بين الهند وباكستان وبالفعل تم وقف إطلاق النار بين الطرفين فى ٢٧ ديسمبر.

٤- حاولت الهند احتلال كل كشمير وبعض المدن الباكستانية مثل «لاهور» و«سيالكوت» ولكن موقف الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة والصين أوقف هذه المحاولة .

٥- نجحت الهند فى إجراء تفجير نووى عام ١٩٧٤ لمواجهة الصين وباكستان مما دفع باكستان إلى محاولة دخول النادى النووى لتكون على قدم المساواة مع الهند.

٦- دخلت الهند وباكستان فى مفاوضات لحل مشكلة الصراع بينهما سلميا فى عام ١٩٧٢م وتم عقد معاهدة عرفت بمعاهدة «سلا» وكان هدفها مناقشة المسائل المسببة للتوتر

بين البلدين وعلى رأسها مشكلة كشمير ، فدعت إلى حل المشكلة سلميا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ولكنها احتفظت بالوضع القائم الذي يقضى احترام الجانبين لخط السيطرة الناتج عن وقف إطلاق النار في ١٧ ديسمبر ١٩٧١م دون الإضرار بالموقف المعترف به لكل من الجانبين .

٧- ترفض الهند مناقشة دعواها بأن كشمير هندية، وتعلن استعدادها للتفاوض مع الحكومة الباكستانية في كل الأمور ماعدا مسألة كشمير ودون تدخل أو وساطة طرف ثالث، ومن ثم حدثت مفاوضات بين الهند والباكستان خلال السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين كانت مشكلة كشمير تمثل بندا ثانويا في جدول هذه المفاوضات .

رابعا : مرحلة الصراع الأخيرة عام ١٩٩٩م:

كانت هذه المرحلة محصلة مراحل الصراع السابقة، حيث أن انتفاضات شعب كشمير عام ١٩٥٢ وعام ١٩٦٣م، وعام ١٩٩٠م، إلى جانب الصراع الهندي الباكستاني المسلح في أعوام ١٩٤٨ و ١٩٦٥م و ١٩٧١م، كل ذلك جعل قضية كشمير قضية ساخنة ومتفجرة ومستمرة في إثارة التوتر في شبه القارة الهندية.

وكانت انتفاضة شعب كشمير عام ١٩٩٠م وتعامل الجيش الهندي مع هذه الانتفاضة بوحشية سببا في دفع الجماعات الإسلامية في كشمير والمدعومة من باكستان إلى القيام بعمليات عسكرية ضد القوات الهندية في الجانب الهندي من كشمير.

ولعل أظهر هذه العمليات تلك التي حدثت عام ١٩٩٩م واستمرت عدة شهور حينما استطاعت مجموعات من المجاهدين المسلمين التسلل من الجانب الباكستاني لكشمير إلى الجانب الهندي واحتلال مجموعة من رموس الجبال في كشمير، ولم تستطع القوات الهندية إخراجهم من هذه الجبال، وقد تكبدت القوات الهندية خسائر كبيرة في الأرواح على يد هذه المجموعات .

وكاد هذا العمل أن يتحول إلى حرب سافرة بين الهند وباكستان لولا تدخل الرئيس الأمريكي بيل كلينتون حيث طلب من رئيس وزراء باكستان نواز شريف زيارة واشنطن وأقنعه ببذل مساعيه لانسحاب المجموعات الإسلامية المجاهدة من كشمير الهندية، وبالفعل تم ذلك ، مع تحفز هذه المجموعات لتكرار هذه العملية .

والواقع أن امتلاك كل من الهند وباكستان لأسلحة نووية يمثل رادعا لكل من الدولتين لعدم الدخول في حرب سافرة بينهما، والسعى لحل مشكلة كشمير - بؤرة التوتر بين الطرفين- حلا سلميا .

مواقف الأطراف من مشكلة كشمير :

يتطلب مناقشة مواقف كل الأطراف ذات العلاقة بمشكلة كشمير تناول الأطراف الآتية:

- ١- موقف الهند.
- ٢- موقف باكستان.
- ٣- موقف أهل كشمير.
- ٤- موقف الولايات المتحدة الأمريكية.
- ٥- موقف الصين الشعبية.
- ٦- موقف الاتحاد السوفيتي وروسيا الاتحادية حاليا.
- ٧- موقف العالم الإسلامي.

ولمناقشة موقف كل طرف نفضلها في الآتي:

أولاً : موقف الهند:

يتلخص موقف الهند من مشكلة كشمير باعتبار كشمير ولاية هندية، ومن ثم عملت على إجراء انتخابات لجمعية تأسيسية لوضع دستور يخص الجزء الذي تحتله الهند، وقد نص الدستور على ربط كشمير بالاتحاد الهندي، بل والسيطرة على أمور الولاية سيطرة فعلية من خلال مانص عليه الدستور الهندي الذي يمنح برلمان الهند حرية التدخل في أية قضية من قضايا الولاية. وقد استندت حكومة نيودلهي في سيطرتها على ولاية كشمير إلى ما ادعته بوثيقة ضم الولاية الموقع عليها من المهراجا وموافقة اللورد مونتباتن في ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧م، وإلى أن تقسيم شبه القارة الهندية إلى هند هندوسية ، وباكستان إسلامية، وأن بريطانيا دعمت انضمام كشمير للهند بطلب من حاكمها المهراجا. وأن إبرام باكستان اتفاقية مع المهراجا اعتراف بحكومة كشمير، وحزب المؤتمر هناك هو الذي قرر الانضمام للهند .

ثانيا : موقف باكستان:

ويتلخص موقف باكستان من قضية كشمير في أن المقاطعة ذات أغلبية مسلمة ومن ثم

كان الأمر يقتضى. انضمام كشمير إلى باكستان عند الاستقلال ، وحيث لجأت الهند إلى الأساليب الملتوية مع المهراجا حاكم كشمير الهندوسى باعلان ما عرف باسم وثيقة انضمام كشمير للهند ، وسيطرة الهند على حوالى ثلثى أراضى كشمير ، فإن باكستان تقدمت أكثر من مرة خلال الأعوام ١٩٤٨ حتى الوقت الحاضر إلى هيئة الأمم المتحدة للمساعدة فى حل المشكلة بينها وبين الهند حول كشمير، وقبلت إجراء استفتاء بين أهالى كشمير لتقرير مصيرهم بالانضمام إلى باكستان أو الانضمام إلى الهند، أو الاستقلال عن الدولتين ولكن الهند كانت ترفض باستمرار فكرة الاستفتاء وتصر على أن كشمير هندية .

ثالثا : موقف سكان كشمير:

يمثل شعب كشمير أهم أطراف المشكلة الكشميرية ، لأنه صاحب الأرض والمتطلع لمستقبل أفضل بعد استقلال الهند عن بريطانيا وقيام دولة باكستان، وقد مرت مواقف شعب كشمير من قضيتهم بعدة مراحل:

١- مرحلة من ١٩٤٧ حتى ١٩٧٥م، وفيها كان موقف شعب كشمير سلبيا بينما قضيته تبادلها الهند وباكستان ، فيما عدا بعض انتفاضات إسلامية ضد الإدعاءات الهندية بضم كشمير للهند، وأهم هذه الانتفاضات ما حدث عام ١٩٥٢ وتلك التى حدثت عام ١٩٦٣م.

٢- مرحلة من عام ١٩٧٥ وحتى عام ١٩٩٠م ، وفى هذه المرحلة اشتعلت ثورة المسلمين فى كشمير ضد الاتفاقية التى عقدها الشيخ عبدالله ورئيسة وزراء الهند عام ١٩٧٥م والتى نصت على أن كشمير وحدة من وحدات الاتحاد الهندى مقابل عودة الشيخ عبدالله إلى الحكم فى كشمير. وقد ثار المسلمون فى كشمير واعتبروا الشيخ عبدالله خائنا^(١).

٣- مرحلة من ١٩٩٠ وحتى الآن : وفيها اشتدت الثورة الإسلامية فى كشمير متأثرة بنجاح الثورة ضد الوجود السوفيتى فى أفغانستان ، واستقرار الثورة الإسلامية فى إيران، وفى هذه المرحلة ظهرت عدة جماعات إسلامية تزعمتها مجموعة من المشايخ والعلماء، وانقسمت إلى مجموعتين رئيسيتين: المجموعة الأولى تؤيد الانضمام لباكستان وقبائلها الجماعة الإسلامية، واتحاد المسلمين ، وأمة الإسلام ، والمؤتمر الوطنى العام، ومؤتمر الشعب، وهذه الجماعات تحالفت معا تحت اسم الجبهة المسلمة المتحدة.

والمجموعة الثانية من الجماعات والأحزاب فإنها تنادى باستقلال كشمير عن كل من الهند والباكستان ، وتأخذ الاتجاه العلماني القومي، ومنها جبهة الاستفتاء ، والتنظيم العسكري، والفتح ، وجبهة تحرير جامو وكشمير، وكلها تعمل من أجل حرية كشمير.

والمتتبع لأحداث عام ١٩٩٩م حينما تسللت مجموعات من المجاهدين الإسلاميين من الشق الباكستاني في كشمير إلى الشق الهندي وسيطرت هذه المجموعات على قم الجبال، وانسحابها من هناك بطلب من حكومة باكستان بعد ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية يدرك أن شعب كشمير ذو الأغلبية المسلمة مدعوم من باكستان ويستخدم كورقة للضغط على الهند للدخول مع باكستان في مفاوضات لحل المشكلة.

رابعا : موقف الولايات المتحدة الأمريكية:

كانت بداية الموقف الأمريكي من مشكلة كشمير مع عرض الصراع العسكري بين الهند والباكستان في عام ١٩٤٨م على هيئة الأمم المتحدة، حيث شاركت الولايات المتحدة في صياغة قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، وفي الاتفاق الذي تم التوصل إليه بين الطرفين المتحاربين والذي قضى بأن تسحب كل من الهند والباكستان قواتهما من أراضي كشمير وأن يتم إجراء استفتاء بين سكان كشمير لتقرير المصير تحت إشراف لجنة تعينها هيئة الأمم المتحدة وتوافق حكومة كشمير على تشكيلها . وتشكلت اللجنة من مندوبين عن الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وتشيكو سلوفاكيا والأرجنتين^(١).

ومنذ ذلك الوقت اتفق الموقف الأمريكي مع الموقف الباكستاني في التأكيد على إجراء استفتاء لتقرير مصير شعب كشمير، ورحبت حكومة باكستان باختيار شستر نيمتز الأمريكي رئيسا للجنة الإشراف على إجراء الاستفتاء في كشمير. كما وافقت باكستان على تبني الولايات المتحدة الأمريكية لمقترحات اللجنة الدولية بشأن كشمير ، تلك المقترحات التي دعت إلى:

١- إلغاء اللجنة الدولية لفشلها في تنفيذ قرارات مجلس الأمن بسبب موقف حكومة الهند المعارض لتلك القرارات.

٢- تعيين وسيط دولي واحد يتولى حل الخلاف بين الهند وباكستان حول كشمير .

٣- عرض الخلاف حول موضوع نزع السلاح في كشمير على التحكيم الدولي^(١).

ورغم صدور قرار من مجلس الأمن في ١٤ يناير ١٩٥٠م بالموافقة على مقترحات اللجنة الدولية المشار إليه والذي تبنته الولايات المتحدة الأمريكية ووافقت عليه حكومة باكستان إلا أن الهند رفضت هذا القرار، باعتبارها تسيطر على المساحة الأكبر من أراضي كشمير. ومع ذلك تم اختيار الإسترايالي ديكسون Dickson كوسيط دولي بدعم أمريكي ولكنه غادر شبه القارة الهندية في أغسطس ١٩٥٠ بعد فشله مع الهند وباكستان لحل مشكلة كشمير.

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية استمرت في متابعة مشكلة كشمير، حيث سعت إلى التعرف على موقف زعماء كشمير، فالتقى السفير الأمريكي في نيودلهي لوى هندرسون L. Hinderson أثناء زيارة له إلى «سرينجار» عاصمة كشمير في سبتمبر ١٩٥٠م مع الشيخ عبدالله، وقد اقتنع السفير الأمريكي بوجهة نظر الشيخ عبدالله ومعظم زعماء كشمير القائمة على استقلال كشمير عن الهند وباكستان. كما زار المستر ستيفنسون Stevenson عضو الكونجرس الأمريكي عن الحزب الديموقراطي «سرينجار» في مايو ١٩٥٣ والتقى مع الشيخ عبدالله الذي أكد له رغبة زعماء كشمير في استقلال بلدهم عن الهند وباكستان، وكان إصرار الشيخ عبدالله ومعظم زعماء كشمير على استقلال بلدهم سببا في قيام السلطات الهندية باعتقالهم عدة مرات^(٢).

وخلال الأعوام من ١٩٥١ و١٩٥٣ قام وسيط دولي أمريكي هو جراهام Graham بمحاولة التوفيق بين الأطراف المختلفة: الهند وباكستان وزعماء كشمير، وكانت له مقترحات أبدتها الحكومة الأمريكية ولكن الهند كانت ترفضها وتطلب سحب باكستان لقواتها من الجزء الذي تسيطر عليه باكستان من كشمير بادعاء أن كل كشمير أرضا هندية. وانحسر الموقف الأمريكي بالنسبة لقضية كشمير عند هذا الحد بسبب انشغال الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب الكورية.

١- مجلة السياسة الدولية عدد أبريل ١٩٦٦م، ص ٣٧.

٢- الاسترلاب: المرجع السابق، ص ٣٧٧.

ورغم أن سنوات ١٩٥٤ و ١٩٥٥م شهدت اشتراك باكستان في حلف شرق اسيا (سياتو SEATO) وانضمام باكستان لحلف بغداد، وذلك بتوجيه من الولايات المتحدة الأمريكية، وعقد اتفاقية ثنائية للدفاع المشترك بين باكستان والولايات المتحدة، فقد ظل الموقف الأمريكي قائما على الاهتمام بحل قضية كشمير حلا سلميا بتحسين العلاقات بين الهند وباكستان، وعلى التمسك بقرارات هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٩ القاضية باجراء استفتاء بين سكان كشمير لتقرير المصير، وهو موقف أمريكي ثابت بالنسبة لقضية كشمير^(١).

وعندما زار الرئيس السوفيتي «خروشوف» الهند في ديسمبر ١٩٥٥م أعلن تأييده لموقف الهند من أن كشمير جزء من الهند، لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تأييد الموقف الباكستاني بتقديم المساعدات العسكرية لبناء قوات مسلحة باكستانية متطورة وقادرة على مواجهة التهديد الهندي، وزيارة نائب الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون لباكستان في يوليو ١٩٥٦م حيث أكد الرئيس الأمريكي على ضرورة التوصل إلى حل سلمي بالمفاوضات بين أطراف الصراع أو عن طريق هيئة الأمم المتحدة.

وإزاء تصاعد إجراءات الهند في كشمير للحصول على تقرير من الجمعية التأسيسية لجامو وكشمير في نوفمبر ١٩٥٦ بأن كشمير جزء من دولة الهند، فقد أيدت الولايات المتحدة الأمريكية طلب باكستان بإعادة عرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة في يناير ١٩٥٧م، وصدر قرار مجلس الأمن في ١٤ فبراير ببحث المشكلة مع أطراف الصراع وتقديم مقترحاته حول الحل المناسب للمشكلة مع نزع السلاح في كشمير. وقدم يارنج تقريره بأحالة القضية إلى التحكيم الدولي، وإلى مجلس الأمن الذي وافق في ٢ ديسمبر ١٩٥٧ على التقرير ودعا الأطراف المتصارعة إلى العودة إلى المفاوضات المباشرة بينهما، وطرح مبدأ الاستفتاء وإرسال قوات دولية، ولكن الهند رفضت القرار بينما أيدته الولايات المتحدة ووافقت عليه باكستان^(١).

١- F.R. Telegram from the Department of State to the Empassy in Pakisten washington, -١

July 27, 1956 .

٢- الاستر لامب : المرجع السابق، ص ٢٦٠ .

وفى عهد الرئيس الباكستاني محمد أيوب خان الذى تولى الرئاسة فى أكتوبر عام ١٩٥٨م حاول كسب تأييد أمريكى أكبر لحل مشكلة كشمير بالضغط على الهند أو إعادة عرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة ، فزار الرئيس الباكستاني واشنطن فى يوليو ١٩٦١ وتقابل مع الرئيس الأمريكى «جون كندى» وحثه على تأييد المطالب الباكستانية فى كشمير، وبالفعل مارس جون كندى ضغوطا على حكومة نيودلهى خاصة بعد أن أعلن «كريشنامينون وزير الدفاع الهندى بأن كشمير جزء من دولة الهند وعلى الآخرين - ويقصد الباكستانيين- مغادرة أراضى كشمير، كما أرسلت حكومة واشنطن المستر «يوجين بلاك» رئيس البنك الدولى للإشياء والتعمير إلى الهند بهدف حثها على حل مشكلة كشمير مع باكستان عن طريق المفاوضات السلمية. ولكن دوغما نتيجة بسبب موقف الرفض الهندى القائم على أن كشمير جزء من الهند وليس لباكستان أية حقوق فيها^(١).

وخلال أزمة الحرب بين الهند والباكستان عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥م اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية موقفا باردا من مشكلة كشمير نظرا للأسباب الآتية:

١- الاتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى على تجنب الصدام بين الهند وباكستان حول كشمير، وأن من حق شعب كشمير أن يقرر مصيره بنفسه، وأن على الدولتين الهند وباكستان التفاوض لحل هذه المشكلة .

٢- تأييد الصين لموقف باكستان نحو كشمير وإشادة حكومة باكستان العسكرية بالموقف الصينى الصريح ضد المطامع الهندية فى كشمير ، وكل ذلك أغضب الولايات المتحدة خاصة عقب النزاع الهندى الصينى ، وزيارة الرئيس الباكستاني للصين فى مارس ١٩٦٥ لطلب المساعدات الصينية.

٣- انشغال الولايات المتحدة فى أحداث فيتنام فى الوقت الذى تصاعد فيه التوتر بين الهند وباكستان إلى أن أصبحت حربا سافرة بآثاره باكستان للمجاهدين المسلمين فى كشمير ضد الهند وغزو الهند لأراضى خاضعة لباكستان . وعندما طلبت باكستان المساعدة من حلف جنوب شرق آسيا ومن الحلف المركزى - بغداد سابقا- باعتبارها عضوة فى الحلفين تم رفض الطلب الباكستاني بناء على رغبة الولايات المتحدة فى عدم التدخل فى الصراع العسكرى بين الهند وباكستان، بل وأعلنت وقف تصدير شحنات أسلحة إلى كل من باكستان والهند.

٤- اكتفت الولايات المتحدة بتأييد هيئة الأمم المتحدة لحل الصراع بين الهند وباكستان، وقيام السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة بزيارة للمنطقة في سبتمبر ١٩٦٥م ، حتى صدر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار بين الطرفين في ٢٣ سبتمبر ١٩٦٥م ووافقت عليه كل من الهند وباكستان^(١).

وقد رحبت الولايات المتحدة الأمريكية باتفاقية طقشند (عاصمة جمهورية أوزبكستان السوفيتية) التي عقدت بجهود رئيس الوزراء السوفييتي كوسيجين في ١٠ يناير ١٩٦٦م بحضور كل من الرئيس الباكستاني أبوب خان، ورئيس وزراء الهند شاستري ، والتي نصت على:

١- عودة قوات كل من الهند وباكستان إلى مواقع يوم ٥ أغسطس ١٩٦٥م، وهو خط تقسيم كشمير بين الهند وباكستان .

٢- احترام كل من الهند وباكستان لقرار وقف إطلاق النار الموافق عليه من الجانبين .

٣- عودة العلاقات الدبلوماسية بين الهند وباكستان لبدء مفاوضات لإحلال السلام بينهما وحل مشكلة كشمير.

وقد اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية طقشند بين الهند وباكستان مكسبا للسلام والأمن في شبه القارة الهندية^(٢).

خامسا : موقف الصين الشعبية :

يأتى اهتمام الصين بالمشكلة الكشميرية من خلال منظورين هما :

١- المنظور الأول اشتراك الصين مع كشمير في حدود مشتركة، ومن هنا فإن الصراع وعدم الاستقرار في كشمير يثير اهتمام جمهورية الصين الشعبية، خاصة أن كشمير تلتصق حدودها مع مقاطعة تركستان الصينية أو سينكيانج وهي المقاطعة ذات الأغلبية المسلمة والتي شهدت في فترات التاريخ الحديث والمعاصر فترات وطنية دينية ضد الحكم الشيوعي.

٢- المنظور الثاني يتمثل في الخلاف بين الهند والصين ، ذلك الخلاف الذى تطور فى عام ١٩٥٩ إلى حرب بين البلدين انهزمت فيها القوات الهندية أمام القوات الصينية، إلى جانب أن الهند مالت إلى التعامل بود مع الاتحاد السوفييتى فى الوقت الذى توترت فيه العلاقات بين الصين من جهة والاتحاد السوفييتى من جهة أخرى.

New York times, 21 April 1965 .

-١

New York Times: 15 January 1966 .

-٢

وجاء موقف الصين الواضح إلى جانب باكستان فى صراعها حول كشمير مع الهند عند عرض المشكلة أمام هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٦٤م، مما جعل حكومة باكستان تشيد بالموقف الصينى وتستحث الدول الأخرى وخاصة الإسلامية إلى توضيح موقفها من المطالب الباكستانية خاصة أن باكستان صورت المشكلة بأنها اضطهاد وسيطرة هندوسية على شعب مسلم فى كشمير.

وجاءت زيارة الرئيس الباكستانى محمد أيوب خان للصين فى مارس ١٩٦٥م تأكيداً للعلاقات القوية بين باكستان والصين ، والتي كانت تهدف إلى الحصول على المساعدات العسكرية والسياسية من الصين فى صراعها- صراع باكستان- حول كشمير مع الهند. وكانت نتيجة زيارة الرئيس الباكستانى للصين توجيه إنذارات صينية إلى الهند أثناء الحرب المشتعلة بين الهند وباكستان عام ١٩٦٥م، وأمام هذه الإنذارات الصينية لجأت الولايات المتحدة إلى تحذير الصين بأنها ستعرض للردع الأمريكى إذا تدخلت فى الحرب بين الهند وباكستان^(١).

كما أن الصين أعلنت أثناء الحرب الهندية الباكستانية لعام ١٩٧١م أنها لن تتدخل بجانب باكستان ضد الهند، بسبب موقف الاتحاد السوفيتى المؤيد للهند والذى يتخذ موقفاً متشدداً على الحدود السوفيتية الصينية المشتركة الشمالية والغربية. وبسبب انضمام الصين لهيئة الأمم المتحدة فى أكتوبر ١٩٧١م الذى يحتم عليها أن تلعب دوراً مهماً لحفظ السلام فى المجتمع الدولى، وظل الموقف الصينى على حياده وإن أيد قرارات هيئة الأمم المتحدة بشأن إجراء استفتاء بين شعب كشمير ليقرر بنفسه مصيره^(٢).

سادساً : موقف الاتحاد السوفيتى وروسيا الاتحادية حالياً :

يتمثل موقف الاتحاد السوفيتى من قضية كشمير إلى اشتراكه مع كشمير فى الحدود الدولية من خلال جمهوريات وسط آسيا الإسلامية أعضاء الاتحاد السوفيتى. إلى جانب موقف التأييد الذى اتخذه الاتحاد السوفيتى للمطالب الهندية فى كشمير باعتبار أن الهند تتبع النهج الاشتراكى فى حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتعادى سياسة الأحلاف العسكرية

New York Times , 17 September 1965 .

Taher Amin: Op. cit. p. 51 .

التي تشترك فيها باكستان- حلف جنوب شرق آسيا وحلف بغداد (المركزي فيما بعد) وهي موجهة ضد الاتحاد السوفيتي، بالإضافة إلى أن الهند تتزعم مع مصر ويوغوسلافيا سياسة عدم الانحياز والحياد الإيجابي والتعايش السلمي للخروج من سيطرة ونفوذ الكتلة الغربية التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد تطور موقف الاتحاد السوفيتي من مشكلة كشمير ومن الصراع الهندي الباكستاني منذ عرض القضية على مجلس الأمن ، حيث كان هذا الموقف يتجه دائما إلى تأييد الدعاوى الهندية في كشمير، أي اعتبار كشمير جزءا من الأراضي الهندية، ثم جاءت زيارة الرئيس السوفيتي خروشوف لنيودلهي في ديسمبر ١٩٥٥ لتؤكد التأييد السوفيتي للهند في صراعها مع باكستان حول كشمير^(١).

كما جاء امتناع الاتحاد السوفيتي عن التصويت في مجلس الأمن عند اجتماعه في ٢ ديسمبر ١٩٥٧م والذي اتخذ فيه قرارا بدعوة كل من الهند وباكستان لاستئناف المفاوضات بينهما حول كشمير وطرح مبدأ الاستفتاء وإرسال قوات دولية، جاء امتناع مندوب الاتحاد السوفيتي عن التصويت بينما نال القرار عشرة أصوات، دعما للموقف الهندي الذي رفض القرار.

ولكن زيارة الرئيس الباكستاني محمد أيوب خان لموسكو في أبريل ١٩٦٥م فتحت باب تحسن العلاقات السوفيتية الباكستانية ، وبدا كأن الاتحاد السوفيتي صديق الهند وقد تحسنت علاقاته بباكستان قادر على المساهمة في حل مشكلة الصراع بين باكستان والهند حول كشمير.

وقام رئيس الوزراء السوفيتي كوسيجين بالتوسط بين الهند وباكستان فاستضاف كلا من الرئيس الباكستاني محمد أيوب خان، ورئيس وزراء الهند شاستري في طقشند عاصمة أوزبكستان ، حيث تم التوصل إلى اتفاقية طقشند في ١٠ يناير ١٩٦٦م التي نصت على إنهاء حالة الحرب بالعودة إلى مواقع ٥ أغسطس ١٩٦٥ وبدء مفاوضات التسوية السلمية مع عودة العلاقات الدبلوماسية بين الهند وباكستان^(٢).

F.R: Telegram from the Departement of the Empassy in Pakistan Washington , De- ١
cember, 17 , 1955 .

سابعاً : موقف العالم الإسلامى:

يتمثل موقف العالم الإسلامى من مشكلة كشمير فى شقين، شق فردى يتمثل فى مواقف الدول العربية والإسلامية، وشق جماعى يتمثل فى موقف منظمة المؤتمر الإسلامى.

أما الموقف الفردى فإنه يتمثل فى مواقف الشعوب العربية والإسلامية -وليس الحكومات- التى نددت بما يحدث فى كشمير من مواقف الهند، حيث كان تعاطف الشعوب العربية والإسلامية مع مطالب شعب كشمير المسلم فى الانضمام إلى باكستان ، بينما كانت الحكومات العربية والإسلامية تتخذ موقفا سلبيا مخافة اتهام الهند لهذه الحكومات بالتدخل فى الشئون الداخلية للهند، باعتبار أن الهند تعتبر كشمير جزء من الاتحاد الهندى .

أما الموقف الجماعى فإنه تمثل فى قرارات منظمة المؤتمر الإسلامى، تلك المنظمة التى تضم أكثر من ٥٠ دولة فى آسيا وأفريقيا، وتجتمع على مستوى رؤساء الدول أو وزراء الخارجية، وهذه القرارات تركز على إدانة انتهاكات حقوق الإنسان ، خاصة ما لاحظته المنظمة من اتباع القوات الهندية من أساليب عنيفة ضد الانتفاضة الإسلامية بكشمير عام ١٩٩٠م.

الفصل الرابع الصين وتايوان

مقدمة- تايوان قبل عام ١٩٤٩- تايوان من ١٩٤٩ إلى ١٩٧٢ م-
تايوان من ١٩٧٢ إلى الآن .

مقدمة :

تايوان أكبر جزيرة من جزر الصين، وطوال التاريخ الحديث ، كانت جزءاً من الصين ولم تكن دولة مستقلة أبداً إلا بعد ثورة عام ١٩٤٩م وسيطرة الحزب الشيوعي الصيني بزعامة ماوتسى تونج على مقاليد الأمور فى بكين ، عندئذ انتقل الجنرال «تشان كاي تشيك» إلى الجزيرة ليعلن قيام جمهورية الصين الوطنية تحت الحماية الأمريكية، وللحديث عن تايوان نتطرق إلى تاريخها قبل ثورة عام ١٩٤٩م فى الصين ، ثم تاريخها ابتداء من عام ١٩٤٩م حتى فقدها مقعدها فى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لصالح بكين، وأخيراً الظروف المعاصرة التى تسمى فيها حكومة «تايبيه» أى فورموزا أو تايوان إلى الاستقلال وإصرار حكومة بكين على ضم الجزيرة إلى الوطن الأم أسوة بضم «هونغ كونج» من المجلترا و«مكاو» من البرتغال.

أولاً: تايوان قبل ثورة عام ١٩٤٩م:

جزيرة فورموز (١) أو تايوان تقع على بعد حوالى ١٧٠ كيلومتر من الساحل الصينى الشرقى ويفصل بينها وبين الوطن الأم بحر الصين أو البحر الأصفر، وتبلغ مساحتها حوالى ٣٦ ألف كيلو متر مربع يسكنها حوالى ٢٢ مليون نسمة معظمهم ينتمون للقومية الصينية، وتايوان تتكون من جزيرة فورموزا وبعض الجزر الصغيرة المجاورة لها والتى لايفصلها عن الصين الشعبية سوى مضيق فورموزا الذى يتراوح اتساعه بين ٢١٠ إلى ٣٢٠ كيلو متر وهذه الجزر تتمثل فى مجموعة جزر بنجهو، ولباى وستيب ولوتار ولن يو. وتضم الدولة أربع محافظات حضرية غير تايبيه العاصمة، وهى كاهونج، كيلونج، تانان، وتاشونج، فى حين تنقسم المناطق

١- تايوان الاسم الصينى للجزيرة، أما فورموزا فهو الاسم الذى أطلقه عليها البرتغاليون عندما قدموا إليها من الفلبين فى القرن السادس عشر الميلادى .

الريفية إلى ١٦ مقاطعة صغيرة لضمان الإشراف الجيد على شئونها الاقتصادية والاجتماعية^(١).

وسطح الجزيرة - فورموزا- متعدد بين أراضي سهلية واسعة تشغل الجزء الغربى من الجزيرة، بينما يشغل الجزء الشرقى من الجزيرة سلاسل جبلية تعرف بمرتفعات نيتاكا تتسم باتساعها الكبير الذى يتراوح بين ١١-١٥ كيلو متر، إلى جانب ارتفاعها الكبير من خلال قمم وصل عددها ٣٠ قمة جبلية يتجاوز ارتفاع كل منها عشرة آلاف قدم فوق منسوب سطح البحر. وتغطى الغابات مساحة تقدر بحوالى ٢,٣ مليون هكتار وهو ما يكون ٧٠٪ من جملة مساحة تايوان، ومن ثم اشتهرت تايوان بضخامة إنتاجها من الأخشاب.

وتتعدد عناصر السكان فى فورموزا نتيجة لموقعها ، وإن غلب عليها العنصر الصينى، وقد اكتشفها البرتغاليون عام ١٥٩٠م الذين قدموا إليها من جزر الفلبين ، ثم جاء إليها الهولنديون عام ١٦٢٤م واستقروا فى جزئها الجنوبى، كما وصل إليها الأسبان عام ١٦٢٦م واستقروا فى أطرافها الشمالية لمدة قصيرة . وعندما سيطرت أسرة «المانشون» على الحكم فى الصين بسطت نفوذها صوب الجنوب حتى ضمت تايوان عام ١٦٦١م ولجأوا فى طرد الهولنديين منها، حتى استولت عليها اليابان فى عام ١٨٩٥م.

وتمثل النشاط الاقتصادى فى تايوان فى الزراعة التى تنصدر الحرف التى يحترفها سكان الجزيرة ، على الرغم من ضآلة المساحة الصالحة للزراعة بسبب طبيعة تايوان الجبلية ، وانتشار المزارع الصغيرة المساحة مما يعكس مدى تفتت الحيازة الزراعية ، والازدحام السكانى وتزرع تايوان عدة محاصيل أهمها الأرز الذى يمثل الغذاء الرئيسى للسكان، إلى جانب البطاطا وقصب السكر والموز والأناناس وغيرها من المحاصيل البستانية.

كما يتمثل النشاط الاقتصادى فى تايوان فى الجانب الصناعى المعتمد على المواد الخام مثل الفحم والنحاس والكبريت والذهب والغاز الطبيعى، ومن الصناعات التى ازدهرت فى تايوان صناعات الحديد والصلب والألومنيوم وبناء السفن والأسمنت والسكر والنسيج والملابس الجاهزة والورق وغيرها^(٢).

١- د. محمد خميس الزوكة : آسيا، دراسة فى الجغرافيا الإقليمية، الاسكندرية ١٩٩٨، ص ٢٧٤ -

. ٢٧٥

٢- د. محمد خميس الزوكة : المرجع السابق ، ص ٢٧٦-٢٧٨ : د. سيد عبد المجيد بكر: الأقليات

المسلمة فى آسيا وأستراليا، ص ١٣٣ .

وقد أصبحت تايوان حاليا من دول النور الآسيوية بما تتميز به من إنتاج صناعى ضخم تغزو به العالم ، وحيث ارتفع مستوى دخل الفرد بحيث أصبحت تايوان تأتى الثانية فى الترتيب بعد اليابان فى دول الشرق الأقصى، كما تصدر تايوان كميات كبيرة من المنتجات الزراعية ، إلى جانب الصناعات الخفيفة والتحويلية التى اشتهرت بها تايوان مثل الألكترونيات والصناعات الخزفية والكيمائية والمنسوجات.

وقد وصل الإسلام إلى تايوان مع هجرة المسلمين من الصين بعد قيام ثورة عام ١٩٤٩م وإعلان جمهورية الصين الشعبية ذات النظام الماركسى، وتذكر بعض المصادر أن حوالى ٢٠ ألف صينى مسلم هاجروا من الصين إلى تايوان مع من هاجر من الصينيين الراضين للحكم الشيوعى.

ومن الملاحظ أن عدد المسلمين فى تايوان يزداد منذ عام ١٩٤٩م نتيجة لتزاوج المسلمين بالصينيات ، ونتيجة لاعتناق البعض من أهل تايوان الإسلام على يد نشاط الجمعية الإسلامية الصينية فى مدينة تايبيه العاصمة ، التى تشرف على تعليم أبناء المسلمين فى المساجد التى أنشئت هناك وعددها خمسة موزعة على مدينة تايبيه وتايبين وبعض المدن الأخرى.

ويقدر عدد المسلمين فى تايوان بحوالى ٥٠ ألف مسلم يتركزون فى تايبيه وفى كاوتنج جنوبى تايوان، وفى وسط البلاد، وفى تشونج لى، وفى تايشنج ، وهم يتمتعون بحرية ممارسة شعائر دينهم ويمارسون دورا سياسيا كمواطنين فمنهم أعضاء فى المجالس التشريعية ، ومنهم نواب وزراء. ومنهم ثلاثة قادة كبار فى الجيش^(١).

والوضع الاقتصادى للمسلمين فى تايوان طيب، حيث يعيشون - فى معظمهم - معيشة كافية اقتصاديا ، ويمارسون نشاطهم الاقتصادى المتنوع فى الصناعة وغيرها باقتدار، والمسلمون فى تايوان ينتمون إلى بعض العرقيات الآسيوية، فألى جانب المسلمين الصينيين، هناك مسلمون من الهوى والأترك والقازاق والإيغور.

وقد صورت عدة تراجم لمعانى القرآن الكريم باللغة الصينية، إلى جانب العديد من تراجم الكتب الإسلامية، ويصدر المسلمون فى تايبيه مجلة إسلامية شهرية بعنوان: المسلمون فى الصين وتصدر باللغتين العربية والصينية ، كما أن الشيخ داود دينجومي رئيس الجمعية الإسلامية الصينية عضو فى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . كما أن

هناك عدة جمعيات إسلامية في تايوان مثل جمعية المسلمين الصينيين، ورابطة المسلمين الصينيين، ورابطة الشباب المسلم الصينية، والمؤسسة الثقافية والتعليمية الإسلامية الصينية، والهيئة الإسلامية الصينية^(١).

كانت فورموزا جزءاً من الصين عبر تاريخها القديم والوسيط والحديث، حتى حدثت الحرب اليابانية الصينية في عامي ١٨٩٤ و ١٨٩٥م تلك الحرب التي جاءت بعد استكمال اليابان بناء قواتها العسكرية وازدهارها الصناعي، تلك الحرب التي انتهت بهزيمة الصين هزيمة ساحقة نتج عنها إرغام الصين على توقيع ما عرف بمعاهدة «شونونسكي» عام ١٨٩٥م والتي أقرت فيها الصين من بين ما رضخت له التنازل عن جزيرة فورموزا لليابان، إلى جانب الاعتراف باستقلال شبه جزيرة كوريا ودفع غرامة حربية كبيرة لليابان.

وتأكدت السيطرة اليابانية على فورموزا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية من خلال الهزائم التي لحقت بالصين في حروب أعوام ١٩٣١م، ١٩٣٣م، ١٩٣٥م و ١٩٣٧م التي سقطت فيها العاصمة بكين في يد القوات اليابانية. وبعد استسلام اليابان عام ١٩٤٥م عادت إلى بكين حكومة وطنية بزعامة الجنرال «شان كاي تشيك» الذي ساهم متزعماً التيار اليميني إلى جانب الشيوعيين في مقاومة الاحتلال الياباني. وظهر زعماء يمثلون التيار الشيوعي مثل «ماوتسى تونج» و«شواين لاي».

وعقب استسلام القوات اليابانية فوض الحلفاء قوات الحكومة الوطنية -جنتنغ- العائدة إلى بكين، إدارة الجزيرة نتيجة أن معاهدة سان فرانسيسكو للسلام اقتصر على تنازل اليابان عن جزيرة تايوان من دون تحديد مصيرها ومستقبلها السياسي^(٢).

وبعد تحرير الصين دخلت قوات التحرير الشعبية (الشيوعيون) في صراع مرير ضد حكومة بكين اليمينية المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد أن تسلمت القوات الشيوعية من القوات السوفيتية غنائم الحرب اليابانية من الأسلحة وانقلب الصراع إلى حرب أهلية انتهت بمعارك حاسمة عام ١٩٤٩م لصالح الحزب الشيوعي الصيني بزعامة ماوتسى تونج

١- نفس المرجع، ص ١٣٦-١٣٧.

٢- مجلة السياسة الدولية العدد ٢٥ يوليو ١٩٩٦م، تقرير: تايوان تهديدات التنين الصيني، بقلم د.

حيث أطاحت بالحكومة البمينية التي انتقلت إلى جزيرة «فورموزا» وأصبح هناك منذ ٢١ أبريل ١٩٤٩م حكومتان في الصين، حكومة الصين الشعبية (الشيوعية) في بكين ، وحكومة الصين الوطنية في جزيرة فورموزا ، تزعم الحكومة الأولى في بكين «ماوتسى تونج» وتزعم حكومة فورموزا الجنرال «شان كاي تشيك».

ثانيا : تايوان من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٧٢م:

تأثر وضع فورموزا بعد قيام جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م نتيجة الصراع بين المعسكر الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى والمعسكر الغربى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، فبينما كان الاتحاد السوفيتى يدعم جمهورية الصين الشعبية فى مطالبها بجزيرة فورموزا وشبه جزيرة هونج كونج وشبه جزيرة كوريا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تدعم حكومة فورموزا تدعيها عسكرياً وسياسياً . فقد لعبت الولايات المتحدة دورا بارزا فى الحرب الأهلية الصينية فى الفترة ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٩م حيث أيدت حكومة «تشان كاي تشيك» حتى إذا انتقلت تلك الحكومة البمينية إلى «تايبيه» عقدت معها الولايات المتحدة الأمريكية ، معاهدة دفاع مشترك عام ١٩٥٤م ، واستخدمت حق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن لمنع حكومة بكين من تهوأ مقعدها الدائم فى مجلس الأمن بدلا من حكومة فورموزا، وعملت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على تحييد جزيرة تايوان ووضعت الأسطول السابع الأمريكى لحماية الجزيرة ، وظلت تايوان تمثل الصين فى هيئة الأمم المتحدة باعتراف معظم دول العالم خلال عقدى الخمسينات والستينات من القرن العشرين. وفى نفس الوقت لعب الأسطول السابع الأمريكى دورا بارزا فى حماية جمهورية الصين الوطنية (تايوان) من التهديدات الصينية، كما كان لحلف جنوب شرق آسيا الذى كونته الولايات المتحدة الأمريكية وجعلت مقره مدينة مانيل عاصمة الفلبية، كان لهذا الحلف دور فى مراقبة التحركات الصينية ضد تايوان.

وكانت الحرب الفيتنامية خلال الستينات من القرن العشرين واشتراك جمهورية الصين الشعبية فى تدعيم شعب فيتنام الذى كان يقاوم التدخل الأمريكى المناهض لانتشار الشيوعية فى شبه جزيرة الهند الصينية كانت هذه الحرب فرصة لتكريس الوجود العسكرى الأمريكى فى بحار الصين ، ومن ثم استخدمت أراضي تايوان لخدمة المجهود الحربى الأمريكى وكانت هذه فرصة أكبر للولايات المتحدة الأمريكية لكى تحقق أهدافها فى محاصرة المد الشيوعى ، كما كانت فرصة لتايوان لكى تتمتع بالحماية الأمريكية وتتفرغ للبناء الاقتصادى فى تلك الفترة فى الإطار الرأسمالى الذى أرادته لها الولايات المتحدة الأمريكية .

ثالثا : تايوان من عام ١٩٧٢ حتى الآن :

استمر الدعم السوفيتي للصين الشعبية لتحقيق مطالبها في هونغ كونج وفي فورموزا ، في الوقت الذي استمر فيه دعم الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة لحكومة فورموزا ومستعمرة هونغ كونج البريطانية، حتى حدثت متغيرات على الساحة الدولية تمثلت في الخلاف الصيني السوفيتي من ناحية والانفراج في العلاقات بين الصين والولايات المتحدة .

بدأ الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتي في نهاية الستينات من القرن العشرين بسبب الخلاف حول الفكر الماركسي ، وأى طرف من الطرفين يتمسك به وأى طرف من الطرفين انحرف عن هذا الفكر، حتى حدثت صدامات عسكرية على الحدود المشتركة الصينية السوفيتية عام ١٩٦٩م، وبدأ حكام الصين الشعبية يتوقعون حدوث حرب حقيقية مع الاتحاد السوفيتي.

وفي المقابل كان على حكام بكين التوجه لإقامة علاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية، واستطاعت حكومة الصين الشعبية فتح مجالات الحوار مع حكومة واشنطن عن طريق وسطاء هم حلفاء واشنطن من الدول الأوربية وتم تنويع هذا الحوار بزيارة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون لبكين عام ١٩٧٢م، التي تمخضت عن إعلان « شنغهاي » والذي تضمن إعادة العلاقات الطبيعية بين الصين والولايات المتحدة أي اعتراف حكومة واشنطن بجمهورية الصين الشعبية مع استمرار اعترافها بحكومة الصين الوطنية في فورموزا.

وكان هدف الصين من تطبيع علاقتها بالولايات المتحدة الحصول على التقنية العالمية لاستخدامها في تطوير اقتصادها وقواتها المسلحة ، وتكوين جبهة لمواجهة أطماع الاتحاد السوفيتي، بينما كانت الولايات المتحدة تهدف إلى شغل الاتحاد السوفيتي في شرف آسيا عن التركيز في شرق أوروبا .

ومهما كان الأمر فإن التقارب الأمريكي الصيني أدى إلى تبوأ حكومة الصين الشعبية المقعد الدائم للصين في مجلس الأمن بدلا من حكومة فورموزا ، كما أكد إعلان شنغهاي السيادة القانونية للصين الشعبية على تايوان مما شجع اليابان على تأييد عودة الفرع التايواني إلى الوطن الأم، الأمر الذي جعل معاهدة السلام اليابانية التايوانية في حكم الملغاة^(١).

١- مجلة السياسة الدولية عدد ١٢٥ يوليو ١٩٩٦م، السيد عوض عثمان، تايوان وتهديدات التتين

وفى عام ١٩٧٨م أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية إنهاء علاقاتها الدبلوماسية مع تايوان، ومن ثم إنهاء مفعول معاهدة الأمن والدفاع المشترك المعقودة بين تايوان والولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٥٤م، وسحب القوات العسكرية الأمريكية المرابطة فى جزيرة تايوان .

إلا أن بياننا مشتركا صينيا أمريكيا صدر عام ١٩٧٩م أوجد صيغة توازن بين الصين وتايوان ، إذ أيد وحدة الصين وسيادة أراضيها، أى الاتحاد بين تايوان والصين، إلا أنه أشار إلى تعهد واشنطن بحماية تايوان إذا لجأت الصين إلى القوة لضم تايوان . بمعنى آخر أن الولايات المتحدة تزيد اتحاد تايوان مع الصين بالطرق السلمية، وقد تتدخل إذا سعت حكومة بكين إلى فرض الاتحاد بالقوة.

وقد حرصت الصين فى هذا السياق على تأكيد أهمية التكامل الاقتصادى مع تايوان لإعادة الوحدة بين تايوان والصين، من قبيل التجارة المباشرة والتبادل الاقتصادى والتعاون فى مجالات التكنولوجيا والبحث العلمى والعمل والنقل والإعلان وغيرها من الجوانب الاقتصادية التى تحقق تقاربا اقتصاديا ومن ثم تفاهما سياسيا.

وفى المقابل سمحت تايوان لمواطنيها بالسفر إلى الصين ، وتشجيع الاستثمارات وتبادل مستلزمات الإنتاج ، إلا أن بعض الأحداث أدت إلى توتر العلاقات بين بكين وتايبيه مثل إشكالات صيادى الأسماك فى المياه الإقليمية، والهجرة غير الشرعية للصينيين إلى تايوان ، وقيام قراصنة الجو باختطاف طائرات صينية وإجبار قائدتها على الهبوط فى مطار عاصمة تايوان، وزيارة رئيس تايوان للولايات المتحدة الأمريكية فى يونيو ١٩٩٥م ، وصفقة الأسلحة الأمريكية لتايوان .

جاء الرد الصينى متمثلا فى القيام بمناورات عسكرية بالقرب من تايوان ، وحشد القوات العسكرية الصينية وعمليات التحرش ، خاصة فى الوقت الذى أعلنت فيه حكومة تايبيه عن الانتخابات الرئاسية لفترة رئاسية ثالثة مدتها أربع سنوات للرئيس «إلى تينج هوى» وهو من رجال الحرس القديم ومرشح الحزب الوطنى الحاكم ، وهو أول حاكم من أصل تايوانى يتولى هذا المنصب^(١).

كما تبنت الصين صيغة : أمة واحدة بنظامين مختلفين ، يقوم على ترك إدارة الشؤون الداخلية لحكومة تايبيه فى حين تقوم حكومة بكين بمسئوليات الدفاع والشؤون الخارجية، وذلك من منظور أن الصين تعتبر تايوان مقاطعة صينية ومن ثم فإنها لاتقبل بأى عمل من شأنه أن يكرس استقلال الجزيرة. ولذلك أعاد جيش تحرير الشعب الصينى تأكيده بأنه لن يتخلى عن التهديد باستخدام القوة ضد تايوان إذا حاولت بصرف النظر عن المبررات تبنى خيار الانفصال انطلاقا من حرصه على سيادة ووحدة تراب الصين.

وإذا كانت الصين قد نجحت فى استعادة كل من هونج كونج فى ٣٠ يونيو عام ١٩٩٧م، من بريطانيا ، وماكاو المستعمرة البرتغالية منذ عام ١٥٥٧م، والتي تتبع النظام الرأسمالى مثل هونج كونج ، والتي عادت إلى الوطن الأم الصين عام ١٩٩٩م، مع موافقة الصين على بقاء النظم الاقتصادية المطبقة فى كلا المستعمرتين السابقتين.

إذا كانت الصين قد استعادت هونج كونج وماكاو بالطرق السلمية، فإنها تضع فى اعتبارها استعادة تايوان بالطرق السلمية بشرط عدم لجوء تايوان إلى إعلان استقلالها وانفصالها التام عن الوطن الأم الصين، كما أنها تتابع عن كثب محاولات رئيس تايوان للحصول على عضوية هيئة الأمم المتحدة، وعلى تمثيل دبلوماسى أوسع مع دول العالم ، وإقامة مزيد من الروابط مع دول جنوب المحيط الهادى عبر مساعدات سنوية تبلغ حوالى مليار دولار، وتخصيص ميزانية هائلة لشراء الأسلحة المتطورة وتطوير الصناعات المحلية والمتطورة أصلا، وإنتاج السلاح المتقدم اللازم وتحديث ترسانتها المسلحة^(١).

وفى النهاية يمكن القول أن الواقع الفعلى يؤكد أن خيوط قضية الاتحاد بين تايوان والصين، تجتمع فى أيدى حكومتى بكين وواشنطن ، ولن يحسمها سوى مصالح العملاقين، فمن المؤكد أن قضية تايوان ستظل موضع شد وجذب بين الولايات المتحدة والصين لوقت طويل ، فالمصالح الاقتصادية بين البلدين والتي تزيد عن ٥٢ مليار دولار لن يتم التضحية بها بسهولة من جانب الطرفين وهو ما أصبحت تقتنع به الصين حاليا، حيث أصبحت تبدى مرونة كبيرة بالوقت، وحسب قول أحد مسئوليهها: ليستغرق الأمر ٢٠ أو ٣٠ عام، المهم أن يتم الاعتراف بأن تايوان جزء من الصين وستعود يوما ما إلى الصين مثلها مثل هونج كونج وماكاو^(٢).

١- المرجع السابق، ص ١٨٦ والمعروف أن ٢٨ دولة فقط تعترف بحكومة جزيرة تايوان .

٢- مجلة السياسة الدولية العدد ١٣٤ أكتوبر ١٩٩٨ . وردة هاشم الجارحى بعد هونج كونج «هل تعود تايوان إلى الصين ، ص ٢٢٩ .

ويمثل الصراع حول تايوان حالة فريدة فى تاريخ العلاقات الدولية بصفة عامة، ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية ملتزمة بحماية أمن وسلامة تايوان من أى اعتداء خارجى، بينما استطاعت جمهورية الصين الشعبية أن تجعل حكومة واشنطن تلتزم برفض مبدأ استقلال تايوان عن الصين الوطن الأم، كما وافق الرئيس الأمريكى بيل كلنتون على ولايات الصين الثلاثة والتي تتمثل فى:

١- لا لدولتين صينيتين .

٢- لا لصين واحدة وتايوان واحدة.

٣- ولا لانضمام تايوان لمنظمة دولية تقوم عضويتها على الدول ذات السيادة، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة لا تملك تصورا لكيفية حل المشكلة، وكذلك حكومة تايوان ، وفى نفس الوقت لاتزال واشنطن تزود تايوان بالأسلحة الحديثة، كما تحظر تصدير التكنولوجيا العسكرية للصين. ويمكن القول أن الأكثر احتمالا هو أن تؤدى الشراكة الاستراتيجية الجديدة بين الصين والولايات المتحدة إلى تسهيل بدء مفاوضات جادة للوحدة بين تايوان والصين^(١).

كما يمكن القول أنه لولا تعزيز القوة العسكرية للصين لأعلنت تايوان استقلالها منذ وقت طويل ، إلا أن الصين غير متعجلة لاتخاذ موقف عدائى نحو تايوان بسبب الموقف الأمريكى والدولى بصفة عامة.

١- عبد العظيم حماد: خطوط المواجهة بين الكبار فى آسيا، ما الذى يجرى فى آسيا، ص ٢٦٦ .

الفصل الخامس

قضية الوحدة الكورية

مقدمة- جغرافية كوريا- عرض تاريخى لشبه الجزيرة الكورية-
كوريا بين الانفصال وأمل الوحدة- الفترة من ١٩٥٣-١٩٧٢م -
الفترة من ١٩٧٢-٢٠٠٠م - موقف كوريا الجنوبية من قضية
الوحدة- موقف كوريا الشمالية من الوحدة الكورية- وأخيرا .

مقدمة :

عقد فى أوائل عام ٢٠٠م أول اجتماع بين الرئيس الكورى الجنوبي كيم يونج سام رئيس
الجمهورية الكورية، والرئيس الشمالى كيم جونج إيل رئيس الجمهورية الشعبية الديمقراطية ،
بعد قطيعة دامت حوالى ٥٠ سنة منذ اشتعال ما عرف بالحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣م) .

وكان انعقاد هذا الاجتماع خاتمة جهود مخلصه من جانب الكوريين الساعين لتحقيق وحدة
وطنية لشبه جزيرة كوريا ، فقد سارت العلاقات بين الكوريين خلال الخمسين سنة
(١٩٥٠-٢٠٠م) فى مراحل من التوتر والحوار ثم الاجتماعات ومشروعات المفاوضات.

وكان للقوى المحلية فى كل من كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية مواقفها بين مؤيد للوحدة
الوطنية بين الكوريتين وبين معارض لهذه الوحدة بسبب تعارض المصالح بين الرأسماليين فى
كوريا الجنوبية الذين خشوا من الفكر الاشتراكى المطبق فى كوريا الشمالية ، وكان الموافقون
للوحدة يتطلعون إلى تحقيق مصالح اقتصادية وسياسية فى كل أنحاء شبه الجزيرة.

كما كان للقوى العالمية مواقفها من وحدة شبه جزيرة كوريا، خاصة الولايات المتحدة
المسئولة عن تحقيق أمن كوريا الجنوبية فى مواجهة التهديدات الشيوعية التى تأتى من
الشمال، وإن كانت الولايات المتحدة غيرت موقفها لصالح الوحدة بين الكوريتين على أسس
اقتصادية وذلك خلال التسعينيات من القرن العشرين . وكان لليابان موقفها من وحدة شبه
الجزيرة الكورية يقوم على استخدام الأسلوب السلمى فى تحقيق هذه الوحدة لتحقيق المكاسب
التجارية للسلع اليابانية فى كل شبه الجزيرة الكورية، وكان لكل من روسيا والصين مواقف
متباينة من قضية الوحدة الكورية.

وتأكد فى النهاية أن تحقيق الوحدة بين الكوريتين لابد أن يقوم على أساس المصالح الاقتصادية المشتركة ، وبخطوات تدريجية ، ومن خلال جهود مشتركة بين حكومتى كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، وهو ما رأيناه فى اجتماع الرئيسين الكوريين خلال شهر يونيو ٢٠٠٠م.

جغرافية كوريا :

شبه جزيرة كوريا تقع فى شرق اسيا وتبلغ مساحتها حوالى ٢٢١ ألف كيلو مترا مربعا ، يحدها من الشرق بحر اليابان ، ومن الغرب البحر الأصفر، ومن الجنوب بحر شرق الصين، ومن الشمال أراضي الصين الشعبية، وتتصف شبه جزيرة كوريا بطبيعتها الجبلية الوعرة ، حيث تضم العديد من السلاسل الجبلية متباينة الاتجاهات.محدودة الارتفاع نسبيا . وتبلغ السلاسل الجبلية فى كوريا أعلى ارتفاع لها فى جزئها الشمالى المعروف باسم مرتفعات «بياك توسان» إذ يبلغ الارتفاع ٩٠٠٠ قدم، ويوجد فوق قممتها بحيرة واسعة كانت فى الأصل فوهة بركان^(١).

والجانب الشرقى من شبه جزيرة كوريا تقل فيه الموانئ الصالحة لرسو السفن الكبيرة بسبب اقتراب سلاسل الجبال الرئيسية فى شبه الجزيرة من هذا الساحل ، كما أن أنهار هذا الجانب ذات طبيعة جبلية ، أى أنها قصيرة وسريعة الجريان، ولكن الجانب الغربى من شبه الجزيرة الكورية يتميز بوجود مناطق سهلية واسعة يخترقها شبكة من الأنهار الرئيسية لتصب فى البحر الأصفر، لذا تنتشر هنا التكوينات الفيضية الخصبة على نطاق واسع وخاصة فى الجنوب والوسط . كما يمتد عدد كبير من الجزر على طول امتداد الساحل الغربى^(٢).

وتمتد شبه جزيرة كوريا بين دائرتى عرض ٣٣° و ٤٣° شمال خط الاستواء، كما تنحصر بين خطى الطول ١١° - ١٢٤° و ٥١° - ١٣٢° شرقى جرينتش . وقد قسمت شبه الجزيرة بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولتين تفصل بينهما منطقة محايدة قرب خط العرض ٣٨° : كوريا الشمالية وتبلغ مساحتها ٣٧٠, ١٢٢ كيلو مترا مربعا وعدد سكانها حوالى ٢٥ مليون نسمة،

١- د. محمد خميس الزوكة : آسيا دراسة فى الجغرافيا الإقليمية، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ٢٥٨ .

وعاصمتها مدينة «بيونج يانج» وكوريا الجنوبية ومساحتها حوالى ٩٩ ألف كيلو متر مربع وسكانها حوالى ٤٥ مليون نسمة وعاصمتها مدينة «سول»^(١).

وكوريا الجنوبية التى تشغل النطاق الجنوبي من شبه الجزيرة تضم عددا من الجزر الصغيرة الممتدة بحذاء خط الساحل وخاصة من ناحيتى الجنوب والغرب، ويتزايد عدد السكان فى كوريا الجنوبية بسبب الأزدهار الاقتصادى الذى شهدته البلاد فى ظل النظام الاقتصادى الحر الذى يعرف باقتصاد السوق، فقد قفز عدد السكان من ١٢ مليون نسمة عام ١٩٥٠م ووصل العدد إلى حوالى ٤٥ مليون نسمة فى التسعينيات من القرن العشرين. ويتركز معظم السكان فى الغرب حيث السهول الواسعة والتربة الخصبة نتيجة الأنهار القادمة من الجبال.

وأهم مدن كوريا الجنوبية مدينة «سيول» العاصمة التى تعتبر أكبر المدن الكورية الجنوبية وأكثرها ازدحاما بالسكان، إذ يبلغ عدد سكانها حوالى ١٠ ملايين نسمة، تليها مدينة «بوسان» فى الجنوب الشرقى للدولة، ومدينة «تيجو» ومدينة «إنشون» ومدينة «كوانشجو» ومدينة «تيجون» وتقع مدن تيجو وإنشون وكوانشجو وتيجون فى إقليم السهول الغربية الواسع.

وبالنسبة للنشاط الاقتصادى لسكان كوريا الجنوبية تعد الزراعة من الحرف الانتاجية الرئيسية فى البلاد وخاصة إذا علمنا أن القوى العاملة فى الزراعة تشكل حوالى ٧٠٪ من جملة حجم القوى العاملة فى كوريا الجنوبية ويعتبر الأرز أهم المحاصيل الزراعية فى كوريا الجنوبية وأكثرها انتشارا، كما يعد القمح والذرة والشعير من المحاصيل واسعة الانتشار فى كوريا الجنوبية. كدورها الكبير مع الأرز كعناصر غذائية رئيسية يعتمد عليها سكان البلاد^(٢).

ويرتبط بالزراعة تربية الماشية، فتمتلك كوريا الجنوبية ثروة حيوانية وإن كانت غير وفيرة، ولكن الكوريين ينشطون فى صيد الأسماك من البحار المحيطة ببلادهم وفى غير مياهم الإقليمية بما يمتلكونه من أسطول ضخم لصيد الأسماك فى البحار الواسعة كالمحيط الهادى وبحار الصين.

١- د. حسن أبو العينين: اسيا المرسية، ص ٥٢٣.

٢- د. محمد خميس الزوكة: المرجع السابق، ص ٢٦٤.

وكوريا الجنوبية عددا من المعادن أهمها معدن «التنجستن» الذى يمثل ٧٪ من جملة إنتاج العالم، وتحتل كوريا الجنوبية مركزا متقدما بين دول العالم المنتجة لهذا المعدن بعد الصين وروسيا، وتنتج كوريا الجنوبية أيضا معادن الفحم والحديد والنحاس والرصاص والكاولين أو الصلصال الصينى الذى يستخدم فى صناعات الخزف وبعض الأدوات الكهربائية والأصباغ والورق، إلى جانب إنتاج بعض الأدوات والأجهزة الطبية والمعملية، كما تنتج كوريا الجنوبية الذهب والفضة^(١).

وتشغل كوريا الشمالية الجزء الشمالى من شبه الجزيرة شمال خط العرض ٣٨ شمالا وتقع إلى شمالها أراضى كل من الصين وروسيا، وكوريا الشمالية عددا من الجزر الصغيرة الواقعة فى خليج كوريا، تزيد مساحتها عن كوريا الجنوبية بنسبة ٢٤.٢٪ بينما يقل عدد سكانها عن سكان كوريا الجنوبية (حوالى ٢٥ مليون نسمة) على الرغم من فرق المساحة بين الدولتين. وعاصمتها مدينة «هونج يانج» التى يبلغ عدد سكانها حوالى ١.٥ مليون نسمة فقط، تليها من حيث الكبر مدينة كاسونج التى يبلغ عدد سكانها حوالى ربع مليون نسمة فقط.

ويتمثل النشاط الاقتصادى بكوريا الشمالية فى الزراعة فى المناطق غير الواسعة من الأرض الزراعية فى وديان الجبال، وفى الأراضى المستقطعة من البحر والمستصلحة أسوة بما فعلته هولندا، وسعت حكومة كوريا الشمالية إلى زيادة قدرة الأرض الانتاجية فى المحاصيل الزراعية تعويضا عن ضآلة المساحة الصالحة للزراعة، وأهم المزروعات الأرز وفول الصويا والقمح والتبغ، وهناك مساحات كبيرة من الغابات مما يتيح لكوريا الشمالية ثروة خشبية، وتستعويض الدولة عن الثروة الحيوانية المتواضعة بالثروة السمكية المتوفرة فى المياه الإقليمية والدولية^(٢).

وبالنسبة للتعدين والصناعة، فيتوفر فى أراضى كوريا الشمالية كثيرا من المعادن مثل الفحم والحديد والرصاص والزنك والنحاس والتنجستن والنيكل والمنجنيز والجغرافية إلى جانب البترول الذى تم استخراجه بكميات تجارية منذ عام ١٩٥٧م، وتقوم عدة صناعات معتمدة على توفر المواد الخام اللازمة للصناعة إلى جانب وفرة الأيدي العاملة ورخصها، بالإضافة

١- نفس المرجع، ص ٢٦٥.

٢- د. محمد خميس الزوكة: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

إلى مصادر الطاقة المتمثلة أساساً فى محطات الطاقة الكهربائية المنتشرة على طول المجرى المائية. ومحطات الكهروحرارية المعتمدة أساساً على الفحم، وأهم الصناعات فى كوريا الشمالية صناعة الحديد والصلب والأسمنت والنسيج والمخصبات الكيميائية^(١).

تاريخ كوريا :

كانت كوريا منذ تاريخها القديم- القرن السابع الميلادى- مملكة مستقلة عن كل من الصين واليابان تحكمها أسرة « سىلا Silla » التى حافظت على استقلال شبه الجزيرة الكورية أمام تطلعات الصين، وأطاع اليابان وورثت أسرة يى Yi » حكم شبه الجزيرة منذ عام ١٣٩٢م، وظلت تحكم حتى أوائل القرن العشرين عندما أعلنت اليابان ضم شبه الجزيرة إلى إمبراطوريتها خاصة بعد أن هزمت اليابان روسيا عام ١٩٠٥م.

وكان موقع شبه جزيرة كوريا بين الصين التى تمثل كتلة بشرية هائلة وامكانيات اقتصادية وتطلعات إقليمية ، وبين اليابان التى يتوق شعبها التحرك من الجزر إلى أرض القارة وكانت كوريا أقرب أراضى قارة آسيا لليابان، وقد استفادت كوريا من هذا الموقع كما أضيرت منه، فقد كانت تشكل معبرا يربط شعوب القارة وخاصة الصينيين من ناحية وسكان جزر اليابان من ناحية أخرى، ولذا وفد إلى أراضيه العديد من الشعوب التى يأتى اليابانيون والصينيون والمغول فى مقدمتها^(٢).

وكان مرقع كوريا أيضا مطمعا للصين خاصة فى عهد أسرة مانشون (١٦٤٥-١٩١١م) حيث فرضت الصين سيطرتها على شبه الجزيرة الكورية، كما خضعت لليابان فترة طويلة أخرى، فبينما انتهت السيطرة الصينية على كوريا بموجب معاهدة «شيمونسكى» التى عقدت بين اليابان المنتصرة فى الحرب وبين الصين المنهزمة فى هذه الحرب ١٨٩٤ / ١٨٩٥م، والتى اعترفت فيها الصين باستقلال شبه الجزيرة الكورية، فإن اليابان انتهزت فرصة هزيمتها لروسيا فى عامى ١٩٠٤ و ١٩٠٥م وحصلت من روسيا على اعتراف بمرکز اليابان المتفوق فى كوريا، وكان ذلك خطوة لضمها نهائيا إليها فى عام ١٩١٠م^(٣).

١- نفس المرجع ، ص ٢٦٩ .

٢- د. محمد خميس الزوكة : المرجع السابق، ص ٢٥٨ .

٣- د. رموف عباس: المجتمع اليابانى فى العصر الميجى، ص ١٦٩ .

ورغم أن شبه الجزيرة الكورية خضعت للصين واليابان ، فقد حافظت على شخصيتها الحضارية المميزة لها ، وقد ساعدها على ذلك طبيعة سطحها الجبلية وإحاطة المياه بها من جميع الجهات حتى من الشمال حيث يوجد نهر إبالو Yailo وتومان اللذان يعتبران حاجزا طبيعيا بين شبه الجزيرة الكورية وبين الأرض الصينية، وكانت المياه من الجهات الأربع تمثل حدودا طبيعية لشبه جزيرة كوريا .

ظلت اليابان تحتل شبه جزيرة كوريا حتى انتهت معارك الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م وهزيمة اليابان ، فدخلت القوات الروسية شبه الجزيرة من الشمال، ولكى تحبط الولايات المتحدة الأمريكية السيطرة السوفيتية الكاملة على أراضي شبه جزيرة كوريا ، اقترحت الحكومة الأمريكية بأن تقوم القوات الأمريكية باحتلال شبه الجزيرة جنوب خط عرض ٣٨ لكى تحاصر القوات اليابانية المنهزمة هناك. وفى نفس الوقت اقترحت حكومة واشنطن على الاتحاد السوفيتى باحتلال الجزء الشمالى من شبه الجزيرة شمال خط العرض ٣٨ ، وقد وافق الاتحاد السوفيتى على الاقتراح الأمريكى بدون اعتراض^(١).

وهكذا بسط الاتحاد السوفيتى نفوذه على كوريا الشمالية، بينما بسطت الولايات المتحدة الأمريكية هيمنتها على كوريا الجنوبية، وسقطت شبه الجزيرة الكورية فى صراع الحرب الباردة بين القطبين الكبيرين، الاتحاد السوفيتى ومعه جمهورية الصين الشعبية منذ عام ١٩٤٩م تسعيان لنشر الماركسية فى كوريا الجنوبية، بينما تدافع الولايات المتحدة وبعض دول المعسكر الغربى عن نهج كوريا الجنوبية الرأسمالى ومن هنا حدث ما عرف بالحرب الكورية عام ١٩٥٠م.

اندلعت الحرب بين كوريا الشمالية وتدعمها جمهورية الصين الشعبية فى المقام الأول، وبين كوريا الجنوبية وتدعمها الولايات المتحدة الأمريكية، واستمرت الحرب حوالى عامين، لجأت خلالها الولايات المتحدة الأمريكية إلى هيئة الأمم المتحدة بدعوى عدوان كوريا الشمالية المدعومة بإمكانات صينية على كوريا الجنوبية فأصدرت مجلس الأمن قرارا بتشكيل قوة دولية تحت علم هيئة الأمم المتحدة ، على رأسها قوات أمريكية إلى جانب قوات من حلف شمال

الأطلسي ومنها تركيا ، وقد انتهت الحرب بموافقة الطرفين المتقاتلين على وقف إطلاق النار، واتخاذ خط عرض ٣٨ شمالا كحد فاصل ونهائي بين كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية^(١). وقد كلفت هذه الحرب كلا الدولتين في شبه الجزيرة خسائر بشرية بلغت حوالي ثلاثة ملايين نسمة، وتكرست بعدها الهيمنة الأمريكية على كوريا الجنوبية بدعوى حمايتها من نفوذ وعدوان كوريا الشمالية ذات النهج الشيوعي، كما تكرست في كوريا الشمالية الماركسية المدعومة من الاتحاد السوفيتي ومن جمهورية الصين الشعبية، وتكرس الانفصال بين الكوريتين منذ ذلك التاريخ^(٢).

كوريا بين الانفصال وأمل الوحدة:

فرضت على شبه الجزيرة الكورية تلکم الحرب التي شاركت فيها الدول العظمى في إطار سياسة الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي وجمهورية الصين الشعبية ، والمعسكر الرأسمالي الغربي بزعامة الولايات المتحدة، والتي استمرت من ١٩٥٠ إلى ٢٧ يوليو عام ١٩٥٣ تاريخ التوقيع على معاهدة إنهاء الحرب الكورية وأوجدت انفصالا بين الكوريتين . بل وعداء بين النظامين الحاكمين في كل منهما، رغم تطلع الشعب في البلدين إلى الوحدة باعتبار عوامل الجغرافيا والتاريخ والاجتماع توحد بينهما.

ويمكن مناقشة العلاقة بين الكوريتين خلال الفترة من ١٩٥٣م وحتى عام ٢٠٠٠م على النحو الآتي:

أ- الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٧٢م، وتعرف بفترة المواجهة والتحدى بين الكوريتين، وغياب الحوار واللقاء ، وقد شهدت منطقة الشرق الأقصى في تلك المرحلة تصاعد المد الشيوعي الزاحف من الصين تجاه الهند الصينية فيما عرف بحرب فيتنام التي انقسمت فيها الولايات

١- اشتركت قوات ١٥ دولة بجانب الولايات المتحدة والقوات الكورية في هذه الحرب ، هي استراليا ونيوزيلندا وبريطانيا وفرنسا، وكندا ، وجنوب أفريقيا وتركيا واليونان وتايلاند وهولندا، وأثيوبيا وكلمبيا والفلبين وبلجيكا ولكسمبرج .

A Hand book of Korea , Korean Overseas Information Service , Seol 1993, p. 115 .

٢- الرئيس بارك (رئيس جمهورية كوريا الجنوبية) : هكذا بنينا الوطن، إدارة الاستعلامات سيرل ،

المتحدة الأمريكية وخرجت منها شبه منهزمة.. وكان ذلك دافعا لكوريا الشمالية ذات النظام الشيوعي لتتصد من عدائها لنظام الحكم فى كوريا الجنوبية^(١).

وفى هذه الفترة بذلت جهود كثيرة من كلا الجانبين لتجنب اندلاع عمل عسكري جديد فى المنطقة ، على الرغم من بعض الحوادث التى ارتكبها الشطر الشمالى لشبه الجزيرة نحو الشطر الجنوبى (حكومة سيول) مثل: حوادث قوارب الصيد فى المياه الإقليمية، وإرسال العملاء والجواسيس المسلحين، وحادثة محاولة اغتيال الرئيس الكورى الجنوبى بمدينة رانجون بدولة بورما . وإرسال فرق فدائية فى مجموعات كبيرة على فترات متقطعة للتسلل من الشمال إلى كوريا الجنوبية للقيام بعمليات إرهابية هناك، وكان ذلك خلال عامى ١٩٦٨ و١٩٦٩م^(٢).

وكان سينجمان رى Syngman Rhee أول رئيس للجمهورية الكورية وهو الاسم الذى اتخذته جمهورية كوريا الجنوبية- بينما كان أول رئيس لجمهورية كوريا الديموقراطية وهو الاسم الذى اتخذته كوريا الشمالية هو كيم إيل سونج Kim Iyle Songe ، وقد تتابع على حكم كوريا الجنوبية بعد سينجمان رى كل من يون بوسن Yun Po-Sun الذى شغل منصب الرئاسة فى الجمهورية الثانية، وبعده جاء الرئيس بارك شونج هيه Park Chung Hee الذى اغتيل فى أكتوبر ١٩٧٩م بعد أن حكم فترة الجمهورية الثالثة. وبعد اغتياله تولى الرئيس شوى كوى هاه Choi Kyu- Hah الذى حكم فترة الجمهورية الرابعة بينما تولى الحكم فترة الجمهورية الخامسة الرئيس شون دو هوان Chun Doo Hwan وجاء بعده فى فترة الجمهورية السادسة الرئيس روه تاي ووه Roh Tae Woo ، ويحكم كوريا الجنوبية حاليا الرئيس كيم يونج سام Kim Young San^(٣).

أما فى كوريا الشمالية فقد حكمها من البداية الزعيم كيم إيل سونج واستمر فترة طويلة حتى وفاته حيث تولى كيم جونج إيل Kim Goung Iyle السلطة خلفا لوالده كيم إيل سونج ، حتى الآن، وهنا يتضح أن الرئاسة فى كوريا الجنوبية تدولها حتى الآن ستة رؤساء لأنها تتم

١- فزاد الحازندار : السياسة الكورية وقضية الوحدة بين الكوريتين، مجلد السياسة الخارجية الكورية، مركز الدراسات الآسيوية - جامعة القاهرة، ص ٤٣٥ .

٢- G. Cameron Hurst III : Korea 1988, ANation at the Crossroads Center for East Asian Studies , the University of Kan Sas , 1988 , p. 35 .

بالانتخاب بأسلوب ديموقراطى إلى حد كبير، بينما الرئاسة فى كوريا الشمالية اقتصر على الزعيم المؤسس كيم إيل سونج وابنه من بعده لغياب الديموقراطية الحقيقية فى ظل النظام الشيوعى.

ب- الفترة من عام ١٩٧٢ إلى عام ٢٠٠٠م:

وفى هذه الفترة هدأت إلى حد كبير روح العداة التى تبديها حكومة كوريا الشمالية نحو الحكم فى كوريا الجنوبية، وبدأت محاولات للحوار بين الطرفين، خاصة وأن المناخ السائد فى الشرق الأقصى كان يدعو إلى ذلك، من ذلك انتهاء الحرب الفيتنامية وخروج الولايات المتحدة منهزمة ورجبتها فى عدم الانغماس مرة أخرى فى حروب محلية فى هذه المنطقة، بينما اختلفت كل من الصين وكوريا الشمالية حول المسألة الهندوسينية، وهى تظل الصين تدعم المد الشيوعى فى الهند الصينية أم تتولى كوريا الشمالية هذا الدور خاصة بعد أن أصبحت تمتلك ترسانة حربية كبيرة وتقيم علاقات قوية مع كثير من دول العالم.

ومن ثم جاءت خطوات للحوار بين الكوريتين متتابعا، كان أشهرها تبادل الزيارات الرسمية بين وفدى البلدين على المستوى الرسمى، بالإضافة إلى الزيارات الشعبية الخاصة التى قامت بها الفرق الرياضية والفرق الفنية الغنائية والمسرحية، بالإضافة إلى زيارات بعض الأسر المتفرقة والمشتتة بين الشمال والجنوب، ولقد كانت هذه البادرة علامة مميزة فى العلاقات بين البلدين^(١).

وإذا كانت حقيقة الرغبة الشعبية المتبادلة بين الكوريتين للحوار والتعاون قد هيمنت على الوضع فى شبه جزيرة كوريا، فإن بعض الحوادث المتباعدة التى عكرت العلاقات بين النظامين الحاكمين لم توقف تيار الرغبة الشعبية التى أثرت على سياسة الكوريين الشماليين لتفتح من جديد فكرة الحوار بل واللقاء فى أواخر القرن العشرين.

ومن الأحداث التى اتخذتها حكومة كوريا الشمالية واساءت إلى تيار المصالحة بين الكوريتين، إعلان كوريا الشمالية عام ١٩٨٧م عند عزمها على وضع خطة لبناء سد ضخمة فى منطقة جبل «كا- أمجانج» وإغراق السفن الكورية الشمالية لإحدى سفن كوريا الجنوبية

فى مباء البحر الأصفر، وموقف التردد الذى أبدته حكومة كوريا الشمالية للاشتراك فى دورة الألعاب الأولمبية التى عقدت بمدينة سيول عاصمة كوريا الجنوبية عام ١٩٨٨م^(١).

ومع ذلك استمرت كوريا الجنوبية فى الدعوة إلى إنهاء التوتر مع كوريا الشمالية فى بيانات رسمية والدعوة علنا لفتح باب الحوار مع حكومة «بيونج يانج» وفى تشكيل الوزارة فى حكومة سيول كان هناك وزير للوحدة الوطنية، الذى أكد من أن النشاطات المعارضة للحكومة فى كوريا الجنوبية تشدد وتؤكد على أهمية دور الشعب ووضع نهاية لما يسمى بأيدولوجية التقسيم فى بياناتهم المنشورة بشأن قضية الوحدة وفى نفس الوقت نجد البيانات الصادرة عن حكومة كوريا الشمالية بصدد قضية الوحدة تؤكد دائما على فكرة القومية وليس على فكرة الماركسية اللينينية^(٢).

وقد جدت خلال التسعينات من القرن العشرين عوامل داخلية وأخرى خارجية ساهمت فى التقريب بين الكوريتين ، بالنسبة للعوامل الداخلية فقد تمثلت فى التغييرات الشفافية والاجتماعية والاقتصادية فى كوريا الجنوبية ، فأن التنمية الاقتصادية المتزايدة قد انعكست آثارها فى مجالات الحياة الحديثة بظهور جماعات مهنية وتغييرات أسرية فى الجماعات العشائرية، بينما انعكس تأثير التغييرات الشفافية على إطار العلاقات الشخصية داخل المجتمع.

بينما تسير الأمور فى كوريا الشمالية على العكس إلى حد كبير، حيث الاقتصاد الموجه والعلاقات الشفافية والاجتماعية متأثرة بالأفكار الماركسية، ولهذا كان الكوريون الشماليون يتطلعون إلى تجربة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى كوريا الجنوبية بأعجاب، خاصة أن هذه التجربة أدت إلى إيجاد مطالب وتوقعات جديدة ، بالإضافة إلى ظهور العديد من المؤسسات والمنظمات الجديدة^(٣).

ومن الأمور الداخلية المؤثرة فى قضية الوحدة بين الكوريتين ، اتجاه حكومة كوريا الشمالية إلى الانفتاح الاقتصادى على الخارج واستيراد السلع الاستهلاكية التى يتطلع إليها أفراد

١- فؤاد الحازندار : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

G. C. Hurst III : Op. cit, p. 36 .

-٢

Ibid, p. 39 .

-٣

الشعب الكورى الشمالى ، وإقامة مشروعات سياحية لاستقطاب سياح من الدول الأخرى لزيارة المعالم الكورية ، بالإضافة إلى التوسع فى إنتاج السلع والأجهزة الاستهلاكية ، مع زيادة فى اتصالات حكومة بيونج يانج بالخارج . وهذه التغييرات زادت من تأثير القوى الشعبية لعمليات صنع القرار السياسى ، بغض النظر عن طبيعة البناء السياسى أو الأيديولوجية الحاكمة ، وهذا يدل على أن الشعب الكورى بشقيه الشمالى والجنوبى لديه الرغبة الخالصة والحقيقية لإعادة وحدته بسلام^(١).

وأما العوامل الخارجية المؤثرة فى قضية الوحدة بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، دور الولايات المتحدة الأمريكية التى كانت تهدف إلى إزالة التوتر بين الكوريتين حتى تقلل من إنفاقها العسكرى لحماية أمن كوريا الجنوبية من تهديدات كوريا الشمالية، بل ومن أجل السيطرة على برنامج كوريا الشمالية النووى الطموح خاصة بعد إعلان حكومة بيونج يانج انسحابها من اتفاقية عدم التخصيب النووى، إلى جانب الدور الذى لعبه الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر لتخفيف التوتر بين الكوريتين عام ١٩٩٤ ، فى الوقت الذى أبدى فيه الزعيم الكورى الشمالى رغبته فى إجراء حوار مباشر مع الولايات المتحدة الأمريكية^(٢).

كما كان لليابان نظرة لفكرة الوحدة بين الكوريتين تقوم على تكثيف العلاقات التجارية مع البلدين، وطالما تحسنت العلاقات بينهما نشطت تلك العلاقات وعادت المكاسب على الجميع بهدف إبعاد القوى الأخرى سواء الولايات المتحدة الأمريكية أو روسيا الاتحادية أو حتى الصين، لأن لليابان مصالح خاصة فى شبه الجزيرة الكورية عبر التاريخ.

وهكذا توفرت عوامل داخلية فى كل من كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية وعوامل خارجية أحلت الرغبة فى الحوار وإنهاء التوتر بين الكوريتين بدل الحرب والخلاف بينهما، وبهذا يكون الدور فى تحقيق أمل الكوريين فى الشمال والجنوب فى الوحدة بينهما بأية صورة من صور التوحد، هذا الدور يقع على حكومة سيول وحكومة بيونج يانج ، خاصة فى عهد الرئيس الكورى الجنوبى كيم يونج سام، والرئيس الكورى الشمالى كيم جونج إيل.

١- فزاد الخازندار : المرجع السابق ، ص٤٤٢ .

٢- نفس المرجع ، ص٤٤٦ .

فما هو موقف كوريا الجنوبية من قضية وحدة شبه جزيرة كوريا؟

لقد قدم الرئيس الكورى كيم يونج سام عندما تولى السلطة فى فبراير ١٩٩٣م أفكاراً لتحقيق الوحدة مع كوريا الشمالية ، بهدف تحسين مستوى المعيشة فى كل من كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية، باعتبار أن سياسة الرئيس الكورى الجنوبي تعكس التغير العالمى فى عصر ما بعد الحرب الباردة ، كما تعكس حركات الإصلاح داخل المجتمع الكورى الجنوبي والتي تبنتها حكومة كيم يونج سام كأول نظام حكم مدنى فى كوريا الجنوبية .

وكانت الصيغة التي تبنتها حكومة الرئيس الكورى الجنوبي نحو وحدة شطرى شبه الجزيرة تقوم على عدة مبادئ هي:

١- الإجماع الوطنى على تحقيق الوحدة بحيث تنبع من الشعب ولصالح الشعب فى الكوريتين.

٢- الازدهار الاقتصادى المعتمد على الانفتاح الاقتصادى واقتصاد السوق.

٣- التعايش السلمى بين الحكم فى كوريا الشمالية والحكم فى كوريا الجنوبية.

٤- أن تقوم الوحدة وتنهض على مبادئ الحرية والديموقراطية والخير والرأفة للجميع بدلا من أى أيديولوجية تركز فقط على طبقة أو جماعة معينة^(١).

٥- انتهاج النظام التدريجى ومدخل الخطوة خطوة وذلك بزيادة التجانس بين الشمال والجنوب من خلال التبادل الاقتصادى والثقافى، لأن التغيير السياسى الحقيقى فى كوريا الشمالية من الممكن توقعه عن طريق تغير التحالف فى الصفوة الحاكمة، والتغيرات فى النظام السياسى والتحول من النظام الاشتراكى نفسه^(٢).

وكانت خطوات حكومة سيول لوضع برنامج للوحدة مع حكومة بيونج يانج تتمثل فى التعامل مع الرئيس الكورى الشمالى الجديد على ضوء المبادئ السابق الإشارة إليها، مع التركيز على الوحدة المركزة والسياسة الأمنية والتي تختلف ظروفها وملابساتها فى فترة ما قبل انتهاء الحرب الباردة وما بعدها ، مساعدة أية جماعة إصلاحية من بين الصفوة الحاكمة

١- Korea and World Affairs, vol. 18 , No 3 (Fall 1994) , pp. 475-476 .

-١

Ibid, p. 479 .

-٢

فى كوريا الشمالية، وسوف يقود ذلك سياسة الشمال تجاه الاصلاح والانفتاح، وأن مثل هذه الجهود ستؤدى إلى تغييرات هادفة فى الشمال بدون الإضرار باستقرارها ، ومحاولة حل القضية النووية مع كوريا الشمالية بكل الوسائل السلمية الممكنة^(١).

كان الزعيم الكورى الشمالى « كيم إيل سونج » قد أبدى استعداداه ورغبته فى عقد لقاء قمة مع رئيس كوريا الجنوبية كيم يونج سام وذلك أوائل عام ١٩٩٤م، الغرض من هذا اللقاء بحث قضية الوحدة بين الكوريتين فى إطار النظام الفيدرالى ، وكانت حكومة بيونج يانج قد اشترطت لاستئناف اجتماعات وفدى الدولتين أن يكون جدول الأعمال كالاتى:-

١- بحث صيغة الوحدة الفيدرالية التى اقترحتها حكومة كوريا الشمالية.

٢- مناقشة المبادئ العشرة التى صاغها كيم إيل سونج زعيم كوريا الشمالية من أجل تحقيق الوحدة الوطنية بين شطرى كوريا.

٣- بحث الغاء قانون الأمن القومى السائد فى كوريا الجنوبية^(٢).

ولكن وفاة الرئيس الكورى الشمالى كيم إيل سونج فى ٨ يوليو ١٩٩٤م أجلت اتخاذ أية خطوات للقاءات المقترحة بين الشمال والجنوب .

وعندما التقى الرئيس الكورى الجنوبي كيم يونج سام مع الرئيس الأمريكى بيل كلينتون بجزيرة چيجو الكورية فى ١٦ أبريل ١٩٩٦م، تم الاتفاق على ما يلى:-

١- تعهد الحكومة الأمريكية بالدفاع عن أمن كوريا الجنوبية ، مع تقوية التحالف الأمنى بين البلدين .

٢- التأكيد على استمرار العمل بمعاهدة الهدنة الموقعة بين الكوريتين، وتظل سارية المفعول حتى يتم إنهاؤها بموجب اتفاقية سلام شاملة ودائمة.

٣- التأكيد على الرغبة المتبادلة بين الطرفين فى رعاية وتعزيز السلام الدائم المستقر فى شبه الجزيرة الكورية والعمل الإيجابى المشترك بعقلية متفتحة نشطه لتشجيع عمليات الوفاق والسلام فى شبه الجزيرة الكورية.

Kim Hakjoon : Korea;s Relations with her Neighbors in AChanging world , Seol, -١
1995 , p. 94 .

Kang I Duk : East Asian Review, vol . VI No . 4, Seoul (Winter 1994), p. 42 . -٢

٤- أكد الرئيسان على أن المبادئ الأساسية من أجل السلام الدائم وتدعيم الاستقرار فى شبه جزيرة كوريا، إنما هو فى المقام الأول مهمة الشعب الكورى، كما اتفقا على وجوب بحث عمليات جديدة وترتيبات جديدة بين شطرى كوريا من أجل الوصول إلى السلام الدائم، ورفض الطرفان أية محادثات منفصلة تتعلق بقضايا السلام بين الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا الشمالية^(١).

٥- أكد الرئيس الكورى الجنوبي أن بلاده ترغب فى اللقاء بممثلين على المستوى الحكومى من كوريا الشمالية ولكن بدون أية شروط مسبقة.

٦- اقترح الرئيسان الأمريكى والكورى الجنوبي تشكيل لجنة رباعية تضم ممثلين من جمهورية كوريا الجنوبية وجمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية (الشمالية) وجمهورية الصين الشعبية وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، تتولى تحقيق اتفاق سلام دائم بين الكوريتين بأسرع وقت ممكن وبدون أية شروط مسبقة.

٧- اتفق الرئيسان الأمريكى والكورى الجنوبي على أن دعم عملية السلام سوف يودى بالتالى إلى تخفيض حدة التوتر التى تسود كل ربوع المنطقة.

٨- أثنى الرئيس الأمريكى على المبادرة الإيجابية لكوريا الجنوبية، واعتبرها خطوة مهمة من أجل تقليل حدة التوتر فى شبه الجزيرة الكورية وأكد الرئيس الكورى الجنوبي على أهمية استمرار التأييد والدعم الأمريكى لبلاده على وجه الخصوص^(٢).

وقامت حكومتا سيول وواشنطن بإبلاغ كل من كوريا الشمالية والصين بنصوص الاتفاق الأمريكى الكورى الجنوبي، كما أبلغت كوريا الجنوبية برأيها فى الوحدة مع كوريا الشمالية إلى كل من اليابان وروسيا الاتحادية والذى يقوم على ثلاثة أسس هى:

أ- التأكيد على أهمية الحوار المباشر من الشمال إلى الجنوب.

ب- الوصول إلى تحقيق هدف الوحدة عن طريق العوامل الاقتصادية.

ج- اتفاق الموقف السياسى لكوريا الجنوبية مع الموقف السياسى الأمريكى فى اتخاذ القرارات ومناقشة القضايا المختلفة^(٣).

The Korea Times (April 17, 1961), p. 2 .

-١

The Korea Times , Op. cit. p. 2 .

-٢

٣- فزاد الحازندار : المرجع السابق، ص ٤٥٣ .

وأخيرا :

تطلعت حكومة كوريا الجنوبية إلى تحقيق الوحدة مع الشمال باستلهاام الوحدة الألمانية ولكن حكومة كوريا الشمالية لا تحبذ الوحدة على النسق الألماني حتى لا يبتلع الجنوب الشمال، كما ابتلعت ألمانيا الغربية ألمانيا الشرقية.

ولكن المعجزة أو الأمل فى اجتماع رئيسى الكوريتين قد تحقيق فى شهر يونيو ٢٠٠٠م بعد حوالى ٥٠ سنة من الحرب بين شطرى كوريا، لتبدأ الآمال فى تحقيق الوحدة بين الكوريتين تتجدد وان كان الشوط طويل لتحقيق الوحدة نظرا للاختلاف الجذرى فى النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين البلدين .

وقد أعلن الرئيس الكورى الجنوبي كيم واى جونج أن توحيد شطرى كوريا قد يستغرق ثلاثين عاما، وأعرب جونج فى حديث صحفى هو الأول منذ انعقاد القمة بين شطرى كوريا فى بيونج يانج الشهر الماضى عن رغبته فى أن تتم الوحدة تدريجيا وعلى مهل^(١).

المصادر

أولا : المصادر والمراجع العربية :

- ١- أبحاث المؤتمر الدولي : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، الماضى والحاضر والمستقبل، جامعة الأزهر ١٩٩٦ .
- ٢- إبراهيم نافع وآخرون : ما الذى يجرى فى آسيا . القاهرة ١٩٩٨م.
- ٣- ابن بطوطة : تحقيق محمود الشرقاوى : رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٤- ابن حوقل : المسالك والممالك . ليدن ، ١٨٩٩ .
- ٥- أبو الحسن على الحسنى الندوى : المسلمون فى الهند ، لكهنؤ الهند ١٩٨٧م .
- ٦- أبو الفتح الشهرستانى : الملل والنحل بحاشية ابن حزم ، مصر ١٣١٧هـ.
- ٧- إحسان حقى : باكستان ماضيها وحاضرها ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- ٨- إحسان حقى : مأساة كشمير المسلمة ، الرياض ١٩٧٠م.
- ٩- أحمد الخولى : الدولة الصفوية ، تاريخها السياسى والاجتماعى ، القاهرة ١٩٨٩م .
- ١٠- أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- ١١- أحمد محمود الساداتى : أفغانستان قلعة الإسلام الشامخة بقلب آسيا والسيدجمال الدين الأفغانى . القاهرة ١٩٨١ .
- ١٢- أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، القاهرة، ١٩٧٩ .
- ١٣- أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، ٢ جزء، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ١٤- أحمد محمود الساداتى: تركستان والاستعمار الروسى.
- ١٥- أحمد مصطفى أبوحاكمة : تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨ .

- ١٦- أدوين رايشاور ترجمة ليلى الجبالى : اليابانيون ، الكويت ١٩٨٩ .
- ١٧- آرثر تيدمان ، ترجمة وديع سعيد : اليابان الحديثة . مشروع الألف كتاب العدد ٢٢٢ القاهرة، د. ت .
- ١٨- اسم مالكى : نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية، مقال مترجم عن اللغة الفارسية منشور بكتاب ندوة أحرار الشيشان والدب الروسى- المركز العربى الدولى ٦ يناير ١٩٩٥ م.
- ١٩- إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة .
- ٢٠- إسماعيل ياغى : تاريخ العالم الإسلامى فى آسيا، الرياض ١٩٩٣ .
- ٢١- إسماعيل ياغى : تاريخ شرق آسيا الحديث ، الرياض ١٩٩٤ .
- ٢٢- الاسترلامب ترجمة سهيل زكار : كشمير ميراث متنازع عليه، دمشق ١٩٩٢ .
- ٢٣- السيد جمال الدين الأفغانى : تمتة البيان فى تاريخ الأفغان ، القاهرة ١٩٠١ .
- ٢٤- السيد خالد المطرى : دراسات فى سكان العالم الإسلامى جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ .
- ٢٥- السيد محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، الدوحة ، قطر ١٣٨٦ هـ.
- ٢٦- آمال السبكي : التيارات الدينية فى الثورة الإيرانية ١٩٧٧-١٩٨٩ م ، القاهرة ١٩٩٢ .
- ٢٧- آمال السبكي : العلاقات الأمريكية الإيرانية ١٩٣٥-١٩٣٩ ، القاهرة ١٩٩٢ .
- ٢٨- آمال السبكي : صراع الحلفاء والمحور حول إيران ١٩٣٩-١٩٤٢ ، القاهرة ١٩٩١ .
- ٢٩- أمل ابراهيم الزيانى : علاقات المملكة العربية السعودية فى النطاق الإقليمى ، القاهرة ١٩٨٩ .
- ٣٠- بارتولد المستشرق الروسى، ترجمة أحمد السعيد سليمان : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٣١- بتروشوفسكى ترجمة وتعليق د. السباعى محمد السباعى : الإسلام فى إيران، القاهرة.

- ٣٢- بيير رنوفان ، ترجمة د. جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية (١٨١٥-١٩١٤م) ،
القاهرة ١٩٧٤ .
- ٣٣- تاريخ إيران ، ترجمة : آقاي سيد محمد تقى فخر داعى كيلانى ، بيروت .
- ٣٤- تاكافوسانا كامورا ، برنارد ر . ج جريس، ترجمة د. صلاح عبد المجيد العربى،
التنمية الاقتصادية فى اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية
١٩٨٥ .
- ٣٥- تشتريين ، ترجمة حسين الحوت : الشرق الأقصى ، القاهرة، ١٩٦٣ .
- ٣٦- جان جاك بيرى : الخليج العربى بيروت .
- ٣٧- جاى ونت : أضواء على آسيا ، بيروت، د . ت .
- ٣٨- جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ٣٩- جلال يحيى : الشرق الأقصى ، القاهرة ١٩٧٥ .
- ٤٠- جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية فى العصور الحديثة ، اسكندرية ، د . ت .
- ٤١- جمال زكريا قاسم : العلاقات الإيرانية بالسعودية والخليج العربى على عهد الأسرة
البهلوية ١٩٢٥-١٩٧٩ ، مجلد العلاقات العربية الإيرانية،
القاهرة ١٩٩٣ .
- ٤٢- جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم، بيروت، ١٩٥٧ .
- ٤٣- جودة حسنين جودة : جغرافية آسيا الإقليمية ، الإسكندرية ١٩٩٠م.
- ٤٤- جورج كيرك : ترجمة عمر الاسكندرى ، موجز تاريخ الشرق الأوسط، القاهرة،
١٩٥٧ .
- ٤٥- حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة ، الطبعة الخامسة، ١٩٦٧ .
- ٤٦- حسن أبو العينين : اسيا الموسمية ، القاهرة.
- ٤٧- حسن سليمان محمود : تاريخ المملكة العربية السعودية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٤٨- حسين مؤنس : تاريخ الدول الإسلامية الحديث، القاهرة .
- ٤٩- حسين فوزى النجار : الشرق العربى بين حربين ، القاهرة ، د . ت .

- ٥٠- خليل عبد الحميد عبد العال : الأصول التاريخية لدولة باكستان، اسكندرية ، ١٩٨٤ .
- ٥١- رأفت غنيمي الشيخ : المسلمون في العالم، تاريخيا وجغرافيا، القاهرة، ١٩٩٦ .
- ٥٢- رأفت غنيمي الشيخ : التاريخ المعاصر للأمم العربية الإسلامية ، القاهرة، ١٩٩١ .
- ٥٣- رأفت غنيمي الشيخ : العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٨٣ .
- ٥٤- رأفت غنيمي الشيخ : في تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين القاهرة، ١٩٩٢ .
- ٥٥- رأفت غنيمي الشيخ : قضايا إسلامية معاصرة . القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ٥٦- رموف شلبي : الاسلام في أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه، الكويت ١٩٨٣ .
- ٥٧- رؤوف عبساس : المجتمع الياباني في عصر مايجي ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ٥٨- ريوتارو ، هاشيوموتو ، ترجمة مختار محمد متولى وألفت محسن سرحان رؤية لليابان ، إدارة واقعية للقرن الواحد والعشرين ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ٥٩- سيد عبد المجيد بكر : الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ، الرياض ، ١٩٩٢ .
- ٦٠- شاكرا مصطفى وأنور الرفاعي : تاريخ العالم ، دمشق ١٩٥٩ .
- ٦١- شينتارو إيشيهارا، أكيموريتا ، ترجمة السيد محرز خليفة ، مختار متولى : اليابان يمكنها أن تقول لا، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ١٩٩١ .
- ٦٢- على حسون : العثمانيون والبلقان ، ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- ٦٣- على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- ٦٤- عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين ، حاضره ومستقبله ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ٦٥- عباس محمود العقاد : محمد على جناح ، دار الهلال، القاهرة ، د . ت .
- ٦٦- عبد الحميد الموائى : مصر في جامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٨٣ .
- ٦٧- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة .

- ٦٨- عبد الرحمن حمدى : الهند عقائدها وأساطيرها ، القاهرة د.ت.
- ٦٩- عبد العزيز نسوار : تاريخ الشعوب الإسلامية، القاهرة .
- ٧٠- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ٣ أجزاء ، القاهرة .
- ٧١- عبد العزيز نوار: الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، مجلد العلاقات العربية الإيرانية ، القاهرة ١٩٩٣ .
- ٧٢- عبد القادر خان، ترجمة ابراهيم نوار : مأساة كشمير ، القاهرة ، د . ت .
- ٧٣- عبد المتعال الصعيدي : المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر (١٠٠-١٣٧٠هـ) ، القاهرة .
- ٧٤- عبد المنعم النمر : باكستان ماضيها وحاضرها .
- ٧٥- عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين فى تحرير الهند ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ٧٦- على جريشة : حاضر العالم الإسلامى ، جدة ، ١٩٨٦ .
- ٧٧- على الطنطاوى : إندونيسيا ، بيروت ١٩٧٢ م .
- ٧٨- ك . م . بانيكسار : آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٦٢ .
- ٧٩- ك . م . بانيكسار: مشكلات الدول الآسيوية الأفريقية .
- ٨٠- كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه أمين : تاريخ الشعوب الإسلامية ، بيروت ١٩٦٥ .
- ٨١- كراتشكوفسكى ، ترجمة د. محمد منير مرسى : مع المخطوطات العربية المراقب الملازم لشامل فى كالوجا ، القاهرة د . ت .
- ٨٢- لوثرروب ستودار : حاضر العالم الإسلامى، ٤ أجزاء ، ترجمة عجاج نويهض . بيروت، ١٩٧٣ .
- ٨٣- مجلة السياسة الدولية عدد أبريل ١٩٩٦م وعدد يوليو ١٩٩٦، وعدد أكتوبر ١٩٩٨ .
- ٨٤- مجلة فكر وفن سويسرا عدد ٣٢ عام ١٩٧٩م خاص عن محمد إقبال .
- ٨٥- محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، ١٩٧٧ .

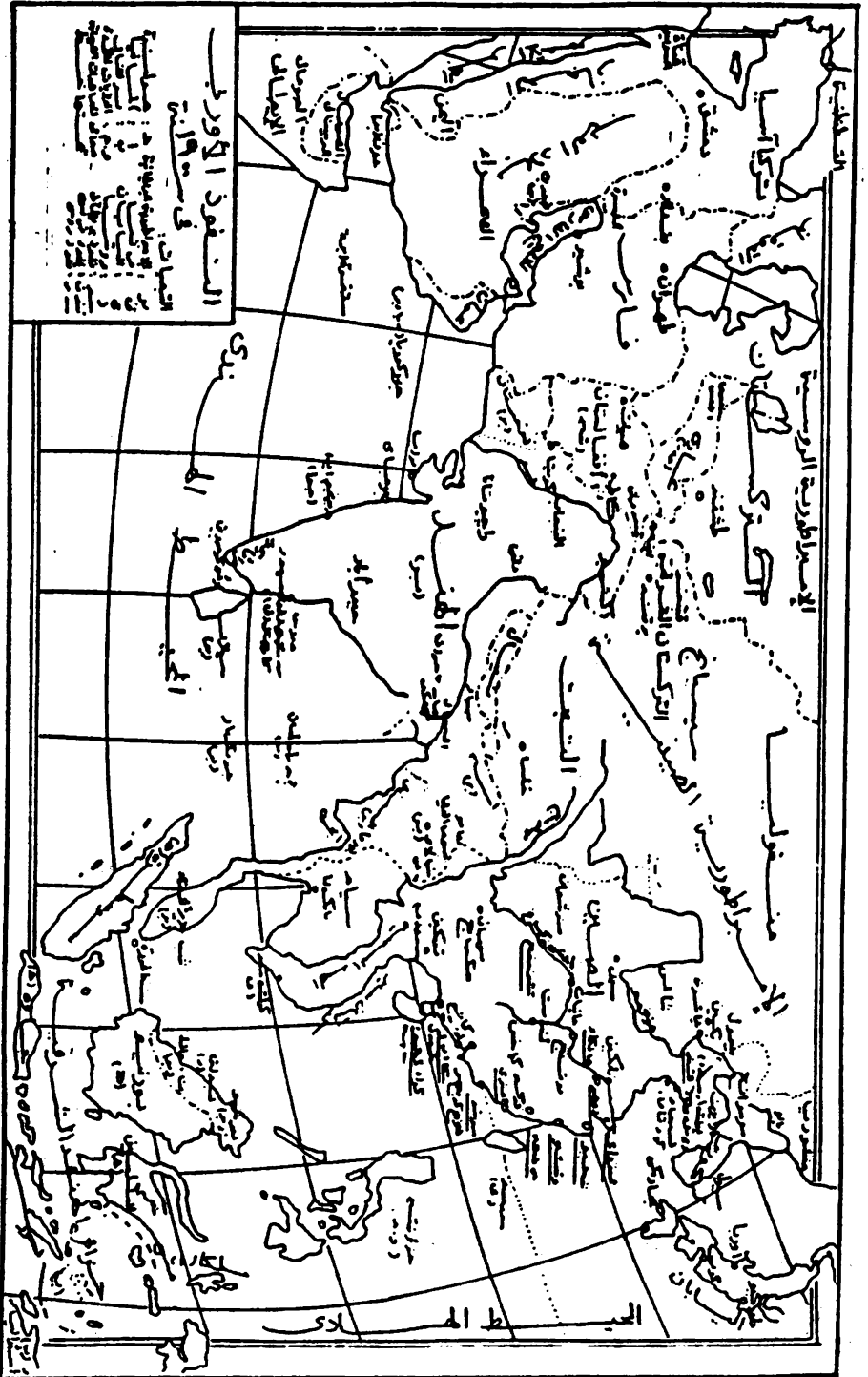
- ٨٦- محمد أسد شهاب : صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة ، بيروت ١٩٧٢م .
- ٨٧- محمد السعيد عبد المؤمن : إيران وآفاق المستقبل ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- ٨٨- محمد السيد سليم وآخرون : مجلد أوراق آسيوية - مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة أبريل ١٩٩٥م .
- ٨٩- محمد السيد غلاب : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، الرياض ، ١٩٧٩ .
- ٩٠- محمد أنيس ، د. السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٩١- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ٩٢- محمد حرب : الشيشان ، القاهرة ١٩٩٦ .
- ٩٣- محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، القاهرة ١٩٩٤ .
- ٩٤- محمد حرب : المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان .
- ٩٥- محمد حسن العيروس : العلاقات العربية - الإيرانية ١٩٢١-١٩٧١ ، الكويت ١٩٨٥ .
- ٩٦- محمد خليفة حسن : تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة ، القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- ٩٧- محمد خميس الزوكة : آسيا ، دراسة فى الجغرافية الإقليمية ، الإسكندرية ١٩٩٨م .
- ٩٨- محمد عطا ودكتور عبد الحميد البطريق: باكستان فى ماضيها وحاضرها ، القاهرة، د.ت.
- ٩٩- محمد علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، القاهرة ١٩٨٩ .
- ١٠٠- محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ، جدة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٠١- محمد مرسى أبو الليل : الهند ، تاريخها ، تقاليدها ، جغرافيتها ، القاهرة .
- ١٠٢- محمد منير مرسى : أبودلف ورسالته الثانية ، مجلة الخليج الجديد، أكتوبر ، ١٩٧٩ الدوحة .
- ١٠٣- محمد نصر مهنا : الإسلام فى آسيا منذ الغزو المغولى .

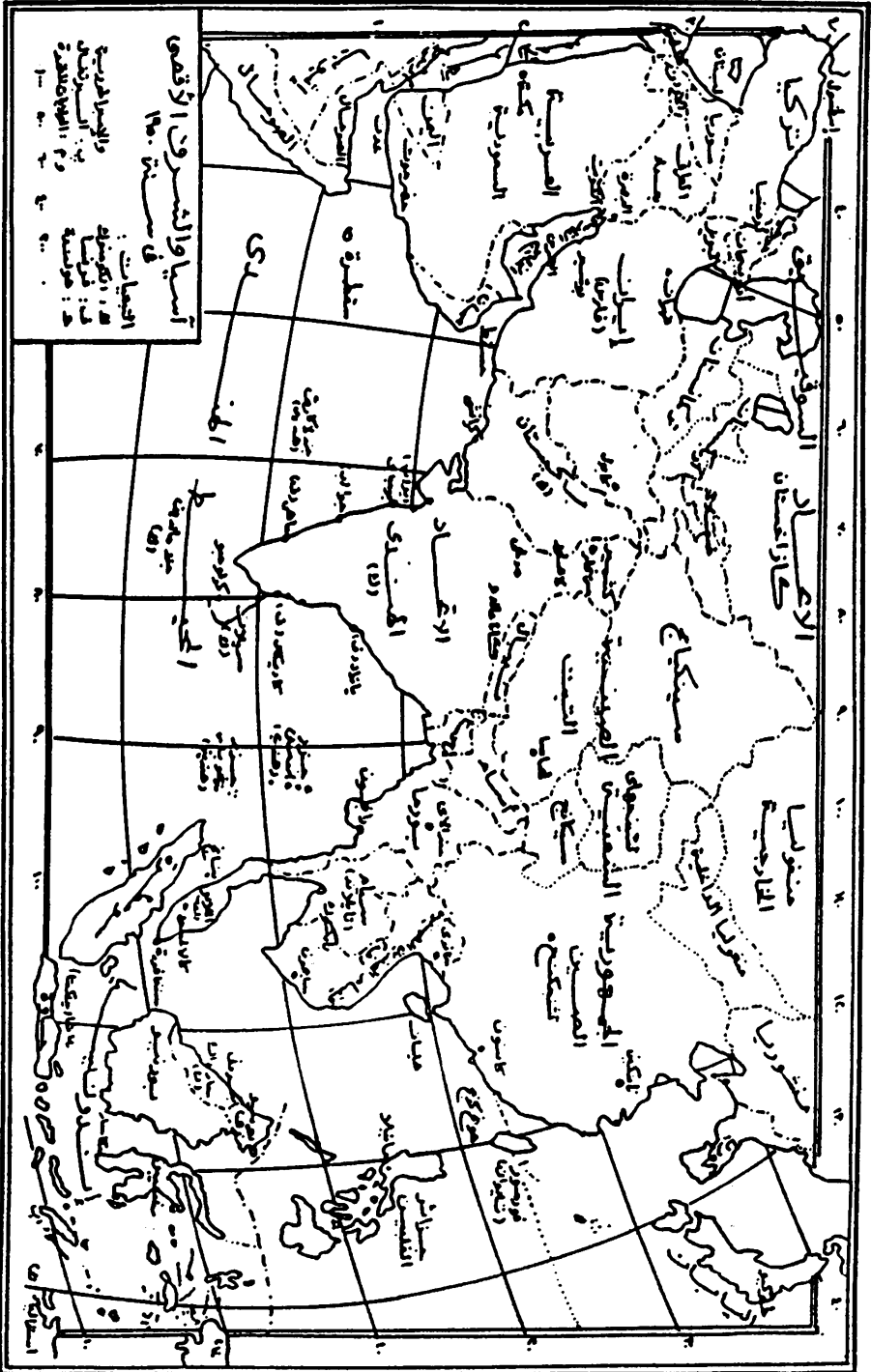
- ١٠٤- محمود أبو العلا : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى، دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية، القاهرة ١٩٩٣ م.
- ١٠٥- محمود شاکر : التاريخ الإسلامى، ٢٢ جزء ، بيروت ١٩٨٩ .
- ١٠٦- محمود شاکر : ترکستان ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ١٠٧- محمود شاکر : ترکستان الصينية ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- ١٠٨- محمود شاکر : قفقاسيا ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- ١٠٩- محمود شاکر: الأقليات الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٨م.
- ١١٠- محمود عبد الرحمن : تاريخ القوقاز، دار النفاثس بيروت ١٩٩٥م.
- ١١١- مراد إبراهيم الدسوقى وآخرون : النور الاسبوية ، تجارب فى هزيمة التخلف ، القاهرة ١٩٩٥ .
- ١١٢- مركز الدراسات الآسيوية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة : النموذج الكورى للتنمية ، القاهرة ١٩٩٦ .
- ١١٣- مركز الدراسات الآسيوية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ، السياسة الخارجية الكورية ، القاهرة ١٩٩٨ .
- ١١٤- مسألة کشمير ١٩٤٧-١٩٥٦م، صدر عن مكتب النشر والاستعلامات ، سفارة الهند القاهرة .
- ١١٥- مصطفى دسوقى : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ٣ أجزاء ملحق مجلة الأزهر.
- ١١٦- مصطفى دسوقى كسبة : الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، الأزهر ذى القعدة ١٤١٥هـ.
- ١١٧- ناجى متشيو : الثورة الاصلاحية فى اليابان د. ت .
- ١١٨- نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ١١٩- يونان لبيب : العلاقات الإيرانية بمصر والعراق على عهد الأسرة البهلوية ١٩٢٥-١٩٧٩ . مجلد العلاقات العربية الإيرانية ، القاهرة ١٩٩٣ .

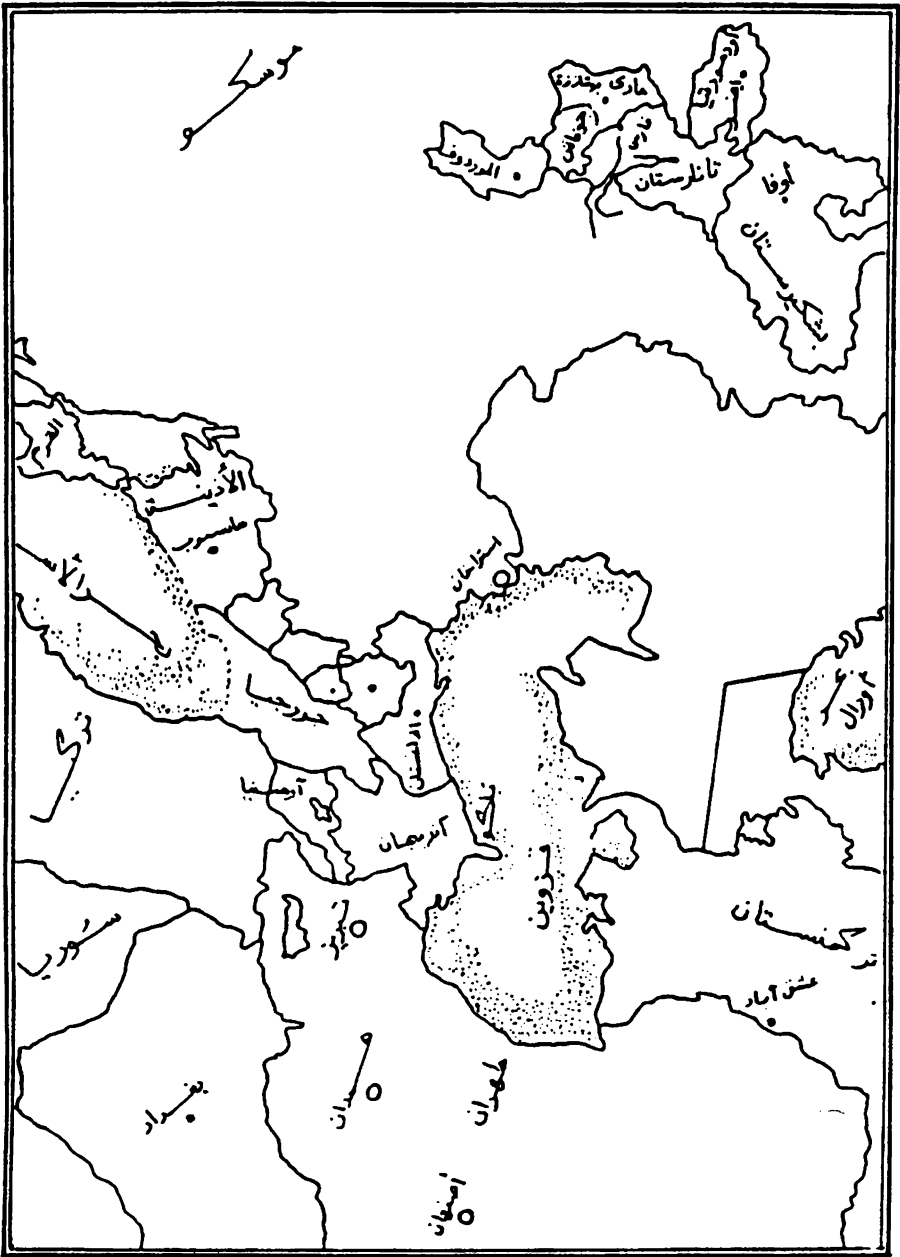
- 1- China Yearbook , 1966-1967 , Taipei, Taiwan , 1967 .
- 2- Ian Thomson : The Rise of Modern Asia .
- 3- Wilson : The Persian Gulf .
- 4- Depping : Histoire de Commerce.
- 5- K . M . Pankkar : A Survey of Indian History .
- 6- G . Nilson : Discovery of India .
- 7- Mahmud Hussain : History of the Freedom Movement , Karachi, 1957.
- 8- David Gilmartin : Empire and Islam , Punjab and the making of Pakistan , London , 1988 .
- 9- J . Bruce Amstutz : Afghanistan, the first five years of Soviet Occupation , Washington D . C ., 1986 .
- 10- Alessandro Bausani : The Persians , London , 1975 .
- 11- Michael M . J . Fischer : Iran from Religious Dispute to Revelation , London 1980 .
- 12- Devender Kaushik : The Indian Ocean , London , 1972 .
- 13- Mim Kemal Oke : The Armenian Question, 1914- 1923 , London , 1988.
- 14- Army Vandimbash , The Dutch East Indies , California 1912 .
- 15- Angelino A . D . Colonial Policy . London 1931 .
- 16- Bland J . O : Recent Events and Present Policies in China ,London 1912.
- 17- _____ Li Mung Chang, London 1917 .
- 18- Balmer , J ., Embassy to China , London 1936 .
- 19- Bernard , Bery Henry , Islands of Philippenes .
- 20- Bullard , J . Britain and the Middle East , London 1951 .
- 21- Clements , P . N ., The Boxer Rebellion, New York 1915 .
- 22- Conou , Ch . Japanese Expansion on Asia Continent .
- 23- Costen , O . K ., Great Britain and China , Oxford 1937 .
- 24- Davis , J . F . China , London 1857 .

- 25- Fortival , J . S , Wether Lands Islands , London , 1944 .
- 26- Hail , W . J . Tsang Kuo Fou and the Taiping Rebellion New Haven 1927 .
- 27- Hudson , E . EuropeandChina . London 1931 .
- 28- Leton , Lord , Indian Administration , London 1948 .
- 29- Miles J . , The Countries and Tribes of the Persian Gulf , London 1948 .
- 30- Owen , David Edward , British Opium Poilcy in China and Japan , New Haven 1934 .
- 31- Panikar , K . M . , Malabar and the Portoguse , Bombay 1927 .
- 32- _____ , Asia and Western Dominance , Bomay 1927 .
- 33- _____ , Indian States and the Government of India, London 1956 .
- 34- _____ , Malabar and the Dutch Bombay , San Som G . B .
- 35- The Western World and Japan , London , 1927 .
- 36- Tompson and Grant , British Rule in India , London 1958 .
- 37- Tse Chang , Siny , Portoguse Trade , Lyden 1934 .
- 38- Wise , White Rise of Portoguse Power in India , London 1958 .
- 39- Wheeler , J . The Foreigner in China , Chicago 1881 .
- 40- Wolworth , Arther , Black Ships of Japan , New York 1946 .
- 41- The World Fact Book . 1992, CIA, Government of USA. Mililitary Balance, 1992, London information on Central Asia Compiled by Prof . maa-havan Kpalat , Iic, New Delhi, 1992, The Middle East , Nov . 1992 .
- 42- Derived from "The Soviet Union's Unequal Parts ; Diverse and Restless , the " The New York Times , September 11 , 1996 , Time , Sep. 9, 1991, Statesman's Yearbook , 1996 .
- 43- Rasma Karlins, Ethnic Relations in the USSR: The Perspective from Belom (Allen & Unwin, Boston , 1986).
- 44- Robert J. Kasier "Nations and homelands in Soviet Central Asia "in Ge-ographic - Perspectives on Soviet Central Asia ed. Robert Lemis , London 1992 .

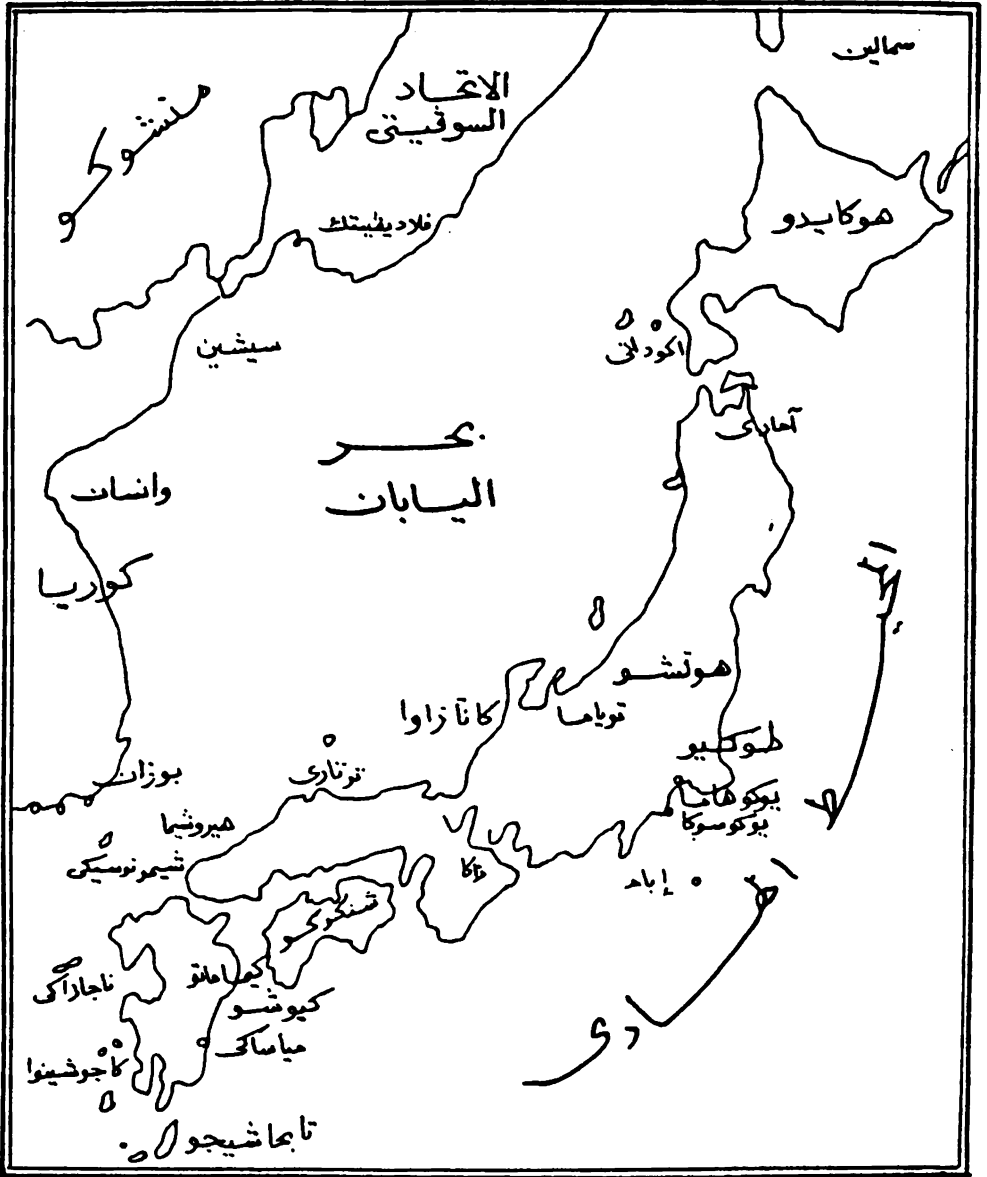
- 45- Lee Schwartz "The political Geography of Soviet Central Asia : Integrating the Central Asian Frontier ", in Georgraphic Perespectives on Soviet Central Asia , Ed. Robert ALewis London 1990 .
- 46- Taher Amin : Mass Resistance in kashmir , Origins, Evolution , Options , institute of Policy Studies, Islamabad Pokistan, 1995 .
- 47- New York Times.
- 48- Pakistan - India Kashmir Dispute, Achronology of Important Events (1947-1990) Edited by Sarfaray Hussaim Mirza, Lahore , Pakistan, 1994 .
- 49- Vernon Hewitt : reclaiming The Past : The Search for Political and cultural unity Contemporary Jammu and Kashmir London, 1995 .
- 50- Ahmad Ejaz : Towards Normalization- India Pakistan Peace Process, 1997-1998. Centre for South Asian Studies Unversity of The Punjab. Lahore 1998.
- 51- Ahmad Ejaz: Kashmir Dispute and U.S. Security Concerns in South Asia , Centre for South Asian Studies Unversity of the Punjab, Lahore, 1996 .
- 52- Macdonald , D.S: The Korean's contemporary Politics and Society Boulder - colorado : Westview Press, 1988 .
- 53- A Hand Book of Korea, Korean overseas Information Service, Seol 1993 .
- 54- G. Cameron hurst III : Korea 1988, Anation at the Crossroads, Center for East Asian, Studies, the university of Kansas, 1988 .
- 55- Center for Asian Studies : The Arabs and the Koreans , Comparative Perspeetives on New Issues, Cairo University , 1995 .
- 56- Korea and World Affairs , 1994 .
- 57- Kim Hakjoon : Korea's Relations with Her Neighbours in Achanging World , Seol, 1995 .
- 58- Kang I Duk ; East Asian Review , Seol , 1994 .
- 59- The Korea Times, Seol, 1996 .



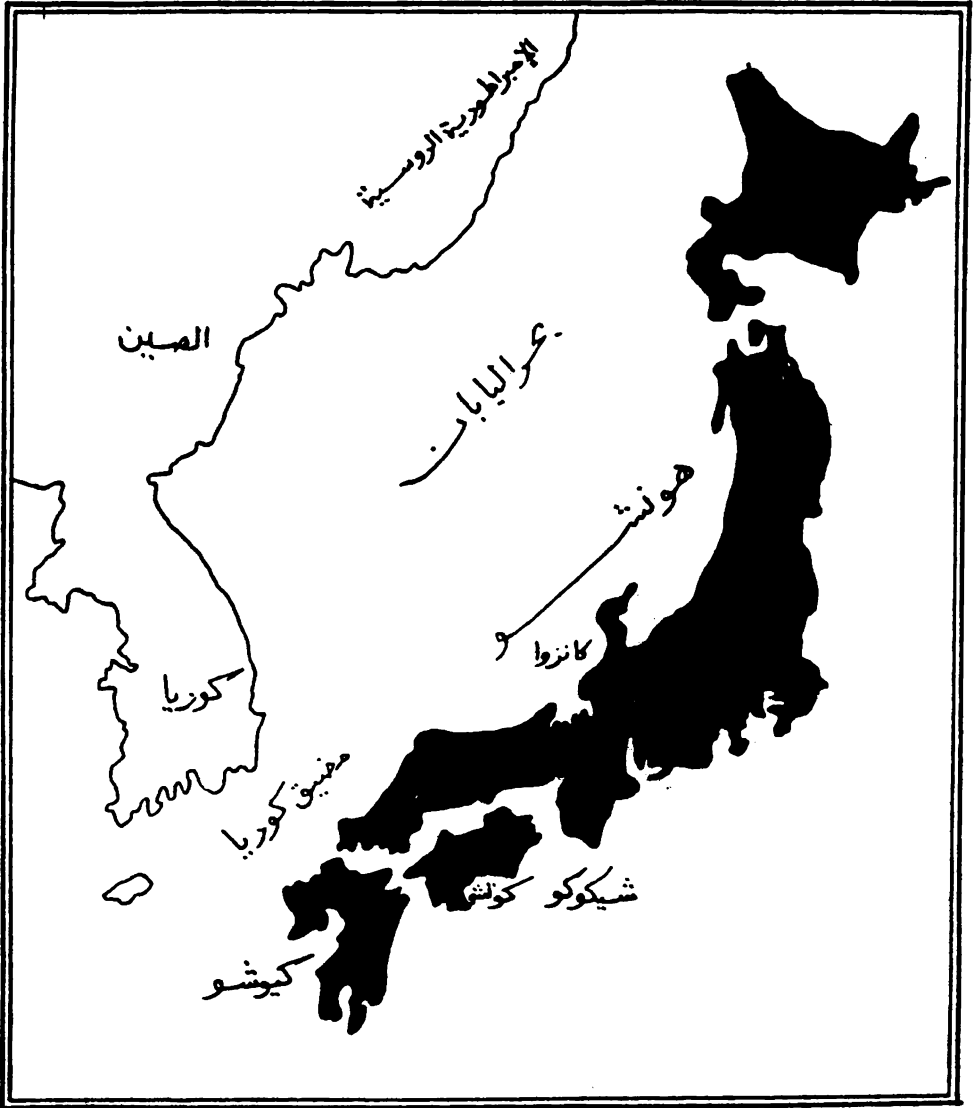




الجمهوريات والمناطق ذات الغالبية الإسلامية ضمن روسيا الاتحادية



الجزر اليابانية



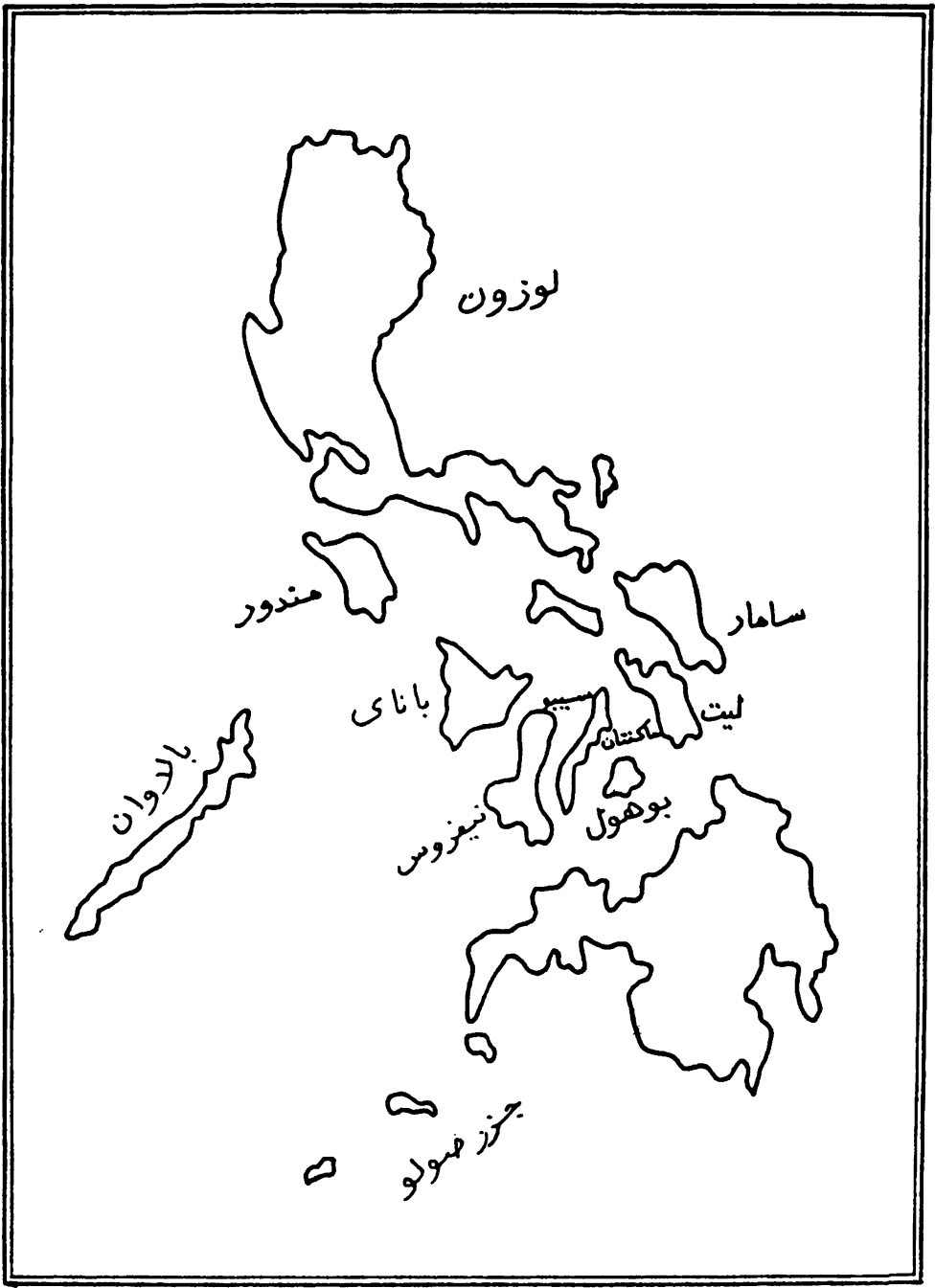
اليابان



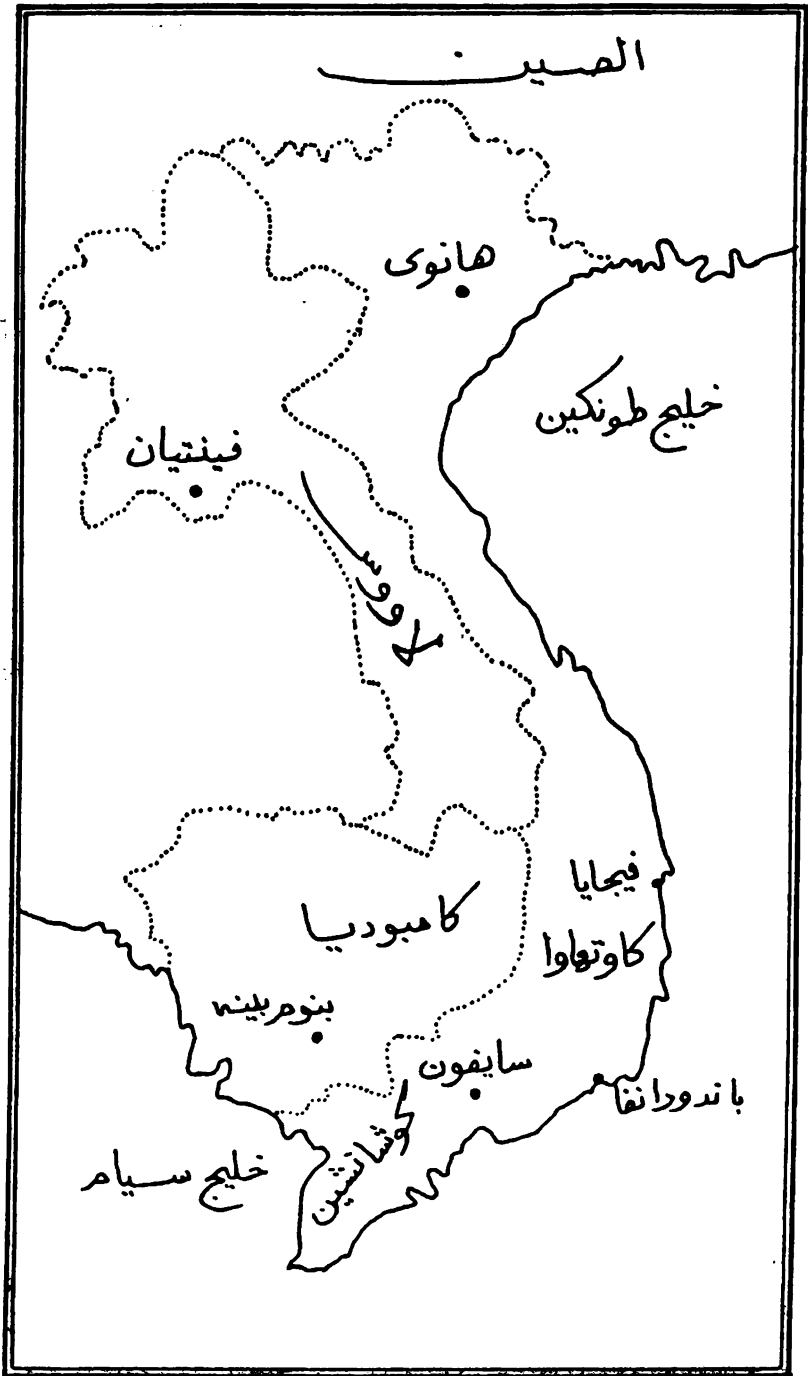
كوريا



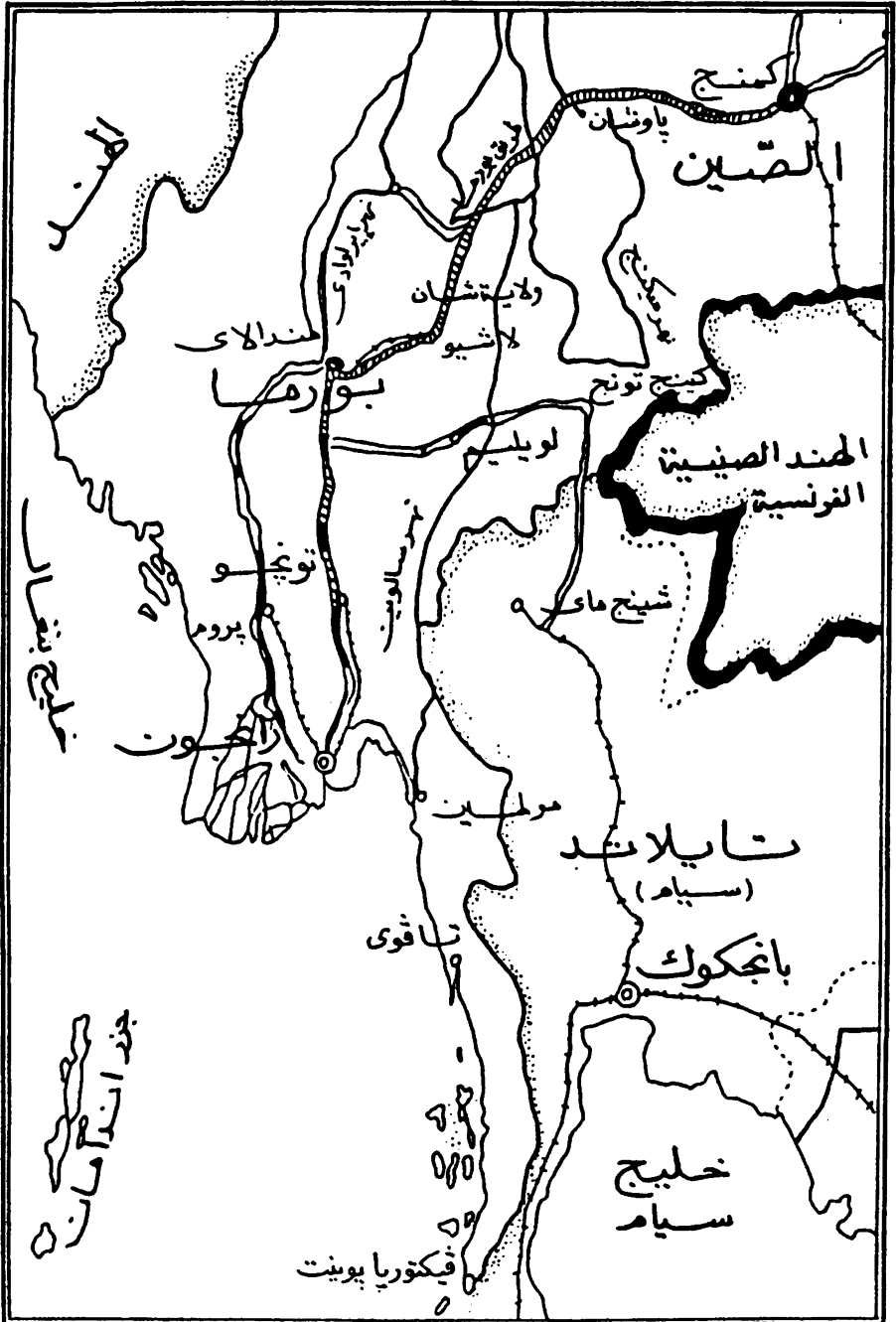
جزر المحيط الهادى



الفلیپین



الهند الصينية



بورما وسيام وطريق بورما



أندونيسيا



الأقليات المسلمة في جنوب آسيا

المحتويات

صفحة

٣ مقممة
٥ الباب الأول : أقطار شرق آسيا
٧ مقممة
٩ الفصل الأول : جمهورية الصين الشعبية
٩ نظرة جغرافية
١١ تاريخ الصين
١٣	- كيف دخل الإسلام إلى الصين
١٧	- الصين والدول الاستعمارية
٢٠	- الغزو الياباني للصين
٢٢	- الصين فى القرن العشرين
٢٨ الفصل الثانى : اليابان وكوريا
٢٨ أولاً : اليابان
٣٠ نظرة تاريخية
٣٠	- عصر ما قبل النهضة
٣٩	- عصر النهضة (مايجى)
٤٥ السياسة الخارجية
٤٥ المشكلة الكورية
٤٦ الحرب الصينية اليابانية
٤٦ الحرب الروسية اليابانية
٤٧ اليابان فى القرن العشرين
٤٨	- الحضارة اليابانية المعاصرة
٥٨ ثانيا : كوريا
٦٢ الفصل الثالث : الفلبين والهند الصينية
٦٢ أولاً : الفلبين
٧٤ ثانيا: الهند الصينية

٧٩	الباب الثانى : أقطار جنوب آسيا
٨١	الفصل الأول : الهند
٨١	الهند والهنود
٨٥	الدول الإسلامية
٨٧	- الاستعمار البريطانى
٩٤	- الإسلام فى الهند
٩٩	الفصل الثانى : الباكستان
٩٩	المسلمون والهندوس
١٠١	التقسيم
١٠٥	دور العلماء المسلمين فى قيام دولة الباكستان
١١٥	الفصل الثالث : أفغانستان
١١٥	الإسلام فى أفغانستان
١١٨	الصراع البريطانى الروسى
١٢١	بعد الحرب العالمية الأولى
١٢٣	الفصل الرابع : اندونيسيا
١٢٣	لمحة جغرافية
١٢٥	تاريخ اندونيسيا
١٢٦	الاستعمار البرتغالى
١٢٧	الاستعمار الهولندى
١٣٤	حالة اندونيسيا بين الحربين العالميتين الأولى والثانية
١٣٨	اندونيسيا فى ظل الاحتلال اليابانى
١٤٣	هولندا واستقلال اندونيسيا
١٥٩	الفصل الخامس : ماليزيا وسنغافورة
١٥٩	نظرة جغرافية
١٦١	التطور التاريخى لماليزيا
١٦٢	الاستعمار البرتغالى والهولندى

١٦٤ الاستعمار البريطاني
١٦٧ الاستقلال
١٧٠ سنغافورة
١٧٣ الباب الثالث : أقطار شمال آسيا
١٧٥ الفصل الأول : روسيا
١٧٧ إمارة موسكو
١٨٩ الثورة الروسية الكبرى
٢٠٠ روسيا الاشتراكية بين الحربين العالميتين
٢٠٤ السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي بالنسبة لآسيا
٢٠٥ الاتحاد السوفيتي والحرب العالمية الثانية
٢٠٧ الفصل الثاني : أقطار القوقاز
٢٠٧ مقدمة
٢٠٩ أولا : الغزو الروسي
١٧٥ مقدمة
٢١٥ ثانيا : جمهوريات القوقاز المستقلة
٢١٦ - جمهورية أذربيجان
٢١٧ - جمهورية أرمينية
٢١٨ - جمهورية جورجيا
٢١٨ - جمهوريات ذات حكم ذاتي
٢٢١ الباب الرابع : أقطار العالم التركي الإيراني
٢٢٣ مقدمة
٢٢٥ الفصل الأول : تركيا
٢٢٥ أصل الأتراك
٢٣٢ تركيا المعاصرة
٢٤٦ دور الأتراك العثمانيين في خدمة الحضارة الإسلامية
٢٥٢ مظاهر الحضارة الإسلامية في الدولة العثمانية

٢٦٠	الفصل الثالث : إيران
٢٦١	إيران عبر التاريخ
٢٦٦	أولا الشيعة الاثنا عشرية
٢٦٩	ثانيا : الدولة الشيعية
٢٧٢	العلاقات الإيرانية العربية
٢٨٠	علاقات إيران بالدول الأجنبية
٢٨٣	الفصل الثالث : أقطار وسط آسيا
٢٨٣	أولا : جغرافية وتاريخ المنطقة
٢٨٣	- الجغرافيا
٢٨٩	- تاريخ المنطقة
٢٨٩	- إسلام أهل المنطقة
٢٩١	- الحكم المغولي
٢٩٢	- أقطار المنطقة بعد حكم المغول
٢٩٣	- الغزو الروسي
٢٩٧	ثانيا : الجمهوريات المستقلة
٢٩٧	جمهوريات تركستان
٢٩٨	ثالثا : العالم التركي
٣٠٧	الباب الخامس : الأقطار العربية الآسيوية
٣٠٩	الفصل الأول : أقطار الهلال الخصيب والمربع العربي
٣٠٩	مقدمة
٣٠٩	أولا بلاد الشام
٣١١	ثانيا : العراق
٣١١	ثالثا : الأردن
٣١٤	رابعا : السعودية
٣١٥	خامسا : أقطار الخليج العربي
٣١٧	سادسا : اليمن

٣١٩	الفصل الثانى : قضية المياه بين تركيا وكل من سوريا والعراق
٣١٩	تمهيد
٣٢١	المبحث الأول : وجهة النظر التركية
٣٢٩	المبحث الثانى : وجهة النظر السورية
٣٣٤	المبحث الثالث : وجهة نظر العراق
٣٤٢	المبحث الرابع : موقف جامعة الدول العربية
٣٤٧	الباب السادس : أحداث أسيوية معاصرة
٣٤٩	الفصل الأول : دول وسط آسيا والقوقاز المستقلة
٣٤٩	أولا : تطور السياسة الروسية نحو تركستان
٣٥٤	ثانيا : جمهوريات وسط آسيا المستقلة
٣٦٥	ثالثا : جمهوريات القوقاز
٣٧٢	رابعا : مشكلات قوقازية
٣٧٥	الفصل الثانى : مشكلة الشيشان
٣٧٥	نبذة جغرافية
٣٧٦	الإسلام فى القوقاز
٣٧٧	الروس والقوقاز
٣٧٨	الصراع بين الشيشان والروس فى عهد القيصرية
٣٨٠	الصراع فى عهد الاتحاد السوفيتى
٣٨٢	الصراع فى ظل روسيا الاتحادية
٣٨٦	الفصل الثالث : مشكلة كشمير بين الهند والباكستان
٣٨٧	تطور مشكلة كشمير
٣٩٢	مرحلة الصراع لعام ١٩٦٥
٣٩٣	مرحلة الصراع لعام ١٩٧١م
٣٩٥	مواقف الأطراف من مشكلة كشمير
٣٩٧	موقف الولايات المتحدة الأمريكية
٤٠١	موقف الصين الشعبية

- ٤٠٢ موقف الاتحاد السوفيتى وروسيا الاتحادية حاليا:
- ٤٠٤ موقف العالم الإسلامى
- ٤٠٥ الفصل الرابع : الصين وتايوان
- ٤٠٥ أولا : تايوان قبل ثورة عام ١٩٤٩م
- ٤٠٩ ثانيا : تايوان من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٧٢م
- ٤١٠ ثالثا : تايوان من عام ١٩٧٢م وحتى الآن
- ٤١٤ الفصل الخامس : قضية الوحدة الكورية
- ٤١٥ جغرافية كوريا
- ٤١٨ تاريخ كوريا
- ٤٢٠ كوريا بين الانفصال وأمل الوحدة.
- ٤٢٩ مصادر الكتاب
- ٤٣٩ خرائط توضيحية

رقم الإيداع ٤٧٩٣ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي 4 - 133 - 322 - 977 I.S.B.N.

مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نويار - باب اللوق